# فوات الوفيات
## ابن شاكر الكتبي
التعريف بالكتاب

ترجم المؤلف في كتابه هذا للخلفاء ومن وقف عليهم ممن لم يترجم لهم ابن خلكان في وفيات الاعيان فقد التزم فيه ابن خلكان ألا يترجم للخلفاء ولا لمن يقف على وفياتهم وقد افاد ابن شاكر من " الوافي بالوفيات " للصفدي ولكنه زاد كثيراً من الاشعار جعلت الكتاب مرجعاً للادباء كذلك . وقد بلغت تراجم الكتاب 600 ترجمة.

## الجزء الثاني من الكتاب

العمي الشاعر

عكاشة بن عبد الصمد العمي؛ كان من فحول الشعراء، وكان يهوى جارية لبعض الهاشمين تدعى نعيماً، وكان لا يراها إلا في الأحيان، وربما اجتمع بها مع صديقه حميد بن سعيد فيشربون وتغنيهم وتنصرف، إلى أن قدم قادم من بغداد فاشتراها ورحل بها عن البصرة إلى بغداد، فعظم أسف عكاشة وجزعه عليها، واستحالت صورته وطبعه، وكان ينوح عليها بأشعاره ويبكي.

ومن شعره:

ألا ليت شعري هل يعودن ما مضى — وهل راجع ما فات من صلة الحبل

وهل أجلسن في مثل مجلسنا الـذي — نعمنا به يوم السعادة بـالـوصـل

عشية صبت لذة الوصل علينا وأفنان الحياة جنى طـيبـهـا — الـنـحـل

وقد دار سـاقـيـنـا بـكـأس رويةٍ — ترحل أحزان الكئيب مع العـقـل

وشجت شمول بالمزاج فـطـيرت — كألسنة الحيات خافت من القـتـل

فبتنا وعين الكاس سح دمـوعـهـا — بكل فتىً يهتز للمجد كالـنـصـل

وقينتنا كالظبي تحتـج لـلـهـوى — وبث تباريح الفؤاد عـلـى رسـل

إذا ما حكت بالعود رجع لسانـهـا — رأيت لسان العود من كفها يملـي

فلم أر كاللذات أمطـرت الـهـوى ولا مثل يومي ذاك صادفه مثلـي

ومن شعره:

وجاءوا إليه بالتعاويذ والـرقـى وصبوا عليه الماء من ألم النكس

وقالوا به من أعين الجن نظـرة ولو صدقوا قالوا به أعين الإنس

وقال من قصيدة طويلة:

هذا وكم من مجلسٍ لي مونـقٍ بين النعـيم وبـين عـيشٍ دان

نازعته أردانه فلـبـسـتـهـا مع ظبية في عيشنا الفـينـان

تنسي الحليم من الرجال معـاده بين الغناء وعودها الـحـنـان

حتى يعود كأن حـبة قـلـبـه مشدودة بمثالـث ومـثـانـي

ظلت تغنيني وتعطف كـفـهـا بالعود بين الراح والـريحـان

فسمعت ما أبكي وأضحك سامعاً فسكرت من طرب ومن أشجان

ومشيت في لجج الهوى متبختراً ومشى إلي الموت في ألـوان

فعلمت أن قد عاد قلبـي عـائد من بين عودٍ مطرب وبـنـان

ومنه:

إذ نحن نسقاها شمولاً قرقـفـاً تدع الصحيح بعقله مرتـابـا

حمراء مثل دم الغزال وتـارةً بعد المزاج تخالهـا زريابـا

من كف جارية كأن بنـانـهـا من فضةٍ قد قمعت عـنـابـا

تزداد حسناً كاسها في كفـهـا ويطيب منها نشرها أحقـابـا

وإذا المزاج علا فشج جبينهـا بقيت بألسنة المزاج حبـابـا

وتخال ما جمعت فأحدق سمطه بالطوق ريق جنابٍ ورضابـا

والعود متبع غـنـاء خـريدة غرداً يقول كما تقول صوابـا

وكأن يمناها إذا نطـقـت بـه تلقي على يدها الشمال حسابا

وكانت وفاته بعد المائتين، رحمه الله تعالى.

علوان الأسدي

علوان بن علي بن مطارد الأسدي الضرير؛ سمع منه سلمان الشحام، وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، رحمه الله تعالى.

ومن شعره:

أوجهك أم شمس النهـار أم الـبـدر وثغرك أم در وريقـك أم خـمـر

وقدك أم غصن ترنحه الصبا وغنج أراه حشو جفنك أم سحر
تبدى لنا والليل ملقٍ جرانه فعاد نهاراً قبل أن يطلع الفجر
أعاذلتي ما أقتل الحب للفتى إذا كان من يهواه شيمته الغدر
ويا معشر العشاق ما أعجب الهوى يرى مرة عذباً وأعذبه مر
ولم أنس حالي يوم زمت ركابهم أقام بجسمي الضر وارتحل الصبر
فما للنوى لا ألف الله شملها وما لغراب البين لا ضمه وكر
وليلٍ كيوم الحشر معتكر الدجى طويل المدى لا يستبين له فجر
أراعي نجوماً ليس يلفى زوالها ولا مؤنس إلا التسهد والفكر
أرى أسهم الأيام تقصد مهجتي كأن صروف الدهر عندي لها وتر
ألا أيها الدهر المكدر عيشتي رويدك مثلي لا يروعه ذعر
أتحسب أن ألفي لغدرك ضارعاً فأنى وفخر الدين لي في الورى ذخر

ومنه في غلام أسود:

سواد عيني فدى أسودٍ في داخل القلب له نقطه
البدر ما استكمل في حسنه حتى اكتسى من لونه خطه
مخطط بالحسن لكنما قلبي في الخطة في خطه

## الباز الأشهب

علوي بن عبد الله بن عبيد، الشاعر الحلي المعروف بالباز الأشهب؛ كان أديباً متفنناً مليح الإيراد للشعر، توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة ببغداد، رحمه الله تعالى.

ومن شعره:

سل البانة الغناء هل مطر الحمى وهل آن للورقاء أن تترنما
وهل عذبات الرند نبهها الصبا لذكر الصبا قدماً فقد كنا نوما
وإن تكن الأيام قصت جناحها فقد طالما مدت بناناً ومعصما
بكتها الغوادي رحمةً فتنفست وأعطت رياض الحزن سراً مكتما
وشقت ثياباً كن ستراً فلما رآها الأقحوان تبسما

لأمـرهـا

خليلي هل من سامعٍ مـا أقـولـه فقد منع الجهال أن أتـكـلـمـا

عرفت المعالي قبل تعرف نفسهـا ولا سفرت وجهاً ولا فغرت فمـا

وأوردتها ماء البلاغة مـنـطـقـاً فصارت لجيد الدهر عقداً منظمـا

وكانت تناجيني بألسـن حـالـهـا فأدرك سر الوحي منها توهـمـا

فما لليالـي لا تـقـر بـأنـنـي خلقت لها منها بدوراً وأنـجـمـا

ورب جهولٍ قال لو كان صـادقـاً لأمـكـنـت الأيام أن يتـقـدمـا

ولم يدر أني لو أشـاء حـويتـهـا ولكن صرفت النفس عنها تكرمـا

أبى الله أن ألقى بخيلاً بـمـدحـه وقد جعل الشكوى إلى المدح سلما

إذا المرء لم يحكم على النفس قادراً يمت غير مأجورٍ ويحيى مذممـاً

سلام على الماء الذي طاب مورداً وإن صيرته وقفة الذل علـقـمـا

فقد كنت لا أبغي سوى العز مطعماً ولا أرتضي ماءً ولو بلغ الظـمـا

وكنت متى مثلت للنـفـس حـاجةً أرى وجه إعراضي ولو كان أينما

وأحسب أن الشيب غير حـالـتـي وصير حلي الغانيات مـحـرمـا

ابن سعد الخير

علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير، أبو الحسن الأنصاري البلنسي؛ كان مع تقدمه في العربية وتفننه في الآداب منسوباً إلى غفلة تغلب عليه، وله رسائل بديعة وتواليف: منها كتاب الحلل في شرح الجمل للزجاجي، وكتاب جذوة البيان وفريدة العقيان وكتاب القرط على الكامل؛ وتوفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، رحمه الله تعالى.

ومن شعره:

ألا سائل الركبان هل ظل لعـلـع كما كان مطول الصائل سجسجـا

وهل وردوا ماء العذيب منـاهـلاً اذا صافحت كف النسيم تـأرجـا

وعن جزعات الحي مالي وما لهـا تجدد لي شوقاً إذا الركب عرجـا

وعن أثلات الجزع هل مال ظلها وهل تخذت ريح الصبا منه مدرجا
لئن ظمئت نفسي إليها فطالما وردت بمغناهن أشنب أفلجا
بحيث يشف الستر عن ماء مبسمٍ أرى باب صبري عنه أبهم مرتجا

وقال:

بأبي من بني الملوك غرير قد ترديت فيه برد التصابي
ضاعفت حسنه ضفيرة شعرٍ هي منه طراز برد الشباب
تتلوى على الرداء مراحاً كحبابٍ ينساب فوق حباب

وقال في سحابة:

وساريةٍ سحبت ذيلها وهزت على الأفق أعطافها
تسل البروق بأرجائها كما سلت الزنج أسيافها

وقال:

بدا البدر في أفقه لابساً ثياباً من الشفق الأحمر
فشبهته والدجى حائل عروساً تزف إلى أسمر

وقال في رمانة مفتحة:

وساكنة من ظلال الغصون بخدر تروق أفنانه
تضاحك أترابها عندما غدا الجو تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد تضرج بالدم أسنانه

وقال في إبرة في لباد أحمر:

ومخيطٍ ضاق عنه وصفي يعجز عن فعله اليماني
يكمن في لبدة ويبدو كالعرق في باطن اللسان

وقال في حقلة كتان اصطفت بها غربان:

ومخضرة الأرجاء قد طلها الندي وقابلها أنف الصبا بتنفس
تبدى بها سطراً دقيقاً كما بدت ضفيرة شعرٍ فوق بردة سندس

وقال:

لله دولاب يفيض بسلسلٍ في روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها فيجيبها ويرجع الألحانا
فكأنه دنف يدور بمعهدٍ يبكي ويسأل فيه عن من كانا
ضاقت مجاري جفنه عن دمعه فتفتحت أضلاعه أجفانا

وقال في مليح أرمد، وقد لبس ثياباً حمراً:

ومهفهفٍ يجري بصفحة خده ولماه من ماء الحياة عبابه
ما زال يهتك باللحاظ قلوبنا حتى تضرج طرفه وثيابه

فبدا بحمرة ذا وحمرة هـذه كالسيف يدمى حده وقرابـه

ابن الثردة الواعظ

علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق بن عبد المجيد بن وفا، المعروف بابن الثردة الواعظ الواسطي الأصل البغدادي المنشأ؛ سألته عن مولده فقال: بكرة الإثنين ثاني عشرين شعبان سنة سبع وتسعين وستمائة.

قدم إلى دمشق مرات ووعظ بها بالجامع الأموي، ثم حصل له خلط سوداوي فتغير حاله، وكان يدعي في هذه الحالة أنه كانت له ببغداد كتب تقدير ألفي مجلدة، وأن جماعة من التجار الذين قدموا دمشق اغتصبوها وقدموا بها دمشق وأباعوها، وكان ذلك كله من مخيلة السوداء، فساءت حاله وأضرت به، والتحق بعقلاء المجانين، وكان يتخذ كارة يحملها تحت إبطه لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً، بحيث أنه كان إذا دخل الحمام أو الطهارة يكون جالساً وهي تحت إبطه، وكلما وجد خيطاً أو حبلاً شدها به، فلا تزال في نمو وزيادة وهو حاملها، وكان يقول: لو دفع لي فيها ملك مصر ما أبعتها، ويقول: هي أشهى إلي من خاتمة الخير، والله لو خيرت بين دخول الجنة بلا كارتي أو دخول النار وكارتي معي اخترت دخول النار على دخول الجنة. وكان ينظم الشعر الجيد في هذه الحالة، وكان إذا دفع إليه أحد شيئاً من دراهم أو غيرها لا يقبل منه، ويقول: من أنت? أظن عندك شيء من كتبي فأنت تبرطلني على ذلك، ولا يقبل لأحد شيئاً إلا بعد الجهد؛ وكانت وفاته بمارستان ابن سويد في أوائل سنة خمسين وسبعمائة، رحمه الله تعالى.

ولما توفي فتحت كارته فما وجد فيها سوى جزاز بخطه وكراريس وعظيات وشعر تغزل وغيره.

أنشدني لنفسه:

أضحى جمالك للورى أعجوبة كل الورى قد قيدوا بـقـيادهِ

فوحق من سواك يا بدر الدجى ما أنت إلا فتـنة لـعـبـادهِ

وقال:

لي حبيب خياله نصب عـينـي أينما كنت وجهـه مـرآتـي

يتجلى لطور سينـاء قـلـبـي فتراني أخر من صعـقـاتـي

ليتني ما عدمته مـن حـبـيب أتراءاه من جميع جـهـاتـي

وإذا لاح أو تجلـى لـعـينـي كدت أقضي من شدة الحسرات

هو ناري وجنتي ومـمـاتـي وحياتي في السر والخـلـوات

لست مهما حييت أنساه أصـلا لا ولا ساعةً من السـاعـات

وأنشدني لنفسه:

سبحان من أبدى جمالك للورى عجباً يحار العقل في تصويره
وصفوك غاية وصفهم لكنهـم لم يدركوا مقدار عشر عشيره
لو كان يوسف في زمانه فقته حسناً وكنت تكون فوق سريره
اعطف على عبدٍ ملكت قـياده فالعبد لم يرحمه غير أمـيره

وأنشدني لنفسه:

يا دار علوة لا عداك غـمـام مني علـيك تـحـية وسـلام
فلقد تقضت لي بربعك عـيشة زمن الصبا إذ لست فـيك ألام
مع فتية حلوا ببطحاء الحمـى ولهم بقلبي مربـع ومـقـام
يحمون بالبيض النزيل حمـية ومن استجار بهم فليس يضـام
انظر إليهم كيف تضرم نارهم للطـارقـين إذا ألـم ظـلام
ترهم إذا ما الليل جن علـيهـم وهم سجود في الدجى وقـيام
لولاهم ما كان يعرف ما الهوى كلا ولا بيع النـفـوس يسـام

وقال أيضاً عفا الله عنه:

بالجامع الأموي ظبي أهـيف ما في الملاح كحسنه وجماله
هو بدر تم والقلوب بروجـه يخفي البدور بنور عز جلاله
وإذا تثنى مائساً في مـشـيه فضح الغصون بلينه ودلالـه

وقال:

ولما تجلـى مـن أحـب لـنـاظـري خررت من الأشواق صعقا إلى الأرض
وإنـي لأتـلـو ذكـره وحـديثـــه وسمعي به يلتذ في النفل والـفـرض

وقال مواليا:

لك وجه يحكي فتات السكر المصري وقد يشبه قضيب البان لـي يمـري
وردف ما ريت مثله قط في عصري يا ليته حظ علي بن الثردة المقـري

وأنشدني لنفسه من موشح:

أيها النائم كم هـذا الـرقـاد انـتـبـه كـم نـــوم
انتبه من ذا الكرى يا ذا الجماد تلـتـحـق بـالـقـــوم
وتأهب لغـدٍ يوم الـمـعـاد يا لـــه مـــن يوم

وافعل الخير لتحظى بالنجـاح لا تـكـن كـســلان
واجتهد فالمجتهد يلقى الفلاح ويرى الإحـســان
قد تقضى العمر دع لهو الصبا أيهـا الـغـافـل
لا تكن ممن إلى الجهل صبـا تعـس الـجـاهـل
كل شيء تهب الدنـيا هـبـا ليس بـالـطـائل
كم حريص خلف الدنيا وراح لابـس الأكـفـان
وأخو الفقر توفي فاسـتـراح قلـبـه الـتـعـبـان

//المكتفي بالله علي بن أحمد بن طلحة بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب؛ هم أمير المؤمنين المكتفي بالله ابن المعتضد ابن الموفق ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور، الهاشمي العباسي، ولد سنة أربع وستين ومائتين، وتوفي سنة خمس وتسعين ومائتين.

كان معتدل القامة دري اللون أسود الشعر حسن الوجه؛ بويع له بالخلافة عند موت والده في جمادى الأولى سنة تسع وثمانين، وكانت أيامه ست سنين ونصف، ومات شاباً في ذي القعدة، وخلف مائة ألف ألف دينار عيناً، وأمتعة وعقاراً وأواني بمثلها، وثلاثة وستين ألف ثوب وكان يلقب "المترف" لنعمة جسمه وحسنه، وكان نقش خاتمه "اعتمادي على الذي خلقني".

ومن شعره:

من لي بأن تعلم ما ألقى فتعرف الصبوة والعشقا
مازال لي عبداً وحبي له صيرني عبداً له حقـا
أعتق من رقي ولكننـي من حبه لا آمن العتقـا

وله أيضاً:

تلطف في رسولـك يا أمـيري فإني من رسولك فـي غـرور
أحمله رسـالاتـي فـينـسـى ويبلغك القليل مـع الـكـثـير
وأرسل من إذا لحظته عـينـي حكى لي طرفه ما في ضميري
إذا كان الرسـول كـذا بـلـيداً تقطعت الجوانح في الصـدور

وفي المكتفي هذا يقول ابن المعتز:

قايست بين جمالها وفعـالـهـا فإذا الملاحة بالخيانة لا تـفـي

والله لا كلمتـهـا لـو أنـهـا كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

وما أحسن قول ابن سناء الملك:

ومليـة بالحسن يسخر وجههـا بالبدر، يهزأ ريقها بالقرقـف
لا أرتضي بالشمس في تشبيهها والبدر، بل لا أكتفي بالمكتفي

الحريري شيخ الطائفة

علي بن الحسن بن منصور، الشيخ أبو الحسن الحريري؛ قال الشيخ شمس الدين: شيخ الفقراء الحريرية أولي الطيبة والسماعات والشاهد، كان له شأن عجيب ونبأ غريب، وهو حوراني من عشيرة يقال لهم "بنو الزمان" بقرية بسر، وقدم دمشق صبياً ونشأ بها، وذكر هو أنه من قوم يعرفون ببني قرقر، وكانت أمه دمشقية من ذرية الأمير قرواش بن المسيب العقيلي، وكان خاله صاحب دكان في الصاغة؛ توفي والده وهو صغير، ونشأ في حجر عمه، وتعلم صناعة العتابي وبرع فيها حتى فاق الأقران، ثم صحب الشيخ أبا علي المغربل خادم الشيخ رسلان.

قال الحافظ سيف الدين ابن المجد: علي الحريري وطئ أرض الجبل ولم يمكنه المقام به، والحمد لله، كان من أفتن شيء وأضره على الإسلام، تظهر منه الزندقة والاستهزاء بأوامر الشرع ونواهيه، بلغني من الثقات عنه أشياء يستعظم ذكرها من الزندقة والجرأة على الله تعالى، وكان مستخفاً بأمر الصلاة وانتهاك الحرمات.

ثم قال: حدثني رجل أن شخصاً دخل الحمام، فرأى الحريري في الحمام ومعه صبيان حسان بلا ميازر، فجاء إليه وقال: ما هذا? فقال: كأن ليس سوى هذا، وأشار إلى أحدهم: تمدد على وجهك، فتمدد، فتركه الرجل وخرج هارباً مما رأى.

قال الشيخ شمس الدين: رأيت جزءاً من كلامه من جملته: إذا دخل مريدي بلد الروم فتنصر وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر كان في شغلي. وسأله رجل: أي الطرقات أقرب إلى الله حتى أسير فيه? فقال له: اترك السير وقد وصلت، وهذا مثل قول العفيف التلمساني:

فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا إليك إذا بلغت المـنـزلا

وقال لأصحابه: بايعوني على أن نموت يهود ونحشر إلى النار حتى لا يصاحبني أحد لعلة؛ وقال: ما يحسن بالفقير أن ينهزم من شيء، وإذا خاف من شيء قصده؛ وقال: لو قدم علي من قتل ولدي وهو بذلك طيب كنت أطيب منه.

ومن شعره في ذلك الجزء:

أمـرد يقـدم مـداسـي أخير من رضوانـكـم
وربع قحـبـه عـنـدي أحسن مـن الـولـدان
قالوا أنت تدعى صالـح دع عنك هذه الخـنـدقة
قلت السماع يصلح لـي بالشـمـع والـمـردان
ما أعرف لآدم طـاعـه إلا سجود الـمـلايكـه
وما أعرف آدم عصى الله يعـظـم الـرحـمـن

وله:

إن كنت أقجـي تـقـدم وإن كنت رماح انتبـه
وإن كنت حشو المخـده اخـرج ورد الـبـاب
أو ذا اشتهي قبل موتـي أعشق ولو صورة حجر
أنا مـثـكـل مـحـير والعشق بي مشـغـول

ومن شعره:

كم تتعبني بصحبة الأجساد كم تسهرني بلذة الميعـاد
جد لي بمدامة تقوي رمقي والجنة جد بها على الزهاد

وكان يلبس الطويل والقصير والمدورة والمفرج والأبيض والأسود، والقلنسوة وحدها، وثوب المرأة، والمطرز والملون.

وذكر بهاء الدين يوسف بن أحمد بن العجمي أن القاضي مجد الدين ابن العديم حدثه عن أبيه قال: كنت أكره الحريري وطريقه، فاتفق أن حججت وحج الحريري ومعه جماعة ومردان، فأحرموا وبقوا تبدو منهم في الإحرام أمور منكرة، فحضت يوماً عند أمير الحاج، فجاء الحريري، واتفق حضور إنسان بعلبكي ومعه ملاعق، ففرق علينا كل واحد ملعقتين ملعقتين، وأعطى الشيخ علي الحريري واحدة، فأعطاه الجماعة ملاعقهم تكرمة له، وأما أنا فلم أعطه ملعقتي، فقال لي: يا كمال الدين، لم لا توافق الجماعة? فقلت: ما أعطيك شيئاً، فقال: الساعة نكسرهما، قال: والملعقتان على ركبتي، قال: فنظر إليهما وإذا بهما قد انكسرتا كل واحدة شققتين، فقلت: ومع هذا فلا أرجع عن أمري فيك، وهذا من الشيطان، أو قال: هذا حال شيطاني.

وذكر النسابة في تعاليقه قال: وفي سنة ثمان وعشرين وستمائة أمر الصالح بطلب الحريري واعتقاله، فهرب إلى بسر، وسببه أن ابن الصلاح وابن عبد السلام وابن الحاجب أفتوا بقتله لما اشتهر عنه من الإباحة وقذف الأنبياء والفسق وترك الصلاة، وقال الملك الصالح: أعرف منه أكثر من هذا. وسجن الوالي جماعة من أصحابه، وتبرأ منه أصحابه وشتموه، ثم طلب وحبس بعزتا، فجعل أناس يترددون إليه، فأنكر الفقهاء ذلك، وسألوا الوزير ابن مرزوق أن يعلم الواجب فيه، وإلا قتلناه نحن، وكان ابن الصلاح يدعو عليه في أثناء كل صلاة بالجامع جهراً، وكتب جماعة من أصحابه بالبراءة عليه منه.

ولما مات سنة خمس وأربعين وستمائة سن أصحابه المحيا في شهر رمضان كل ليلة سبعة وعشرين، وهي من ليالي القدر، فيحيون تلك الليالي الشريفة بالدفوف والشبابات والملاح بالرقص إلى السحر، وفي ذلك يقول علاء الدين الوداعي:

حاز الحريري فضلاً لميت مـا تـهـيا
في كل لـيلة قـدر يرى له الناس محيا

وفيه يقول سيف الدين المشد:

سمعت بأن حبركـم عـلـياً حباه الله منه بـالـحـبـور
إذا حضر السماع يتيه عجباً بما أوتيه من عزم الأمـور
فلا تولوه تعنـيفـاً ولـومـاً فما تدرون أسرار الصدور
ومن ذا في السماع له مقـام إذا سمعت مقامات الحريري

ورثاه النجم ابن إسرائيل بقصيدته التي أولها:

خطب كما شاء الإله جليل ذهلت لديه بصائر وعقول

ومصيبة كسفت لها شمس الضحى وهفا ببدر المكرمات أفول

وكبا زناد المجد وانفصمت عرى ال علياء واغتال الفضائل غول

وتنكرت سبل المعارف واغتدت غفلاً وأقفر ربعها المأهول

ومضت بشاشة كل شيء وانقضت فالوقت قبض والزمان عليل

وعلا ملاحات الوجوه سماجة وخفيف تلك الكائنات ثقيل

والروض أغبر والمياه أواجن ومعاطف الأغصان ليس تميل

والشمع والألحان لا نور ولا طرب وليس على الشهود قبول

خطب ألم بكل قطر نعيه كادت له شم الجبال تزول

فعلى المعاني والعلوم كآبة وعلى الحقائق ذلة وخمول

والسالكون سطت عليهم حيرة وغوى لهم نهج، وضل سبيل

والعارفون تنكرت أحوالهم فحجاب عين قلوبهم مسدول

ودنان خمر الحب قد ختمت وبا ب ألحان مهجور الفنا مملول

ما كنت أعلم والحوادث جمة والناس فيهم عالم وجهول

أن الدجى ليس الحداد توقعاً لمصابه قدماً وذاك قليل

أو أن صوب المزن حين همى على عفر الثرى دمع عليه يسيل

أو أن صوت الرعد حنة فاقد فقد العلا فله عليه عويل

أو أن قلب البرق يحقق روعة لسماع ما ناعي علاه يقول

أإمامنا يا أوحد العصر الذي ما إن له فيمن نراه عديل

يا سيداً ملك القلوب عن حق طاعة أمره مسئول

فكلها من يبرد المهج الحرار ومن ببلوغ آمال الوصال كفيل

لـهـا

أمن يدل السالكـين إلـى حـمـى ... ليلى وقد ضل الـسـبـيل دلـيل

أمن يقول الحـق لا مـتـخـوفـاً ... حيث النفوس على السيوف تسـيل

أمن يحل المشكـلات بـلـفـظة ... يرضى بها المنقول والمعـقـول

أمن يفي بضـمـان حـان مـدامة ... حبل النجاة بـدنـهـا مـوصـول

أمن يبيح المفلـسـين سـلافـهـاً ... ويجول بين دنـانـهـا ويصـول

أمن يهيم الجـمـال بـه صـبـابة ... فكأنما رب الـجـمـال جـمـيل

يصبوا إليه قلب من هو عـنـد أر ... باب القلوب معشـق مـقـبـول

من كل فتاك اللـواحـظ مـا رنـا ... إلا تشحط فـي الـدمـاء قـتـيل

نشوان عساك المعاطف فـاتـر ال ... أجفان خمر رضابه مـعـسـول

بهواه لا يصغي لـقـول مـفـنـد ... أبداً ولا يثـنـيه عـنـه عـذول

وغريرة الألحاظ ناعمة الـصـبـا ... ريا الإزار وخصرها مـهـزول

حوراء مائسة المعاطف طرفـهـا ... سيف على عشاقها مـسـلـول

كل يهيم بـحـبـه، وكـذاك مـن ... ملك الإرادة أمره الـمـفـعـول

مولاي دعوة من دعتـه مـصـيبة ... غطت عليه فعقلـه مـعـقـول

حاشا علاك من الممـات وإنـمـا ... هي نقله فيها المنـى والـسـول

ناداك من أحببـتـه فـأجـبـتـه ... وأتاك منه بـالـقـبـول رسـول

وحننت نحو حمـاك حـنة صـادق ... لم يقتطعه عـن حـمـاك بـديل

فخلعت هيكلك السعيد مـطـهـراً ... تبدو عـلـيه نـضـرة وقـبـول

جسد خلا وحلا وخـف كـأنـمـا ... قد ضم منه الحامل المـحـمـول

حتى حللت محلك الأعلـى الـذي ... ما بـعـده بـعـد ولا تـحـويل

فهناك عرس للـوصـال مـجـدد ... وسعادة تـبـقـى ولـيس تـزول

جادت ثراك من السحاب ثرة وكفت دموع قد وكفن همول
وتعاهدتك تحية وكرامة منه يروح بها صباً وقبول
وعدت علينا من حماك تحية وبحسبنا من تربك التقبيل

واتفق أن ليلة وفاته كانت شاتية مثلجة، فقال ابن إسرائيل:

بكت السماء عليه ساعة دفنه بمدامع كاللؤلؤ المنثور
وأظنها فرحت بمصعد روحه لما سمت وتعلقت بالنور
أو ليس دمع الغيث يهمي بارداً وكذا تكون مدامع المسرور

المسعودي صاحب التاريخ

علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي المؤرخ، من ذرية عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال الشيخ شمس الدين: عداده في البغداديين، وأقام بمصر مدة، وكان إخبارياً علامة صاحب غرائب وملح ونوادر، مات سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

وله من التصانيف كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف وملوك" وكتاب "ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور" وكتاب "الرسائل والاستذكار لما مر في سالف الأعصار" وكتاب "التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم" وكتاب "التنبيه والإشراف" وكتاب "خزائن الملك وسر العالمين" وكتاب "المقالات في أصول الديانات" وكتاب "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان" وكتاب "البيان في أسماء الأئمة" وكتاب "الخوارج".

ابن هندو

علي بن الحسين بن هندو، أبو الفرج الكاتب الأديب الشاعر، له رسائل مدونة، وكان أحد كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة، وكان متفلسفاً، قرأ كتب الأوائل على أبي الحسن العامري بنيسابور، ثم على أبي الخير بن الخمار، وكان يلبس الدراعة على رسم الكتاب؛ وكانت وفاته بجرجان في سنة عشرين وأربعمائة.

وكان به ضرب من السوداء، وكان قليل القدرة على شرب النبيذ، فاتفق أنه كان يوماً عند أبي الفتح بن أحمد كاتب قابوس، فتناشدوا الأشعار، وحضر الغداء فأكلوا وانتقلوا إلى مجلس الشراب، فلم يطق ابن هندو المساعدة على ذلك، فكتب في رقعة ودفعها إليه:

قد كفاني من المدام شميم صالحتني النهى وتاب الغريم
هي جهد العقول سمي راحاً مثل ما قيل للديغ سليم
إن تكن جنة النعيم ففيها من أذى السكر والخمار جحيم

فلما قرأها ضحك، وأعفاه من السكر.

ومن شعره:

أرى الخمار ناراً والنفوس جواهراً فإن شربت أبدت طباع الجواهر

فلا تفضحن النفس يوماً بشربهـا إذا لم تثق منها بحسن الـسـرائر

وقال:

عابوه لما التحى فقلنـا عبتم وغبتم عن الجمال
هذا غزال ولا عجـيب تولد المسك في الغزال

وقال:

حللت وقاري في شادن عيون الأنام به تعـقـد
غدا وجهه كعبة للجمال ولي قلبه الحجر الأسود

وقال:

ضعت بأرض الري في أهلها ضياع حرف الراء في اللثغة
صرت بها بعد بلوغ المـنـى أجهد أن تبلغ بي البـلـغـه

وقال:

لا يؤيسنك عن مجد تباعـده فإن للمجد تدريجاً وترتيبـا
إن القناة التي شاهدت رفعتها تنمي وتنبت أنبوباً فأنبـوبـا

وقال:

وساق تقلد لـمـا أتـى حمائل زق ملاه شمولا
فلله درك من فـارس تقلد سيفاً يقد العقـولا

وقال:

كل ما لي فهو رهن، ما له من فكاك في مساء وابتكار
ففؤادي أبـداً رهـن هـوى وردائي أبداً رهن عـقـار
فدع التفنيد يا صـاح لـنـا إنما الربح لأصحاب الخسار
لو ترى ثوبي مصبوغاً بهـا قلت ذميماً تبدى في غـيار
ولقد أمرح في شرخ الصبا مرح المهرة في ثني العذار

وقال:

كفى فؤادي عذاره حرقـه وكف عين بدمعها غرقـه
ما خط حرف من العذار به إلا محي من جماله ورقه

وقال:

يا من محياه كاسمه حـسـن إن غاب عني فليس لي وسن
قد كنت قبل العذار في محن حتى تبدى فزادت المـحـن
يا شعرات جميعهـا فـتـن يتيه في وصف كنهها الفطن
ما غيروا من عذاره سفـهـاً قد كان غصناً فأورق الغصن

وقال:

أوحى لعارضه العذار فمـا أبقى على روعي ولا نسكي
وكأن نملاً قـد دبـبـن بـه غمست أكارعهن في مسك

وقال:

قولوا لهذا القمر البـادي مالك إصلاحي وإفسادي
زود فؤاداً راحلاً قبـلة لا بد للراحل مـن زاد

وقال:

قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم وخادع النفس إن النفس تنخدع
قد صيغ قلبي على مقدار حبهم فما لحب سواه فيه متسع

قال الثعالبي: قد اتفق لي معنى بديع لم أقدر أني سبقت إليه، وهو:

قلبي وجداً مشتعل على الهموم مشتمل
وقد كست جسمي الضنى ملابس الصب الغزل
إنسانة فتانة بدر السما منها خجل
إذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل

حتى أنشدت لابن هندو:

يقولون لي ما بال عينك إذ رأت محاسن هذا الظبي أدمعها هطل
فقلت: زنت عيني برؤية وجهه فكان لها من صوب أدمعها غسل

أخذ هذا المعنى ابن الساعاتي فقال:

جفني الذي يرد الكرى متأسناً كلف بفاتر جفنه المتوسن
ولقد زنت عيني برؤية وجهه جهلاً ورجم الدمع حد المحصن

وما أحسن ما استعمل السراج هذا المعنى فقال:

ودموع في إثرهن دماء كانسكاب الولي بعد الوسمي
يتراكضن بين شهب وحمر والغواني يبكين حولي بدهم
وزناء العيون تطهيره من شهب الدمع في الظلام برجم

وقال الشريف العقيلي:

اقتض حمرة خده باللحظ طرفي إذ رنا
فجلدته بدموعه والحد يلزم من زنى

وقال سيف الدين المشد:

تنبأ دمعي في ضلالة شعره ألم تره في فترة الجفن يرسل
إذا ما زنى إنسان عيني بنظرة إلى حسنه يوماً فبالدمع يغسل

وقال السراج الوراق:

يا نازح الطيف مر نومي يعاودني فقد بكيت لفقد النازحين دماً
أوجبت غسلاً على عيني بأدمعها فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

وقال العفيف التلمساني:

قالوا أتبكي من بقلبك داره جهل العواذل داره بجميعي
لم أبكه لكن لرؤية حسنه طهرت أجفاني بفيض دموعي

والأصل في هذا قول مجنون ليلى:

يقول رجال الحي: تطمع أن ترى بعينيك ليلى مت بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع?

ولابن هندو من المصنفات كتاب "مفتاح الطب" و"المقالة المشوقة في المدخل إلى علم الفلك". كتاب "الكلم الروحانية من الحكم اليونانية" و"الوساطة بين الزناة واللاطة" هزلية، وديوان شعره.

الشريف العقيلي

علي بن الحسين بن حيدرة بن محمد بن عبد الله بن محمد العقيلي، ينتهي إلى عقيل ابن أبي طالب، وذكره ابن سعيد في كتاب "المغرب" وساق له قطعة كبيرة من شعره، وله أرجوزة طويلة ناقض فيها ابن المعتز في أرجوزته التي ذم فيها الصبوح ومدح الغبوق. ومن شعره:

استجل بكراً عليها من الزجاج رداء
فوجه يومك فيه من الملاحة ماء

ومنه:

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ولا تضح ضحى إلا بصهباء
أدرك حجيج الندامى قبل نفرهم إلى منى قصفهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء مبتكراً وطف بها حول ركن العود والناء

وقال:

وقائل: ما الملك? قلت: الغنى فقال لا بل راحة القلب
وصون ماء الوجه عن بذله في نيل ما ينفذ عن قرب

وقال:

قم هاتها وردية ذهبية تبدو فتحسبها عقيقاً ذابا
أو ما ترى حسن الهلال كأنه لما تبدى حاجباً قد شابا

وقال:

وبركة قد أفادنا عجبا ما ماج من مائها وما انسكبا
من حول فوارة مركبة قد انحنى ظهر مائها تعبا

وقال:

ولما أقلعت سفن المطايا بريح الوجد في لجج السراب
جرى نظري وراءهم إلى أن تكسر بين أمواج الهضاب

وقال:

وهات زواهر الكاسات ملأى إلى الحافات بالذهب المذاب
فكير الجو يوقد نـار بـرق إذا خمدت تدخن بالضبـاب

وقال:

يا من يدلس بالخضاب مشيبـه إن المدلس لا يزل مـريبـا
هب ياسمين الشيب عاد بنفسجاً أيعود عرجون القوام قضيبـا

وقال:

أذهبت فضة خده بعتـابـي ونثرت در دموعه بخطابـي
ظبي جعلت كناسه قلبي فلـم أعقل لصيد سواه قبل طلابي
فزها علي ومر يسحب ذيلـه بين التكبر منه والإعجـاب
فحلفت أني إن ظفرت بخـده لأرصعن مدامه بـحـبـاب

وقال:

اشرب عـلـى ذهـبـية صفراء كالذهب المـذاب
فالجـلـنـار خـلـوقـه قد غاب في مسك الضباب

وقال:

أعتق من الهم رق قـلـبـي بعاتق ثـوبـهـا الـزجـاج
بين رياض مـزخـرفــات للماء في خلجهـا اخـتـلاج
فليس يدنـو إلـيك غـصـن بمـفـرق لـيس فـيه تـاج
يا ذا الذي يبسم عن مثـل مـا لائحة يلمـع فـي عـقـده
ومن لـه خـد غـدا حـائزاً شقائق النعـمـان مـن ورده
اثن عنان الهجر عن عـاشـق قد طال ركض الدمع في خده

وقال:

سوالف سوسن وخـدود ورد وأعين نرجس وجباه غـدر
محاسن ليس ترضى عن نديم إذا لم يقض واجبها بشكـر

وقال:

قد أوقد الزهر مصابيحه وصير القضب فوانيسـا
فأغن بالراح ندامى غدوا من المسرات مفالـيسـا
ما دام قد صار نعام الربى من نعم السحب طواويسا

وقال:

أهيف يستعطف لحظ القنا إن كان غضبان بأعطافه
إذا التثني عصفت ريحـه تلاطمت أمواج أردافـه

وقال:

والأقحوان غـصـونـه بيض النواصي والمفارق
ومراود الأمـطـار قـد كحلت بها حدق الحدائق

وقال:

منعم حلـية الـلـحـاظ إذا أقبل تجري إليه في طلـق
كأنما وجهه لـكـثـرة مـا فيه من الحسن موسم الحداق

وقال:

أنر بصبح الوصل عيشي فقد صيره ليل القلى مظلـمـا
وارث لمن أفلاك أجفـانـه تطلع من أدمعه أنـجـمـا

وقال:

ألذ مودات الرجـال مـذاقـه مودة من إن ضيق الدهر وسعا
فلا تلبس الود الذي هو سـاذج إذا لم يكن بالمكرمات مرصعا

وقال:

ناحت فواخت سحب وكرها الفلك بكاؤها لطواويس الربى ضحـك
وأنجم النبت تجلى في ملا بسهـا جيد السماء التي أقمارها البرك
والورد ما بين أنـهـار مـدرجة كأنه شفق من حولـه حـبـك
فسقنا من عصير الكرم صافـية كأنها الذهب الإبريز منسـبـك
يبدي المزاج على حافاتها حبباً كأنه من حرير أبـيض شـبـك

وقال:

رشأ تنعم العيون بما في خده من شقائق النعمان
ما التقى حسنه بنا قط إلا ردنا عن محجة السلوان

وقال:

جعلت مهجتي الفداء لغصن إن تثنى تثنى القلوب إلـيه
كلما لاح وجهه في مكـان كثرت زحمة العيون عليه

وقال:

قطع قلبي بمدية الـتـيه وذر من ملح صده فـيه
ولفه في رقاق جفـوتـه وقطع البقل من تجـنـيه
وقال لي كل فقلت آكل ما أمرض قلبي به وأوذيه?!

وقال:

نحن المحاسن في الدنيا إذا سفرت حتى إذا ابتسمت كنا ثـنـاياهـا
عصابة ما رأى جيد الزمان لـه قلائداً هي أبهى من سجـاياهـا
لم يخلق الله شيئاً قط أكثـر حاجات قصادها إلا عطـاياهـا

مـن

نجم الدين القحفازي

علي بن داود بن يحيى بن كامل بن يحيى بن جبارة بن عبد الملك، ينتهي نسبه إلى الزبير بن العوام، الشيخ الإمام الفريد الكامل، نجم الدين أبو الحسن ابن القاضي عماد الدين القرشي القحفازي، شيخ أهل دمشق في عصره خصوصاً في العربية؛ قرأ عليه الطلبة وانتفع به الجماعة، وله النظم والنثر والكتابة المليحة الفائقة، وله التنديب الحلو والنوادر الظريفة والحكايات المطبوعة. سمعته يوماً يقول لمنصور الكتبي رحمه الله تعالى: يا شيخ منصور، هذا أوان الحجاج، اشتري لك منهم مائتي جراب وارميها خلف ظهرك إلى وقت موسمها تكسب فيها جملة، فقال: والله الذي يشتغل عليك في العلم يحفظ حرافاً قدره عشر مرات.

وأنشد يوماً للجماعة الذين يشتغلون عليه لغزاً وهو:

يا أيها الـحـير الـذي علم العروض به امتزج

أبـن لـنـــا دائرة فيها بـسـيط وهـزج

ففكر الجماعة زماناً، فقال واحد منهم: هذه الساقية، فقال: دورت فيها زماناً حتى ظهرت لك، يريد أنه ثور يدور في الساقية.

وقيل إنه لما عمر الأمير سيف الدين تنكز، رحمه الله تعالى، الجامع الذي له بدمشق المحروسة عينوا له شخصاً من الحنفية يلقب بالكشك ليكون خطيباً، فلما كان يوماً وهو يمشي في الجامع أجروا له ذكر الشيخ نجم الدين القحفازي وذكر فضائله، وأنه في الحنفية مثل الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني في الشافعية، فأحضره وتحدثا، ثم قال له وهم في الجامع يمشون: إيش تقول في هذا الجامع، فقال: مليح وصحن مليح، ولكن ما يليق أن يكون فيه كشك؛ فأعجب ذلك الأمير سيف الدين تنكز ورسم له بخطابة الجامع المذكور، ثم بعد مدة رسم له بتدريس الركنية فباشرها مديدة ثم نزل عنها وقال: لها شرط لا أقوم به، ومعلومها في الشهر جملة، تركه تورعاً.

وكان يعرف الاسطرلاب جيداً ويحل التقاويم، وكان فريد عصره، وكان يشغل في مذهب الحنفي، وفي "مختصر ابن حاجب" وفي "الحاجبية" و"المقرب" ويعرفهما جيداً إلى الغاية، وفي "ضوء المصباح" وغيره من كتب المعاني والبيان. مولده ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وستمائة، ووفاته في شهور سنة أربع وأربعين وسبعمائة؛ ومن شعره في جارية اسمها قلوب:

عاتبني في حـبـكـم عـاذل يزعم نصحي وهو فيه كذوب

وقال ما في قلبك اذكره لـي فقلت في قلبي المعنى قلوب

وقال في مليح نحوي:

أضمرت في القلب هوى شادن مشتغل في النحو لا ينصـف

وصفت ما أضمرت يوماً لـه فقال لي المضمر لا يوصف

ولما ظفر قازان سنة تسع وتسعين وستمائة ثم جاء في سنة اثنتين وسبعمائة فكسر، وقازان اسم القدر، فقال الشيخ نجم الدين:

لما غدا قازان فخاراً بـمـا قد نال بالأمس وأغراه البطر
جاء يرجي مثلـهـا ثـانـية فانقلب الدست عليه فانكسر

وقال عند قدوم الحاج، وأنشدت بدار الحديث الأشرفية:

يا نياق الحجيج لا ذقت سـهـداً بعدهـا ولا شـمـمـت خـدا
لا فدينا سواك بالـروح مـنـا أنت أولى من بات بالروح يفدى
يا بنات الذميل كيف تـركـتـن شعاب الغضا وسلـع ونـجـدا
مرحباً مرحباً وأهلاً وسـهـلاً بوجوه رأت معالـم سـعـدى

ولم ذهب بدر الدين ابن بصخان مع الجفال إلى مصر أقام هناك فكتبت إليه:

غائباً قد كنت أحسب قـلـبـه بسوى دمشق وأهلها لا يعلق
إن كان صدك نيل مصر عنهم لا غرو فهو لنا العدو الأزرق

وكان في فقهاء الشافعية شخص يسمى شهاب الدين التعجيزي وينظم شعراً في زعمه، فعمل أبياتاً في شخص كان يحبه وكتبها إلي أولها:

أيها المعرض لا عن سببا أصلحك الله وصالي الأربا

وفي هذا ما يعني عن باقيها، فكتبت إليه:

يا شهاباً أهدي إلي قريضـاً خالياً عن تعسف الألغـاز
جاءني مؤذناً برقة طـبـع حين رشحته بباب المجـاز
إن تكن رمت عنه من جزاء فأقلني فلست ممن أجازي

ومن شعر شهاب الدين المذكور:

يا سن يا شيع إني بينكـم وسـط مذبذباً لا وإلى هولي ولا ثمـت
وفي القيامه على الأعراف منقعد وأنتظر منكم من يدخل الجنـت
فإن دخلتم فإني داخل مـعـكـم وإن صفعتم فإني قاعد سـكـت

ابن ظافر الأزدي

علي بن ظافر بن حسين الفقيه، الوزير جمال الدين أبو الحسن الأزدي المصري ابن العلامة أبي منصور، ولد سنة سبع وستين وخمسمائة، وتفقه على والده؛ وتوفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة. قرأ الأدب وبرع فيه، وقرأ على والده الأصول، وبرع في علم التاريخ وأخبار الملوك، وحفظ في ذلك جملة وافرة، ودرس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه، وترسل إلى الديوان العزيز، وولي وزارة الملك الأشرف، ثم انصرف عنه ودخل مصر، وولي وكالة بيت المال مدة، وكان متوقد الخاطر طلق العبارة، ومع تعلقه بالدنيا له ميل كثير إلى أهل الآخرة، محباً لأهل الدين والصلاح.

أقبل في آخر عمره على مطالعة الأحاديث النبوية وأدمن النظر فيها؛ روى عنه القوصي وغيره، وله تواليف: منها "الدولة المنقطعة" وهو كتاب مفيد

جداً في بابه، و"بدائع البدائة" والذيل عليه، و"أخبار الشجعان" و"أخبار الملوك السلجوقية" و"أساس السياسة" و"نفائس الذخيرة" ولم يكمل ولو كمل ما كان في الأدب مثله، وكتاب "التشبيهات"، وكتاب "من أصيب" وابتدأ بعلي رضي الله عنه، وغير ذلك.

ومن شعره:

إني لأعجب من حبي أكـتـمـه ... جهدي وجفني بفيض الدمع يعلنه

وكون من أنا أهواه وأعـشـقـه ... يخرب القلب عمداً وهو يسكنـه

وأعجب الكل أمراً أن مبسـمـه ... من أصغر الدر جرماً وهو أثمنه

وله أيضاً:

كم من دم يوم النوى مطلـول ... بين رسوم الحي والطلـول

بانوا فلا جسم ولا ربع لهـم ... إلا رماه البين بالـنـحـول

يا راحلين والفؤاد مـعـهـم ... مسابق في أول الـرعـيل

ردوا فؤادي إنه ما باعـكـم ... إياه إلا طرفي الفضـولـي

ورب ظبي منكم يخاف مـن ... سطوة عينيه أسود الـغـيل

أنار منه الوجه حتى كدت أن ... أقول، لولا الدين، بالحلـول

ينقص بالعلة كـل كـامـل ... في الحسن غير لحظه العليل

وقال في "بدائع البدانة": اجتمعنا ليلة من ليالي رمضان بالجامع، فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث، وقد وقد فانوس السحور، فاقترح بعض الحضور على الأديب أبي الحجاج يوسف بن علي المعروف بالنعجة أن يصنع قطعة من فانوس السحور، وإنما طلب بذلك إظهار عجزه، فصنع:

ونجم من الفانوس يشـرق ضـوؤه ... ولكنه دون الكواكـب لا يسـري

ولم أر نجم قط قبـل طـلـوعـه ... إذا غاب ينهي الصائمين عن الفطر

فقلت له: هذا التعجب لا يصح؛ لأنا قد رأينا نجوماً لا تدخل تحت الحصر ولا تحصى بالعدد إذا غارت تنهي الصائمين عن الفطر وهي نجوم الصباح، فأسرف الجماعة في تقريعه، وأخذوا في تمزيق عرضه وتقطيعه، فصنع أيضاً:

هذا لواء سحور يسـتـضـاء بـه ... وعسكر الشهب في الظلماء جرار

والصائمون جميعاً يهـتـدون بـه ... كأنه علـم فـي وسـطـه نـار

ولما أصبحنا سمع من كان غائباً من أصحابنا ما جرى بيننا، فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد بن منانو رحمه الله تعالى:

أحبب بفانوس غدا صاعداً ... وضوؤه دان من العـين

يقضي بصوم وبفطر معاً فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه أبو محمد العقيلي:

وكوكب من ضرام الزند مطلعه تسري النجوم ولا يسري إذا رقبا

يراقب الصبح خوفاً أن يفاجئه فإن بدا طالعاً في أفقه غربا

كأنه عاشق وافى على شرف يرعى الحبيب فإن لاح الرقيب خبا

ثم إني صنعت بعد ذلك:

ألست ترى شخص المنار وعوده عليه لفانوس السحور لهيب

كحامل منظوم الأنابيب اسمر عليه سنان بالدماء خضيب

ترى بين زهر الزهر منه شقيقة لها العود غصن والمنار كثيب

وتبدو كخد أحمر والدجى لمى بدا فيه ثغر للنجوم شنيب

كأن لزنجي الدجى من لهيبه ومن خفقه قلب عراه وجيب

تراه يراعي الشهب ليلاً فإن دنا طلوع صباح حان منه غروب

فهل كان يرعاها لعشق ففر إذ درى أن رومي الصباح رقيب

وقلت في اختصار المعنى الأول من هذه القطعة:

انظر إلى المنار وال فانوس فيه يرفع

كحامل رمحاً سنا نه خضيب يلمع

ألست ترى حسن المنار ونوره يرفع من جنح الدجنة أستارا

"تراه إذا جن الظلام مراقباً له مضرماً في قلب فانوسه نارا"

كصب نجود من بني الزنج سامها وصالاً وقد أبدى لترغب دينارا

وقلت:

وليلة صوم قد سهرت بجنحها على أنها من طيبها تفضل الدهرا

حكى الليل فيها سقف ساج مسمراً من الشهب قد أضحت مساميره تبرا

وقام المنار المشرق اللون حاملاً لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا

كما قام رومي بكأس وحيا بها زنجية وشحت

مـدامة درا

وحين صنعت هذه القطع صنع شهاب الدين يعقوب:

رأيت المنار وجنح الظلام من الجو يسدل أستـاره
وحلق في الجو فانوسـه فذهب بالنور أقـطـاره
فقلت المحلق قد شب في ظلام الدجى للقرى ناره
وخلت الثريا يداً والنجـوم ورقاً غدا البدر قسطاره
وخلت المنار وفانـوسـه فتى قام يصرف دينـاره

وأنشدني كمال الدين ابن نبيه لنفسه:

حبذا في الصيام مئذنة الجا مع والليل مسبل أذيالـه
خلتها والفانوس إذ رفعته صائداً واقفاً لصيد الغزاله

وأنشدني أبو القاسم نفطويه لنفسه:

يا حبذا رؤية الفانوس في شرف لمن يريد سحوراً وهو يتـقـد
كأنما الليل والفانوس مرتـفـع في الجو أعور زنجي به رمد

وله أيضاً:

نصبوا لواء للسحور وأوقـدوا من فوقه ناراً لمن يترصـد
فكأنه سبابة قـد قـمـعـت ذهباً فأومت في الدجى تتشهد

وأنشدني أبو يحيى السلولي لنفسه:

وليلة ملئت أسـدافـهـا واستوضحت غرر من زهرها لـعـسـاً شنبا
ولاح كوكب فانوس السحور إنسان مقلتها النجلاء علـى واشتـهـبـا
حتى كأن دجاها وهو زنجية حملت في كفـهـا مـلـتـهـب ذهـبـا

وصنع أبو العز مظفر الأعمى:

أرى علماً للناس في الصوم على جامع ابن العاص أعلاه ينصـب كوكب
وما هو في الظلـمـاء إلا على رمح زنجي سنـان كـأنـه مـذهـب
ومن عجب أن الثـريا مع الليل تلهي كل مـن سـمـاؤهـا يتـرقـب
فطوراً تحـييه بـبـاقة وطوراً يحييها بـكـأس نـرجـس تـلـهـب
وما اللـيل إلا قـانـص بفانوس نار نحـوهـا لـغـزالة يتـطـلـب
ولم أر صياداً على البعـد إذا قربت منـه الـغـزالة قـبـلـه يهـرب

ومن شعر ابن ظافر:

وقد بدت النجوم على سمـاء تكامل صحوها في كل عين
كسقف أزرق مـن لازورد بدت فيه مسامر من لجـين

ومنه:

والليل فرع بالكواكب شـائب فيه مجرته كمثل المـفـرق
ولربما يأتي الهلال ببـحـره متصيداً حوت النجوم بزورق
حتى إذا هبت على الماء الصبا وألاح نور تمامه بالمشـرق
أبدى لنا علماً بهيجاً مـذهـبـاً قد لاح في تجعيد كـم أزرق
وحكى برادة عسجد قد رام صا نعها يؤلف بينها بـالـزئبـق

تقي الدين ابن المغربي

علي بن عبد العزيز بن علي بن جابر، الفقيه الأديب البارع، تقي الدين ابن المغربي البغدادي الشاعر المالكي؛ كان من أظرف خلق الله تعالى، وأخفهم روحاً، وله القصيدة الدبدبية المشهورة التي أولها "يا دبدبة تدبدبي"؛ وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وثمانين وستمائة، ومن شعره يصف مجلساً تقضى له بالمحول:

يا مغاني اللهو والطرب بأبي أفدي ثراك وبـي
لا تعداه الـغـمـام ولا حاد عنه صيب السحب
حبذا دار عهدت بـهـا كل معسول اللمى شنب
حيث كانت قبل فرقتنـا فلكاً يجري على شهب
ونصيبي من وصالـهـم واصلاً نحوي بلا نصب
في بساتين المحـول لا في قفار الجزع واللبب
بين أشجار تفوق علـى شجرات الضال والكثب

منها:

صفعوني لا عدمتـهـم وأضاعوا حرمة الأدب
فعلوا بالرأس ما فعلوا وأحالوني على الذنـب
كأن في رأسي وأسفلهم شبه من حكة الجرب

وقال يصف حال المستنصرية والفقهاء، وكان قد قيل لهم: من يرضى بالخبز وحده وإلا فما عندنا غيره:

حاشا لـسـت الـمـدارس ومن بها يضرب المـثـل
تهـون مـن بـعـد ذاك التعظـيم والـتـشـريف
مستنـصـرية سـبـيكـه قد كنت في عصر الصبـا
واليوم قد صرت بـهـرج مزيفـــه تـــزييف
ما زال نـخـلـك يرجـم حتى فني الرطب الجنـي
وما بقـي فـي قـراحـك غير الـكـرب واللـيف
ذكـرت بـيتـاً ظـريف من كان وكان البـغـادده
وكـل مـعـنـى ينـدر من الـظـريف ظـريف
أي ست ما أكثر زبـونـك ما أخلى فراشك من العشي
ذي زحمة الـبـاقـلانـي وكـلـهـم بـرغـيف

وقال "في" شخص اسمه علوان وينعت بالصفي:

علوان لا شك اسمك وأنت تنعت بالصفي
فإن سئلت عن اسمك قول الصفي علوان

وقال زجل في الخلاعة والمجون:

الوقت يا نـديمـي قد طاب واعتـدل
والشمس مذ ليالـي قد حلت الحـمـل
فانهض إلى الحميا واستنهض الصحاب
فالبـدر والـثـريا الكاس والحـبـاب
والوقت قـد تـهـيا ومجلس الشـراب
فيه كل مـا تـريده فانهض على عجل
ما قد بقـي يعـوزه غيرك وقد كـمـل
انهب زمان وصلك وانه الذي نـهـاك
واسعد بقرب خلـك وابلغ منه مـنـاك
فبعد يوم لـعـلـك لا تستـطـيع ذاك
والتذ فـالـلـيالـي ما بـيـنـنـا دول
لقمة تكون حنظـل وأخرى تكون عسل
مالك كدى مـحـير لا تهتدي الطـريق
هل أدخل الصغـير أو قال مـا أطـيق
ادفع ولا تـفـكـر تا يزعق الحـريق
دع يشتكي لعـمـه دع يفعل إيش فعل
ما رأيت قط لوطي مصلوب على دقل
من أين للـعـروس مثـل ذا الـعـذار
لمنـية الـنـفـوس ودرة الـبـحـار
زها على الشمـوس مذ تـم واسـتـدار
فاترك كلام سفلـه بحرفته اشتـغـل
وادي العروس عنده أشرف من الجبـل
لا تهو من أضاعـك لا كان ولا استكان
واعتز باقتنـاعـك إن الهـوى هـوان
كن عبد من أطاعك لا تنتظـر فـلان
فالوقت سيف مجرد قاطع بيد بـطـل
والعاقل المـجـرب يبطش بمن حصـل
لا تغفلـوا يا ولـدي عن طيب العنـاق
واوصوا بذاك بعدي لسـاير الـرفـاق
المغـربـي جـدي وأنا من الـعـراق
وقد علـمـت أنـي في صنعة الزجـل
مثل الذي يجهـلـه يبـخـر لـزجـل
ما لفت الـعـمـايم إلا على العـقـول
نعشق وأنـت نـايم وتدعي الفـضـول

قم واسمع الحمـايم فإنـهـا تـقـول
يا من دنا حـبـيبـه انهض بلا كـسـل
واشف الغليل منـو بالضم والـقـبـل

وقال أيضاً:

لا بـــد نـــظـــهـــر بـــين الـــنـــاس قلـــنـــدري مـــحـــلـــوق الـــــراس

نلبس عوض الكتانجلنك من صوف الخرفانأو دلق أو نصبح عريان

نغدو ندروز مع أجناس محـــلـــقـــين الـــــروس أكـــــياس

ما يعرفوا إلا الخضرهوالبنك لا شرب الخمرةمثقالها بألفي جـره

وعندهم منها أكياس دانـــق يقـــاوم ســـبـــعـــين كـــــاس

من قبل ما نغدو مسطولنهتم في أمر المأكولونطلع السوق بالكجكول

نطلب على الله من رواس

لمن لقينا قلنا أي جانخره بدي كي درويشانهمه غريبان سـركـردانوبـــاقـــلانـــي مـــــع هـــــراس

يدعون لك وقت الإغلاس فهـــم صـــحـــيحـــين الأنـــفـــــاس

وننقد العالم جيدنقول لذي المال يا سيدنريد كرامـه لـلـمـسـجـد

رطيل شيرق في الجلاس لنـــشـــعـــلـــه بـــين الـــجـــــلاس

كأنكم بي يا خلانوأنا مجرد كالشيطانفقد قوي عـنـدي ذا الـشـان

وقد فشر في أذني الخناس حتـــى مـــــلا صـــــدري وســـــواس

فلا تقولوا يا فقوسنرى جميع أمرك معكوسالمغربي خلف منحـوس

ما خلف إلا اغلب دعاس والـشـبـل مـــن نـــســـل الـــهـــرمـــاس

لكنني أصلي سمقونكشيح كالدر المكنونوقد صرت في عشقه مجنون

وهل على مثلي من باس إن هـــام بـــالـــقـــد الـــــمـــــياس

مثل القمر أبيض أزهربعارض كالآس أخضرمن تاه في عشقه يعذر

لو باس قارون ذاك الآس هون عـــلـــى قـــلـــبـــو الإفـــــــلاس

دعنا نلذ العيش دعنامع رفقة جازوا المعنىفأعقل الناس من غـنـى

كش البهار واصمي بالطاس ولا تـــقـــف مـــع قـــول الـــنـــــــاس

وأما قصيدته الدبدبية فإنها غاية وهي طويلة جداً ذكر فيها فنون وأولها:

أي دبدبه تـتـدبـدبـي أنا علي بن المغربـي
تأدبـي ويحـك فـي حق أمـــير الأدب
وأنـت يا بـوقـاتـه تألـفـي تـركـبـي
وأنت يا سـنـاجـقـي يوم الوغى تـرتـبـي
وأنت يا عـسـاكـري يوم اللقـا تـأهـبـي
ها قد ركبت للمـسـي ر في البلاد فاركبـي
ها قد برزت فاركبـي في ألف ألف مقـنـب
أنا الذي أسد الـشـرى في الحرب لا تحفل بي
إذا تمطـيت وفـرقـع ت عـلـيهـم ذنـبـي
أنا الذي كل الـمـلـو ك ليس تخشى غضبي
فمـن رأى لـلـهـذيا ن موكباً كمـوكـبـي
أنا امـرؤ أنـكـر مـا يعـرف أهـل الأدب
ولـي كـلام نـحـوه لا مثل نحو الـعـرب
لكـنـه مـنـفـرد بلفظـه الـمـهـذب
يصافع الفراء فـي ال نحو بجلـد ثـعـلـب
ويقصد التثـلـيث فـي نتف سبال قـطـرب
وإن سألت مـذهـبـي فمذهبي الـمـجـرب
آكل ما يحـصـل لـي ورغبتي في الـطـيب
وأشـرب الـمـاء ولا أرد مـاء الـعـنـب
وألبس الـقـطـن ولا أكره لبس القـصـب
وإن ركـبـــت دابة وإلا فنعلي مركـبـي
وكل قصـدي خـلـوة تجمعني وللـصـبـي
في البيت أو في روضة أزهارها كالشـهـب
ونجتلي بنـت الـكـرو م أو بنـي الـقـنـب
ونبتدي نأخـذ فـي ال شكوى وفي التعـتـب
حتى إذا ما جـاء لـي برشف ذاك الشـنـب
حكمته فـي الـرأس إذ حكمني فـي الـذنـب

الإربلي الشاعر?

ي بن عثمان بن علي بن سليمان، أمين الدين السليماني الإربلي الصوفي الشاعر؛ كان من أعيان شعراء الناص
العزيز، وكان جندياً فتصوف وصار فقيراً، توفي بالفيوم وهو في معترك المنايا سنة سبعين وستمائة؛ ومن ش
قصيدة في كل بيت نوع من البديع، وهي:

بعض هذا الدلال والإدلال حال بالهجر والتجنب حالي

"الجناس اللفظي"

حرت إذا حزت ربع قلبي وإذ لا لي صبر أكثرت من إذلالي

"الجناس الخطي"

رق يا قاس الفؤاد لأجفان قصار أسرى ليال طوال

"الطباق"

شارحات بدمعها مجمع البحرين في حب مجمع الأمثال

"الاستعارة"

نفت النوم في هواك قصاصاً حيث أدى منها خداع الخيال

"المقابلة"

أنا بين الرجاء والخوف في حبك ما بين صحة واعتلال

"التفسير"

لست أنفك في هواك ملوماً في معاد يسومني وموال

"التقسيم"

عمر ينقضي وأيامي الأيا م بالهجر والليالي الليالي

"الإشارة"

يس ذنبي سوى حين فيه، واخيبة مخالفة اللا العـذال

"الإرداف"

سالباً بزتي وما هي إلا ال عمر رفقاً بهذه الأسمال

"المماثلة"

طلب دونه منال الـثـريا وهوى دونه زوال الجبال

"الغلو"

وغرام أقـلـه يذهـل الآ ساد في خيسها عن الأشبال

"المبالغة"

أنا أخفي هواك صوناً وإن ب ت طعين القنا جريح النبـال

"الكناية والتعريض"

فشمالي لم تستعن بيميني ويميني لم تستعن بشمالي

"العكس"

لذ طول المطال منك ولولا ال حب ما لذ منك طول المطال

"التذييل"

خنت عهدي فدام وجهـي يك بت ضدي يوماً بطيب الوصال

"الترصيع"

لك ألحاظ مقلتين شـبـاهـاً كالحسام الهندي غب

الصقال

"الإيغال"

كملت وصفها بمدح عـلـي في علي رب الحجى والكمال

"التوشيح"

ماجد بعض فضله بذله الما ل، وقل الذي يجود بالمال

"رد العجز على الصدر"

يفعل المكرمات طبعاً فإن ج ود أفنى رغـائب الآمـال

"التعميم والتكميل"

طال شكري نداه حتى لقد أف حم فضل، لا زال ذا إفضال

"الالتفات"

هو ما لم يزل وذلك أبـقـى عصمة المرملين ذي الأطفال

"الاعتراض"

ذو وداد للأصفـياء بـعـيد عن زوال وهل به من زوال

"الرجوع"

أفترب الأنواء تخصب منه ال أرض أم سيب جوده الهطال

"تجاهل العارف"

جاد حتى للمكتفين فأثروا فنداه كالماء في سيمال

"الاستطراد"

جامع العلم والفصاحة والحل م وحسن الأخلاق والأفعال

"جمع المؤتلف والمختلف"

لا يعد الفعل الجميل لدنيا ه ولكن يعده للـمـال

"السلب والإيجاب"

ليس فيه عيب يعدده الحس اد إلا العطاء قبل السؤال

"الاستثناء"

عالم أن من يعيش كمـن زا ل وإن دام والورى في زوال

"المذهب الكلامي"

يجتلى وجهه الكريم مـن الـح رب ويغضى عنه من الإجلال

"التشطير"

أيها الصاحب الذي نلت منه ما أرجي فاليوم حالي حال

"المحاورة"

عاين الناظمون شعـري ولا يذ هب فضل المعنى بلبس النصال

"الاستشهاد والاحتجاج"

هي آل للمدح في مجدك السا مي المعاني وغيرها لمع آل

"التعطف"

آب يوم الهناء بالخير في رب عك يحكي نوالك المتوالـي "المضاعف"

فلك المدح دائماً ولـشـانـي ك القطوعان منصلي ونصالي "التطريز"

أعجز الواصفون فضلك فاجعل شين شكري فيه كشين بـلال

"التلطف" وقال وهو حسن بديع:

أضيف الدجى معنى إلى ليل شعـره فطال ولولا ذاك ما خص بالـجـر

وحاجبه نون الـوقـاية مـا وقـت على شرطها فعل الجفون من الكسر

وقال:

وتعجبني حاجب نونهـا دلالاًمع الجمع لا تنفتح

وقال:

تموج تحت الخصر أسود شعره فإياك والحيات في كثب الرمل

ولو لم يقم بالحسن مرسل صدغه لما نزلت في سورة الـنـمـل

وقال:

وما غرني في حبكم لمع خافق لآل ولكن بـرد مـاء لآلـي

شموس وعودي بالوصال لديكم تعلقت من مكذوبها بحـبـال

وقال:

بدر تم له على الـخـد خـال في احمرار ينشق منه الشقيق

كتب الحسن بالمحقق معـنـا ه ولكن عـذاره تـعـلـيق

وقال:

يعذلني عاذلي عـلـيك ولا يحصل مني إلا على العتب

فعاذلي ظل في هواك كمن يقرأ تبت على أبي لهـب

عفيف الدين ابن عدلان

علي بن عدلان بن حماد بن علي، الإمام العلامة عفيف الدين أبو الحسن الربعي الموصلي النحوي المترجم؛ ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وستين وستمائة، سمع ببغداد وأخذ عن أبي البقاء وغيره، وسمع من ابن الأخضر وابن منينا وجماعة، وسمع منه ابن الظاهري والدمياطي والشريف عز الدين والدوادري، وأقرأ العربية وزماناً وتصدر بجامع الصالح بالقاهرة، وكان علامة في الأدب من أذكياء بني آدم، انفرد بحل المترجم والألغاز، وله في ذلك تصانيف: منها كتاب "عقلة المجتاز في حل الألغاز"، ومصنف في حل المترجم للملك الأشرف.

وكتب إلى علم الدين السخاوي بدمشق باللبادين، قول الحسين بن عبد السلام في المعمى:

ربما عالج القوافي رجال في القوافي فتلتوي وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين وعصتهم نون ونون ونون

فحلهما ابن الحاجب، فقال: قوله "عين وعين وعين" يعني نحو غد ويد ودد، لأنها عينات مطاوعات في القوافي، مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة؛ لأن وزن غد فع، ووزن يد فع، ووزن دد فع، وقوله "وعصتهم نون ونون ونون" الحوت يسمى نون، والدواة لأنها تسمى نوناً، والنون الذي هو الحرف، وكلها نونات غير مطاوعة في القوافي؛ إذ لا يلتئم واحد منها مع الآخر.

ونظم ابن الحاجب:

أي غـد مـع يد دد ذو حـروف طاوعت في الروي "وهي عيون"
ودواة والحوت والـنـون نـونـا ت عصتهم وأمرها مستـبـين

وقال عفيف الدين: أنشدني إسماعيل المسمول الذي ينسب إلى صلاح الدين الإربلي:

وما بيت له في كل عضو عيون ليس تنكرها العقول
إذا بسطوه تلقاه قـصـيراً وإن قبضوه تبصره طويل

فقلت: هذه شبكة صياد طيور، فأخذ يباهت، فقلت: قد نزلته، ولا يلزمني أكثر من هذا، فأخذ في المباهتة، فقلت: هذا في خركاه، فاعترف أنه هو.

وكتب إليه ناصر الدين ابن النقيب ملغزاً في سيف:

يا عفيف الدين يا مـن دق في الفهم وجـلا
والذي سموه في النـا س علياً وهو أعلـى
يا أخا الفضل الذي في ه لنا القدح المعلـى
أي شيء طعـمـه م ر وإن كان محلـى
وهو شيخ لا يصلـي ولكم بالضرب صلى
ما له عقل وكم مـن ه استفاد الناس عقلا
جفنه من غير سهـد ما يذوق النوم أصلا
وهو ما يحسن قـولاً ولقد يحسن فـعـلا
وهو إن تعكسه قـي س فصحـفـه وإلا
وهو مطبوع نحـيف عند ما يلقـاك سـلا
ولكم بـدد جـمـعـاً ولكم شتت شـمـلا
ولكم قد سبق الـعـذ ل وكم قطع وصـلا
فأبن عنه بـأجـلـى منه في اللفظ وأحلى
وابق في إيوان عـز وبناء لـيس يبـلـى

فكتب عفيف الدين الجواب:

ناصر الدين الـذي فـا ق جميع الناس فضـلا
والذي وافق فـي الإس م الذي وافـق فـعـلا
والـذي أشـعـاره أش هى من الحلي وأحلـى

هو حلو في فـم الـنـا س وفي العينين يجلـى
إن تسلني عـن رقـيق لك يجلى حين يجـلـى
هو أنثـى فـي زمـان ويرى في ذاك فـحـلا
يشـرب الـمـاء ولا يأ كل إلا اللـحـم أكـلا
والنـدى يؤذيه والـنـا ر له إلف فـيصـلـى
وهو يعمي العـين لا ش ك متى ما كان كحـلا
محرم في كـل وقـت ما رآه الـنـاس حـلا
أعجـمـي وفـصـيح جمع الوصفـين كـلا
وهو كالـمـرآة يبـدي مثل رأي الشكل شكـلا
ولموع برقـه الـخـل ب لا يمـطـر وبـلا
وعـلـيه أبـد الــده ر ذبـاب مـا تـولـى
وهو مثل الناس في النش أة مذ قد كان طـفـلا
ويرى شرخاً وشـيخـاً بعد ما كـان كـهـلا
سبق التصحيف ذا الش ئ وشنف الأذن حلا
قلت لما جـاءنـي: أه لاً بذا اللغز وسهـلا
لغز كالشمس قـد دق ت معـانـيه وجـلا

ابن الزقاق البلنسي

علي بن عطية بن مطرف، أبو الحسن اللخمي البلنسي الشاعر المشهور، المعروف بابن الزقاق؛ أخذ عن ابن السيد، واشتهر ومدح الأكابر، وجود النظم، وتوفي وله دون الأربعين في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، ومن شعره:

كلما مال سـكـر الـصـبـا مال بي سكر هواها والتصابي
أشعرت في عبراتي خـجـلاً إذ تجلت فتغطت بالـنـقـاب
كذا كاء الدجن مهما هطـلـت عبرة المزن توارت بالحجاب

وقال:

وأغيد طاف بالكؤوس ضـحـى فحثها والصباح قـد وضـحـا
والروض يبدي لنـا شـقـائقـه وآسه العنبـري قـد نـفـحـا
قلنا وأين الأقـاح? قـال لـنـا أودعته ثغر من سقى القـدحـا
فظل ساقي المدام يجـحـد مـا قال فلما تبسـم افـتـضـحـا
ألمت فبات الليل في قصر بهـا يطير وما غير السرور جنـاح
وبت وقد زارت بأنـعـم لـيلة يعانقني حتى الصباح صـبـاح
على عاتقي من ساعديها حمـائل وفي خصرها من ساعدي وشاح

وقال:

وحببت يوم السبت عندي أننـي ينادمني فيه الذي كنت أحببت
ومن أعجب الأشياء أني مسلم حنيف ولكن خير أيامي السبت

وقال أيضاً:

بذلت لها من أدمع العين جوهراً وقدماً حكاها في الصيانة والستر
فقالت وأبدت مثله إذ تبسـمـت غنيت بهذا الدر عن ذلك الـدر

وقال:

سقتني بيمناها وفيها فـلـم أزل يجاذبني من ذاك أو هذه سكر
ترشفت فاها إذ ترشفت كأسهـا فلا والهوى لم أدر أيهما الخمر

وقال:

وشهر أدرنا لارتـقـاب هـلالـه عيوناً إلى جو الـسـمـاء مـوائلا
إلى أن بدا أحوى المدامـع أحـور يجـر لأبـراد الـشـبـاب ذلاذلا
فقلت له أهلاً وسهـلاً ومـرحـبـاً ببدر حوى طيب الشمول شـمـائلا
أتطلبك الأبصار في الجو ناقـصـاً وأنت كذا تمشي على الأرض كاملا

وقال:

وساق يحث الكأس حتى كأنمـا تلألأ منها مثل ضوء جبـينـه
سقاني بها صرف الحميا عشية وثنى بأخرى من رحيق جفونه
هضيم الحشا ذو وجنة عندمـية تريك جني الورد في غير حينه
فأشرب من يمناه ما فوق خـده وألثم من خديه ما في يمـينـه

وقال:

أديراها على الزهر المـنـدى فحكم الصبح في الظلماء ماض
وكأس الراح تنظر عن حبـاب تنوب لنا عن الحدق المـراض
وما غربت نجوم الأفق لـكـن نقلن من السماء إلى الـرياض

وقال:

وعشية لبسـت رداء شـقـيق تزهى بلون للـخـدود أنـيق
لو أستطيع شربتها كلفاً بـهـا وعدلت فيها عن كؤوس رحيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما أبقى الحياء بوجنة المعشـوق

وقال:

يفضح البدر كمـالاًإن بـدا والدمى العفر جمالاًإن رمق
أطلعت خجلتـه فـي خـده شفقاً في فلق تحت غـسـق

وقال:

ومهفهف أحوى اللمى ذي مقلة تزري ظباها بالكمي الفارس
فعلت شمائله العذاب بمهجتـي فعل النعامى بالقضيب المائس
كالغصن هز على كثيب أهيل كالصبح أطلع تحت ليل دامس

وقال:

ومقلة شادن أودت بنفسي كأن السقم لي ولها لباس
يسل اللحظ منها مشرفياً لقتلي ثم يغمده النعـاس

وقال:

كم زورة لي بالزوراء خضت بها عباب بحر من الليل الدجوجـي
وكم طرقت قباب الحي مرتـدياً بصارم مثل عزمي هنـدوانـي
والليل يسترني غربيب سدفـتـه كأنني خفر في خـد زنـجـي

وقال:

زارت على شحط المزار متـيمـاً بالرقـمـتـين ودارهـا تـيمـاء
في ليلة كشفـت ذوائبـهـا بـهـا فتضاعفت بعقاصها الـظـلـمـاء
والطيف يخفى في الظلام كما اختفى في وجنة الزنجـي مـنـه حـياء

وقال في حمام:

رب حمـام تـلـظـى كتلظـي كـل وامـق
ثم أذرى عـبـــرات دمعها بالوجد نـاطـق
فغـدا مـنـه ومـنـي عاشق في جوف عاشق

وقال، وأوصى أن تكتب على قبره، وهي آخر شعر قاله، رحمه الله تعالى:

أإخواننا والموت قد حال دونـنـا وللموت حكم نافذ في الخـلائق
سبقتكم للموت والعـمـر وأعلم أن الكل لا بـد

طـيه لاحـقـي
بعيشكم أو باضطجاعي في الثرى ألم نك في صفو من العيش رائق
فمن مر بي فليمض بي مترحماً ولا يك منسياً وفـاء الأصـادق

سيف الدين المشد

علي بن عمر بن قزل بن جلدك التركماني الياروقي، الأمير سيف الدين المشد صاحب الديوان المشهور؛ ولد بمصر سنة اثنتين وستمائة، وتوفي بدمشق سنة ست وخمسين وستمائة، ودفن بقاسيون. اشتغل في صباه، وقال الشعر الرائق، وتولى شد الدواوين بدمشق للناصر يوسف بن العزيز مدة، وكان ظريفاً طيب العشرة تام المروءة، وهو ابن أخي فخر الدين عثمان أستاذ دار الملك الكامل، ونسيب الأمير جمال الدين ابن يغمور، روى عنه الدمياطي والفخر ابن عساكر، وكانت وفاته يوم تاسوع فقال الكمال العباسي:

أيا يوم عاشورا جعلت مـصـيبة لفقد كريم أو عظيم مـبـجـل
وقد كان في قتل الحسين كفـاية فقد جل بالرزء المعظم في علي

وقال تاج الدين ابن حواري يرثيه:

أأخـي أي دجـــنة أو أزمة كانت بغير السيف عنا تنجلـي
نبكي عليه وليس ينفعنا البـكـا نبكي على فقد الجواد المفضل
من للقوافي والمعانـي بـعـده من للمواضي والرماح الذبـل
من ذا لباب العلم غير علـيه ال عالي المحل ومن لحل المشكل
عاشور يوم قد تعاظـم ذنـبـه إذ حل فيه كل خطب معضـل
لم يكفه قتل الحسين وما جـرى حتى تعدى بالمصاب على علي

ومن شعر سيف الدين المشد رحمه الله تعالى:

باكر كؤوس المدام واشـرب واستجل وجه الحبيب واطرب
ولا تخـف لـلـهـمـوم داء فهـي دواء لـه مـجـرب
من يد سـاق لـه رضـاب كالمسك لا بل جنـاه أطـيب
يعجبنـي خـال وجـنـتـيه والمسك في الجلنار أعجـب

وقال في مليح معذر:

وأغيد لما لاح خط عـذاره على خده ازددت منه تعجبا
رأيت به التفاح أنبت سوسناً فأصبح مسكياً وكان مخضبا

وقال أيضاً:

غرامي بكم أحلى من الأمن في القلب ... وودي لكم أصفى من المنهل العذب
وشوقي إليكم كل يوم وليلة ... يزيد على حال التباعد والقرب
وإني وإن شطت بي الدار عنكم ... تقلبني الأشواق جنباً إلى جنب
أأحبابنا إن قرب الله داركم ... نذرت بأني لا أعود إلى العتب
ذكرت زماناً كان يجمع بيننا ... ففاضت دموعي واستطار له قلبي
فواهاً له لو عاد للوصل مرة ... وأعطيه ما أبقى التفرق من لبي
وكم ليلة هبت من الغور نفحة ... برياكم طيباً فقلت لها هبي
عليكم سلام الله مني تحية ... شذا عرفها كالمسك والمندل الرطب

وقال:

لئن تفرقنا ولم نجتمع ... وزادت الفرقة عن وقتها
فهذه العينان مع قربها ... لا تنظر العين إلى أختها

وقال:

أقصى مرادي في الهوى ... بأن تحلوا ساحتي
وراحتي في قدح ... أنظره في راحتي

وقال:

لعبت بالشطرنج مع أهيف ... رشاقة الأغصان من قده
أحل عقد البند من خصره ... وألثم الشامات من خده

وقال في أرمد:

وشادن هممت فيه وجدا ... لما غدت مقلتاه رمدا
لم ينتقص حسنه ولكن ... نرجس عينيه صار وردا

وقال:

يا جيرة الحي من جرعاء كاظمة ... طرقي لبعدكم ما التذ بالنظر
لا تسألوا عن حديث الدمع كيف جرى ... فقد كفى ما جرى منه على بصري

وقال في مليح نصراني:

وبي غرير يحاكي الظبي ملتفتاً ... أغن أغيد عقلي فيه قد حارا
يصبو الحباب إلى تقبيل مبسمه ... وتكتسي الراح من خديه أنوارا
من آل عيسى يرى بعدي ... ولم يخف من دم العشاق

يقربه أوزارا
لأجله أصبح الراووق على الصليب وشد الكاس منعكـفـاً زنارا

وقال لغزاً في رمح:

أي شيء يكون مالاً وذخـراً راق حسناً عند اللقاء ومخبر
أسمر القد أزرق السن إنما قلبه بلا شك أحـمـر وصفاً

وقال لغزاً في هاروت:

ما اسم إذا صحفته فهو نبي مرسل
وهو إذا عكستـه كتابه المـنـزل

وقال:

أساود شعره لسبت فؤادي وأمست بين أحشائي تجول
كأن الشعر يطلبني بـدين فكم يجفو علي ويستطـيل

وقال:

الحمد لله في حلي على الذي نلت من علم ومن ومرتـحـلـي عمل
بالأمس كنت إلى الديوان واليوم أصبحت والديوان منتسباً ينسب لي

وقال:

فصل كأن البدر فيه مطـرب يبدو وهالـتـه لـديه طـاره
والشمس في أفق السماء والجو ساق والأصيل عقـاره خريدة
وكأن قوس الغيم جنك وكأنما صوب الحـيا أوتـاره مذهـب

وقال في مليحة عمياء، وهو بديع:

علقتها نجلاء مثل المهـا فخان فيها الزمن الغادر
أذهب عينيها فإنسانـهـا في ظلمة لا يهتدي حائر
تجرح قلبي وهي مكفوفة وهكذا قد يفعل البـاتـر
والنرجس الغض غدا ذابلاً واحسرتا لو أنه ناضـر

ولبعضهم في عمياء وقد أحسن:

قالوا تعشقتها عمياء قـلـت ما شانها ذاك في عيني ولا لـهـم قدحـا
بل زاد وجـدي فـيهـا أنـا لا تنظر الشيب في فودي إذا أبـداً وضحا
إن يجرح السيف مسلولاً فلا ونام ناطوره سكران قد عجب طـفـحـا
تفتح الورد فـيه مـن والنرجس الغض فيه بعد ما كـمـائمـه انفتحا

ومن شعر المشد:

سري بألسنة الـدمـوع وشحوب جسمي في الغرام

عـلانـيه علانيه
أخفي الهوى ويذيعه يوم النـوى حرق عن الواشين ليست خافـيه
يا نازحين عن الهوى خـلـفـتـم جسداً بكم مضنى ونفسـاً بـالـيه
وسكنتم غور الحشا فمـدامـعـي تجري شرائعها وعـيـنـي دامـيه
وأنا الفداء لحاضرين بمهـجـتـي أبداً وأشـواقـي إلـيهـم بـادية
لي وقلة إنسانهـا فـي حـبـهـم رفض الكرى ودموعها متوالـيه
وبمهجتي مـن وجـنـتـاه جـنة وقطوف صدغيه علـيهـا دانـيه
ما بعت روحي في هواه رخيصة إلا لكون عـذاره مـن غـالـيه

وقال:

لو كان قلبك مثل عطفك لـيـنـا ما كنت أقنع من وصالك بالمنى
لكن خصرك مثل جسمي ناحـل فكلاهما متحالفان على الضنـا
يا هاجري ظلماً بغير جـنـاية ما هكذا شرط المودة بـيـنـنـا
قيدت طرفي مذ تسلسل دمعـه وحبست نومي فالأسير إذاً أنـا
لا تحم قدك عن حنايا أضلعـي كم لذة بين الحمى والمنحـنـى
علمتني كيف الغرام ولـم أكـن أدري الهوى فرأيت صعباً هينا

وقال من أبيات:

بدر يريـنـي ثـغـره دائمـاً برقاً له في كل قلب ومـيض
تلاعب الشعر عـلـى ردفـه أوقع قلبي في الطويل العريض

وقال:

في كل يوم لأرباب الهوى شان وجد قديم وتبريح وأشـجـان
دموعهم كالغوادي وهي هاملة وفي حشاياهم للحـب نـيران
يبكون الوصل خوف الهجر من شغف فكـل أوقـاتـهـم هـم وأحـزان
لا يعرفون سـلـواً يهـتـدون بـه هيهات أين مع العشـاق سـلـوان

وقال ذوبيت:

كم قلت لقاتلي الذي تيمنـي إذ قال أنا نبي هذا الزمـن
هل معجزة فقال من شاعته من ينظرني لوقته يعشقني

دبيران

علي بن عمر بن علي، العلامة نجم الدين الكاتبي، دبيران -بفتح الدال وكسر الباء الموحدة وسكون الياء وبعدها راء وألف ونون- القزويني المنطقي الحكيم صاحب التصانيف؛ توفي في شهر رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة، ومولده في رجب سنة ستمائة. ومن تصانيفه "العين" في المنطق، و"الشمسية" و"جامع الدقائق" و"حكمة العين"، وله كتاب جمع فيه الطبيعي والرياضي وأضافه إلى العين ليكون حكمة كاملة، وله غير ذلك.

المنشئ الإربلي

علي بن عيسى بن أبي الفتح، الصاحب بهاء الدين ابن الأمير فخر الدين الإربلي المنشي الكاتب البارع؛ له شعر وترسل، كان رئيساً، كتب لمتولي إربل ابن صلايا ثم خدم ببغداد في ديوان الإنشاء أيام علاء الدين صاحب الديوان، ثم إنه فتر سوقه في دولة اليهود، ثم تراجع بعدهم وسلم ولم ينكب، إلى أن مات سنة اثنتين وتسعين وستمائة. وكان صاحب تجمل وحشمة ومكارم، وفيه تشيع، وكان أبوه والياً بإربل.

ولبهاء الدين مصنفات أدبية مثل "المقامات الأربع" و"رسالة الطيف" المشهورة، وغير ذلك، وخلف لما مات تركة عظيمة بنحو ألفي ألف درهم تسلمها ابنه أبو الفتح ومحقها ومات صعلوكاً.

ومن شعر بهاء الدين:

أيا هاجري من غير جرم جنيتـه ومن دأبه ظلمي وهجري فديتـه
أجرني رعاك الله من نار جفـوة وحر غرام في البعاد اصطليتـه
وكن مسعدي فيما ألاقي من الأسى فهجرك يا كل المنى ما نـويتـه
أأظما غراماً في هـواك ولـوعة ولي دمع عين كالسحاب بكـيتـه
وحقك يا من تهت فـيه صـبـابة ووجداً ومن دون الأنام اصطفيته
وحقك لا أنسى العهود التي مضت قديماً ولا أسلو زماناً قـضـيتـه

ومنه:

كيف خلاصي من هوى شادن حكمه الحسن على مهجتـي
بعاده ناري الـتـي تـتـقـى وقربه لو زارني جـنـتـي
ما اتسعت طرق الهوى فيه لي إلا وضاقت في الجفا حيلتـي
ليت ليالي وصله عـدن لـي يا حسرتا أين الليالي الـتـي

وقال:

وجهه والقوام والشعـر الأس ... ود في بهجة الجبين النضير
بدر تم على قضيب عـلـيه ... ليل دجن من فوق صبح منير

وقال:

حثه سائق الـغـرام فـحـنـا ... وجفا منزلاً وخلف مـغـنـى
ودعاه الهوى فلـبـى سـريعـاً ... وكذا شيمة المحب المـعـنـى
رام صبراً فلم يطـعـه غـرام ... غادر القلب بالصبـابة رهـنـا
وجفا لذة الكرى في رضى الحب ... فأرضى قلباً وأسخط جـفـنـا
أسهرت مقلتيه في طاعة الـوج ... د عيون على المحصب وسنـى
كل ظامي الوشاح ريان من مـا ... ء التصابي أضنى المحب وعنى
ما على الدهر لو أعاد زمـانـاً ... سلبته أيدي الـحـوادث مـنـا
وعلى من أحب لو شفع الحـس ... ن الذي قيد العيون بحـسـنـى
وبروحي أفـدي رشـيق قـوام ... لاح بدراً وماس إذ ماس غصنا
يتجنى ظلماً فـيحـدث لـي وج ... داً إذا صد عاتبـاً أو تـجـنـى
ما ثناني عنه العذول وهـل يث ... ني غرامـي وقـده يتـثـنـى
كيف أسلو بدراً يشابهـه الـبـد ... ر سناء يصبي الحليم وسـنـا
لي معنى فيه وفي صاحب الدي ... وان إذا رمت مدحه ألف معنى

وقال:

طاف بها والليل وحف الجنـاح ... بدر الدجى يحمل شمس الصباح
وفـاز بـالـراحة عـشـاقـه ... لما بدا في كـفـه كـأس راح
ظبي من الـتـرك لـه قـامة ... يزري تثنيها بسمر الـرمـاح
عارضـه آس وفـي خـــده ... ورد نضير والـثـنـايا أقـاح
أطعت فيه صبوتـي والـهـوى ... طوعاً وعاصيت النهى واللواح
عاطيته صهـبـاء مـشـمـولة ... تحكي سنا الصبح إذا الصبح لاح
فسكنت سـورتـه وانـتـشـى ... فظل طوعي بعد طول الجماح
فبت لا أعرف طيب الـكـرى ... وبات لا ينكر طيب الـمـزاح
فهل على من بات صـبـاً بـه ... وإن نضا ثوب وقـار جـنـاح

وقال أيضاً:

غزال النقا لولا ثناياك والـلـمـى لما بت صباً مستهـامـاً مـتـيمـا
ولولا معان فيك أوجبن صـبـوتـي لما كنت من بعد الثمانين مغـرمـا
أيا جنة الحسن الذي غادر الحـشـا بفرط التجافي والصدود جهـنـمـا
جريت على رسم من الجور واضح أما آن يوماً أن تـرق وتـرحـمـا
أمالك رقي كيف حللت جـفـوتـي وعدت لقتلي بالبعـاد مـتـمـمـا
وحرمت من حلو الوصال محـلـلا وحللت من مر الجفاء مـحـرمـا
بحسن التثني رق لي من صـبـابة أسلت بها دمعي على وجنتي دمـا
ورفقاً بمن غادرته غرض الـردى إذا زار عن شحط بلادك سـلـمـا
كلفت بساجي الطرف أحوى مهفهف يميس فينسيك القضيب المنـعـمـا
يفوق الظبا والغصن طرفـاً وقـامة وبدر الدجى والبرق وجهاً ومبسمـا
فناظره في قصتي لـيس نـاظـراً وحاجبه في قتلتي قد تـحـكـمـا
ومشرف صدغ ظل في الحكم جائراً وعامل قد بات أعدى وأظـلـمـا
وعارضه لم يرث لي من شـكـاية فنمت دموعي حين لاح منمنـمـا

أبو القاسم التنوخي

علي بن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم، أبو القاسم التنوخي؛ ولد يوم الثلاثاء نصف شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وتوفي في شهور سنة سبع وأربعين وأربعمائة؛ وكان شيعياً معتزلياً، وكان ساكناً وقوراً، وكان يدخله من نيابة القضاء ودار الضرب وغيرهما كل شهر مائتا دينار فيمر الشهر وليس معه شيء، كان ينفق على أصحاب الحديث، وكان الخطيب والصولي وغيرهما يبيتون عنده، وكان ثقة في الحديث متحفظاً في الشهادة، محتاطاً صدوقاً، وتقلد قضاء عدة نواح منه المدائن وأعمالها وأذربيجان والبردان وقرميسين.

وكان ظريفاً نبيلاً جيد النادرة، اجتاز يوماً في بعض الدروب فسمع امرأة تقول لأخرى: كم عمر بنتك يا أختي؟ فقالت: رزقتها يوم صفع القاضي وضرب السياط، فرفع رأسه إليها وقال: يا بظراء صار صفعي تاريخك، ما وجدت تاريخاً غيره! ! وكان أعمش العينين لا تهدأ جفونه من الانخفاض والارتفاع والتغميض والانفتاح، وفيه يقول ابن بابك:

إذا التنوخي انـتـشـى وغاص ثم انتـعـشـا
أخفى عليه إن مـشـي ت وهو يخفى إن مشى
فلا أراه قـــــلة ولا يراني عـمـشـا

ودفع إليه رجل رقعة وهو راكب، فلما فضها وجد فيها:

إن التنوخـي بـه أبـنة كأنه يسجد لـلـفـيش
له غلامان ينـيكـانـه بعلة الترويح في الخيش

فقال: ردوا زوج القحبة، فردوه فقال له: يا كشخان يا قرنان يا زوج ألف قحبة، هات زوجتك وأختك وأمك إلى داري وانظر ما يكون مني، وبعد ذلك احكم بما يكون مني، قفاه!! فصفعوه.

وكان يوماً نائماً، فاجتاز واحد غث وأزعجه مما يصيح: شراك النعال شراك النعال، فقال لغلامه: اجمع كل نعل في البيت وأعطها لهذا يصلحها ويشتغل بها، ثم نام، وأصلحها الإسكافي واشتغل بها إلى آخر النهار ومضى لشأنه، فلما كان في اليوم الثاني فعل كذلك ولم يدعه ينام، فقال للغلام: أدخله، فأدخله فقال له: يا ماص بظر أمك، أمس أصلحت كل نعل عندنا، واليوم تصيح على بابنا، هل بلغك أننا نتصافع بالنعال ونقطعها? ! قفاه قفاه، فقال: يا سيدي أتوب ولا أعود أدخل إلى هذا الدري أبداً.

وهذا أبو القاسم من أهل بيت كلهم فضلاء،ذكر ابن خلكان أباه المحسن وجده القاضي التنوخي الكبير، رحمه الله تعالى وعفا عنهم.

القليوبي الكاتب

علي بن محمد بن أحمد بن حبيب القليوبي الكاتب؛ قال ابن سعيد المغربي: وصفه ابن الزبير في كتاب "الجنان" بالإجادة في التشبيهات، وغلا في ذلك إلى أن قال: إن أنصف لم يفضل عليه ابن المعتز، وذكر أنه أدرك العزيز العبيدي ومدح قواده وكتابه، وتوفي في أوائل دولة الظاهر العبيدي.

ومن شعره:

وصافـية بـات الـغـلام يديرهـا على الشرب في جنح من الليل أدعج
كأن حباب الماء فـي وجـنـاتـهـا فرائد در في عـقـيق مـدحـرج
ولا ضـوء إلا هـلال كـأنـمـا تفرق منه الغيم عن نصف دمـلـج
وقد حال دون المشتري من شعاعـه وميض كمثل الزئبق المتـرجـرج
كأن الثـريا فـي أواخـر لـيلـهـا تحية ورد فوق زهر بـنـفـسـج

وقال أيضاً:

في ليلة أنف كـأن هـلالـهـا صدع تبين فـي إنـاء زجـاج
كفل الزمان لأختـهـا بـزيادة في نورها فبدا كوقف العـاج
وكأنما كـيوان نـقـرة فـضة وكأنما المريخ ضـوء سـراج
تتطاول الجوزاء تحت جنـاحـه وكأنها من نورهـا فـي تـاج

ليل كمثل الروض فتح جنحه زهر الكوكب في ذرى الأبراج
أحييته حتى رأيت صباحه من لونه يختال في دواج
والشمس من تحت الغمام كأنها نار تضرم خلف جام زجاج

وقال:

وكأن السماء مصحف قار وكأن النجوم رسم عشور
أو كأن النجوم زهر رياض قد أحاطت من بدرها بغدير

وقال:

نجمت نجوم الزهر إلا أنها في روضة فلكية الأنوار
وكأنما الجوزاء منها شارب وكأنما المريخ كأس عقار

وقال:

ألا فاسقنيها قد قضى الليل نحبه وقام لشوال هلال مبشر
بدا مثل عرق السام واسترجعت له صروف الليالي فرصة وهو قمر
إلى أن رأيناه ابن سبع كأنما على الأفق منه طيلسان مقور

وقال:

وصفراء من ماء الكروم كأنما دجى الليل منها في رداء معصفر
كأن حباب الماء في وجناتها من الدر إكليل على تاج يعصر
قطعت بها ليلاً كأن نجومه إذا اعترضتها العين نيران عسكر
تراها بآفاق السماء كأنما مطالعها منها معادن جوهر
ومنطقة الجوزاء تبدو كأنها وسائط در في قلائد عنبر
وباتت بعيني الثريا كأنما على الأفق منها غصن ورد منور
فبت أراعي النجم حتى تشمرت ذيول الدجى عن مائه المتفجر

ابن حريق البلنسي

علي بن محمد بن أحمد بن سلمة بن حريق، أبو الحسن المخزومي البلنسي الشاعر؛ كان متبحراً في اللغة والأدب، حافظاً لأشعار العرب وأيامها، اعترف له بالسبق بلغاء وقته؛ قال ابن الأنباري: توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

ومن شعره في مليح أعور:

لم يشنك الذي بعينك عندي أنت أعلى من أن تعاب وأسنى
لطف الله رد سهمين رأفة بالعباد فازددت حسنا

سهـمـاً

ولشمس الدين محمد بن العفيف التلمساني -الآتي ذكره إن شاء الله تعالى- في مثله:

كان بعينين فلما طغى سحرهما رد إلى عين
وذاك من لطف بعشاقه ما يضرب الله بسيفين

ومن شعر ابن حريق:

وكاتب ألفاظه وكتـبـه بغيضة إن خط أو تكلما
ترى أناساً يتمنون العمى وآخرين يحمدون الصمما

وقال وقد زاره محبوبه فجاء مطر وسيل منه من العود:

يا ليلة جـادت الأمـانـي فيها على رغم أنف دهري
للقطر فيها علي نعـمـى يقصر عنها طويل شكري
إذ بات في منزلي حبيبـي وقام في أهلـه بـعـذر
يا ليلة السيل في اللـيالـي لأنت خير من ألف شهـر

وقال:

يا صاحبي وما البخيل بصاحبي هذي الخيام فأين تلك الأدمـع
أنمر بالعرصات لا نبكي بـهـا وهي المعاهد منهم وهي الأربع
يا سعد ما هذا القيام وفـد نـأوا أتقيم من بعد القلوب الأضلـع?
هيهات لا ريح اللواعج بعدهـم رهو ولا طير الصبـابة وقـع
وأبى الهوى إلا الحلول بلعـلـع ويح المطايا، أين منها لعـلـع
لم أدر أين ثووا فلم أسأل بـهـم ريحاً تهب ولا بريقـاً يلـمـع
وكأنهم في كل مـدرج نـاسـم فعليه مـنـي رقة وتـضـرع
فإذا منحتهم السـلام تـبـادرت تبليغه عنـي الـرياح الأربـع

ابن نبيه الشاعر

علي بن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيى، الأديب الشاعر البارع كمال الدين ابن النبيه المصري، صاحب الديوان المشهور؛ مدح بني أيوب، واتصل بالملك الأشرف موسى وكتب له الإنشاء، وسكن بنصيبين، وتوفي بها في حادي وعشرين جمادى الأولى سنة تسع عشرة وستمائة؛ وهذا ديوانه المشهور هو انتقاه من شعره، لأنه كله منقى منقح، الدرة وأختها، وإلا فما هذا شعر من لا نظم إلا هذا الديوان الصغير.

ومن شعره ما ذكره القوصي في مليح يشتغل بعلم الهندسة:

وبي هندسي الشكل يسبيك لحظه وخال وخد بالعذار مـطـرز
ومذ خط بيكار الجمال عـذاره كقوس علمنا أنما الخال مركز

وقال:

تعلمت علم الكيمـياء بـحـبـه غزال بجسمي ما بجفنيه من

سقم

فصعدت أنفاسي وقطرت أدمعي فصح بذا التدبير تصفيرة الجسم

وقال في مليح يهودي رآه بدمشق فأحبه:

من آل إسرائيل علقـتـه أسقمني بالصد والـتـيه
قد انزل السلوى على قلبه وأنزل المن علـى فـيه

وقال:

بدر تم له من الشعـر هـالـه من رآه من المحبين هـالـه
قصر الليل حين زار ولا غـر و غزال غارت عليه الغزاله
يا نسيم الصبا عساك تحـمـل ت لنا من سكان نجد رسالـه
كل معسولة المراشف بيضـا ء حمتها سمر القنا العاسـلـه
عانقتني كصـارمـي وأدارت معصميها في عاتقي كالحماله
إن بالرقمتين ملـعـب لـهـو بسطت دوحه علينا ظـلالـه
معلم معلم وشى بسطـه الـزه ر وحاكتـه ديمة هـطـالـه
وكأن الـحـمـام فـيه قـيان أعربت لحنها على غير آلـه
وكأن القضيب شمر لـلـرق ص سحيراً عن ساقه أذيالـه
إن خوض الظلماء أطيب عندي من مطايا أمست تشكي كلاله
فهي مثل القسي شكلاً ولكـن هي في السبق أسهم لا محاله
تركتها الحداة بالخفض والرف ع حروفاً في جرها عمـالـه

ولشهاب الدين التلعرفي قصيدة في هذا الوزن وهي:

أي دمع من الجفون أسالـه إذ أتته من النسيم رسـالـه
حملته الرياض أسرار عرف أودعتها السحائب الهطالـه

منها:

يا خليلي وللخلـيل حـقـوق واجبات الأحوال في كل حاله
سل عقيق الحمى وقل إذ تراه خالياً من ظبائه المختـالـه
أين تلك المراشف العسـلـيا ت وتلك المعاطف العسالـه
وليال قـضـيتـهـا كـلآل بغزال تغار منه الـغـزالـه
بابلي اللحـاظ والـريق والأل فاظ، كل مدامة سلـسـالـه
وطويل الصدود والشعر والمط ل، ومن لي بأن يديم مطالـه
وسقيم الجفون والعهد ر فكل تراه يشكو اعتـلالـه

والخص
ونقي الجبين والخـد والـثـغ ر فطوبى لمن حسا جريالـه
من بني الترك كلما جذب القو س رأينا في وسطه بدر هاله
يقع الوهم حين يرمي فلا نـد ري يداه أم عينه النـبـالـه
قلت لما لوى ديوان وصالـي وهو مثر وقادر لا محـالـه
بيننا الشرع قال سر بي فعندي من صفاتي لكل دعوى دلاله
وشهودي من خال خدي ومن قد ي شهود معروفة بالعـدالـه
أنا وكلت مقلتي في دما الخـل ق فقالت قبلت هذي الوكالـه

ومن شعر ابن نبيه:

رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى
خذوا حذراً من خـارجـي عـذاره فقد جاء زحفاً في كتيبته الخضـرا
غلام أراد الـلـه إطـفـاء فـتـنة بعارضه فاستأنفت فـتـنة أخـرى
فزرفـن بـالأصـداغ جـنة خـده وأرخى عليها من ذؤابتـه سـتـرا
أخوض عباب الموت من دون ثغـره كذاك يخوض البحر من طلب الدرا
غزال رخيم الدال في يوم سـلـمـه وليث له في حربه البطشة الكبـرى
دري يحمل الـكـأس فـي يوم لـذة ولكن بحمل السيف يوم الوغى أدرى
أهيم بـه فـي عـقـده أو نـجـاده فلا بد في السراء منه وفي الضـرا
وصامتة الخلخـال أن وشـاحـهـا فهذا قد استغنى وذاك اشتكى الفقرا
لها معصم لولا السوار عنه بحبـهـا إذا حسرت أكمامها لجرى نـهـرا
دعتني إلى السلوان عنه فما كنت أرضى بعد إيماني بـحـبـهـا الكفـرا
بأي اعتذار ألتقي حـسـن وجـهـه إذا شغلتني عنـه غـانـية عـذرا

وقال:

باكر صبوحك أهنا العيش بـاكـره فقد تـرنـم فـوق الأيك طـائره

والليل تجري الدراري في مجرتـه كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب عـلـى يده مخلق تمـلأ الـدنـيا بـشـائره
فانهض إلى ذوب ياقوت لها حبـب تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء في وجنة الساقي لها شبـه فهل جناها مع العنقود عاصـره?
ساق تكون من صبح ومن غـسـق فابيض خـداه واسـودت غـدائره
مفلج الثغر معسول اللمى غـنـج مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطـره
مهفهف القد يندى جسمـه تـرفـاً مخصر الخصر عبل الردف وافره
بيض سوالفه لعـس مـراشـفـه نعس نواظـره خـرس أسـاوره
تعلمت بـانة الـوادي شـمـائلـه وزورت سحر عـينـيه جـآذره
كأنه بسواد الصـدغ مـكـتـحـل وركبت فوق خديه مـحـاجـره
نبي حـسـن أظـلـتـه ذوائبـه وقام في فترة الأجفـان نـاظـره
فلو رأت مقلتاً هـاروت آيتـه ال كبرى لآمن بعد الكفر سـاحـره
قامت أدلة صدغـيه لـعـاشـقـه على عذول أتـى فـيه يـنـاظـره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنـمـاً وأنت ناه لهـذا الـدهـر آمـره
فالعمر كالكاس تستحـلـى أوائلـه لكنه ربـمـا مـجـت أواخـره

وقال:

طاب الصبوح لنا فـهـاك وهـات واشرب هـنـيئاً يا أخـا الـلـذات
كم ذا التواني والشـبـاب مـطـاوع والدهر سمح والحـبـيب مـواتـي
قم فاصطبح من شمس طاسك واغتبق بكواكب طلعت مـن الـكـاسـات
صفراء صافـية تـوقـد بـردهـا فعجبت للنـيران فـي الـجـنـات
ينسل من قار الظروف والدر مجتلب مـن

حبابها الظلمات
عذراء واقعها المناج أما مديل عذرتها بكف سقاة
ترى
يسعى بها عبل الروادف خنث الشمائل شاطر
أهيف الحركات
يهوي فتسبقه أساود ملتفة كأساود الحيات
شعره
يدري منازل نيرات ما بين منصرف وآخر
كؤوسه آتي

وقال أيضاً:

أماناً أيها القمر المطل ففي جفنيك أسياف تسل
يزيد جمال وجهك كل يوم ولي جسد يذوب ويضمحل
وما عرف السقام طريق ولكن دل من أهوى يدل
جسمي
يميل بطرفه التركي عني صدقتم إن ضيق العين بخل
إذا نشرت ذوائبه عليه ترى ماء يرف عليه ظل

وقال أيضاً:

حديث دمعي عن غرامي تنقله عني رواة الجفون
شجون
عجبت من صحة أخبارها وقد تجرحن بدمع هتون
بمهجتي أحور قد جمعت جفونه المرضى فنون
الفتون
مغنيطس الخال على خده يجذب بالحسن حديد
العيون
ساومته في فمه قبلة فقال هذا أبداً لا يكون
أدر دنانير فقد نثرت دراهم النور بنان الغصون
عوذ جناني من جنون من لام صدغيه بقاف ونون
الهوى

وقال أيضاً:

صن ناظراً مترقباً لك أن فلقد كفى من دمعه ما قد
يرى جرى
يا من حكى في الحسن آهاً لو أنك مثل يوسف
صورة يوسف تشترى
تعشو العيون لخده ويقول ليست هذه نار
فيردها القرى
يا قاتل الله الجمال فإنه ما زال يصحب باخلاً
متجبرا
يا غصن بان في نقا رمل أبدعت غذ أثمرت بدراً
لقد نيرا
ما ضر طيفك أن أكون فقد اشتبهنا في السقام

مـكـانـه فـمـا نـرى
أترى لأيامـي بـوصـلـك عـودة ولو أنها في بعض أحلام الـكـرى
زمناً شربت زلال وصلك صـافـياً وجنيت روض أخضـر مـثـمـرا
ملكتك فيه يدي فحين فـتـحـتـهـا لم ألـق إلا حـسـرة وتـفـكـرا

وقال:

لماك والخد النضـر ماء الحياة والخضر
أخذتني يا تـاركـي أخذ عزيز مقتـدر
أحلت سلواني على ضامن قلب منكسر
ونمت عن ذي أرق إذا غفا النجم سهر
وماء عيني التقـى فيك لأمر قد قـدر
ما نصبت أشراك أل حاظك إلا للحـذر
قلبي على الترك به ذا البدوي يفتخـر
ولي عهد البدر وإن غاب فإني منتظـر
خلعت إذ بايعـتـه عذار من لا يعتذر
في خلقه وخلـقـه طبع الغزال والنمر
نزهة أحداق الورى فحيثما سار تسـر
إن طريق ناظـري إلى محياه خطـر

وقال:

قم يا غلام ودع مقالة من نـصـح فالديك قد صدع الدجى لما صـدح
خفيت تباشير الصباح فسـقـنـي ما طل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكـف مـديرهـا لمقطب إلا تـهـلـل وانـشـرح
هي صفوة الكرم "الكريم" فما سرت سراؤها في بـاخـل إلا سـمـح
من كف فتان القـوام بـوجـهـه عذر لمن خلع العذار أو اطـرح
ولي بشعر كـالـظـلام إذا دجـا وأتى بوجهه كالصباح إذا وضـح
يهتز كالغصن الرطيب على النقـا ذا خف في طي الوشاح قد اتضح
النرجس الغض استحى من طرفـه وبخده زهر الأقاح قـد اتـضـح
فكأنـه مـتـبـسـم بـعـقـوده أو بالثنايا قـد تـقـلـد واتـشـح

وديوان شعره كله من هذا الأسلوب، وهو موجود في أيدي الناس سامحه الله تعالى.

علاء الدين الباجي

علي بن محمد بن خطاب، الشيخ علاء الدين الباجي المغربي الأصولي المصري؛ ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وتوفي سنة أربع عشرة وسبعمائة؛ ختصر كتاب "المحرر" و"علوم الحديث" و"المحصول" في أصول الفقه و"الأربعين".

وكان عمدة في الفتوى، وتخرج به الأصحاب، وممن أخذ عنه العلامتان قاضي القضاة تقي الدين السبكي وأثير الدين أبو حيان، وكان ديناً صيناً وقوراً، ومن شعره:

رثى لي عذلي إذ عاينوني وسحب مدامعي مثل العيون
وراموا كحل عيني قلت كفوا فأصل بليتي كحل العيون

وقال ذوبيت:

بلبل والهزار والشحرور يسبي طرباً قلب الجشي المغرور
فانهض عجلاً وانهب من اللذة ما جادت كرماً به يد المقدور

أبو سعد ابن خلف

علي بن محمد بن خلف، أبو سعد الكاتب النيرماني -ونيرمان قرية من قرى الجبل بالقرب من همذان-؛ كان من جلة الكتاب الفضلاء، والرؤساء النبلاء، وكان يخدم في ديوان بني بويه ببغداد، وصنف لبهاء الدولة "المنثور البهائي" في مجلدة، وهو نثر كتاب "الحماسة"؛ وتوفي سنة أربع عشرة وأربعمائة.

ومن شعره القصيدة المشهورة وهي:

خليلي في بغداد هل أنتما ليا على العهد مثلي أم غدا العهد باليا
وهل ذرفت يوم النوى مقلتاكما علي كما أمسي وأصبح باكيا
وهل أنا مذكور بخير لديكما إذا ما جرى ذكر لمن كان نائيا
وهل فيكما من إن تنزل منزلاً أنيقاً وبستاناً من النور حاليا
أجد له طيب المكان وحسنه منى يتمناها فكنت الأمانيا
كتاب عن شوق شديد إليكما كأن على الأحشاء منه مكاويا
وعن أدمع منهلة، فتأملا كتابي تبن آثارها في كتابيا
ولا تيأسا أن يجمع الله بيننا كأحسن ما كنا عليه تصافيا
"فقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا

تــلاقــيا"

ولما تفرقنا تطيرت أن أربمكانك مني لا خلا منكخاليا

فضمنته ورداً كرياك ريحه يذكـرنـي مـنـك الـذي لـسـت نــاســيا

ولا تـطـلـبـا صـونـي إذا مـا تـغـنـتــا تسـر وفـوز جـادتــا لــي الأغــانــيا

"وخـبـرتـمـانـي أن تـيمــاء مــنــزل للـيلـى إذا مـا الـصـيف ألـقـى الـمـراسـيا"

"فهذي شـهـور الـصـيف عـنـا قـد انـقـضـت فما لـلـنـوى تـرمـي بـلـيلـى الـمـراميا"

فدى لــك يا بــغــداد كــل مــدينة من الأرض حـتـى خــطــتــي ودياريا

فقـد سـرت فـي شـرق الـبـلاد وغـربـهــا وطـوفـت خـيلـي بـيـنـهـا وركــابــيا

فلـم أر فـيهـا مـثـل بـغـداد مــنــزلاً ولـم أر فـيهــا مــثــل دجــلـة واديا

ولا مـثـل أهـلـيهــا أرق شــمــائلاً وأعـذب ألـفـاظـاً وأحـلـى مــعــانــيا

وكـم قـائل لــو كــان ودك صــادقــاً لبـغـداد لـم تـرحـل وكــان جــوابــيا

"يقـيم الـرجـال الـمـوسـرون بـأرضـهــم وترمـي الـنـوى بـالـمـقـتـرين الـمـراميا"

وأورد لـه ابـن الـنـجـار فـي تـاريخــه:

يا ظالمي قسماً عليك بحرمة ال إيمــان وهــي نــهــاية الأيمــان

لا تـسـفـكـن دمــي فــإنــي خــائف جداً عـلـيك عــقــوبة الــعــدوان

وإذا مـررت عـلـى زرود فــلا تــغــر بالـمـشـي فـيه تـمــايل الأغــصــان

بالـلـه واســتــر ورد خــدك فــيه لا ينـشـق قـلـب شـقـائق الـنـعــمــان

وأورد له أيضاً:

عجباً لضرسك كيف يشكو عـلة وبجنبـه مـن ريقـك الـدرياق

هذا نظير سقام نـاظـرك الـذي عافاك وابتليت بـه الـعـشـاق

أو عقربي صدغيك إذ لدغا الورى وحماك حمتيهـمـا الـخـلاق

الصاحب بهاء الدين ابن حنا

علي بن محمد بن سليم، الصاحب الوزير الكبير بهاء الدين ابن حنا المصري، أحد رجال الدهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاء وتصرفاً، استوزره الظاهر وفوض إليه الأمور، ولم يكن على يده يد، وقام بأعباء المملكة، وكان واسع الصدر عفيفاً نزهاً لا يقبل لأحد شيئاً إلا أن يكون من الصلحاء والفقراء، وكان قائلاً بهم: يحسن إليهم ويحترمهم ويدر عليهم الصلات، وقد قصده غير واحد بالأذى فلم يجدوا ما يتعلقون به عليه، ووزر بعد الظاهر لابنه السعيد، وزادت رتبته، وله مدرسة وبر وأوقاف. ابتلي بفقد ولديه: فخر الدين ومحيي الدين فصبر وتجلد، وعاش أربعاً وسبعين سنة، وتوفي سنة سبع وسبعين وستمائة.

وحكي أن من جملة سعادته أول وزارته أنه نزل إلى دار الوزير الفائزي ليتبع ودائعه وذخائره، فوجد ورقة فيها أسماء من أودع عنده أمواله، فعرف الحاضرون كل من سمي في الورقة، وطلب وأخذ المال منه، وكان في جملة الأسماء مكتوب: الشيخ ركن الدين أربعون ألف دينار، فلم يعرف الحاضرون من هو الشيخ ركن الدين، ففكر الصاحب زماناً وقال: احفروا هذا الركن، وأشار إلى ركن الدار، فحفروه فوجدوا الذهب.

وكان ينتبه قبل الأذان للصبح، ويشرب قدحاً فيه ثماني أواق شراب بالمصري، ويأكل طيري دجاج مسلوقة، فإذا أذن صلى الصبح وركب إلى القلعة، وأقام طول نهاره لا يأكل شيئاً في المباشرة ويظن أنه صائم، وهو في الحقيقة صائم لا يحتاج إلى غداء مع ذلك الشراب والدجاج، وكان الملك الظاهر يعظمه ويدعوه يا أبي.

وحكي أن الأمراء الكبار اشتوروا فيما بينهم أنهم يخاطبون الملك الظاهر في عزل الصاحب بهاء الدين، وكانوا قد قرروا أن ابن بركة خان هو الذي يفتح الباب في ذلك، والأمراء يراسلونه، فبلغ السلطان ذلك، وكانوا قد عزموا على مخاطبته في بكرة ذلك النهار في الخدمة، فلما جاءوا ثاني يوم ادعى السلطان أنه أصبح به مغس منعه عن الجلوس للخدمة، فجلس الأمراء إلى أن تعالى النهار ثم خرج إليهم جمدار وقال لهم: باسم الله ادخلوا، فدخلوا يعودون السلطان، فوجدوه متقلق، فجلسوا عنده ساعة، فجاءه خادم وقال: خوند كان مولانا السلطان قد دفع إلي في وقت قعبة صيني فيها حلاوة يقطين وقال لي: دعها عندك فإن هذه أهداها لي رجل صالح، وهي تنفع من الأمراض، فقال السلطان: نعم، أحضرها، فأحضرها، فأكل منها شيئاً قليلاً، وادعى أنه سكن ما يجده من الألم، ففرح الأمراء وسروا بذلك، فقال: يا أمراء تعرفون الذي أهدى إلي هذه الحلاوة? فقالوا:لا، قال: هذا أبي الصاحب بهاء الدين، فسكتوا، فلما خرجوا قال بعضهم لبعض: إذا كان يعتقد أن طعامه يشفي من المرض أي شيء تقولون فيه?!

علاء الدين ابن غانم

علي بن محمد بن سلمان بن حمائل، الشيخ الفاضل البليغ الكاتب الشاعر، صدر الشام بقية الأعيان، الشيخ علاء الدين ابن غانم -تقدم تمام نسبه في ترجمة أخيه الشيخ شهاب الدين-؛ توفي بتبوك سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، وله ست وثمانون سنة.

كان حسنة من حسنات الزمان، وبقية مما ترك الأعيان، ذا مروءة فاتت الواصف، وجود أخجل الغمام الواكف، تأذى من الدولة مرات، وما رجع عما

له في الخير والعصبية من كرات.
قال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل: ما أعرف أحداً في الشام إلا ولعلاء الدين ابن غانم في عنقه منة قلدها بصنيعه أو جاهه أو ماله، وكان الشيخ كمال الدين الزملكاني يكرهه ويقول: ما أدري ما أعمله بهذا علاء الدين ابن غانم? إني من أردت أن أذكره عنده بسوء يقول: ما في الدنيا مثل علاء الدين ابن غانم. "وكانت كراهته له بسبب، وهو أنه شغر منصب القضاء بدمشق، فكتب جمال الدين الأفرم نائب السلطنة مطالعة يذكر فيها من يصلح للقضاء، فعين الشيخ صدر الدين ابن الوكيل وابن الزملكاني وابن الشريشي وغيرهم، وكتب في الجملة نجم الدين ابن صصرى، وكان بين ابن صصرى وابن غانم تودد عظيم وإدلال وعشرة عظيمة، وكان عند الأفرم حجرة عربية ليس لها نظير، وكان يحبها، وكان سلار والجاشنكير كل منهما قد طلبها وهو يدافع عنها، ولا تسمح نفسه بفراقها، فأخذ ابن غانم علامة الأفرم وكتب عليها كتاباً بخطه يقول لسلار: أحب أن تجعل ولاية قضاء القضاة لابن صصرى وشكرانه، ولك الحجرة التي طلبتها، وسير المطالعة، فلم يشعر إلا وتقليد ابن صصرى قد كتب، ولم يكن في ظن أحد ذلك، فتغيظ ابن الزملكاني وابن الوكيل لذلك وعز عليهما، وباشر ابن صصرى القضاء، ثم بعد ذلك طلبت الفرس وقيل له: قد أجبنا سؤالك إلى ما أردت، وسير لنا ما ذكرت من الفرس، فقال: أنا لم أعلم بذلك ولا لي غرض، فسيروا إليه المطالعة فوجدت بخط ابن غانم، فرسم إليه في الغد برايه ليقطع في بكرة النهار يده، وشاع ذلك، فلما كان سحر ذلك اليوم طلبه الأفرم وقال له: من أول الليل إلى آخره كلما أردت النوم يأتيني شخص في يده رمح -قال أو حربة- ويقول لا تعرض لابن غانم بسوء وإلا قتلتك بهذه الحربة، وقال له: ما حملك على ذلك? قال: حبي لابن صصرى، ولا عدت إلى مثلها، فعفا عنه وخلع عليه، وكمد عداه لذلك، واستقل ابن صصرى بالقضاء، وعظمت منزلة ابن غانم عند ابن صصرى مع عظمها قبل ذلك، وكان زائد الإدلال عليه وتضاعف إدلاله، وكان ابن صصرى إذا عزل لا يولي، وإذا ذاكر في أمر لا يرجع عنه، واتفق أن قاضي نوى كان له أعداء تكلموا فيه بسوء، جرحوه بالباطل وتحاملوا عليه عند قاضي القضاة نجم الدين، فاستحضره وعزله وانتهره في المجلس، وخرج من بين يديه منكسر الخاطر، وكان علاء الدين ابن غانم يقرأ بين المغرب والعشاء في السبع بالحائط الشمالي، عند باب النظامين، فقيل لذلك الرجل: ما لك إلا علاء الدين ابن غانم فله إدلال عظيم على القاضي، وأعلموه أنه بين العشاءين يقرأ في السبع المذكور، فاتفق أن ذلك الرجل جاء إلى علاء الدين ولم يكن يعرفه، فسأله عن علاء الدين وقال: لي إليه حاجة فدلني عليه، فقال علاء الدين: قل لي حاجتك، فإن كان يمكن قضاؤها تحدثت لك مع ابن غانم فهو ما يخالفني إن شاء الله تعالى، فقال له: يا مولانا أنا والله فقير الحال ولي عائلة، ورجل كبير، والله ما معي درهم ولا ما أتعشى به وبكى وقال: أنا قاض من قضاة البر، وكأن بعض من يحسدني وشى عنده ونقل إليه بأنني أرتشي، وحمله علي فاستحضرني وعزلني، والله ما لي درهم واحد ولا دابة أحضر عليها أهلي، وقصدت أن أجلس بين الشهود فما مكنني، فقيل لي: إن علاء الدين ابن غانم واسطة خير، وله عليه إدلال عظيم، ودلوني إلى هذا المكان، وبكى، فقال له: اقعد هنا لأكشف لك خبر ابن غانم، وأرجو من

الله إصلاح أمرك، فأجلسه وانطلق من وقته فدخل على ابن صصرى وكلمه بإدلاله بحيث قال له: أنت قاسي القلب، وأنت أنت، فقال له: ما الخبر؟ فقال: هذا القاضي الفلاني، أي شيء ذنبه حتى عزلته؟ فقال: من صفته كذا وكذا وقيل عنه كذا وكذا، فقال: والله كذب عليه، وأنا والله ما أعرفه، ودل علي، وحلف أنه ما ارتشى قط ولا له ما يتعشى به، ورق قلبي له، ووالله العظيم لا خرجت من عندك حتى توليه وظيفته، وتكتب تقليده وتكبت عدوه فقال: هذا ما يمكن، وما لي عادة إذا عزلت أحداً أعود إليه، فقال: والله ما أخرج حتى توليه، وإن لم تسمع مني لا عدت أكلمك أبداً، فلم يزل حتى ولاه من ساعته، وكتب تقليده وأشهد عليه بذلك، فقال: وتعطيه عمامتك وفرجيتك خلعة عليه، فلم يمكنه مخالفته، ثم قال: وتكتب له عن الصدقات خمسمائة درهم، ففعل ذلك جميعه، وأتى إلى منزله فأخذ ثوباً ودلقاً له ووضع الجميع في بقجة وأتى إليه وهو ينتظره، فحين رآه قال له: إيش قال لك ابن غانم؟ فأخرج التوقيع، وكان في ذهنه أن يسعى له في الجلوس بين الشهود، فلما قرأ التوقيع كاد يموت فرحاً، ثم أعطاه العمامة والفرجية والخمسمائة وقال: هذا من قاضي القضاة، وهذا الدلق والغلالة مني، فأكب على يديه يقبلهما، فلم يمكنه وقال: أنا والله ما عملت معك هذا إلا لله تعالى، فابتهل بالدعاء له. وله من هذا وأشباهه ما لا يكاد ينضبط، ولو بسطت مناقبه لطال الفصل".

وكان وقوراً مليح الهيبة منور الشيبة، ملازم الجماعة مطرح الكلف؛ حدث عن ابن عبد الدايم والزين خالد وابن النشبي وجماعة؛ وكان بيته رحمه الله تعالى مأوى كل غريب، وبابه مقصد كل ملهوف. وله النظم والنثر، ومدحه شعراء عصره؛ وكان آخر ما بقي من رؤساء دمشق.

كتب إلى العلامة شهاب الدين محمود:

لقد غبت عنا والذي غاب محسود — وأنت على ما اخترت من ذاك محمود

حللنا محلاً بعد بعدك ممحلاً — به كل شيء ما خلا الشر مفقود

به الباب مفتوح إلى كل شقوة — ولكن به باب السعادة مسدود

فكتب إليه شهاب الدين محمد الجواب:

أأحبابنا بنتم وشط مزاركم — برغمي وحالت دون وصلكم البيد

وروعتم روض الحمى بفراقكم — فشابت نواصي بانه وهو مولود

ومن لم تهجه الورق وجداً عليكم — توهم أن النوح في الدوح تغريد

وكتب إليه السيخ نجم الدين الصفدي:

شنف الأسماع بالنظم الذي — قد حكى الأنجم في ظلمائها

وبدا كالشمس إلا أنه — زاد في النور على لألائها

فأجاب:

ليس للملوك إلا مدحه — في معاليك وفي آلائها

وبحار الفضل تجري منك لي فمقالي قطرة من مـائهـا

وقال رحمه الله تعالى: عتبني شهاب الدين محمود وهو صاحب الديوان وقال: بلغني أن جماعة كتاب الإنشاء يذمونني وأنت حاضر ما ترد غيبتي، فكتبت إليه:

ومن قال إن القوم ذمـوك كـاذب وما منك إلا الفضل يوجد والجود

وما أحد إلا لفـضـلـك حـامـد وهل عيب بين الناس أو ذم محمود

فأجاب بأبيات منها:

علمت بأني لم أذم بـمـجـلـس وفيه كريم القوم مثلك موجـود

ولست أزكي النفس إذ ليس نافعي إذا ذم مني الفعل والاسم محمود

وما يكره الإنسان من أكل لحمـه وقد آن أن يبلى ويأكلـه الـدود

قال: ولم يكن "بعد" ذلك إلا أيام قلائل حتى توفي، رحمه الله تعالى، وأكله الدود.

ومن شعر علاء الدين ابن غانم لما أمسك كراي المنصوري نائب الشام:

أنا راض بحالتـي لا مـزيد وبأن لا أزال عبد الحمـيد

لي في أمر كافل الملك بالشا م عظات للحازم المستفـيد

جاءه بالتقليد أرغـون بـالأم س وولى وعاد بالـتـقـييد

ومنه:

وكم سرحة لي بالربى زمن الصبـا أشاهد مرأى حسنهـا مـتـمـلـيا

ويسكرني عرف الشذا من نسيمهـا فأقضي هوى من طيبه حتف أنفـيا

وأسأل فيها مبسم الـروض قـبـلة فيبرز مـن أكـمـامـه لـي أيديا

فلله روض زرتـه مـتـنـزهـاً فأبدى لعيني حسن مرأى بـلا ريا

غدا الغصن فيه راقصاً ونسـيمـه يكر علـى مـن زاره مـتـعـديا

ترجلت الأشجار والـمـاء خـر إذ نسيم الصبا أضحى به مـتـمـشـيا

تغني لديه الورق والغصن راقـص فيعرق وجه الأرض من كثرة الحيا

وقال:

فعد نفسك من أهل القـبـور بـهـا فعن قليل إليها سـوف تـنـتـقـل

واذكر مصارع قوم قد قضوا ومضوا كأنهم لم يكونوا بعد مـا رحـلـوا
يا ليت شعري ما قالوا وقيل لـهـم وما الذي قد أجابوا عندما سـئلـوا

ومن نثره في صفة قلعة ذات أودية ومحاجز لا تراها العيون لبعد مرماها إلا شزرا، ولا ينظر ساكنها العدد الكثير إلا نزرا، ولا يظن ناظرها إلا أنها طالعة بين النجوم بما لها من الأبراج، ولها من الفرات خندق يحفها كالبحر إلا أن هذا فرات وهذا ملح أجاج، ولها واد لا يقي لفحة الرمضاء ولا حر الهواجر، وقد توعرت مسالكه فلا يداس فيه إلا على المحاجر، وتفوت ما بين مرآه العلي وبين قراره العميق، ويقتحم راكبه الهول في هبوطه فكأنما خر من السماء أو تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق.

ابن خروف النحوي

علي بن محمد بن خروف، نظلم الدين أبو الحسن ابن خروف الأندلسي؛ حضر من إشبيلية، وكان إماماً في العربية، محققاً مدققاً ماهراً مشاركاً في علم الأصول، صنف شرحاً لكتاب سيبويه جليل الفائدة، حمله إلى صاحب الغرب فأعطاه ألف دينار، وشرحاً للجمل، وكتاباً في الفرائض، وله رد على أبي زيد السهيلي وعلى جماعة في العربية. أقرأ النحو بعدة بلاد، وأقام في حلب مدة، واختل عقله بأخرة حتى مشى في الأسواق عرياناً بادي العورة مكشوف الرأس، وتوفي سنة تسع وستمائة.

ومن شعره في كاس:

أنا جسم لـلـحـمـيا والحمـيا لـي روح
بين أهل الظرف أغدو كل يوم وأروح

وقال في صبي مليح حبسه القاضي:

أقاضي المسلمين حكمت حكماً أتى وجه الزمان به عبوسـا
حبست على الدراهم ذا جمال ولم تحبسه إذ سلب النفوسـا

وكتب إلى قاضي القضاة محيي الدين ابن الزكي يستقيله من مشارفة مارستان نور الدين، وكان بوابه يسمى السيد، وهو في اللغة الذئب:

مولاي مولاي أجـرنـي فـقـد أصبحت في دار الأسى والحتوف
وليس لي صبر علـى مـنـزل بوابه السـيد وجـدي خـروف

ودعاه نجم الدين ابن اللهيب إلى طعامه فلم يجبه، وكتب إليه:

ابن اللهيب دعاني دعاء غير نبـيه
إن سرت يوماً إليه فوالدي في أبـيه

وقال فيه:

يا ابن اللهيب جعلت مذهب مالك يدعو الأنام إلى أبـيك ومـالـك
يبكي الهدى ملء الجفون وإنمـا ضحك الفساد من الصلاح الهالك

وقد قال فيه أيضاً:

لابن اللهيب مذهـب في كل غي قد ذهب
يتلو الذي يبـصـره "تبت يدا أبي لهـب"

وكتب إلى القاضي بهاء الدين بن شداد يطلب منه فروة قرض:

بهاء الـدين والـدنـيا ونوء المجد والحسب
طلبت مخافة الأنـوا ء من نعماك جلد أبي
وفضلك عالـم أنـي خروف بارع الأدب
حلبت الدهر أشطـره وفي حلب صفا حلبي

وقال في نيل مصر:

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعمـوا وإنمـا هـي أرزاق وأرواح

وقال:

واشربوا كل صباح لـبـنـاً واشربوا كل أصيل عسـلا
واعلسوا ذاك إلى أعـدائكـم من قسي النبل أو رقش الفلا

وقال:

لا ترجون لمثـلـي من هذه الراحة توبه
فإنما هـي لـيلـى وإنما أنـا تـوبـه

قال القوصي: وقع ابن خروف في جب يحلب ليلاً فمات، وذلك في سنة تسع وستمائة، رحمه الله تعالى.

## مجد العرب

علي بن محمد بن غالب، أبو فراس العامري المعروف بمجد العرب؛ شاعر جال ما بين العراق والشام ومدح الملوك والأكابر، ولبس أخيراً لبس الأتراك، وتوفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

ومن شعره:

أمتعب ما رق من جسمـه بحمل السيوف وثقل الرماح
علام تكلفت حـمـلانـهـا وبين جفونك أمضى سلاح

وقال أيضاً:

فارق تجد عـوضـاً عـمـن تـفـارقـه في الأرض وانصب تلاق الرشد في النصب
فالأسد لولا فراق الـغـاب مـا فـرسـت والسهم لولا فـراق الـقـوس لـم يصـب

## ابن الأعمى

علي بن محمد بن المبارك، الأديب كمال الدين ابن الأعمى الشاعر، صاحب المقامة التي في الفقراء المجردين، وكان شيخاً كبيراً من بقايا شعراء الدولة الناصرية، انقطع في آخر عمره بالقليجية، وكان مقرئاً بالتربة الأشرفية، ووالده الشيخ ظهير الدين الأعمى كان خطيب القدس؛ وكانت

وفاة كمال الدين سنة اثنتين وتسعين وستمائة.
ومن شعره:

أنا في حالة النوى والتداني لست أثني عن الغرام عناني
لا يروم السلو قلبي ولا يف تر عن ذكر من أحب لساني
وسواء إذا المودة دامت نظري بالعيان أو بالجنان
فاقترب الديار لفظ وقرب ال ود معنى، فاسلك سبيل المعاني
لست ممن يرضى بطيف خيال قانعاً في هواهم بالهوان
إن طيف الخيال دل على أن الكرى قد يلم بالأجفان
غير أني تشتاق عيني إلى من حل من مهجتي أعز مكان
وبروحي ظبياً تغار غصون ال بان منه ويخجل النيران
ذو قوام يغنيه عن حمله الرم ح وجفن وسنانه كالسنان
كتب الحسن فوق خديه بين ال ماء والنار فيهما جنتان
حرس الورد منهما نرجس اللح ظ فلم سيجوه بالريحان
عارض عوذته ياسين لما أن تبدى كالنمل أو كالدخان
يلبس الحسن كل وقت جديداً فلهذا أخلقت ثوب التواني
يا خليلي خلياني ووجدي وامزجا لي بذكره واسقياني
وإذا ما قضيت سكراً من الوج د فلا تحزنا ولا تدفناني
فأيادي ذا الناصر الملك تحيي ني كإحيائها الندى وهو فاني

وقال يذم دار سكناه ويبالغ فيها:

دار سكنت بها أقل صفاتها أن تكثر الحسرات من حشراتها
الخير عنها نازح متباعد والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته كم أعدم الأجفان طيب سناتها
وتبين تسعدها براغيث متى غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتيقيظ ولكن قافه قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عي ن الشمس ما طربي سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها فينا وأين الأسد من وثباتها

وبها من الخطاف ما هو معجـز
أبصارنا عن حصر كيفياتـهـا

تعشي العيون بمرها ومجـيئهـا
وتصم سمع الخلد من أصواتهـا

وبها خفافيش تطير نـهـارهـا
مع ليلها ليست على عاداتـهـا

شبهتها بقـنـافـذ مـطـبـوخة
نزع الطهاة بنضجها شوكاتـهـا

شوكاتها فاقت على سمر القـنـا
في لونها وتمامها وشـياتـهـا

وبها من الجرذان ما قد قصـرت
عنه العتاق الجرد في حملاتهـا

فترى أبا غزوان منهـا هـاربـاً
وأبا الحصين يروغ عن طرقاتها

وبها خنافس كالطنافس أفرشـت
في أرضها وعلت على جنباتهـا

لو شم أهل الحرب منتن فسوهـا
أردى الكماة الصيد عن صهواتها

وبنات وردان وأشـكـال لـهـا
مما يفوت العين كنـه ذواتـهـا

متزاحم متراكـم مـتـحـارب
متراكب في الأرض مثل نباتها

وبها قراد لا اندمال لجـرحـهـا
لا يفعل المشراط مثل أداتـهـا

أبداً تمص دماءنـا فـكـأنـهـا
حجامة لبدت على كاسـاتـهـا

وبها من النمل السليمـانـي مـا
قد قل ذر الشمس عن ذراتـهـا

لا يدخلون مساكناً بل يحطـمـو
ن جلودنا؛ فالعقر من سطواتهـا

ما راعني شيء سوى وزغاتهـا
فنعوذ بالرحمن من نزعاتـهـا

سجعت على أوكارها فظننتـهـا
ورق الحمام سجعن في شجراتها

وبها زنابير تـظـن عـقـاربـاً
لا برء للمسموم من لدغاتـهـا

فكأنما حيطانـهـا كـغـرابـل
أطلعن أرؤسهن من طاقاتـهـا

كيف السبيل إلى النجاة ولا نجـا
ة ولا حياة لمن رأى حـيـاتـهـا

السم في نفثاتها والمـكـر فـي
فلتاتها والموت في لفتـاتـهـا

منسوجة بالعنكبوت سـمـاؤهـا
والأرض قد نسجت ببزاقاتـهـا

ولقد رأينا في الشتاء والصيف لا تنفك من سماؤها صعقاتها
فضجيجها كالرعد في وترابها كالوبل في جنباتها خشباتها
والبوم عاكفة على أرجائها والآل يلمع في ثرى عرصاتها
والنار جزء من تلهب حرها وجهنم تعزى إلى لفحاتها
قد رممت من قبل أن يلقى لآدم أمنا حواء في عرفاتها
شاهدت مكتوباً على أرجائها ورأيت مسطوراً على عتباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
أبداً يقول الداخلون ببابها يا رب نج الناس من آفاتها
قالوا إذا ندب الغراب منازلاً تتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا ألفا غراب ناعق كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبراً لعل الله يعقب راحة للنفس إذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها فيها وتنذر باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفرداً والعين شو قاً للصباح تسح من عبراتها
وأقول: يا رب السموات العلى يا رازقاً للوحش في فلواتها
أسكنتني بجهنم الدنيا ففي أخراي هب لي الخلد في جناتها
واجمع بمن أهواه شملي عاجلاً يا جامع الأرواح بعد شتاتها

وكتب إلى الملك الحافظ يستهدي نطعاً:

يا ملكاً قد خلقت كفه للفرق بين الضر والنفع
وملكاً صيرني عبده إحسانه في القول والصنع
وماجداً أنوار أسيافه مشرقة في ظلم النقع
نحن بحمد الله في عيشة مرضية بالعقل والشرع
إذا شبعنا بعد طول الطوى ليس لنا نقل سمى الصفع
والشغل قد دار على رسمه والوقت محتاج إلى النطع

وله في حمام ضيق شديد الحر ليس فيه ماء بارد:

إن حمامنا الذي نحن فيه قد أناخ العذاب فيه وخيم
مظلم الأرض والسما والنواحي كل عيب من عيبه يتعلم
حرج بابه كطاقة سجن شهد الله من يجز فيه يندم
وله مالك غدا خازن النا ر بلى مالك أرق وأرحم
كلما قلت قد أطلت عذابي قال لي اخسأ فيه ولا تتكلم
قلت لما رأيته يتلظى ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

وأهدى إليه صاحب صحن حلاوة ولم يكن جيداً، فكتب إليه:

إن في صحنك المسمى حلاوه رقة تورث القلوب قساوه
كم حفرنا فلم نجد غير أرض صحن يبساً كمثل أرض

ال السماوه
لست أدري من سكر كان أم من عسل حين لم تـشـبـه نـداوه
غير أني رأيت صحناً صغـيراً ما عليه من النـعـيم طـلاوه
شبهته الـعـيون حـين أتـانـا وجه مولودة علـيه غـشـاوه
لا تكن تحسب الـصـداقة هـذا ليس هذا صـداقة بـل عـداوة

ابن بسام البغدادي

علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام، أبو الحسن البغدادي، أحد الشعراء، ابن أخت ابن حمدون النديم، وله هجاء خبيث، استفرغ شعره في هجاء والده، وهجا جماعة من الوزراء كالقاسم بن عبيد الله و"أبي" جعفر ابن الزيات.

وتوفي سنة اثنتين وثلاثمائة.

وهو من بيت كتابة، وله من الكتب كتاب "أخبار عمر بن أبي ربيعة" وكتاب "المعاقرين" وكتاب "مناقضات الشعراء" وكتاب "أخبار الأحوص" وديوان رسائله.

ومن شعره في وزارة بني الفرات:

إذا حكم النصارى في الفـروج وتاهوا بالبغال وبـالـسـروج
فقل للأعـور الـدجـال هـذا أوانك إن عزمت على الخروج

وقال: كنت أتعشق غلاماً لخالي أحمد بن حمدون، فقمت ليلة الأدب عليه، فلما قربت منه لسبتني عقرب، فصرخت فانتبه خالي وقال: ما تصنع هاهنا؟ فقلت: جئت لأبول، صدقت، في است غلامي فقلت لوقتي:

ولقد سريت على الظلام لموعد حصلته مـن غـادر كـذاب
فإذا على ظهر الطريق معـدة سوداء قد عرفت أوان ذهابي
لا بارك الرحمن فيها عقربـاً دبابة دبـت عـلـى دبـاب

فقال خالي: قبحك الله، لو تركت المجون يوماً لتركته في هذا الحال.

وقال: كنت أتقلد البريد في أيام عبيد الله بن سليمان بن وهب، والعامل بها أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد، فأهدى إلي ليلة عيد الأضحى بقرة، فاستقللتها ورددتها وكتبت إليه:

كم من يد لي إليك سالـفة وأنت بالحق غير معترف
نفسك أهديتها لأذبحـهـا فصنتها عن مواقع التلف

علاء الدين ابن الكلاس

علي بن محمد، علاء الدين الدواداري، يعرف بابن الريس وابن الكلاس؛ كان جندياً بدمشق، رأيته بسوق الكتب غير مرة؛ كان فاضلاً أديباً ناظماً ناثراً، له تعاليق ومجامع تدل على حسن اختياره فيها على فضله؛ توفي بحطين -قرية من قرى صفد- في سنة ثلاثين وسبعمائة.

ومن شعره:

خليلي ما أحلى الهوى وأمره وأعلمني بالحلو منه وبالمر
بما بيننا من حرمة هل رأيتما أرق من الشكوى وأقسى من الهجر

وقال أيضاً:

تقدمت فضلاً من تأخر مدة بوادي الحيا طل عقباه وابل
وقد جاء وتراً في الصلاة مؤخراً به ختمت تلك الشفوع الأوائل

وقال:

فكرت في الأمر الذي أنا قاصد تحصيله فوجدته لا ينجح
وعلمت من نصف الطريق بأن من أرجوه يقضي حاجتي لا يفلح

وقال لغزاً في رغيف:

ومستدير الوجه كالترس يجلس للناس على كرسي
يدخل مثل البدر حمامه وبعدها يخرج كالشمس
لو غاب عن عنترة ليلة وهت قوى عنترة العبسي

وقال:

من مبلغ غربيل أن رحيله جلب السرور وأذهب الأحزانا
والناس من فرط الشماتة خلفه كسروا القدور وأوقدوا النيرانا

وقال:

وأهيف تحكي البدر طلعة وجهه وإن لم يكن في حسن صورته البدر
خلوت به ليلاً يدير مدامة وجنح الدجى دون الرقيب لنا ستر
فلما سرت كأس الحميا بعطفه ومالت به تيهاً ورنحه السكر
هممت بلثم الثغر منه فصدني عذار له في منع تقبيله عذر
حمى ثغره المعسول نمل عذاره ومن عجب نمل يصان به ثغر

## علاء الدين الشاعر المنجم

علي بن محمود بن حسن بن نبهان بن سند، علاء الدين أبو الحسن اليشكري الربعي البغدادي الأصل البصري المولد، الشاعر المنجم؛ ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وتوفي سنة ثمانين وستمائة.

سمع بدمشق من ابن طبرزد والكندي، أخذ عنه الدمياطي وغيره، وسمع منه البرزالي، وكانت له يد طولى في علم الفلك وحل التقاويم، مع النظم

وحسن الخط، وكانت وفاته بدمشق.

ومن شعره:

ولما دهاني الخطب من كل جهة ... وأصبح حالي حائلاً متبدلاً

عكفت على الأفلاك أرجو معونة ... بها أو بسعد للكواكب يجتلى

فخاطب منها المشتري بعد زهرة ... فما ازددت إلا حيرة وتقلقلا

أما والعلا لو كنت خاطبت عاقلاً ... لأصغى إلى ما قلته وتأملا

ولكن خطابي أطلساً غير سامع ... مقالي له "..."

فلا فلك التدوير للقول يرعوي ... ولا الكوكب الدري يفهم مقولا

وليس سوى الخلاق جل جلاله ... أوجه وجهي نحوه متوسلا

وقال:

إني أغار من النسيم إذا سرى ... بأريج عرفك خيفة من ناشق

وأود لو سهدت لا من علة ... خوفاً عليك من الخيال الطارق

وقال:

من لي بمقتبل العذار كأنه ... مسك بوردة خده مفتوت

وتخال جمر الخد يحرق خاله ... دي إلا أنه ياقوت

وقال أيضاً:

وسرب من الغيد الحسان عرضن لي ... فخلت ظباء بالصريم نوافرا

تكحلن سحراً واعتجزن دياجياً ... ولحن صباحاً وابتسمن جواهرا

وأقبلن في خضر الحلى فكأنما ... سلبن غصوناً أو لبسن مرائرا

نصبت لها أشراك عيني طماعة ... وقد رفعت خمراً وجرت غدائرا

فغادرن قلبي في الحبائل واقعاً ... وإن كان لبي بالصبابة طائرا

وقال في صبي لعب وعرق وأخذ المرآة ينظر وجهه فيها:

لما غدا تعباً وكل ... ل وجهه عرق المراح

أخذ المراءة فاجتلى ... في الورد نوار الأقاح

لا بل حباب قد طفا ... من وجنتيه فوق راح

وقال:

ولما أتاني العاذلون عدمتهم ... وما منهم إلا للحمي قارض
وقد بهتوا لما رأوني شاحباً ... وقالوا به عين فقلت وعارض

وقال:

أشممت من عرف الصبا المتضوع ... طيباً تأرج عن ظباء الأجرع
وافى يقص علي أخبار الغضا ... ففهمت من رياه ما لم أسمع
رقصت قدود الدوح عند هبوبه ... وترنمت ورق الحمام السجع
وسرى عليلاً إذ براه هواهم ... من لم يطق حمل الهوى يتوجع
فسقى حيا جفني إذا ضن الحيا ... داراً لهم بين العذيب ولعلع
أوطان لهو قد قضت أوطارنا ... غفلات أيام لنا لم ترجع
وبمهجتي قاس علي وإنه ... ليميله نفس النسيم المولع
جذلان مقتبل الشباب بطرفه ... نظر الأبي وكسرة المتخضع
متمنع لما سألت وصاله ... واذلتي من عزه المتمنع
لقضيتي في الحب سقم شاهد ... لو تسمع الشكوى ودمع مدعي

وقال:

ومعذر غاض الجمال بوجهه ... من بعد ما قد كان ليس بغائض
وعذاره بالنتف يصبح واقعاً ... فكأن عارضه أصيب بعارض

وقال:

لا تضع بالفصاد من دمك الطي ... ب واستبقه فما ذاك رشد
فهو إن حال ريقه كان خمراً ... وإذا جال في الخدود فورد

وقال ذوبيت:

يا ليلة وصلنا سقتك السحب ... عودي فعسى يقر هذا القلب
إذا طاب عتابنا فيا فوزي لو ... أكثرت ذنوباً كي يطول العتب

وقال أيضاً:

أهوى قمراً تحار منه الحور ... كالصبح سناً وفرعه ديجور
يزور مقطباً إذا أبصرني ... كالكأس إذا عاينها المخمور

وقال:

قم نشربها فقد أضاء الشـرق والصبح فقد بدا لنا ينـشـق

قم نسلب روح الزق حتى نحيا سكراً ويموت بالفراق الزق

علاء الدين الوداعي

علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد، الأديب البارع المقرئ المحدث الكاتب المنشئ، علاء الدين الكندي المعروف بالوداعي كاتب ابن وداعة؛ ولد سنة أربعين وستمائة تقريباً، وتوفي سنة ست عشرة وسبعمائة. تلا بالسبع على القاسم الأندلسي، وطلب الحديث ونسخ الأجزاء، وسمع من الخشوعي والكفرطابي والصدر والبكري وعثمان ابن خطيب القرافة والنقيب ابن أبي الجن وابن عبد الدايم وغيرهم، ونظر في العربية، وحفظ كثيراً من أشعار العرب، وكتب المنسوب، وخدم موقعاً بالحصون، وتحول إلى دمشق، وهو صاحب "التذكرة الكندية" الموقوفة بالسميساطية في خمسين مجلد بخطه، فيها عدة فنون، وتوفي ببستانه عند قبة المسجف، وكان شيعياً، وكان شاهداً بديوان الجامع الأموي، وولي مشيخة النفيسية وكانت له ذؤابة بيضاء إلى أن مات.

ومن شعره فيها:

يا عائباً مني بقـاء ذؤابـتـي مهلاً فقد أفرطت في تعييبها

قد واصلتني في زمان شبيبتي فعلام أقطعها زمان مشيبها?

وقال:

من زار بابك لم تبرح جـوارحـه تروي محاسن ما أوليت من منـن

فالعين عن قرة والكف عن صـلة والقلب عن جابر والأذن عن حسن

وقال:

وذي دلال أحـور أهـــيف أصبح في عقد الهوى شرطي

طاف على القوم بكـاسـاتـه وقال ساقي قلت في وسطي

وقال:

ولم أرد الوادي ولا عدت صـادراً مع الركب إلا قلت يا حادي النوق

فديتك عرج بي وعرس هـنـيهة لعلي أبل الشوق من آبل السـوق

وقال:

لا أرى لقط عارضيه قبيحاً يا عذولاً عن حبه ظل ينهى

وجهه روضة وغير عجيب أنه يلقط البنفسج مـنـهـا

وقال أيضاً:

أتيت إلى البلقاء أبغي لقـاءكـم فلم أركم فازداد شوقي وأشجاني
فقالت لي الأقوام من أنت راصد لرؤياه قلت الشمس قالوا بحسبان

وقال:

لنا صاحب قد هذب الشعر طبعه فأصبح عاصيه على فيه طيعـا
إذا خمس الناس القصيد لحسنـه فحق لشعر قاله أن يسـبـعـا

وقال:

قل للذي بالرفض أتهمني أضل الله قصده
أنا رافضي ألعن الشيخين أباه وجده

وقال:

قالوا حبيبك قد دامت ملاحتـه وما أتاه عذار إن ذا عـجـب
فقلت خداه تبر والعذار صـدا وقد زعمتم بأن لا يصدأ الذهب

وقال:

رو بمصر وبسـكـانـهـا شوقي وجدد عهدي البالـي
وصف لي القرط وشنف به سمعي وما العاطل كالحالي
وارو لنا يا سعد عن نيلهـا حديث صفوان بن عسـال
فهـو مـرادي لا يزيد ولا ثورا وإن رقا وراقـا لـي

وقال في مليح سمين كثير الشعر:

تعشقت فلاحاً بـنـيرب جـلـق ففي حسنه لا في الرياض تفرجي
وقالوا اسل عنه فهو عبل ومشعر وما هو إلا من جبال البنفـسـج

وقال:

سمعت بأن الكحل للعـين قـوة فكحلت في عاشور مقلة ناظري
لتقوى على سح الدموع على الذي أذاقوه دون الماء حر البـواتـر

وقال:

سئل الورد عندما استقـطـروه لم كذا عذبـوك بـالـنـيران
قال ما لي جناية غـير أنـنـي جئت بعض السنين في رمضان

وقال:

لا نال من وصلـك مـا يسـومـه إن كان قد أصغى لمـن يلـومـه

حاشا حشاه أن يبيت ليلة مقفرة من الهوى رسومه
واوحشة الصب الذي أنيسه أنينه ودمعه حميمه
النوم لا يلوي على جفونه وصبره يلوي به غريمه
هذا وما يشكو سوى عذوله فكم بما يسوءه يسومه
وكيف يسلو عن غزال دمعه عقيقه ووده صريمه
إن لم يكن في الحسن عن بدر الدجى خليفة فإنه قسيمه
قباؤه سماؤه عذاره هالته أزراره نجومه
كالأقحوان والبروق ثغره أشمه إن شيت أو أشيمه
طوبى بمن يسعده زمانه وذاك في نديه نديمه

وقال:

كلما دغدغت أكف الجنوب خصر نهر وعطف غصن رطيب
انثنى الغصن ضاحكاً بالأزاهي ر وزاد الغدير في التقطيب
وإذا هم أن يقبل خد ال ورد شوقاً ثغر الأقاح الشنيب
خلال أن النيلوفر الغض والنر جس أذن الواشي وعين الرقيب

وقال:

ويوم لنا بالنيربين رقيقة حواشيه خال من رقيب يشينه
وقفنا على الوادي نحييه بكرة فردت علينا بالرؤوس غصونه
وقد هب علوي النسيم فلم تزل تغازلنا من كل نهر عيونه
ومالت بنا الجرد العتاق إلى رشاً جديد العذار رائقات فنونه
من الترك تقري الطارقين جفانه وتفري قلوب العاشقين جفونه
يرنحه سكر الدلال فينثني فينهضه من شعره زرجونه
إذا تاهت الأبصار في ليل شعره هداهن من فرق الصباح جبينه

وقال:

ليس لي بالصدود منـك يدان لا ولا طاقة على السـلـوان
وإذا ما أردت كتمـان وجـدي نم دمعي وكان شاني شـانـي
حر قلبي من برد قلبك عنـي وسهادي من طرفك الوسنـان
وعذولي لما رأى منك إعـرا ضاً رثى لي وإن أطلت رثاني
وغرامي هو العذاب وما فـي ض دموعـي إلا حـمـيم آن
ودماء سقت سمـاء خـدودي فغدت وهي وردة كالـدهـان
فتكرم بعـطـفة والـتـفـات مثل باقي الغصون والغـزلان

وقال:

الزهر في الأكمام راح مقطباً والريح قد خطرت عليه بذيلها
وغدت تبشره بإقبال الحـيا حتى تبسم ضاحكاً من قولها

وقال:

إن أسرع العارض في وجنته فأسرعت تعيبـه الـلـوائم
فما نبـات خـده أول مـن قد دخل الجنة وهو ظـالـم

وقال:

هيهات ما أنا بالمفيق من الهوى ما دام يسكرني بحسـن فـائق
متناسب في حسنه متجـانـس برشيق قامته وطرف راشـق
سقياً لوادي النيربين فكم لـنـا من صابح فيه الغداة وغابـق
أيام لـيس لـنـا عـدو أزرق غير البنفسج والخزامى العابق
كلا ولا للغانـيات مـشـاقـق في حمرة الوجنات غير شقائق
والغصن يلحفنا بظل سـاكـن والنهر يلقانا بقلـب خـافـق

ابن سعيد المغربي

علي بن موسى بن سعيد المغربي الغماري الأديب نور الدين، ينتهي نسبه إلى عمار بن ياسر؛ ورد من الغرب وجال في الديار المصرية والعراق والشام، وجمع وصنف ونظم، وهو صاحب كتاب "المغرب في أخبار المغرب" و"المشرق في أخبار المشرق" و"المرقص والمطرب" و"ملوك الشعر"؛ توفي بدمشق في شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

حكي أنه كان يوماً في جماعة "من" شعراء عصره المصريين، وفيهم أبو الحسين الجزار، فمروا في طريقهم بمليح نائم تحت الشجرة، وقد هب الهوا فكشف ثيابه عنه فقالوا: قفوا بنا لينظم كل منا في هذا شيئاً، فابتدر الأديب نور الدين فقال:

الريح أقود ما يكـون لأنـهـا تبدي خفايا الردف والأعكـان
وتميل الأغصان عند هبوبهـا حتى تقبل أوجه الـغـدران
فلذلك العشاق يتـخـذونـهـا رسلاً، إلى الأحباب والأوطان

فقال أبو الحسين: ما بقي أحد منا يأتي بمثل هذا. وقال:

لله من أقطار جلـق روضة راقت لنا حيث السحاب يراق
وتلونت أزهارها فكـأنـمـا نزلت بها الأحباب والعشـاق

وقال:

أنا من علمت بشوقه ذكر الحمـى وتساق روحي والركاب تـسـاق
أخلصت في حبي وكم من عاشـق في ما ادعاه من الغرام نـفـاق
يدعو الحمام وترقص الأغصان من طرب بهم وتـصـفـق الأوراق
وحدي جمعت من الهوى مثل الذي جمعوا كذاك تـقـسـم الأرزاق

وقال أيضاً:

في جلق نزلوا حيث النعيم غـدا مطولاً وهو في الآفاق مختصر
فكل واد به مـوسـى يفـجـره وكل روض على حافاته الخضر

وقال:

يا غصن روض سقته أدمعي مطراً وليس لي منه لا ظل ولا ثـمـر
طال انتظاري لوعد لا وفـاء لـه وإن صبرت فقد لا يصبر العمـر

وقال في جزيرة مصر:

تأمل لحسن الصالحية إذ بـدت وأبراجها مثل النجـوم تـلالا
ووافى إليها النيل من بعد غاية كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق محبهـا فمد يميناً نحوهـا وشـمـالا

وقال:

إن للجبهة في قلبي هـوى لم يكن عندي للوجه الجميل
يرقص الماء بها من طرب ويميل الغصن للظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بهـا فلذا تصفر أوقات الأصيل

وقال:

إذا الغصون غدت خفاقة الـعـذب فاسجد هديت إلى الكاسات واقترب

وطارح الورق في أوراقها طرباً ... ومل إذا مالت الغصون من طرب
وانهض إلى أم أنس بنت دسكرة ... تجلى عليك بإكليل من الذهب
وانظر إلى زينة الدنيا وزخرفها ... في روضة رقمتها أنمل السحب
ولـلأزاهـر أحـداق مـحـدقة ... قد كحلتها يمين الشمس بالذهب

وقال أيضاً:

أسكان مصر جاور النيل أرضكم ... فأكسبكم تلك الحلاوة في الشعر
وكان بتلك الأرض سحر وما بقي ... سوى أثر يبدو على النظم والنثر

وقال:

يا واطئ النرجس ما تستحي ... أن تطأ الأعين بالأرجل
قابل جفوناً بجفون ولا ... تبتذل الأرفع بالأسفل

وقال:

انظر إلى الغيم كيف يبدو ... وقد أتى مسبل الإزار
والبرق في جانبيه يذكي ... أنفاسه وهو كالشرار
ما طاب هذا النسيم إلا ... والجو من عنبر ونار

وقال:

أتى عاطل الجيد يوم النوى ... وقد حان موعدنا للفراق
فقلدته بلآلي الدموع ... ووشحته بنطاق العناق

??

صاحب شذور الذهب

علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف، أبو الحسن الأنصاري الأندلسي الجياني نزيل فاس؛ ولي خطابة فاس، وهو صاحب كتاب "شذور الذهب في صناعة الكيمياء" توفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

لم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معاني وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب، حتى قبل فيه: إن لم يعلمك صنعة الذهب، علمك صنعة الأدب، وقيل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء، وقصيدته الطائية أبرزها في ثلاث مظاهر: مظهر غزل، ومظهر قصة موسى، والمظهر الذي هو الأصل في صناعة الكيمياء، وهذا دليل على القدرة والتمكن، وأولها:

بزيتونة الدهن المباركة الوسطى ... غنينا فلم نبدل بها الأثل والخمطا
صفونا فآنسنا من الطور نارها ... تشب لنا وهناً ونحن بذي الأرطى
فلما أتيناها وقرب صبرنا ... على السير من بعد المسافة ما اشتطا

نحاول منـهـا جـذوة مـا ينـالـهـا من الناس من لا يعرف القبض والبسطا
هبطنا من الوادي المـقـدس شـاطـئاً إلى الجانب الغربي نمتثل الـشـرطـا
وقد أرج الأرجاء مـنـهـا كـأنـهـا لطيب شذاها تحرق العود والقسـطـا
وقمنا فألقينا العصـا فـي طـلابـهـا إذا هي تسعى نحوهـا حـية رقـطـا
وثار لطيف النقع عنـد اهـتـزازهـا وأظلم من نور الظهيرة مـا غـطـى
ومد إلـيـهـا الـفـيـلـسـوف يمـيـنـه فجاذبها أخذاً وأوسعـهـا ضـغـطـا
فصارت عصاً في كـفـه وأحـبـهـا فأخرجها بيضاء تجلو الدجى كشـطـا
فلـم أر ثـعـبـانـاً أذل لـعـالــم سواها، ولا منها على جاهل أسـطـى
هي المركب الصعب المـرام وإنـهـا ذلول ولكن لا لكل من اسـتـمـطـى
فأعجب بـهـا مـن آية لـمـفـكـر يقصر عن إدراكها كل مـن أخـطـا
وتفجيرها من صخرة عـشـر أعـين وثنتين تسقس كـل واحـدة سـبـطـا
وتفليقها رهواً من البحـر فـاسـتـوى طريقاً فمن ناج ومن هالك غـمـطـا
فتلك عصـانـا لا عـصـا خـيزرانة على أنها في كف ممسكـهـا ألـطـا
وقد كان للـزيـتـون فـيـهـا قـسـاوة ولكن لين الدهن صـيرهـا نـقـطـا
تسيل بمـاء الـخـد أبـيض صـافـيـاً إذا ما شرطناها على ساقها شـرطـا
ومن قبل ما أغوى أبـانـا بـذوقـهـا جذاذاً فأخطا والقضاء فـمـا أخـطـا
قطفت جناها واعتصـرت مـيـاهـهـا فجمدت ما استعلى وذوبت ما انحـطـا
ولينة الأعطـاف قـاسـية الـحـشـا إذا نفثت في الصخر تصدعه هبـطـا
كأن عليها مـن زخـاريف جـلـدهـا رداء من الوشي المفوف أو مـرطـا
توصل إبليس بـهـا فـي هـبـوطـه إلى الأرض من عدن ففارقها سخطـا
أمت بـهـا حـيـاً وسـودت أبـيضـاً وأسرفت في قلع السواد فمـا

أبـطـا

وأحييت تلك الأرض من بعد مـوتـهـا بري وكانت تشتكي الجدب والقحـطـا

كأن العيون الثابتـات بـخـصـرهـا عقدن نطاقاً أو على جيدها سـمـطـا

كأن من البدر المـنـير مـشـابـهـاً ومن أنجم الجوزاء في أذنها قـرطـا

كأن من الصدغ الـذي فـوق خـدهـا على ورده نوناً ومن خالـه نـقـطـا

ظفرت بها بالنفس من جـسـم أمـهـا كما ظفرت بالقلب في صدره لقـطـا

وأرضعتها بالدر من ثـدي بـنـتـهـا فعاشت وكانت قبل ماتت به عـبـطـا

فحلت به روح الـحـياة كـأنـمـا مزجت لها في ذلك الدر إسفنـطـا

وصيرتها بنتاً وصـيرت بـنـتـهـا لها مرضعاً فاعجب لمرضعة شمطا

فحالت هناك الـبـيت والأم فـضة فتى لم يزاحمه العـذر ولا خـطـا

له منظر كالشمس يعطـي ضـياءه وليس كمثل البدر يأخذ ما أعـطـى

فهذا الذي أعيا الأنام فـأضـمـروا لمن وضع الأرماز في علمه سخطا

وهذا هو الكنز الذي وضـعـوا لـه برابي إخميم وخصوا بها قـفـطـا

وتخليصه سهـل بـغـير مـشـقة لمن عرف التطهير والعقد والخلطا

أبا جعـفـر خـذهـا إلـيك يتـيمة تورع لوقا أن يورثهـا قـسـطـا

ولكننـي لـمـا رأيتـك أهـلـهـا سمحت بها لفظا وأثبتـهـا خـطـا

ومن شعره أيضاً في الصناعة:

لقد قلبت عيناي عن عينـه بلينة الأعطاف قـاسـية الـقـلـب قـلـبـي

يهيم الفتى الشرقي منـهـا تشوق إلى شرق وترغب عن بـغـادة غرب

هي الشـمـس إلا أنـهـا هي البدر إلا أنه كامن قـمـرية الـشـهـب

إذا الفلك الناري أطلـع على الذروة العليا من الغصن شـهـبـهـا الرطب

تراءت عروساً برزة الوجه رفاقاً وكانت خلف ألف من

تبتـغـي الحجـب
فزوجها بـكـراً أخـاهـا لأمـهـا أبوها رجاء في المـودة والـقـرب
فعاد بهـا حـياً وكـان فـراقـهـا له سبباً إذ مات من شـقة الـحـب
فجن هوى لما استجنت بـنـفـسـه وطار فقالت بعد جهد له حـسـبـي
ولما ثنته عن طـبـيعـتـه الـتـي بدت عنه إلا أن تناهبهـا قـلـبـي
تعالى عن الأشباه لـونـاً وجـوهـراً وجل فلم ينسب إلى طـينة الـتـرب

ابن عصفور

علي بن مؤمن بن محمد بن علي، العلامة ابن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي حامل لواء العربية بالأندلس؛ أخذ عن الأستاذ أبي الحسن الدباج، ثم عن الأستاذ أبي علي الشلوبين، وتصدى للاشتغال مدة، ولازم الشلوبين عشر سنين إلى أن ختم عليه كتاب سيبويه، وكان أصبر الناس على المطالعة لا يمل ذلك، وأقرأ بإشبيلية وشريش ومالقة ولورقة ومرسية.

قال ابن الزبير: لم يكن عنده ما يؤخذ عنه سوى العربية ولا تأهل لغير ذلك، قال: وكان يخدم الأمير أبا عبد الله محمد بن أبي بكر الهنتاني.

ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وتوفي سنة تسع وستين وستمائة، بتونس؛ ولم يكن بذلك الورع، كان الشيخ تقي الدين ابن تيمية يدعي أنه لم يزل يرجم بالنارنج في مجلس الشراب إلى أن مات.

ومن تصانيفه كتاب "الممتع" وكتاب "المفتاح" وكتاب "الهلال" وكتاب "الأزهار" وكتاب "إنارة الدياجي" وكتاب "مختصر الغرة" وكتاب "مختصر المحتسب" وكتاب "السالف والعذار" وكتاب "شرح الجمل" وكتاب "المقرب" في النحو، يقال: إن حدوده كلها مأخوذة من الجزولية، وكتاب "البديع" شرح الجزولية و"شرح المتنبي" و"سرقات الشعراء" و"شرح الأشعار الستة" و"شرح المقرب" و"شرح الحماسة" وهذه الشروحات لم يكملها، وله غير ذلك.

ومن شعره:

لما تدنست بالتخـليط فـي كـبـري وصرت مغرى برشف الراح واللعس
رأيت أن خضاب الشيب أستـر لـي إن البياض قليل الحمـل لـلـدنـس

ابن ماكولا

علي بن هبة الله بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن القاسم بن عيسى، المعروف بابن ماكولا؛ كان أبوه وزير جلال الدولة بن بويه، وكان عمه أبو عبد الله الحسين بن جعفر قاضي القضاة ببغداد، وكان عالماً حافظاً متقناً، وكان يقال عنه: الخطيب الثاني.

قال ابن الجوزي: سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدح فيه ويقول: يحتاج إلى دين.

صنف كتاب "المختلف والمؤتلف" جمع فيه بين كتاب الدارقطني وعبد الغني والخطيب وزاد عليهم زيادات كثيرة، وله كتاب "الوزراء". وكان نحوياً مجوداً شاعراً صحيح النقل، ما كان في البغداديين في زمانه مثله؛ سمع أبا طالب ابن غيلان وأبا بكر بن بشران وأبا القاسم بن شاهين وأبا الطيب الطبري، وسافر إلى الشام والسواحل وديار مصر والجزيرة والثغور والجبال، ودخل بلاد خراسان وما وراء النهر، وجال في الآفاق.

ولد بعكبرا سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وتوفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة؛ قال الحميدي: خرج إلى خراسان ومعه غلمان له ترك، فقتلوه بجرجان وأخذوا ماله وهربوا، وطاح دمه هدراً.

ومن شعره:

ولما تفرقنا تباكت قلوبنا فممسك دمع عند ذاك كساكبه

فيا نفسي الحرى البسي ثوب حسرة فراق الذي تهوينه قد كساك به

وقال أيضاً:

فؤاد ما يفيق من التصابي أطاع غرامه وعصى النواهي

وقالوا لو تصبر كان يسلو وهل صبر يساعد والنوى هي

وقال أيضاً:

علمتني بهجرها الصبر عنها فهي مشكورة على التقبيح

وأرادت بذاك قبح صنيع فعلته فكان عين المليح

وقال أيضاً:

أقول لقلبي قد سلا كل واحد ونفض أثواب الهوى عن مناكبه

وحبك ما يزداد إلا تجلداً فيا ليت شعري ذا الهوى من مناك به

وقال أيضاً:

تجنبت أبواب الملوك لأنني علمت بما لم يعلم الثقلان

رأيت سهيلاً لم يحد عن طريقه من الشمس إلا من مقام هوان

نجم الدين الحلي

علي بن يحيى بن بطريق، بجم الدين أبو الحسن الحلي الكاتب؛ كتب بالديار المصرية أيام الدولة الكاملية، ثم اختلت حاله فعاد إلى العراق ومات ببغداد سنة اثنتين وأربعين وستمائة؛ وكان فاضلاً أصولياً.

قال القوصي: أنشدنا لنفسه بدمشق وكتب بها إلى ابن عنين، وكان به جرب انقطع بسببه في داره:

مولاي لا بت في همي وفي نصبي ولا لقيت الذي ألقى من الجرب

هذا زماني أبو جهل وذا أبو معيط وذا قلبي أبو لهب جربي

وأنشدني لنفسه وقد بلغه أن الملك الأشرف أعطى الحلي سيفاً محلى فتقلد به وتشبه بالحيص بيص:

تقلد راجح الحلـي سـيفـاً محلى واقتنى سمر الرماح
وقال الناس فيه فقلت كفوا فليس عليه في ذا من جناح
أيقدر أن يغير على القوافي وأموال الملوك بلا سـلاح

وقال أيضاً:

لي على الريق كل يوم ركوب في غبار أغص منه بريقـي
أقصد القلعة السحوق كأنـي حجر من حجارة المنجنـيق
فدوابي تحفى وجسمي يضني هذه قلعة على التحـقـيق

"ابن الذروي"

علي بن يحيى، القاضي الوجيه المعروف بابن الذروي؛ شاعر مجيد، وكانت وفاته بالديار المصرية سنة "..." ومن شعره:

جن بـه الـعـاذل لـمـا رآه وعاد يستعذر مـمـا جـنـاه
أتاه كي يهـدي إلـى سـلـوة عنه فضل العقل منـه وتـاه
وهل يطيع القـلـب تـقـييده وقد عصى لما نهتـه نـهـاه
الحب بالكتمـان عـقـل فـإن تجد به وشاه قـول الـوشـاه
وما على العاذل مـن مـغـرم شفاؤه ما ضمنتـه الـشـفـاه
هويته كالروض في حسـنـه إذا رضيت بالوصف مني حلاه
ينور وجهاً وابتسـامـاً، فـمـا نعرف منه الثغر لولا لـمـاه
إن لم يكن بدراً علـى بـانـه فإن بين المنظرين اشـتـبـاه
أنكر من قتـلـي ألـحـاظـه منه دماً تعرفـه وجـنـتـاه
وشفني سقمـاً فـمـا ضـره لو أبرأ السقم الذي قـد بـراه

وقال أيضاً:

ألم وطرف النجم قد كاد يغـمـض خيال إذا دب الكـرى يتـعـرض
سرى لي من أقصى الشآم وبينـنـا فياف على الساري تطول وتعرض
هدته من الأشواق نار دخـانـهـا هموم عليه صبغة الليل تنـفـض
وأداه للعشاق دمـع تـقـطـرت مرائرنا في مائه فهي عـرمـض
له الله من طيف متى ذقت هجـعة أتتني به خيل الأمانـي تـركـض
يواصلني عمن هو الدهر هاجـر ويقبل لي عمن هو الدهر معرض
وما شاقـنـي إلا تـألـق بـارق أرقت له والجو بالصبح يحـرض

وللغيم مسك في ذرانا مـطـبـق وللطل كافور لدينا مـرضـرض
وقد أشرب الصهباء من كف شادن حلاه على شرب المدام تحـرض
يروقك خد منه لـلـثـم أحـمـر ويصيبك ثغر منه للرشف أبـيض
فللحسن من هذا شقـيق مـذهـب وللطيب من ذا أقحوان مفضـض
وندمان صدق قد بلوت وكـلـهـم لودك يصفي أو لنصحك يمحـض

وقال أيضاً:

يا بان إن كان سكان الحمى بـانـوا ففيض شاني له في إثرهـم شـان
ويا حمائم إن سجـعـت مـسـعـدة فلي على دوحة الأشـواق ألـحـان
أبكي الأحبة أو أبكي مـنـازلـهـم فإن مضى ذكر نعمى قلت نعمـان
قد كان في تلك أوطار نعمت بـهـا ولت كما كان من هاتـيك أوطـان
من لي بأقمار أنس في دجى طـرر أفلاكها العيس والأبراج أظـعـان
تلك القدود مع الأرداف إن خطـرت ما القضب قضب ولا الكثبان كثبـان
سقوا من الحسن ماء واحـداً فـبـدا منهم لنا غير صنـوان وصـنـوان
يا يوم توديعهم مـاذا بـه ظـفـرت عيني من الحسن لو والاه إحـسـان
جئنا فولى بها الإعراض مـن حـذر فكيف لم تتلـفـت وهـي غـزلان
من كل قـانـية الـخـدين نـاهـدة لو كان للضم أو لـلـثـم إمـكـان
يدل على وجنتيها الجلـنـار أن الذي حاز منها الصـدر رمـان
كم طرت شوقاً إليها في الرياح صنى فظن بلقيس وافـاهـا سـلـيمـان

وقال أيضاً:

ما بين وجهك والهلال سوى أن الأهلة لا تمـيت هـوى
لله منظر من كلـفـت بـه ماذا من الحسن البديع حوى
والنجم منه إذا هـوى وروى ما ضل مثلي عاشق وغوى
ما الغصن هزته الجنوب إذا ما السكر هز قوامه ولـوى

لام العـذول وقـد رآه وكـم عاو على البدر المنير عوى
يا من غدا بنـواه يوعـدنـي ليكن عقابك لي بغير نـوى
انظر إلى جسمي يذوب ضنى وانظر تجد قلبي يفت جوى

وقال من أبيات:

أنت المنى والمنـايا لـلأنـام أردت آمن قلوب الناس أو أخـف
فـإن
قال العواذل كم تعنى بـه أسـفـاً فقلت: يا أسفي إن حلت عن أسف
يا من تعطفت الصدغان منه علـى ذلي وما قلبه القاسي بمنعـطـف
إن كان عندك عدوى كل ذي جنـف فإن كان عندي بلوى كل ذي دنـف
أقول والفجر قد لاحـت بـشـائره والجو قد كاد يكسى حلة السـدف
والليل خلف عصا الجوزاء من خور فذاك في عمره للشيب والخـرف
راهنت يا نجم جفني في السهاد وقد بدا بأجفانك التسهيد فـاعـتـرف

ودخل الوجيه ابن الذروي إلى الحمام ومعه ابن وزير الشاعر، فقال ابن وزير:

لله يومي بحمام نعـمـت بـهـا والماء ما بيننا من حوضها جاري
كأنه فوق شفاف الرخام ضحـى ماء يسيل على أثواب قـصـار

فقال ابن الذروي:

وشاعر أوقد الطبع الذكي له فكاد يحرقه من فرط إذكاء
أقام يعمل أياماً قـريحـتـه وشبه الماء بعد الجهد بالماء

ولابن الذروي في الحمام:

إن عيش الحمام أطيب عـيش غير أن المقام فـيه قـلـيل
فهي مثل المليك يصفي لك الو د ولكن وده مـسـتـحـيل
جنة تكـره الإقـامة فـيهـا وجحيم يطيب فيه الـدخـول
فكأن الغريق فـيهـا كـلـيم وكأن الحريق فيهـا خـلـيل

وفيه يقول ابن المنجم:

لا تحسبن الوجيه حين كسـا بردته للغلام من غلـطـه
والله ما لـفـه بـبـردتـه إلا لأخذ القضيب من وسطه

"ابن القفطي"

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى، وزير حلب، القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبو الحسن ابن القفطي، أحد الكتاب المشهورين، وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً؛ ولد بقفط من الصعيد الأعلى بالديار المصرية وأقام بحلب، وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل؛ ولد سنة ستين وخمسمائة وتوفي سنة ست وأربعين وستمائة.

وكان صدراً محتشماً كامل السؤدد، جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق، وكان لا يحب من الدنيا سواها، ولم يكن له دار ولا زوجة، وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين ألف دينار، وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب، وهو أخو المؤيد ابن القفطي.

ومن شعره:

ضدان عندي قصرا همـتـي وجه حـيي ولـسـان وقـاح

إن رمت أمراً خانني ذو الحـيا ومقول يطمعني في النجـاح

فأنثني في حيرة مـنـهـمـا لي مخلب ماض وما من جناح

شبه جبان فر مـن مـعـرك خوفاً وفي يمناه عضب الكفاح

وله من التصانيف كتاب "الضاد والظاء" وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى والخط. كتاب "الدر الثمين في أخبار المتيمين". كتاب "من ألوت الأيام عليه فرفعته ثم التوت عليه فوضعته". كتاب "أخبار المصنفين وما صنفوه". كتاب "أخبار النحويين" كبير. كتاب "أخبار مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين". ست مجلدات. كتاب "تاريخ المغرب". كتاب "تاريخ اليمن". كتاب "المحلى في استيعاب وجوه كلا". كتاب "إصلاح خلل صحاح الجوهري". كتاب "الكلام على الموطأ" لم يتم. كتاب "الكلام على صحيح البخاري" لم يتم. "تاريخ محمود بن سبكتكين وبيته". "كتاب تاريخ السلجوقية". كتاب "الإيناس في أخبار آل مرداس". كتاب "الرد على النصارى وذكر مجامعهم". كتاب "مشيخة تاج الدين الكندي". كتاب "نهزة الخاطر ونزهة الناظر، في أحاسن ما نقل من ظهور الكتب".

ابن الصفار المارديني

علي بن يوسف بن شيبان، جلال الدين المارديني المعروف بابن الصفار؛ مولده بماردين سنة خمس وسبعين وخمسمائة، ومات مقتولاً، قتلته التتار لما دخلوا ماردين سنة ثمان وخمسين وستمائة.

خدم بكتابة الإنشاء الملك المنصور ناصر الدين أرتق صاحب ماردين، وتولى كتابة أشراف دنيسر ثماني عشرة سنة؛ كان شاعراً مجيداً، وله فضل وأدب، وصنف كتاباً يحتوي على آداب كثيرة وسماه كتاب "أنس الملوك" وله شعر رائق منه من قصيدة:

أنا ما سلوت وبرق فيه خلـب أسلو وعارضه أمامي سائل?!

يسعى بإبريقين: ذا من ثغـره يحيي وذا من مقلتيه قـاتـل

فمتى تقوم قيامتي بوصالـه ويضم شملينا معاد شامـل?
وأكون من أهل الخطايا: خـده ناري وصدغاه علي سلاسـل

وقال أيضاً:

مشوق إذا ما ارتاح هيجـه الـحـب وصب لوبل الدمع في خـده صـب
إذا نفحته من صبا الشـوق نـفـحة صبا نحوها والمدنف الصب قد يصبو
بروحي ريم قد رمتنـي جـفـونـه بأسهم لحظ كان برجاسها الـقـلـب
نضا عضب جفنـيه عـلـي عـذاره فمن مهجتي جفن ومن لحظه عضب
يعذب قلبي ظالماً عـذب ظـلـمـه ولكن تعذيبي لـمـرشـفـه عـذب
نصبت لضيف الطيف منه حـبـائلاً من النوم لما عز في اليقظة القـرب
وما كنت أدري أنه رافض الـهـوى ينفره عن زورتي ذلك الـنـصـب
تجمعت الأضـداد فـيه ولـم يكـن ليجتمع الإيجاب في الشيء والسلـب
ففي خده نار وفي الـثـغـر جـنة وفي لفظه سلم وفي حلظـه حـرب
وفي قده لين وفي القـلـب قـسـوة وفي خصره جدب وفي ردفه خصب

وقال أيضاً:

إذا نظرت عيني وجوه حبائبـي فتلك صلاتي في ليالي الرغائب

منها:

تبدت لنا عند الصبـاح طـلـيعة من الترك مرد فوق جرد سلاهب
بأيديهم سمـر طـوال كـأنـمـا أسنتها تبغي التقاط الـكـواكـب
تثنوا غصوناً في السروج وأطـلـقـوا سهام لحاظ من قسـي الـحـواجـب
والقوا القنا المران عنـهـم وقـومـوا قدوداً أعدوهـا لـقـرع الـكـتـائب
ولو كشفوا بيض العوارض في الوغى لأغنتهم عن سل بيض الـقـواضـب
ترى كل عين منـهـم عـين فـتـنة تنادي أسود الحرب: هل من محارب?

فظلت موالينا أسارى محاسن من القوم صرعى لا أسارى المضارب
فما ملك إلا أسير لمالك ولا حاجب إلا أسير لحاجب

وقال أيضاً:

هل اختط فانآد غصناً وريقا غرير حكى الكأس ثغراً وريقا
أم الصدغ لما صفا خده تمثل فيه خيالاًدقيقا
رنا فرمى أسهماً وانثنى رشيقاً فراح كلانا رشيقا
وأبدع فيه فمالي أرى له الخال وهو فريد شقيقا
وما بال مبسمه ميسماً وما ملكته يمين رقيقا
وهبه ارتوى من نمير الصبا فكيف استحال بفيه رحيقا
فأجرى لنا من فم أولاً وثغر جديد كميتاً عتيقا
حججت إلى كعبة الحسن منه ووجهت وجهي إليها مشوقا
وقبلته فوردت العذيب وجزت الثنايا وجئت العقيقا

وقال:

برق بدا أم ثغرك المنعوت أم لؤلؤ قد ضمه ياقوت
وظبا سيوف جردت من لحظك ال فتاك أم هاروت أم ماروت
يا للنصارى برقعوا شماسكم قبل الضلال فإنه طاغوت
ما قام أقنوم الجمال بوجهه إلا وفي ناسوته لاهوت
أحسن فإن الحسن وصف زائل واصنع جميلاًفالجمال يفوت
واستبق أبناء الغرام فإنهم سيقلدوك دماهم ويموتوا

وقال:

مذ عقربت صدغاه واستجمع ال نمل على شهد اللمى الأشنب
تقدم الحاجب للعارض أن يكتب بالأدهم في الأشهب
وقام في جيش الهوى معلناً وصاح والعشاق في الموكب
يا أمراء الحسن لا تركبوا القمر الأرضي في العقرب

وقال في غلام مليح غرق في الماء:

يا أيها الرشأ المكحول ناظره إني أعيذك من نار بأحشائي
إن انغماسك في التيار حقق أن الشمس تغرب في عين من الماء

وقال أيضاً:

ويوم قر بـرد أنـفـاسـه يمزق الأوجه من قرصها
يوم تود الشمس من بـرده لو جرت النار إلى قرصها

أخذه من قول القاضي الفاضل: في ليلة جمد خمرها، وخمد جمرها، إلى يوم تود البصلة لو ارتدت إلى قمصها، والشمس لو جرت النار إلى قرصها.

وقال أيضاً:

ما برحت يوم وداعي لهـا تضمني ضمة مستـأنـس
حتى تثنى الغصن فوق النقا وانتشر الطل على النرجس

وقال أيضاً:

تعشقته أمي حسـن فـمـالـه أتى بكتاب ضمنه سورة النمل
ومالي أنا المجنون فيه وشعـره إذا مر بالكثبان خط على الرمل

وهو مثل لقول آخر:

وتركي نقي الخد ألـمـى بقد ماس كالغصن الرطيب
له شعر حكى مجنون ليلى يخط إذا مشى فوق الكثيب

وقال أيضاً:

إذا هب النسيم بطيب نشـر طربت وقلت إيه يا رسول
سوى أني أغـار لأن فـيه شذاك وأنه مثلي عـلـيل

وقال أيضاً:

وأعجب شيء أن ريقك ماؤه يولد دراً وهو عذب مـروق
وأنك صاح وهو فيك مسكـر وأنت جديد الحسن وهو معتق

وقال أيضاً "ذوبيت":

لا تعتقدوا شامته في الخـد قد زخرفها تعمداً بالقصـد
ذا خالقه لما بدا حاجـبـه نوناً جعل النقطة فوق الخد

علية بنت المهدي

علية بنت المهدي العباسية، أخت أمير المؤمنين هارون الرشيد؛ كانت من أحسن خلق الله وجهاً، وأظرف النساء وأعقلهن، ذات صيانة وأدب بارع، تزوجها موسى بن عيسى العباسي، وكان الرشيد يبالغ في إكرامها واحترامها، ولها ديوان شعر.

عاشت خمسين سنة، توفيت سنة عشر ومائتين، وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها إلى صدره، وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى، فشرقت من ذلك وحمت، وماتت لأيام يسيرة، وكانت تتغزل في خادمين: أحدهما طل والآخر رشأ. فمن قولها في طل وصحفت اسمه:

أيا سروة البستان طال تشـوقـي فهل لي إلى ظل لـديك سـبـيل
متى يلتقي من ليس يقضي خروجه وليس لمن يهوى إلـيه وصـول

وقالت فيه أيضاً:

سلم على ذاك الـغـزا ل الأغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقـلـه لـه: يا غل ألباب الـرجـال
خليت جسمي ضـاحـياً وسكنت في ظل الحجال
وبلغـت مـنـي غـاية لم أدر منها ما احتيالـي

فبلغ الرشيد ذلك فحلف أنها لا تذكره، ثم تسمع عليه يوماً فوجدها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى: فإن لم يصبها وابل فما نهى عنه أمير المؤمنين، فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها: قد وهبت لك طلاًلا منعتك بعد هذا عما تريدين.

وكانت من أعف الناس: كانت إذا طهرت لازمت المحراب، وإذا لم تكن طاهرة غنت.

ولما خرج الرشيد إلى الري أخذها معه، فلما وصلت إلى المرج نظمت قولها:

ومغترب بالمرج يبكي لـشـجـوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب
إذا ما أتاه الركب من نحـو أرضـه تنشق يستشفي بـرائحة الـكـرب

وغنت بهما، فلما بلغ الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها، فأمر بردها.

ومن شعرها:

إني كثرت عليه فـي زيارتـه فمل والشيء مملول إذا كثـرا
ورابني منه أنـي لا أزال أرى في طرفه قصراً عني إذا نظرا

وقالت:

كتمت اسم الحبيب عن العباد ورددت الصبابة في فؤادي
فواشوقي إلى نـاد خـلـي لعلي باسم من أهوى أنادي

وقالت:

خلوت بالراح أناجـيهـا آخذ منها وأعاطـيهـا
نادمتها إذ لم أجد صاحباً أرضاه أن يشركني فيها

وهذا يشبه قول أبي النواس:

على مثلها مثلي يكون منـادمـي وإن لم يكن مثلي خلوت بها وحدي

وقالت:

بني الحب على الجور فلـو أنصف المعشوق فيه لسمج
ليس يستحسن في حكم الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج
وقليل الحب صرفاً خالصـاً هو خير من كثير قد مزج

وقالت عريب المغنية: أحسن يوم مر بي في الدنيا وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي وأخته علية، وعندهم أخوهم يعقوب، وكان من أحذق

الناس بالزمر، فبدأت علية فغنتهم من صنعتها في شعرها، وأخوها يعقوب يزمر عليها:

تحبب فإن الحـب داعـية الـحـب وكم من بعد الديار متوجب القـرب
تبصر فإن حدثـت أنـا أخـا هـوى نجا سالماً فارج النجاة من الـحـب
وأطيب أيام الفـتـى يومـه الـذي يروع بالهجران فيه وبـالـعـتـب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والـكـتـب

وغنى إبراهيم وزمر عليه يعقوب:

لم ينسنـيك سـرور لا ولا حـزن وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسن
ولا خلا منك قلبـي ولا جـسـدي كلي بكلك مشغـول ومـرتـهـن
وحيدة الحسن مالي منك مذ كلفـت نفسي بحبك إلا الهـم والـحـزن
نور تولد من شمس ومـن قـمـر حتى تكامل فيه الروح والـبـدن

فما سمعت مثل ما سمعت منهما قط، وأعلم أني لا أسمع مثله أبداً.

ولدت سنة ستين ومائة وتوفيت سنة عشر ومائتين، رحمها الله تعالى.

## كمال الدين ابن العديم

عمر بن أحمد بن هبة الله ابن أبي جرادة، الصاحب العلامة رئيس الشام، كمال الدين العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم؛ ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة وتوفي سنة ست وستين وستمائة، وسمع من أبيه ومن عمه أبي غانم محمد وابن طبرزد والافتخار والكندي والحرستاني، وسمع جماعة كثيرة بدمشق وحلب والقدس والحجاز والعراق، وكان محدثاً حافظاً مؤرخاً صادقاً فقيهاً مفتياً منشئاً بليغاً كاتباً مجوداً، درس وأفتى وصنف، وترسل عن الملوك، وكان رأساً في الخط المنسوب لا سيما النسخ الحواشي.

أطنب الحافظ شرف الدين الدمياطي في وصفه وقال: ولي قضاء حلب خمسة من آبائه متتالية، وله الخط البديع والحظ الرفيع، والتصانيف الرائقة منها "تاريخ حلب" أدركته المنية قبل إكمال تبييضه، روى عنه الدواداري وغيره ودفن بسفح المقطم بالقاهرة؛ انتهى.

قال ياقوت: سألته لم سميتم ببني العديم؟ فقال: سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه، وقال: هو اسم محدث، ولم يكن في آبائي القدماء من يعرف به، ولا أحسب إلا أن جدي القاضي أبا الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى ابن زهير بن "أبي" جرادة -مع ثروة واسعة ونعمة شاملة- كان يكثر في شعره من ذكر العدم وشكوى الزمان، فسمي بذلك، فإن لم يكن هذا سببه فما أدري ما سببه.

ولكمال الدين من المصنفات كتاب "الدراري في ذكر الذراري" صنفه للملك الظاهر غازي وقدمه له يوم ولده الملك العزيز، وكتاب "ضوء الصباح في

الحث على السماح" صنفه للملك الأشرف، وكتاب "الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة". كتاب في الخط وعلومه وآدابه ووصف طروسه وأقلامه، وكتاب "دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري" وكتاب "تبريد حرارة الأكباد في محفة تشد له بين بغلين ويجلس فيها ويكتب، وقدم إلى مصر رسولاً وإلى بغداد، وكان إذا قدم إلى مصر يلازمه أبو الحسين الجزار، فقال فيه بعض أهل العصر:

يا ابن العديم عدمت كل فضيلة ... وغدوت تحمل راية الإدبـار

ما إن رأيت ولا سمعت بمثلها ... تيس يلوذ بصحبة الـجـزار

ومن شعر الصاحب كمال الدين:

وأهيف معسول المراشف خلتـه ... وفي وجنتيه للمـدامة عـاصـر

يسيل إلى فـيه الـلـذيذ مـدامة ... رحيقاً وقد مرت عليه الأعاصـر

فيسكر منه عـنـد ذاك قـوامـه ... فيهتز تيهاً والـعـيون فـواتـر

كأن أمير النوم يهوى جـفـونـه ... إذا هم رفعاً خالفته المحـاجـر

خلوت به من بعد ما نـام أهـلـه ... وقد غارت الجوزاء والليل ساتر

فوسدته كفي وبات مـعـانـقـي ... إلى أن بدا ضوء من الصبح سافر

فقام يجر البرد منه علـى تـقـى ... وقمت ولم تحلـل لإثـم مـآزر

كذلك أحلى الحب ما كان فرجـه ... عفيفاً ووصلاً لم تشبه الجـرائر

وقال:

فواعجباً من ريقه وهو طاهـر ... حلال وقد أضحى علي محرما

هو الخمر لكن أين للخمر طعمه ... ولذته مع أننـي لـم أذقـهـا

وقال:

بدا يسحر الألباب بالحسن والحسنى ... هلم إليه إنه المقصـد الأسـنـى

وزر بين أزرار القميص ترائبـاً ... وضم إليك الدعص والغصن اللدنا

وقال، وكتب بها إلى نور الدين ابن سعيد:

يا أحسن الناس نظماً غير مفتقر ... إلى شهادة مثلي مع تـوحـده

إن كان خطي كسا خطاً كتبت له | إلي حسناً بدا في لـون أسـوده
فقد أتت منك أبيات تعلـمـنـي | نظم القريض الذي يحلو لمنشده
أرسلتها تقتضيني ما وعدت بـه | والحر حاشاه من إخلاف موعده
وما نسيت ولكن عاقـنـي ورق | يجيد خطي فـآتـيه بـأجـوده
وسوف أسرع فيه الآن مجتهـداً | حتى يوافيك بدراً في مجـلـده
بأحرف حسنت كالوجه دار بـه | مثل الحواشي عذار في مورده

وكتب إلى ولده قاضي القضاة مجد الدين:

هذا كتابي إلى من غاب عن نظري | وشخصه في سواد القلب والبصر
ولا يمن بطيف منه يطـرقـنـي | عند المنام ويأتيني عـلـى قـدر
ولا كتاب له يأتي فأسـمـع مـن | أنبائه عنه فيه أطـيب الـخـبـر
حتى الشمال التي تسري على حلب | ضنت علي فلم تخطر ولم تسـر
أخصه بـتـحـياتـي وأخـبـره | أني سئمت من الترحال والسفـر
أبيت أرعى نجوم الليل مكـتـئبـاً | مفكراً في الذي ألقى إلى السحـر
وليس لي أرب في غـير رؤيتـه | وذاك عندي أقصى السول والوطر

?

## رشيد الدين الفارقي

عمر بن إسماعيل بن مسعود بن سعد بن سعيد بن أبي الكاتب، الأديب العلامة رشيد الدين أبو حفص الربعي الفارقي الشافعي، ولد سنة ثمان وتسعين "وخمسمائة" وتوفي سنة تسع وثمانين وستمائة.

سمع من الزبيدي وابن باقا وغيرهما، وبرع في النظم، وكتب في ديوان الإنشاء، وله يد طولى في التفسير والبديع واللغة، وانتهت إليه رياسة الأدب، وأفتى وناظر، ودرس بالظاهرية وانقطع بها، وله في النحو مقدمتان كبرى وصغرى، وكان حلو المناظرة مليح النادرة يشارك في الأصول والطب وغير ذلك، ودرس بالناصرية مدة قبل الظاهرية. روى عن الدمياطي وابن دبوقا والمزي والبرزالي وآخرون، وكتب المنسوب، وانتفع به جماعة، وخنق في بيته بالظاهرية وأخذ ذهبه، وشنق الذي خنقه على باب الظاهرية، ودرس بالظاهرية بعده علاء الدين ابن بنت الأعز.

من شعره ما كتبه إلى جمال الدين علي بن جرير إلى قرية القاسمية على يد راجل اسمه علي أيضاً:

حسدت علياً على كونـه توجه دوني إلى القاسميه
وما بي شوق إلى قـرية ولكن مرادي ألقى سميه

وكتب إلى شيخ الشيوخ عماد الدين ابن حمويه:

من غرس نعمته وناظم مدحه بين الورى وسمـيه وولـيه
يشكو ظماه إلى السحاب لعله يرويه من وسمـيه وولـيه

وقال:

خوذ تجمع فيهـا كـل مـفـتـرق من المعاني التي تستغرق الكلـمـا
عطت غزالاً سطت ليثاً خطت غصناً فاحت عبيراً رنت نبلاً بدت صنمـا

وقال وكتب بها إلى الوزير ابن جرير وقد سوغه سكنى المنيبع بدمشق:

فديت بناناً أراني الـنـدى عياناً وكان الندى يسـمـع
وكفاً حكى البحر جوداً ومن أناملـه صح لي المنـبـع

وقال ملغزاً في خيمة:

ما اسم إذا نصبـتـه رفعت ما ينصب به
ولا يتـم نـصـبـه إلا بجر سـبـبـه

وقال ملغزاً في سبسب:

ما اسم إذا عكسته فلذلك اسم للفـلا
وإن تركت عكسه فهو المسمى أولا

وقال، وكتب بها إلى المكرم محمد بن بصاقة:

يا جواداً جـود راحـتـه أغنت الدنـيا عـن الـديم
ووفـياً مـن سـجـيتـه رعي أهل الود والـذمـم
إني أصـبـحـت ذا ثـقة بكـريم غـير مـتـهـم
خص بالحمد اسمه وغدا ال نعت مشتقاً من الـكـرم

وقال بيتين ولا يؤتى لهما بثالث:

ومخطفة تسبي القلوب عقول كأن السحر من جفنها
وتخطف ال يوحى
رنت وسطت ظبياً وليثاً صباحاً وفاحت عنبراً وبدت
وأسفـرت يوحـا

ابن الحسام الذهبي

عمر بن الحسام أقوش؛ هو الشاعر زين الدين أبو حفص الشبلي الدمشقي الذهبي الشافعي الافتخاري، سألته عن مولده فقال: سنة أربع وثمانين "وستمائة" وكانت وفاته في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة.
اجتمعت به غير مرة، وأنشدني كثيراً من شعره، وفيه تودد كثير وحسن صحبة وطهارة لسان، أنشدني من لفظه لنفسه:

قد أثقلتني الخـطـايا فكيف أخلص منهـا

يا رب فاغفر ذنوبي واصفح بفضلك عنها

وقال أيضاً:

يا من عليه اتكالي ومن إليه مآبـي
جد لي بعفوك عني إذا أخذت كتابـي

وقال:

يا سائلي كيف حالي في مراقبتـي وما العقيدة في سري وإعلانـي
أخاف ذنبي وأرجو العفو عن زللي فانظر فبين الرجا والخوف تلقاني

وقال:

ولما اعتنقنا لـلـوداع عـشـية وفي القلب نيران لفرط غليلـه
بكيت وهل يعني البكا عند هـائم وقد غاب عن عينيه وجه خليله?

وقال أيضاً:

يا سيد الـوزراء دعـوة قـائل من بعد إفـلاس وبـيع أثـاث
أبطت حوالتكم علي كـأنـهـا تأتي إذا ما صرت في الأجداث
فإذا أتت من بعد موتي فاحسنوا بوصولها للأهل في ميراثـي

وقال، وكتب بها إلى الصاحب شرف الدين يعقوب ناظر طرابلس يشكو من أيوب:

بليت بالضر من أيوب حين غـدا ينكد العيش في أكل ومشـروب
وزاد يعقوب في حزني لغيبـتـه فضر أيوب لي مع حزن يعقوب

وقال:

إذا ما جئتم لغنـاء فـقـري تقول ابشر إذا قدم الأمـير
وقد طال المطال وخفت يأتي أميركم وقد مات الفـقـير

## أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أمير المؤمنين أبو حفص الأموي رضي الله عنه، ولد بالمدينة سنة ستين للهجرة عام توفي معاوية، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، روى عن أنس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويوسف بن عبد الله بن سلام وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والربيع ابن سبرة وطائفة.

وكان أبيض رقيق الوجع جميلاً، نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين، بجبهته أثر حافر دابة، ولذلك سمي "أشج بني أمية"، وخطه الشيب؛ قيل إن أباه لما ضربه الفرس وأدماه جعل يسمح الدم ويقول: إن كنت أشج بني مروان إنك لسعيد.

بعثه أبوه من مصر إلى المدينة ليتأدب بها، فكان يختلف إلى عبد الله بن عبيد الله يسمع منه، ولما مات أبوه عبد العزيز طلبه عمه عبد الملك إلى دمشق وزوجه بابنته فاطمة، وكان قبل الإمرة يبالغ في التنعم، ويفرط في الاختيال في المشية.

قال أنس رضي الله عنه: ما صليت خلف إمام أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى، عمر بن عبد العزيز. وقال زيد بن أسلم: كان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود. سئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر، فقال: هو نجيب بني أمية، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده. وقال عمر بن ميمون بن مهران عن أبيه: كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة. وقال نافع: بلغنا عن عمر أنه قال: إن من ولدي رجلاً بوجهه شين يملأ الدنيا عدلاً، فلا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز.

ولما طلب للخلافة كان في المسجد، فسلموا عليه بالخلافة، فعقر به فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعيه، فأصعدوه المنبر فجلس طويلاً لا يتكلم، فلما رآهم جالسين قال: ألا تقوموا فتبايعوا أمير المؤمنين، فنهضوا إليه فبايعوه رجلاً رجلاً

وروى حماد بن زيد عن أبي هاشم أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال: لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله، فإذا رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس، فقال لك: يا عمر إذا عملت فاعمل بعمل هذين، لأبي بكر وعمر؛ وقيل إن عمر هو الذي رأى هذا المنام.

وقد عمل له ابن الجوزي سيرة، مجلد كبير.

وكانت وفاته بدير سمعان لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة، سقاه بنو أمية السم لما شدد عليهم وانتزع كثيراً مما في أيديهم، وصلى عليه يزيد بن عبد الملك، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة شعر يوماً، ونقش خاتمه "عمر يؤمن بالله" وهو الذي بنى الجحفة، واشترى ملطية من الروم بمائة ألف أسير وبناها، وروى له الجماعة.

وفي عمر بن عبد العزيز يقول الشريف الرضي:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك

غير أني أقول إنك قد طبت وإن لم يطب ولم يزك بيتك

أنت نزهتنا عن السب والقذف فلو أمكن الجزاء جزيتك

ولو أني رأيت قبرك لاستحييت من أن أرى وما حييتك

دير سمعان فيك مأوى أبي حفص فودي لو أنني آويتك

أنت بالذكر بين عيني وقلبي إن تدانيت منك أو إن نأيتك

وعجيب أني قليت بني مر وان طراً وأنني ما قليتك

قرب العدل منك لما نأى الجو ر بهم فاجتويتهم واجتبيتك
فلو أني ملكت دفعاً لما نا بك من طارق الردى لافتديتك

أبو حفص الشطرنجي

عمر بن عبد العزيز، أبو حفص الشطرنجي، مولى بني العباس؛ كان أبوه أعجمياً من موالي المنصور، ونشأ عمر في دار المهدي ومع أولاد مواليه فكان كأحدهم، وتأدب، وكان مشغوفاً بالشطرنج ولعبه، ولما مات المهدي انقطع إلى علية وخرج معها لما تزوجت، وعاد معها لما عادت إلى القصر، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء فتنتحل بعض ذلك وتترك بعضه.

وقال محمد بن الجهم البرمكي: رأيت أبا حفص الشطرنجي فرأيت إنساناً يلهيك حضوره عن كل غائب، وتسليك مجالسته عن كل الهموم والمصائب، قربه عرس، وحديثه أنس، وجده لعب، ولعبه جد، دين ماجن، إن لبسته على ظاهره لبست موموقاً لا تمله، وإن تتبعه لتنظر خبرته وقفت على مروءة لا تطور الفواحش بجنباتها، وكان من علمته أقل ما فيه الشعر، وهو القائل:

تحبب فإن الحب داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والكتب
ففكر فإن حدثت أن أخا الهوى نجا سالماً فراج النجاة من الحب
وأطيب أيام الهوى يومك الذي تروع بالهجران فيه وبالعتب

ومن شعره:

وقد حسدوني قرب داري منكم وكم من قريب الدار وهو بعيد
دخولك من باب الهوى إن أردته يسير ولكن الخروج شديد

وقال له الرشيد: يا حبيبي، لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتهما، فقال: ما هما يا سيدي؟ فمن شرفهما استحسانك، فقال: قولك:

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه إلا حسبتك ذلك المحبوبا
حذراً عليك وإنني بك واثق أن لا ينال سواي منك نصيبا

فقال: يا أمير المؤمنين ليسا لي، هما للعباس بن الأحنف، فقال: صدقك والله أعجب لي، ولك والله أحسن منهما حيث تقول:

إذا سرها أمر وفيه مساءتي قضيت لها فيما تريد على نفسي
وما مر يوم أرتجي فيه راحة فأذكره إلا بكيت على أمسي

قيل غضب الرشيد على علية بنت المهدي، فأمرت أبا حفص الشطرنجي شاعرها بأن يقول شعراً يعتذر فيه عنها، ويسأله الرضى عنها، فقال:

لو كان يمنع حسن الفعل صاحبه ... من أن يكون له ذنب إلى أحد
كانت علية أبرا الناس كلهم ... من أن تكافا بسوء آخر الأبد
ما لي إذا غبت لم أذكر بواحدة ... وإن سقمت فطال السقم لم أعد
ما أعجب الشيء ترجوه فتحرمه ... قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي

فغنت عليه لحناً وألقته على جماعة من جواري الرشيد، فغنينه إياه في أول مجلس جلس فيه، فطرب طرباً شديداً وسأل عن القصة فأخبرته بذلك، فأحضر علية وقبلت رأسه واعتذرت إليه، وسألها إعادة الصوت فغنته فبكى وقال لا غضبت عليك ما عشت أبدا.

وكانت وفاة أبي حفص في خلافة المعتصم.

قطب الدين الشارعي

عمر بن عوض بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الشارعي، يعرف بابن قليلة ويدعى قطب الدين؛ كانت وفاته بعد السبعمائة.

من شعره، وقيل هي لابن خلكان:

ألا يا سائراً في قفر عمر ... يقاسي في السرى حزناً وسهلا
بلغت نقا المشيب وجزت عنه ... وما بعد النقا إلا المصلى

وله:

عزمت على تزويج بكر مدامة ... بماء قراح والليالي تساعد
فأمهرتها در الحباب وإنه ... إذا جليت ليلاً عليها قلائد
وجاءت رياحين البساتين عرفت ... فطابت بذاك النفس واللوز عاقد
وكان حضور النبق فألاً مهنئاً ... لنا بالبقا في العقد والورد شاهد

مجير الدين ابن اللمطي

عمر بن عيسى بن نصر بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن حسن بن حسين التيمي، مجير الدين ابن اللمطي؛ قال العلامة أثير الدين أبو حيان: رأيته بقوص وكتبت عنه شيئاً من شعره، قدم علينا "مصر" وسكنها أيام القاضي تقي الدين ابن دقيق العيد، واشتغل عنده أوقات، وكان قد نظر في العربية، وأنشدني لنفسه بمدرسة الأفرم سنة ثمانين وستمائة:

أبى الدمع إلا أن يفيض وأن يجري ... على ما مضى من مدة النأي
وما لي إن كفكفت ماء محاجري ... وقد بعدت دار الأحبة من عذر

أما إنه لولا اشتياقـي لـذكـراهـم ولا شوق إلا ما يهيج بـالـذكـر
لما شاقني نظم القريض ولا صبـا فؤادي على البلوى إلى عمل الشعر
وكان لمثلي عن أفانين منـطـقـي هنالك ما يلهي عن النظم والنـثـر

وأنشدني أيضاً:

جفن قريح بالـبـكـاء مـوكـل فعلت به العبرات ما لا يفـعـل
وجوانح مني على شحط الـنـوى أضحت تمزق في الهوى وتوصل
عجباً لحكم الحب في، فـلـيتـه يوماً يجـور بـه ويومـاً يعـدل
إني وإن أمسى يحملني الـهـوى من ثقله في الحب ما لا يحمـل
فلقد حلت منه مرارات الـجـوى عندي وخف لدي ما يستـثـقـل
لا يطمع اللوام في ترك الـهـوى إن كثروا من لومهم أو قلـلـوا
لهفي على زمني بمنعرج اللـوى والشمل مجتمع وجدي مـقـبـل
ما كان أهنا العيش فيه فـلـيتـه لو دام منـه ريثـمـا أتـأمـل

وقال:

وزهدني في الخـل أن وداده لرهبة جاه أو لرغبة مـال
فأصبحت لا أرتاح منه لرؤية ولا أرتجي نفعاً لديه بحـال

ولما توفي قاضي القضاة ابن دقيق العيد ترك ما ولاه من نظر رباع الأيتام وتوجه إلى قوص، وأقام بها إلى أن توفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وله من العمر ثلاث وثمانون سنة.

وله شعر جيد، وكان صحيح الود حافظ العهد حسن الصحبة، رحمه الله.

السراج الوراق

عمر بن محمد بن حسن، سراج الدين الوراق الشاعر المشهور والأديب المذكور؛ ملكت ديوان شعره، وهو في سبعة أجزاء كبار ضخمة بخطه إلى الغاية، هذا الذي اختاره لنفسه وأثبته، فلعل الأصل كان من حساب خمسة عشر مجلداً، وكل مجلد يكون مجلدين، فهذا الرجل أقل ما يكون ديوانه لو ترك جيده ورديه في ثلاثين مجلداً، وخطه في غاية الحسن والقوة والأصالة.

وكان حسن التخيل جيد المقاصد صحيح المعاني عذب التركيب، قاعد التورية والاستخدام، عارف بالبديع وأنواعه، وكان أشقر أزرق العين، وفي ذلك يقول:

ومن رآني والحمار مركـبـي وزرقتي للروم عرق قد

قال وقد أبصر وجهي مقبلاً ضرب لا فارس الخيل ولا وجه العرب

وكان يكتب الدرج للأمير سيف الدين أبي بكر ابن أسباسلار والي مصر، وتوفي في جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وستمائة، رحمه الله تعالى، وقد قارب التسعين أو جاوزها بقليل، وأكثر شعره في اسمه، فمن ذلك:

وكنت حبيباً إلى الغانيات فألبسني الشيب بغض الرقيب
وكنت سراجاً بليل الشباب فأطفأ نوري نهار المشيب

وقال:

بني اقتدى بالكتاب العزيز وراح لبري سعياً وراجا
فما قال لي أف مذ كان لي لكوني أباً ولكوني سراجا

وقال:

وقالت يا سراج علاك شيب فدع لجديده خلع الغذار
فقلت لها نهار بعد ليل فما يدعوك أنت إلى النفار
فقالت قد صدقت، وما علمنا بأضيع من سراج في نهار

وقال:

إلهي قد جاوزت تسعين حجة فشكراً لنعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الإسلام فازددت بهجة ونوراً، كذا يبدو السراج المعمر
وعمم نور الشيب رأسي فسرني وما ساءني أن السراج منور

وقال:

طوت الزيارة إذ رأت عصر المشيب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنت بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهي تس أل جارة من بعد جاره
وتقول: يا ستي استرح نا لا سراج ولا مناره

وقال:

كم قطع الجود من لسان قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج فاقطع لساني أزدك نورا

وقال أيضاً:

أثنى علي الأنام أني لم أهج خلقاً ولو هجاني
فقلت لا خير في سراج إن لم يكن دافئ اللسان

وقال:

رب سامح أبا الحسين ني فشأني وشأنه في وسامح الإسلام
فذنوب الوراق كل جريح وذنوب الجزار كل عظام

"وقال:

واخجلتي وصحائفي قد وصحائف الأبرار في إشراق

سودت

وفضيحتي لمعنف لي قـائل: أكذا تكون صحائف الوراق"

وقال:

وباخل يشنأ الأضـياف حـل بـه ضيف من الصفع نزال على القمم

سألته ما الذي يشكو فأنـشـدنـي "ضيف ألم برأسي غير محتشـم"

وقال:

وضاع خصر لها ما زلت أنشده أو رق لي ورثى للسقم من بدني

وقال لي بلسان من مناطـقـه: "لولا مخاطبتي إياك لم ترنـي"

وقال أيضاً:

رأت حالي وقد حالت وقد غال الصبا فوت

فقالت إذ تشاجـرنـا ولم يخفض لنا صوت

فلا خـير ولا مـير ولا أير فـذا مـوت

وقال:

أصبحت أعجن إذ أقوم وشر ما وقعت عليه العين شيخ عاجن

وإذا أردت أدق شيئاً لـم أجـد عندي يداً والبيت فيه الهـاون

وقال:

قام فلمـا دنـوت مـنـهـا نام، وما مثل تلك خجـلـه

وكل كفي لفـرط جـذبـي له وما للجبـان حـمـلـه

فزرجنت وانثنت وقـالـت: قوموا انظروا عاشقاً بوصله

فقلت هذا لـفـرط حـبـي قالت دع الترهات بـالـلـه

قلت أقيم الـدلـيل قـالـت لو قام ما احتجت لـلأدلـه

وقال في أقرع:

أبدا لنا لما بـدا قـرعة يحار في تشبيهها القلب

قالوا فهل تشبه يقطـينة فقلت لو كان لها لـب

وقال:

ما كنت أعرف في فلان حالة تدعـو لحب الأسود الغربيب

حتى رأيت محل سعد عنده فرأيت كل غريبة وغريب

ورأيته فرحاً به في غاية ومقطباً لي غاية التقطيب

فسألت بعض الحاضرين فقال لي حاشاك يغرب عنك فهم أديب

أوليس سعد أسـوداً غض الصبا أوست أبيض في خليع مشيب

فأجبته حتى كلامي عنده يلغى وسعد لم يكن بأديب

وكلامه المسموع قال أطلت ما المسموع عند الشيخ إلا النوبي

وقال:

دع الهوينا وانتصب للتقـى واكدح فنفس المرء كداحه

وكن عن الراحة في معزل فالصفع موجود مع الراحة

وقال:

وقائل قال لي لما رأى قلقـي لطول وعد وآمال تعـنينـا

عواقب الصبر فيما قال أكثرهم محمودة قلت أخشى أن تخرينا

وقال:

هززته بالمدح جهدي فما اه تز ونادى إلياس كم تتعـب

فقلت أرجو زبدة قال لـي فاتك: أين اللبن الـطـيب

وقال:

لي حرمدان كاتب قد تـهـرا وتخلى عني ومنـي تـبـرا

أبكي وتبكي وما لنا سـبـب يدخل في كسها ولا كيسـي

وقـــــــــال:

سألتهم وقد حثوا المطايا قفوا نفساً فساورا حيث شاءوا

وما عطفوا علي وهم غصون وما التفتوا إلي وهم ظـبـاء

وقال:

ما حل عزمي مثل عقد قـبـائه بدراً يعد البـدر مـن رقـبـائه

مرح المعاطف تائه بجـمـالـه واه لـصـب تـائه فـي تـائه

يحلو مقبـلـه وبـرد رضـابـه "كالأقحوان غداة غب سـمـائه"

في شعره وجبينه لي موقـف ال حيران بين ظـلامـه وضـيائه

يتشبه الغصن النـضـير بـقـده يا غصن حسبك لست من نظرائه

وقال:

شمت برقاً من ثغرها الوضاح والدجى نسره مهيض الجناح

فتمارى شـكي به ويقـيني هل تجلى الصباح قبل الصباح

فأجابت متى تبسم صبح عن حباب أو لؤلؤ أو أقاح

ومتى كان للصباح لمى كالمسك أو نكهة كصرف الراح

سل بثغري المسواك تسأل خبيراً باغتباق من خمره واصطباح
قلت ما لي وللسكارى فقالت أنـت أيضاً من الهوى غير صاح

حجة من مليحة قـطعتـني هكذا كل حجة للملاح
لا ولحظ كفترة النرجس الغض وخد كحمرة التفاح
ما تيقنت بل ظننت وما في ال ظن يا هذه كبير جناح
وكثيراً شبهت بالبدر والشم س وسامحت فارجعي للـسماح
واجعلي ذا من ذاك واطـرحي القو ل اطرحي عليك قـول اللاحي

وقال:

أحسن ما سطر في صفحة عذار من أهوى على خده
يا قلم الريحان سبحان من خطك بالآس علـى ورده

وقال:

جاء عذار الذي أهيم بـه فجرد الوجد أي تجـريد
وظنه آخر الغـرام بـه مفند جاهل بمقصـودي
وما درى أن لام عارضه لام ابتداء أو لام توكـيد

وقال:

يا نازح الطيف مر نومي يعاودني لقد بكيت لفقد النـازحـين دمـا
أوجبت غسلاً على عيني بأدمعها فكيف وهي التي لم تبلغ الحلمـا

وقال:

ومهفهف عني يمـيل ولـم يمـل يوماً إلي فقلت من ألم الـجـوى
لم لا تميل إلي يا غصن الـنـقـا فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

وقال:

أقول وكفي في خـصـرهـا يدور وقد كاد يخفـى عـلـي
أخذت عليك عهـود الـهـوى وما في يدي منك يا خصر شي

السراج المحار

عمر بن مسعود الأديب، سراج الدين المحار، الحلبي الكناني صاحب الموشحات، والأزجال الرائقة؛ توفي بدمشق في سنة "إحدى عشرة و" سبعمائة؛ فمن شعره:

رأيته في المنام معتنـقـي يا ليت ما في المنام لو كانا
ثم انثنى معرضاً فواعجبي يهجوني نائماً ويقظـانـا

وقال في مليح نجار بالمعرة:

قالوا المعرة قد غدت من فضلها يسعى إلى أبوابـها وتـزار

وجبت زيارتها علينا عـنـدمـا شغف القلوب حبيبها النـجـار

وقال في أحدب:

وأحدب أنكروا عليه وقـد سمي حساماً وغير منكور

ما لقبوه الحسام عن سفـه لو لم يروا قده القلاجوري

وقال:

بعثت نحوي المشط يا مالكي فكدت أن تسلبني روحـي

وكيف لا تسلب روحي وقد بعثت منشوراً لتسـريحـي

وقال:

أرى لابن سعد لحية قد تكاملـت على وجهه واستقبلت غير مقبل

ودارت على أنف عظيم كـأنـه "كبير أناس في بجاد مـزمـل"

وقال:

يا حبذا وادي حمـاة وطـيبـه وطلاوة العاصي بها والجوسق

فاقت منارة جلق فلحسنهـا ال شقراء تكبو خلفها والأبـلـق

وقال في إبريق فخار:

يا حبذا شكل إبريق تمـيل لـه منا القلوب وتصبو نحوه الحدق

يروق لي حين أجلوه، ويعجبني منه طلاوة ذاك الجسم والعنق

كم قد شربت له ماء الحياة، ولن ينالني منه لا غص ولا شـرق

حتى غدا خجلاً مما أقـبـلـه فظل يرشح من أعطافه العرق

وقال في قنديل:

يا حسن بهجة قنديل خلوت بـه والليل قد أسلت منا سـتـائره

أضاء كالكوكب الدري متقـداً فراق باطنه نوراً وظـاهـره

تزيده ظلمة الليل البهيم سـنـاً كأنما الليل طرف وهو باصره

وقال في مليح معالج:

بروحي أفدي في الأنام معالـجـاً معاطفه أزهى من الغصن الغض

يكلف عطفيه العلاج قلوب إلى حبيه في ساعة

فيبسط الـ القبض
إذا ما امتطى لطفاً مقيرة وأقعدها واحمر سالفه الفضي
لـه
رأيت محياه وما في يمينه كشمس تجلت دونها كرة الأرض

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

ما بث شكواه لولا مسه ولا تأوه لولا شفه السقم
الألم
ولا توهم أن الدمع مهجته أذابها الشوق حتى سال وهو دم
صب له مدمع صب يكفكفه فتستهل غواديه وتنسجم

فطرفه بمياه الدمع في وقلبه بلهيب الشوق يضطرم
غرق
أراد إخفاء ما يلقاه من حتى لقد عاد بالسلوان يتهم
كمد
يبدي التجلد والأجفان كالبرق تبكي الغوادي وهو يبتسم
تفضحه
سقته أيدي النوى كأساً فما نداماه إلا الحزن والندم
مدعدعة
يمسي ويصبح لا صبراً ولا ولا قرار ولا طيف ولا حلم
جلد
لولا يؤمل إلماماً بجيرته لكاد يعتاده مما به لمم
قال الوشاة تسلى عن يا ويحهم جهلوا فوق الذي علموا
محبتهم
أنى يميل إلى السلوان باق على الود والأيام تنصرم
مكتئب
قضى بحبهم عصر الشباب خان الوداد وهذا الشيب والهرم
وما
أنا المقيم على ما يرتضون مصغ إذا نطقوا راض بما حكموا
به
متى دعاني هواهم جئت أسعى على الرأس إن لم يسعد القدم
معتذراً

ومن موشحاته:

جسمي ذوى بالكمد والسهر والوصب من جاني
ذي شنب كالبرد كالدرر كالحبب جماني
بي غصن بان نضر يسبيك منه الهيف
يرتع فيه النظر فزهره يقتطف
الخد منه خفر والجسم منه ترف
قد جاءنا يعتذر عذاره المنعطف

ثم التوى كالزرد معبقري معقرب ريحاني
في مذهب مورد مدنر مكتب سوساني
ظبي له مرتشف كالسلسبيل البارد
بدر علاه سدف من ليل شعر وارد
غصن نقا منعطف من لين قد مائد
مقرطق مشنف يختال في القلائد
بين اللوى وثهمد كجؤذر في ربرب غزلاني
من كثب ذي جيد ذي حور ذي هدب وسنان
أما وحلي جيده ورنة الخلاخل
والضم من بروده قد قضيب مائل
والورد من خدوده إذ نم في الغلائل
لا كنت من صدوده مستمعاً لعاذل
نار الجوى واستعري وكذبي سلواني
وانسكبي واطردي وانهمري كالسحب أجفاني
مولاي جفني ساهر مؤرق كما ترى
فلا خيال زائر يطرقني ولا كرى
إني عليك صابر فما جزا من صبرا
إن سح دمعي الهامر فلا تلمه إن جرى
جال الهوى خلدي ومضمري أضر بي كتماني
مؤنبي اتئد لا تفتري وجنب عن عاني

وقال أيضاً:

ترى دهر مضى بكم يؤوب يضحي روض آمالي الجديب منيبا
عسى صب تملكه هواه يعاود جفن مقلته كراه خصيبا
ويبلغ من وصالكم مناه ويرجع دهرنا عما جناه
ويجمع شملنا حسن وطيب ويصبح حيث أدعوه الحبيب قريبا مجيبا
أرى أمد الصدود بكم تمادى وكم لمت الفؤاد فما أفادا
وتأبى عبرتي إلا اطرادا ونار صبابتي إلا اتقادا
فخدي رده الدمع السكوب وقلبي كاد أشواقاً يذوب خضيبا لهيبا
وبي رشأ بناظره يصول حسام من ضرائبه العقول
على وجناته لدمي دليل ولكن ما إلى قود سبيل
حبته من ضمائرها القلوب فكان لها وإن كره الرقيب نصيبا حبيبا
غزال وهو في المعنى هلال قريب وصله ما لا ينال
وغصن راح يعطفه الدلال كذا الأغصان تثنيها الشمال
إذا مالت بعطفيه الجنوب تثنى في غلائله القضيب

هبوبا رطيبا
كلفت بحبه حلو المعاني أعاني في هواه ما أعاني
أراه وإن تباعد عن عياني كبدر التم قاص وهو داني
يرينا حين تطلعه الجيوب جمالاً لا يكلفه الغروب مغيبا
عجيبا

وقال أيضاً:

من دون رملة عالج لربة الخال دار
حلت عليها السحائب منا الدموع الغزار
همت عليها دموع لها السحاب شؤون
فاخضل منها النقيع ومسن فيها الغصون
حدث فتلك الربوع حديثهن شجون
في القلوب لواعج من ذكرها وأوار
ونار فقد الحبائب زنادها الإذكار
لم أنس يوم تولى حادي المطي وسارا
خلى المحبين قتلى كما ترى وأسارى
ودون رامة خلى منا العقول حيارى
لأن بين الهوادج أقمار تم تحار
منها بدور الغياهب لم يخفهن سرار
حكوا البروق ابتساماً والسمهريات لينا
أغصان بان إذا ما مالت تغير الغصونا
كم خلفت مستهاماً ملقى لديها طعينا
مذ أعينعت في الدمالج لها البدور ثمار
أوراقهن الذوائب حق الغصون تغار
سفرن بين الستور هيف دقاق الخصور
عن أوجه كالبدور في جنح ليل الشعور
تقلدوا في النحور بمثل ما في الثغور
يحكين غزلان ضارج شعارهن النفار
فليس يدنو لطالب من طيفهن مزار
هل للحياة سبيل وقد دهتنا العيون
وسل منها نصول لها الجفون جفون
قضب علينا تصول شفارهن المنون
فكيف للهم فارج أو للمحب اصطبار
وفي الجفون قواضب لها المنون شفار

وقال أيضاً:

أيخفى غرامي والدموع تنم بما تطوى عليه
السوافح الجوانح
وقلبي في واد من الشوق حزين وغاد في الغرام
هائم ورائح

صب هـيمـان بـعـد الـخـلان نامي الأشجـان بـادي الأحـزان
كتمت الهوى العذري بين أضالعـي وأخفيته لولا وشـاة مـدامـعـي
وحاولت سلواناً فلـم ألـق سـلـوة فقلت لقلبي مت بداء المـطـامـع
سلـوانـي بـان وسـري بـــان فلا سـلـوان ولا كـتـمـــان
تملكني حلـو الـشـمـائل أهـيف مليح التثني ناحل الخصر مخطـف
أغض من الغصن الرطيب شمـائلاً وأحسن مرأى في العيون وأظرف
يثـنـي ريان قـد فـــيـنـــان فاق الأغصان أغـصـان الـبـان
أعار قضيب البان هزة عـطـفـه ورق على نشر النسيم بلـطـفـه
وزاد على البدر المنير بـوجـهـه سناً وعلى الظبي الغرير بطرفـه
ما للغـزلان مـعـنـى أجـفـان طرف وسنان صاحـي نـشـوان
تقوى على ضعفي برقة خـصـره وأضرم أشواقي إلى لثـم ثـغـره
فقلت لقلبي عندما صد مغـضـبـاً وزاد إلى عدوانه طـول هـجـره
كم ذا العـدوان بـذا الـهـجـران ترى ما آن يرضى الغـضـبـان?
أجرني من الهجران يا غاية المنـى وجد لي بوصل منك إن كان ممكنا
وعدني إذا لم يمكن الوصـل زورة وزدني من الحسنى فلا زلت محسنا
وأحسن إن كان تلـقـى إمـكـان إن الإنـسـان عـبـد الإحـسـان
ظفرت بمحمود الوصال حميده حباني به المحبوب بعد صدوده
فقلت لقلبي بـين آس عـذاره ونرجس عينيه وورد خـدوده
قم يا جنان وايش ذا النـسـيان واجني ريحان هذا البسـتـان

رشيد الدين الفهري

عمر بن مظفر بن سعيد، القاضي رشيد الدين أبو حفص الفهري الفوي المصري الشاعر الكاتب؛ تنقل في الخدم الديوانية ومدح الملوك والوزراء، وكان كثير الحفظ، روى عنه المنذري، وعاش خمساً وسبعين سنة، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

قال شهاب الدين القوصي: أنشدني المذكور بدمشق عند قدومه إليها زائراً عقيب انفصاله من الخدمة الملكية الكاملية هذه الأبيات في النسيان:

أفرط بي النسيان في غاية — لم يترك النسيان لي حسا
وكنت مهما عرضت حاجة — مهمة أودعتها الطرسا
فصرت أنسى الطرس في راحتي — وصرت أنسى أنني أنسى

وأنشدني:

قد نسيت الذي حفظت قديماً — من معان غر وحسن بيان
غار مني قليب قلبي فذهني — شارب من بلاذر النسيان

وأنشدته قول ابن سناء الملك:

خاصمني من سكت عنه — فظن أن ليس لي لسان
فقلت ما أنت لي بخصم — وإنما خصمي الزمان

فأنشدني لنفسه:

سكت إذ سبني من لا خلاق له — فقيل لي خفت منه إنه لسن
فقلت: والله ما عياً سكت ولا — ذا النحس خصمي ولكن خصمي الزمن

وأنشدته قول ابن الخيمي:

أأبناء هذا الجبل طراً أكلكم — يعوق وما فيكم يغوث ولا ود
لقد طال ترددي إليكم فلم أجد — سوى رب شأن منكم شانه الرد

فأنشدني لنفسه:

لأصنام الزمان عبدت دهراً — وقد أسلمت واتسع المضيق
فما فيهم يغوث أقول هذا — ولكن كل من فيهم يعوق

ملك بطليوس

عمر بن المظفر بن الأفطس ملك بطليوس؛ هو المتوكل، من قبيلة من البربر يعرفون بمكناسة، ورث الملك ببطليوس من أبيه، وأبوه هو الذي كان يحارب المعتضد بن عباد، وكان المتوكل ببطليوس كالمعتمد بإشبيلية، آل أمره إلى أن حصره الملثمون، وحصل في أيديهم فقتلوه صبراً وقتلوا ولديه قبله وهو ينظر إليهما، وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة التي أولها:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر

ومن شعره ما خطب به وزيره أبا غانم:

انهض أبا غانم إلينا — واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عقد من غير وسطى — ما لم تكن حاضراً لدينا

وقال، وقد ذكر في مجلس أخيه المنصور بسوء:

**وما بالهم لا أنعم الله بالهم — ينوطون بي ذماً وقد علموا فضلي**
**يسيئون لي في القول — وإني لأرجو أن يسوءهم**

**جـهـلاً وضـلة فـعـلـي**
**وكيف وراحـي درس كـل فـضـيلة ووردِ التقى شمي وحرب العدا نقـلـي**
**فإن كان حقاً ما أذاعـوا فـلا مـشـت إلى غاية العلياء من بعدهـا رجـلـي**
**ولم ألـق أضـيافـي بـوجـه طـلاقة ولم أسخ للعافين في الزمن الـمـحـل**
**ولي خلق في السخط كالشوك طعـمـه وعند الرضى أحلى جنى النحل من جنى النحل**
**فيا أيها الساقي أخـاه عـلـى الـنـوى كؤوس القلى جهـلاً رويدك بـالـعـل**
**لتطفئ ناراً أضرمت في نـفـوسـنـا فمثلي لا يقلى ومـثـلـك لا يقـلـي**
**وقد كنت تشكينـي إذا جـئت شـاكـياً فقل لي لمن أشكو صنيعك بي قل لـي**
**فبـادر إلـى الأولـى وإلا فـإنـنـي سأشكوك يوم الحشر للحكـم الـعـدل**

"زين الدين ابن الوردي"

عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، القاضي الأجل، الإمام الفقيه، الأديب الشاعر، زين الدين ابن الوردي المعري الشافعي أحد فضلاء العصر وفقهائه، وأدبائه وشعرائه، تفنن في العلوم، وأجاد في المنثور والمنظوم، نظمه جيد إلى الغاية، وفضله بلغ النهاية.

ومن شعره:

مليح ردفه والـسـاق مـنـه كبنيان القصور على الثـلـوج
خذوا من خده القاني نصـيبـاً فقد عزم الغريب على الخروج

وقال:

جاءنا مكتتماً ملـتـثـمـا فدعوناه لأكل وعجبـنـا
مد في السفرة كفا تـرفـا فحسبنا أن في السفرة جبنا

وكتب إلى القاضي فخر الدين ابن الخطيب جبرين قاضي حلب، وقد عزله وعزل أخاه:

جنبتني وأخي تكاليف القضـا وشفيتنا في الدهر من خطرين
يا حي عالم دهرنا أحـييتـنـا فلك التحكم في دم الأخـوين

وقال:

قلت وقد عانـقـتـه عندي من الصبح فلق
قال وهل يحـسـدنـا قلت نعم قال انفلـق

وقال أيضاً:

جبرت يا عائدتي بالصلـه فتممي الإحسان تنفي الوله
وهذه قد حسـبـت زورة مالك بالفيئة مستعجـلـه

وقال:

بالله يا معشر أصحـابـي اغتنموا علمـي وآدابـي
فالشيب قد حل برأسي وقد أقسم لا يرحـل إلا بـي

وقال أيضاً:

رامت وصالي فقلت لي شغل عن كل خود تريد تلقـانـي
قالت كأن الخـدود كـاسـدة قلت كثيراً لقلة الـقـانـي

وقال أيضاً:

لا تقصد القاضـي إذا أدبـرت دنياك واقصد من جواد كـريم
كيف ترجي الرزق من عند من يفتي بأن الفلس مال عـظـيم

وقال أيضاً:

وكنت إذا رأيت ولو عجوزاً يبادر بالقيام على الحـراره
فأصبح لا يقوم لـبـدر تـم كأن النحس قد ولي الوزاره

وقال أيضاً:

أنت ظبيي أنت مسكي أنت دري أنت غصني
في التفـات وثـنـاء وثـنـايا وتـثـنـي

وقال:

لما شتت عيني ولم ترفق لتوديع الفتى
أدنيتها مـن خـده والنار فاكهة الشتا

وقال أيضاً:

من كان مردوداً بعيب فقد ردتني الغيد بـعـيبـين
الرأس واللحية شابا معـاً عاقبني الدهر بشـيبـين

أنشدني الشيخ جمال الدين ابن نباته أمتع الله بفوائده ورضي عنه:

لا حبذا شيب برأسـي ولا شيب بقلبي، أقذيا عينـي
ما كنت بالتائب من صبوتي أصلاً فقد تبت بـشـيئين

ومن شعر ابن الوردي رحمه الله:

دهرنا أمسى ضنينـا باللقا حتى ضنـينـا
يا ليالي الوصل عودي واجمعينا أجمعـينـا

وقال:

أنتم أحبـاي وقـد فعلتم فعل العـدا
حتى تركتم خبري في العالمين مبتدا

وقال:

سبحان من سخر لي حاسدي يحدث لي في غيبتي ذكرا
لا أكره الغيبة من حـاسـد يفيدني الشهـرة والأجـرا

وقال:

وتاجر شاهدت عشاقـه والحرب فيما بينهم ثائر
قال: علام اقتتلوا هكذا? قلت: على عينك يا تاجر

وقال:

إني عدمت صـديقـاً قد كان يعرف قدري
دعني لقلبي ودمعـي عليه أحرق وأذري

ومن مصنفاته "البهجة الوردية في نظم الحاوي" فوائد فقيه منظومة. "شرح ألفية ابن مالك". "ضوء الدرة على ألفية ابن مطي". قصيدة "اللباب في علم الإعراب" وشرحها. اختصار "ملحة الإعراب" نظماً. "مذكرة الغريب" نظماً وشرحها. "المسائل المذهبة في المسائل الملقبة". "أبكار الأفكار". "تتمة تاريخ صاحب حماة". و"أرجوزة في تعبير المنامات". أرجوزة في خواص الأحجار" و"منطق الطير" نظماً. وبلغنا وفاته في الطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة، وهو في عشر السبعين، رحمه الله تعالى.

"عمر الأشدق"

عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس؛ كان أحد الأشراف الأمويين، ولي المدينة ليزيد بن معاوية، وكان يسمى الأشدق، سمي بذلك لأنه كان أفقم مائلاً إلى الذقن، ولهذا سمي "لطيم الشيطان"، وقيل: إنما سمي الأشدق لتشادقه في الكلام، وكان مروان ابن الحكم قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك، فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، وقال ابن الزبير لما بلغه قتله: إن أبا الذبان قتل لطيم الشيطان، "وكذلك نولي بعض الظالمين بما كانوا يكسبون" "الأنعام: 129" وقال يحيى بن الحكم أخو مروان يرثيه:

أعيني جودا بالدموع على عـمـرو عشية سددنا الخـلافة بـالـخـير
كأن بني مـروان إذ يقـتـلـونـه بغاث من الطير اجتمعن على صقر
غدرتم بعمرو يا بني خيط بـاطـل ومثلكم يبني البيوت عـلـى غـدر
فرحنا وراح الشامتون بـنـعـشـه كأن على أكتافنا فلق الـصـخـر

وكان عمرو قد رام الخلافة وغلب على دمشق، وكانت قتلته في سنة سبعين من الهجرة.

وقد روى له مسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي، رحمه الله تعالى.

"عوف بن ملحم الخزاعي"

عوف بن ملحم الخزاعي، أحد العلماء الأدباء الرواة الفهماء الندماء الظرفاء الشعراء الفصحاء؛ كان صاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيام الناس، اختصه طاهر بن الحسين لمنادمته ومسامرته، فلا يسافر إلا وهو معه، فيكون زميله وعديله.

قال محمد بن داود: إن سبب اتصاله به أنه نادى على الجسر أيام الفتنة بهذه الأبيات، وطاهر منحدر في حراقة له بدجلة، وأنشده إياها، وهي هذه:

عجبت لحراقة ابن الحسين كيف تعوم ولا تـغـرق
وبحران من تحتها واحـد وآخر من فوقها مطبـق
وأعجب من ذاك عبدانهـا وقد مسها كيف لا تورق

فضمه طاهر إليه وبقي معه ثلاثين سنة لا يفارقه، وكلما استأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه لم يأذن له، فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص، وأنه يلحق بأهله، فقربه عبد الله بن طاهر، وأنزله منزلته من أبيه، وأفضل عليه حتى كثر ماله وحسنت حاله، وتلطف بجهده أن يأذن له بالعودة، فاتفق أن خرج عبد الله بن طاهر إلى خراسان فجعل عوفاً عديله، فلما شارف الري سمع صوت عندليب يغرد بأحسن تغريد، فأعجب ذلك عبد الله والتفت إلى عوف وقال: يا ابن محلم، هل سمعت بأشجى من هذا؟ فقال: لا والله، "فقال عبد الله": قاتل الله أبا كبير حيث يقول:

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضـر ... وغصنك ميادٌ ففيم تـنـوح?

أفق لا تنح من غير شيء فإنني ... بكيت زماناً والفؤاد صـحـيح

ولوعاً فشطت عربة دار زينب ... فها أنا أبكي والفـؤاد قـريح

فقال عوف: أحسن والله أبو كبير، إنه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مفلق، وما كان فيهم مثل أبي كبير، وأخذ عوف يصفه، فقال له عبد الله: أقسمت عليك إلا عارضت قوله، فقال عوف: قد كبر سني وفني ذهني وأنكرت كل ما أعرف، فقال له عبد الله: بتربة طاهر إلا فعلت، فقال عوف رحمه الله:

أفـي كـل عـام غـربة ونـزوح ... أما للنـوى مـن ونـية فـتـريح

لقد طلح البين المشـت ركـائبـي ... فهل أرين الـبـين وهـو طـريح

وأرقني بـالـري نـوح حـمـامة ... فنحت وذو البث الغـريب ينـوح

على أنها ناحت ولـم تـذر دمـعة ... ونحت وأسراب الدموع سـفـوح

وناحت وفراخها بحيث تـراهـمـا ... ومن دون أفراخي مهـامـه قـيح

ألا يا حمام الأيك إلفـك حـاضـر ... وغصنك مـياد فـفـيم تـنـوح?

عسى وجود عبد الله أن يعكس النوى ... فيلقي عصا التطواف وهي طلـيح

فإن الغنى يدني الفتى من صديقـه ... وعدم الفتى بالمعسـرين طـروح

فاستعبر عبر الله ورق له وجرت دموعه، وقال له: والله إني ضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك، ولكن والله لا أعلمت معي خفاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك، وأمر له بثلاثين ألف درهم، فقال له عوف:

يا ابن الذي دان له المشرقـان ... وألبس الأمن به المـغـربـان

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان
وبدلتني بالشطاط انحنا وكنت كالصعدة تحت السنان
وقاربت مني خطى لم تكن مقاربات وثنت من عنان
فأنشأت بيني وبين الورى عنانة من غير نسج العنان
ولم تدع في لمستمتع إلا لساني وبحبسي اللسان
أدعو بالله وأثني على صنع الأمير المعصبي الهجان
وهمت بالأوطان وجداً بها لا بالغواني أين مني الغوان?
فقربانـي بأبي أنتما من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاي إلى نسوة أوطانها حران والرقتان
سقى قصور الشاذياخ الحيا من بعد عهدي وقصور الميان
فكم وكم من دعوة لي بها أن تتخطاها صروف الزمان

وكر راجعاً إلى أهله فلم يصل إليهم، ومات في حدود العشرين ومائتين.

ومن شعر عوف بن محلم رحمه الله تعالى:

وكنت إذا صحبت رجال قوم صحبتهم ونيتي الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنهم وأجتنب الإساءة إن أساءوا
وأنظر ما يسرهم بعين عليها من عيونهم غطاء

وقال:

وصغيرة علقتها كانت من الفتن الكبار
بلهاء لم تعرف لغر تها يميناً من يسار
كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار

"النقاش البغدادي"

عيسى بن هبة الله بن عيسى، أبو عبد الله البغدادي النقاش؛ كان ظريفاً صاحب نوادر خفيف الروح، له شعر، روى عنه التاج الكندي كتاب "الكامل" للمبرد؛ وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

ومن شعره رحمه الله تعالى:

إذا وجد الشيخ في نفسه نشاطاً فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السراج له لهب قبل أن ينطفي

ومنه:

رزقت يساراً فوافيت من قدرت به حين لم يرزق
وأملقت من بعد فاعتذرت إليه اعتذار أخ مملق
فإن كان يشكر فيما مضى يداً لي يعذر فيما بقي

وقال أيضاً:

كيف السلو وقد تمل ك مهجتي من غير أمري

قمر تراه إذا استـسـر كمثل أربـعة وعـشـر
يرنـو بـنـجـلاوين يس قم من يشا بهما ويبـري
وإذا تبـسـم فـي دجـى ليل شهدت له بـفـجـر
ولـذاك تـظـلـمـه إذا شبهت ريقته بـخـمـر
ولورد وجنـتـه وحـس ن عذاره قد قام عـذري

وكان نقاشاً للحلي ثم صار بزازاً، وكان يمتنع من الرواية ويقول: ما أنا أهل ذلك.

قال ابن شجاع: لقيته امرأة يوماً فقالت له: يا سيدي، النظر منا بقيراط ونصف، كم لي بقيراط وحبة؟ فحل منديلاً كان بيده وأعطاها قطعة، وقال: مري إيش أعطوك فقد أنصفوك.

وقال: كان في دربنا شخص أبغضه لا لسبب، فاتفق أني خرجت يوم عيد وعلي ثياب العيد، فلقيني شخص في الظلمة وفي يده دستيجة ملأى شيرجاً، فصدمني بها فانكسرت على ثيابي وصيرني شهرة، قال: فأمسكته وأخرجته إلى الضوء، فلما رأيته قلت: هو ذا أنت؟ لهذا كنت أبغضك، مر، الله معك.

حرف الغين

أبو الهندي الشاعر

غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي، أبو الهندي؛ كان شاعراً مطبوعاً أدرك الدولتين الأموية والعباسية، وكان جزل الشعر سهل الألفاظ لطيف المعاني، وإنما أخمله وأمات ذكره بعده من العرب ومقامه بسجستان وخراسان ومعاقرة الشراب، وكان يتهم بفساد الدين، واستفرغ شعره في وصف الخمر، وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام، فمن ذلك قوله:

سقيت أبا المطوع إذ أتانـي وذو الرعثات منتصب يصيح
شراباً يهرب الذبـان مـنـه ويلثغ حين يشربه الفصـيح

وقال:

نبهت ندماني وقلت له يا ابن الكرام من الشراب اصطـبـح الأصهب
صفراء تنزو في الزجاج كأنـهـا حدق الجرادة أو لعاب الجـنـدب

وقال:

مفدمة قـزاً كـأن رقـابـهـا رقاب بنات الماء تفزع للرعـد
جلتها الجوالي حين طاب مزاجها وطينتها بالمسك والعنبر والورد
تمج سلافاً في الأباريق خالصـاً وفي كل كأس في يدي حسن قد
تضمـنـهـا زق أزب كـأنـه صريع من سودان ذو شعر جعد

اشتهى أبو هندي الصبوح يوماً فدخل الخمارة فأعطى الخمار ديناراً وجعل يشرب حتى سكر ونام، وجاء قوم يسلمون عليه فوجدوه نائماً، فقالوا

للخمار: ألحقنا به، فسقاهم حتى سكروا، وانتبه أبو الهندي فسأل عنهم فعرفه الخمار حالهم، فقال: يا هذا الآن وقت السكر والآن طاب، ألحقني بهم، فسقاه حتى سكر، وانتبهوا فقالوا للخمار: ويحك هو نائم إلى الآن? فقال: لا، انتبه وعرفته خبركم وسكر ونام، فقالوا ألحقنا به، فسقاهم حتى سكروا، ولم يزل على ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام، ولم يلتقوا وهم في موضع واحد، ثم تركوا الشرب عمداً حتى أفاق فلقوه، وفي ذلك يقول:

ندامى بعد ثالثة تلاقوا يضمه بكوه زيان راح
وقد باكرتها فتركت منها قتيلاً ما أصابتني جراح
فقالوا أيها الخمار من ذا? فقال أخ تخونه اصطباح
فقالوا: هات راحك ألحقنا به، وتعللوا ثم استراحوا
فما إن لبثتهم أن رمتهم بحد سلاحها ولها سلاح
وحان تنبهي فسألت عنهم فقال أتاحهم قدر متاح
رأوك مجدلاً واستخبروني فحركهم إلى الشرب ارتياح
فقلت بهم فألحقني فهبوا فقالوا هل تنبه حين راحوا
فقال نعم، فقالوا ألحقنا به قد لاح للرائي صباح
فما إن زال ذلك الدأب منا ثلاثاً تستهب وتستباح
نبيت معاً وليس لنا التقاء ببيت ما لنا منه براح

قال صدقة بن إبراهيم البكري: كاب أبو الهندي يشرب معنا، وكان إذا سكر يتقلب تقلباً قبيحاً في نومه، فكنا كثيراً ما نشد رجليه لئلا يسقط، فسكرنا ليلة في سطح، وشددنا رجله بحبل طويل ليهتدي على القيام لبوله، فتقلب فسقط من السطح فأمسكه الحبل، فبقي معلقاً منكساً، فأصبحنا فوجدناه ميتاً، فمررت على قبره بعد حين فوجدت عليه مكتوباً:

اجعلوا إن مت يوماً كفني ورق الكرم وقبري المعصره
إنني أرجو من الله غداً بعد شرب الراح حسن المغفره

وكان الفتيان يجيئون إلى قبره فيشربون ويصبون القدح إذا وصل إليه على قبره.

ومن شعره:

إذا صليت خمساً كل يوم فإن الله يغفر لي فسوقي
ولم أشرك بري الناس شيئاً فقد أمسكت بالحبل الوثيق
وجاهدت العدو ونلت مالاً يبلغني إلى البيت العتيق
فهذا الحق ليس به خفاء دعوني من بنيات الطريق

وكانت وفاته في حدود الثمانين والمائة، سامحه الله تعالى.

## الغضنفر أبو تغلب

الغضنفر أبو تغلب ابن ناصر الدولة، صاحب الموصل وابن صاحبها؛ حارب عضد الدولة ابن بويه، وفر إلى الرحبة ثم هرب منها خوفاً من ابن عمه سعد الدولة صاحب حلب، فأنفذ كاتبه إلى العزيز العبيدي يستنجد به، ثم نزل بحوران، وفارقه ابن عمه الغطريف، وجاءه الخبر من كاتبه بأن يقدم على العزيز، فخاف وتوقف، ثم إنهم حاربوه وأسروه، وقتله مفرج صبراً وبعث برأسه إلى العزيز سنة ثمان وستين وثلاثمائة؛ وكان يرجع إلى فضل

وأدب، وله شعر.
حكي أنا أبا الهيجاء ابن عمران بن شاهين صاحب البطيحة قال: كنت أساير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد ما بين سنجار ونصيبين، فاستدعاني وقد نزل يقصر هناك مطل على بساتين ومياه كثيرة يعرف بقصر العباس ابن عمرو الغنوي، فدخلت عليه وهو قائم في القصر يتأمل كتابة على الحائط، فلما دخلت قال: اقرأ ما هنا، فقرأت فإذا على الحائط مكتوب هذه الأبيات:

يا قصر عباس بن عم رو كيف فراقك ابن عمرك
قد كنت تغتال الدهـ ر فكيف غالك ريب دهرك
واهاً لعزك بل لجو دك بل لمجدك بل لفخرك

وتحت الأبيات مكتوب: وكتب علي بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وتحتها مكتوب:

يا قصر ضعضعك الزما ن وحط من علياء قدرك
ومحا محاسن أسطر شرفت بهن متون جدرك
واهاً لكاتبها الكري م وفخره الموفي بفخرك

وتحتها مكتوب: وكتب الغضنفر بن الحسن بن عبد الله بن حمدان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة.

حرف الفاء

الفتح بن خاقان

الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج وزير المتوكل؛ كان شاعراً فصيحاً مفوهاً محسناً موصوفاً بالشجاعة والكرم والرياسة والسؤدد، وكان المتوكل لا يصبر عنه، قدمه واستوزره وأمره على الشام، وأمره أن يستنيب عنه، وللفتح أخبار في الجود والمكارم والظرف، وكان معادلاً للمتوكل على جمازة لما قدم إلى دمشق.
قال أبو العيناء: دخل المعتصم يوماً على خاقان يعوده، فرأى ابنه الفتح صغيراً لم يثغر، فمازحه وقال: أيما أحسن دارنا أو داركم؟ فقال الفتح: دارنا أحسن إذا كان أمير المؤمنين فيها، فقال المعتصم: والله لا أبرح حتى أنثر عليه مائة ألف درهم.
قتل هو والمتوكل معاً في مجلس أنس -على ما تقدم في ترجمة المتوكل- وكان ذلك سنة سبع وأربعين ومائتين. وكانت له خزانة كتب جمعها علي بن يحيى المنجم، لم ير أعظم منها كثرة وحسناً، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوفة.
قال أبو هفان: ثلاثة لم أر قط ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم منهم: الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسماعيل القاضي.
وكان الفتح يحضر لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتاباً من كمه أو خفه وقرأه إلى حين عودة المتوكل.
وللفتح من التصانيف كتاب "البستان" وكتاب "الصيد والجوارح"؛ قال ياقوت: ومن شعر الفتح:

لست مني ولست منك فدعني وامض عني مصاحباً بسلام
وإذا ما شكوت ما بي قالـت قد رأينا خلاف ذا في المنام

لم تجد علة تجنى بها الـذن ب فصارت تعتل بالأحـلام

قال البحتري: قال لي المتوكل: قل في شعراً وفي الفتح، فإني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي ولا يفقدني، فقل في هذا المعنى، فقلت:

سيدي كيف أنت أخلفت وعدي وتثاقلت عن وفاء بعـهـدي

وقلت فيها:

لا أرتني الأيام فقـدك يا فـت ح ولا عرفتك ما عشت فقدي

أعظم الرزء أن تقدم قبـلـي ومن الرزء أن تؤخر بعـدي

حسداً أن تكون إلفاً لـغـيري إذ تفردت بالهوى فيك وحدي

فقال: أحسنت يا بحتري، جئت بما في نفسي، وأمر لي بألف دينار. قال البحتري: فقتلا معاً، وكنت حاضراً، وربحت هذه الضربة، وأومأ إلى ضربة على ظهره.

ومن شعر الفتح بن خاقان:

وإني وإياها لكالخمر والفـتـى متى يسطع منها الـزيادة يزدد

إذا ازددت منها وجداً بقربـهـا فكيف احتراسي من هوى متجدد

ومنه:

أيها العاشق المعذب صبـراً فخطايا أخي الهوى مغفوره

زفرة في الهوى أحط لذنب من غزاة وحجة مبـروره

المسترشد بالله

الفضل بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أمير المؤمنين المسترشد بالله ابن المستظهر ابن المقتدي؛ بويع بالخلافة ليلة الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، بايعه سبعة من أولاد الخلفاء، وكان المسترشد أشقر أعطر أشهل خفيف العارضين، وجلس للناس جلوساً عاماً، وكان المتولي للبيعة قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني، وبايع الناس إلى الظهر، ثم أخرجت جنازة المستظهر، وكان عمره لما بويع سبعاً وعشرين سنة؛ لأن مولده سنة ست وثمانين وأربعمائة، وكان يتنسك في أول زمانه ويلبس الصوف وينفرد في بيت العبادة، وختم القرآن وتفقه، وكان مليح الخط، لم يكن قبله في الخلفاء من كتب أحسن منه، وكان يستدرك على كتابة أغاليطهم، وكان ابن الأنباري يقول: أنا وراق الإنشاء ومالك الأمر يتولى ذلك بنفسه الشريفة.

وكان ذا هيبة وإقدام وشجاعة، وضبط الخلافة ورتبها أحسن ترتيب وأحيا رميمها، وشيد أركان الشريعة، ولم تزل أيامه مكدرة بكثرة التشويش من المخالفين، وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك ومباشرته، إلى أن خرج الخرجة الأخيرة فكسر وأسر وقتلته الملاحدة، جهزهم عليه السلطان مسعود، فهجموا عليه "في" مخيمه بظاهر مراغة سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً، وكان عمره خمساً وأربعين سنة. ومن شعره لما كسر وأشير عليه بالهزيمة:

قالوا تـقـيم وقـد أحـا ط بك العدو ولا تـفـر
فأجبتهـم الـمـرء مـا لم يتعظ بالوعـظ غـر
ولا نلت خيراً ما حـيي ت ولا عداني الدهر شر
إن كنت أعلـم أن غـي ر الله ينفـع أو يضـر

ومن شعره:

أقول لشرخ الشباب اصطبر فولى ورد قضاء الـوطـر
فقلت قنعت بهذا المـشـيب وإن زال غيم فهذا مـطـر
فقال المشيب أيبقى الغـبـار على جمرة ذاب منها الحجر

وقال لما أسر:

ولا عجباً للأسد إن ظفرت بهـا كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى وموت علي من حسام ابن ملجم

وقال:

أنا الأشقر الموعود بي في الملاحـم ومن يملك الدنيا بغـير مـزاحـم
ستبلغ أقصى الروم خيلي وتنتضـى بأقصى بلاد الصين بيض صوارمي

واتفق أن المسترشد رأى فيما يرى النائم في الأسبوع الذي استشهد فيه كأن على يده حمامة مطوقة، فأتاه آت وقال له: خلاصك في ذلك، فلما أصبح حكى لابن سكينة الإمام ما رآه، فقال: ما أولته يا أمير المؤمنين؟ فقال: أولته ببيت أبي تمام الطائي:

هن الحمام فإن كسرت عيافة من حائهن فإنهـن حـمـام

وخلاصي في حمامي، وليت من يأتيني فيخلصني مما أنا فيه من الذل والحبس. فقتل بعد المنام بأيام وكان قد خرج للإصلاح بين السلجوقية واختلاف الأجناد، وكان معه جمع كثير من الأتراك، فغدر أكثرهم به ولحقوا بالسلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه، ثم التقى الجمعان فلم يلبثوا إلا قليلاً وانهزموا عن المسترشد، وقبض على المسترشد وعلى خواصه، وحملوا إلى قلعة بقرب همذان وحبسوا بها، وكان ذلك في شهر رمضان، وبقي إلى النصف من القعدة، وحمل مع مسعود إلى مراغة، وأنزل بناحية من العسكر، فدخل عليه جماعة من الباطنية من خلف الخيمة وتعلقوا به وضربوه بالسكاكين، فوقعت الصيحة، وقتل معه جماعة منهم أبو عبد الله ابن سكينة وابن الجزري، وخرج جماعة وأمسكوا وقتلوا وحرقوا، وبقيت يد أحدهم لم تحترق، ففتحوا يده فإذا فيها شعرات من كريمة المسترشد، فأخذها السلطان مسعود وجعلها في تعويذ ذهب، ثم جلس السلطان للعزاء، وخرج الخادم ومعه المصحف وعليه الدم، وخرج أهل مراغة وعليهم المسوح وعلى وجوههم الرماد، وهم يستغيثون ويبكون، ودفنوه في مدرسة أحمدك، وبقي العزاء بمراغة أياماً.

وخلف من الأولاد منصور الراشد وأبا العباس أحمد وأبا القاسم عبد الله وإسحاق توفي في حياته، رحمه الله تعالى.

المطيع لله

الفضل بن جعفر، أمير المؤمنين المطيع لله ابن المقتدر ابن المعتضد. بويع له بعد المستكفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ومولده سنة إحدى وثلاثمائة، وتوفي سنة أربع وستين وثلاثمائة؛ قال ابن شاهين: وخلع نفسه غير مكره في ذي القعدة سنة ثلاث وستين، ونزل عن الخلافة لولده أبي بكر عبد الكريم، ولقبوه الطائع لله، وسنه يومئذ ثمان وأربعون سنة، ومات المطيع وفي المحرم سنة أربع وستين.

وكان أبيض تعلوه صفرة، أقنى جميل الوجه، وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة، وفي أيامه أعيد الحجر الأسود إلى البيت من القرامطة، ومن شعره يمدح سيف الدولة ابن حمدان:

تخيرت سيفاً من سيوف كثيرة فلم أر فيها مثل سيف الدولة

أرى الناس في وسط المجالس يشربوا وذاك بثغر الشام يحفظ دولتي

الرقاشي الشاعر

الفضل بن عبد الصمد الرقاشي البصري، من فحول الشعراء، ومدح الخلفاء الكبار، وبينه وبين أبي نواس مهاجاة ومباسطة، وتوفي في حدود المائتين؛ وكان مولى رقاش، وهو من ربيعة.

قال أبو الفرج صاحب "الأغاني": قيل إنه كان في العجم من أهل الري ومدح الرشيد، وأجازه، إلا أن انقطاعه كان إلى بني برمك، فأغنوه عمن سواهم، وكان كثير التعصب لهم، ولما صلب جعفر جاز به الرقاشي وهو على الجذع فبكى أحر بكاء وقال الأبيات التي منها:

على اللذات والدنيا جميعاً ودولة آل برمك السلام

وقد ذكرها ابن خلكان في ترجمة جعفر البرمكي، فكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد، فأحضره وقال: ما حملك على رثاء عدوي؟ فقال: يا أمير المؤمنين كان إلي محسناً، فلما رأيته على هذا الحال حركني إحسانه، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت، قال: فكم كان يجري عليك؟ قال: ألف دينار في كل سنة، قال: فإني قد أضعفتها لك.

قال ابن المعتز: حدثني أبو مالك قال، قال الفضل بن الربيع للرقاشي: ويلك يا رقاشي، ما أردت بوصيتك إلا الخلاف على الصالحين، فقال له: جعلت فداك لو علمت أني أعافى من علتي ما أوصيت بها، فإنها من الذخائر النفيسة التي تدخر للممات. ووصيته هذه أرجوزة مزدوجة يأمر فيها باللواط وشرب الخمر والقمار والنقار بين الديكة والهراش بين الكلاب، وهو يزعم لتهتكه وخلاعته أنها من الفوائد التي تدخر للوصية عند الموت، أولها:

أوصى الرقاشي إلى إخوانه وصية المحمود في أخدانه

وهي مشهورة موجودة.

ولما قال أبو دلف قصيدته التي يقول فيها:

ناولني الدرع قد طا ل عن الحرب فطامي

أجابه الرقاشي فقال:

جنبيني الدرع قد طا ل عن القصف جمامي
واكسري البيضة والمط رد وابدي بالسهام
واقذفي في لجة البح ر بقوسي وسهامي
وبترسي وبرمحي وبسرجي ولجامي
واعقري مهري أصاب الله مهري بالصدام
أنا لا أطلب أن يع رف في الحرب مقامي
وبحسبي أن تراني بين فتيان كرام
سادة نغدو مجدي ن على حرب المدام
واصطفاق العود والنا يات في جوف الظلام
نهزم الراح إذا ما هم قوم بانهزام
ونخلي الضرب والطع ن لأشلاء وهام
لشقي قال قد طا ل عن الحرب فطامي

فضل الشاعرة

فضل جارية المتوكل، الشاعرة؛ كانت من مولدات اليمامة، ولم يكن في زمانها امرأة أفصح منها ولا أشعر، توفيت سنة ستين ومائتين. قال لها يوماً علي بن الجهم:

لاذ بها يشتكي إليها فلم يجد عندها ملاذا

فقال لها المتوكل: أجيزي، فقالت:

ولم يزل ضارعاً إليها تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد عشقاً فمات وجداً فكان ماذا

وقال ابن المعتز: كانت تهاجي الشعراء، ويجتمع عندها الأدباء، ولها في الخلفاء والملوك مدائح كثيرة، وكانت تتشيع وتتعصب لأهل مذهبها وتقضي حوائجهم بجاهها عند الملوك والأشراف. وعشقت سعيد بن حميد، وكان من أشد الناس نصباً وانحرافاً عن آل البيت رضي الله عنهم، وكانت فضل نهاية في التشيع، فلما هويته انتقلت إلى مذهبه، ولم تزل على ذلك إلى أن توفيت، ومن قولها فيه:

يا حسن الوجه سيء الأدب شبت وأنت الغلام في الأدب
ويحك أن القيان كالشرك ال منصوب بين الغرور والكذب

بينا تشكى إلـيك إذ خـرجـت من لحظات الشكوى إلى الطلب
فلحظ هـذا ولـحـظ ذاك وذا لحظ محب بعين مكـتـسـب
قال أبو الفرج الأصفهاني: حدثني جعفر بن قدامة قال، حدثني سعيد ابن حميد قال: قلت لفضل الشاعرة أجيزي:
من لحب أحب في صغره
فقالت غير متوقفة:
فصار أحدوثة على كبره
فقلت:
من نظر شفه وأرقه
فقالت: وكان مبدا هواه من نظره
لولا الأماني لمات من كمـد مر الليالي يزيد في فكـره
ليس له مسـعـد يسـاعـده بالليل في طوله وفي قصره
ومن شعرها:
قد بدا شبهك يا مـو لاي في جنح الظلام
فانتبه نقض لبـانـا ت اعتناق والتثـام
قبل أن تفضحنا عـو دة أرواح الـنـيام
وألقى عليها يوماً أبو دلف العجلي:
قالوا عشقت صغيرة أشهى المطي إلي ما لم يركب فأجبتهـم
"كم بين حبة لؤلؤ مـثـقـوبة من بين حبة لؤلؤ لم تثـقـب"
فقالت تجيبه:
إن المطية لا يلذ ركوبهـا ما لم تذلل بالزمام وتركب
والحب ليس بنافع أربابـه ما لم يؤلف بالنظام ويثقب
قال علي بن الجهم: كنت يوماً عند فضل، فلحظتها لحظة استرابت بها فقالت:
يا رب رام حسن تعـرضـه يرمي ولا يشعر أني غرضه
فقلت مجيباً لها:
أي فتى لحظك ليس يمرضه وأي عقد محكم لا ينقضـه
فضحكت وقالت: خذ في غير هذا.
ويوم أهديت إلى المتوكل قال لها: أشاعرة أنت؟ فقالت: كذا يزعم من باعني واشتراني، فضحك المتوكل وقال: أنشدينا شيئاً من شعرك فأنشدته:
استقبل الملك إمام الهـدى علم ثـلاث وثـلاثـينـا
خلافة أفضت إلى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرينا
إنا لنرجو يا إمام الهـدى أن تملك الدنيا ثمانـينـا
لا قدس الله امرءا لم يقل عند دعائي لـك آمـينـا

## حرف القاف

### ابن الطوابيقي

القاسم ابن الحسين، أبو شجاع ابن الطوابيقي البغدادي الشاعر؛ سافر إلى الموصل ومدح الملوك بها وبديار بكر، روى عنه عثمان البلطي النحوي شيئاً

من شعره، وتوفي سنة ست وتسعين وخمسمائة.
ومن شعره:

لي بيت تموت فيه السنـانـي ر هزالاً والفأر في الأسراب
أنا فيه فوق التـراب وخـير لي منه لو كنت تحت التراب

ومنه:

قامت تهز قوامها يوم النـقـا فتساقطت خجلاً غصون البان
وبكت فجاوبها البكا من مقلتي فتمثل الإنسان في إنسـانـي

منها:

وأحبكم وأحب حبـي فـيكـم وأجل قدركم علـى إنـسـان
وإذا نظرتكـم بـعـين خـيانة قام الغرام بشـافـع عـريان
وإن لم يخلصني الوصال بجاهه سأموت تحت عقوبة الهجران

منها:

أصبحت تخرجني بغير جنـاية من دار إعزار لـدار هـوان
كدم الفصاد يراق أرذل موضع أبداً ويخرج من أعز مكـان

قاسم الواسطي

القاسم بن عمر بن منصور، أبو محمد الواسطي؛ مولده بواسط سنة خمسين وخمسمائة، وتوفي بحلب سنة ست وعشرين وستمائة؛ كان أديباً نحوياً لغوياً فاضلاً مصنفاً، قرأ النحو بواسط على الشيخ مصدق ابن شبيب، وقرأ اللغة على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب، والقراءات على الشيخ أبي بكر الباقلاني وعلى الشيخ علي بن هياب الجماجمي، وسمع كثيراً من كتب النحو واللغة على جماعة يطول ذكرهم.
ومن تصانيفه "شرح اللمع" لابن جني. "شرح التصريف الملوكي" له. كتاب "فعلت وأفعلت بمعنى" على حروف المعجم. كتاب في اللغة لم يتم. كتاب "شرح المقامات" على حروف المعجم. شرح آخر على ترتيب المقامات. شرح آخر على ترتيب آخر، كتاب خطب، كتاب رسالة فيما أخذ على الرشيد ابن النابلسي في قصيدة نظمها في الإمام الناصر.
ومن شعره:

ديباج خدك بالـعـذار مـطـرز برزت محاسنه وأنـت مـبـرز
وبدت على حسن الصـبـا روضة والغصن ينبت في الرياض ويغرز
وجنت على وجنات خدك حـمـرة خجل الشقيق بها وحار القرمـز
لو كنت مدعـياً نـبـوة يوسـف لقضى القياس بأن حسنك معجـز

ومنه:

زهرة الحسن فوق زهر منه للغصن حمرة فـي

الرياض بـياض
قد حمى ورده ونرجـسـه الـغ ض سيوف من الجفون مواض
فإذا ما اجتنيت باللحظ فـاحـذر ما جنت صحة العيون المراض
فلها في القلـوب قـتـلة بـاغ رويت عنه فتـكة الـبـراض
وإذا فوقت سهامـاً مـن الـهـد ب رمين السهام بـالأغـراض

منها:

واجل من جوهر الدنان عروساً نطقت عن جواهر الأعراض
كلما أبرزت أرتك لـهـا وج ه انبساط يعطيك وجه انقباض
فعلى الأفق للغـمـام مـلاء طرزتها البروق والإيمـاض
وكأن الـرعـود إرزام نـوق فصلت دونها بنات المخـاض
أو صهيل الجياد للملك الـظـا هر تسري بالجحفل النهـاض

وقال يهجو الرشيد النابلسي الشاعر:

لا تعجـبـن لـمـدلـوي ه إذا بدا شبه الـمـريض
قد ذاب من بخـر بـفـي ه نما من الخلق البغـيض
وتـكـسـرت أسـنـانـه بالعض في جعس القريض
وتقطـعـت أنـفـاسـه عرضاً بتقطيع العروض

وله فيه:

يا من تأمل مدلوي ه وشك فيما يسقمه
انظر إلى بخر بفي ه وما أظنك تفهمه
لا تحسبـن بـأنـه نفس يغيره فمـه
لكنمـا أنـفـاسـه نتنت بشعر ينظمه

وقال يهجو جماعة:

ويبدون الطلاقة مـن وجـوه كما يبدو لك الحجر الصقـيل
إذا قاموا لمجد أقـعـدتـهـم مسالك ما لهم فيها سـبـيل
وإن طلبوا الصعود فمستحـيل وإن لزموا النزول فما يزولوا
كذاك السجل في الدولاب يعلو صعوداً والصعود له نـزول

وقال:

لنا صديق فيه انقباض ونحن بالبسط نستـلـذ
لا يعرف الفتح من يديه إلا إذا ما أتـاه أخـذ
فكفه "أين" حين تعطي شيئاً وبعد العطاء "منذ"

وقال:

لا ترد من خيار دهرك خـيراً فبعيد من السراب الشـراب

رونق كالحباب يعلو على الكأ س ولكن تحت الحباب الحباب
عذبت في النفاق ألسنة القـو م وفي الألسن العذاب العذاب

وقال:

أفي البان إن بان الخليط مـخـبـر عسى ما انطوى من عهد لمياء ينشر
نعم حركات في اعتدال سـكـونـهـا أحاديث يرويها النسيم الـمـعـطـر
يود ظلام الـلـيل وهـو مـمـسـك لذاذاتها والصبح وهـو مـزعـفـر
أحاديث لو أن النجـوم تـمـتـعـت بأسرارها لـم تـدر كـيف تـغـور
يموت بها داء الهـوى وهـو قـاتـل ويحيا بها ميت الجوى وهو مقـبـر
فيا لنسيم صحتـي فـي اعـتـلالـه وصحوي إذا مر بي وهو مسـكـر
كأن بـه مـشـمـولة بـابـلـــية صفت وهي من غض الشمائل تعصر
إذا نشأت مالـت بـلـبـك نـشـوة كما مال مهـزوز يمـاح ويمـطـر

وقال:

في زهرة وطيبستانيمن أوجه مـلاح
أجلو على القضيبريحانيوالورد والأقاح
ما روضة الربيع في حـــلة الـــكـــمـــال
تزهـى عـــلـــى ربـــيع مرت بـــه شـــمـــــال
في الـحـسـن كـالـــبـــديع بالـحـسـن والـجـــمـــال
ناهيك من حبيبنشوانبالدل وهو صـاح
إن قلت والهيبيحيانيمن ثغره براح
كم بت والكؤوس تجـلـى مـــن الـــدنـــان
كأنـــهـــا عـــــــروس زفـت مـن الـــجـــنـــان
تبـدو لـنـا الـــشـــمـــوس منـهـا عـلـى الـبـــنـــان
لم أخش من رقيبينهانيألهو إلى الصباح
مع شادن ربيبفتانزندي له وشاح

خيل الصبا بركضي تجـري مـع الـغـواه
في سـنـتـي وفـرضـي ما أبـتـغـي سـواه
وحـجـتـي لـعـرضـي ما تـنـقـل الـرواه
عن عاقل لبيبأفتانيأن الهوى
مـبـاح
والرشف من شنيبريانما فيه
من جناح

علم الدين البرزالي

القاسم بن محمد بن يوسف، الشيخ الإمام الحافظ المحدث المؤرخ، علم الدين أبو محمد ابن العدل بهاء الدين ابن الحافظ زكي الدين البرزالي الإشبيلي ثم الدمشقي الشافعي؛ ولد في جمادى الأولى سنة خمس وستين وستمائة، وحفظ القرآن "والتنبيه" ومقدمة ابن الحاجب، وسمع سنة ثلاث وسبعين من أبيه ومن القاضي عز الدين ابن الصائغ، ولما سمع "صحيح البخاري" من الإربلي بعثه والده فسمعه سنة سبع، وأحب الحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ، وسمع من ابن أبي الخير وابن أبي عمر وابن علان وابن شيبان والمقداد والفخر، وجد في الطلب، وذهب إلى بعلبك، وارتحل إلى حلب سنة خمس وثمانين، وفيها ارتحل إلى مصر، وأكثر عن العز الحراني وطبقته، وكتب بخطه الصحيح المليح كثيراً وخرج لنفسه وللشيوخ شيئاً كثيراً، وجلس في شبيبته مدة مع أعيان الشهود، وتقدم في معرفة الشروط، ثم اقتصر على جهات تقوم به، وورث من أبيه جملة، وحصل كتباً جيدة وأجزاء في أربع خزائن، وبلغ ثبته أربعاً وعشرين مجلداً، وأثبت فيه من كان يسمع معه، وله تاريخ بدأ فيه من عام مولده الذي توفي فيه الإمام أبو شامة فجعله صلة لتاريخ أبي شامة في خمس مجلدات، وله مجاميع وتعاليق كثيرة، وعمل في فن الرواية عملاً قل من يبلغ إليه، وبلغ عدد مشايخه بالسماع أثر من ألفين، وبالإجازة أكثر من ألف، رتب كل ذلك وترجمهم في مسودات متقنة، وكان رأساً في صدق اللهجة والأمانة، صاحب سنة واتباع ولزم الفرائض، خيراً متواضعاً حسن البشر عديم الشر، فصيح القراءة مع عدم اللحن، قرأ ما لا يوصف كثرة وروى، وكان عالماً بالأسماء والألفاظ، وكان فيه حلم وصبر وتودد ولا يتكثر بفضائله ولا يتنقص بفاضل بل يوفيه فوق حقه، يلاطف الناس وله ود في القلوب وحب في الصدور. احتسب عدة أولاد: منهم محمد، تلا بالسبع وحفظ كتباً، وعاش ثمان عشرة سنة، ومنهم فاطمة، عاشت نيفاً وعشرين سنة، وكتبت صحيح البخاري وأحكام مجد الدين وأشياء.

وللشيخ علم الدين إجازات عالية عام مولده من ابن عبد الدايم وإسماعيل ابن عزون والنجيب، وحدث في أيام شيخه ابن البخاري، وكان حلو المحاضرة قوي المذاكرة عارفاً بالرجال، لا سيما أهل زمانه وشيوخهم، لم يخلف بعده مثله.

حج سنة ثمان وثمانين وأخذ عن مشيخة الحرمين، ثم حج أربعاً بعد ذلك، وكان باذلاً لكتبه وأجزائه سمحاً في كل أموره، مؤثراً متصدقاً.

قال الشيخ شمس الدين الذهبي: وهو الذي حبب إلي طلب الحديث، قال لي: خطك يشبه خط المحدثين، فأثر قوله في وسمعت وتخرجت به في

أشياء؛ ولي دار الحديث الأشرفية مقرئاً فيها، وقرأ بالظاهرية سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وحضر المدارس وتفقه بالشيخ تاج الدين عبد الرحمن وصحبه وأكثر عنه وسافر معه، وجود القراءة على رضي الدين ابن دبوقا، وتولى مشيخة دار الحديث النورية ومشيخة النفيسية، ووقف كتبه وعقاراً جيداً على الصدقات؛ وتوفي بخليص بكرة الأحد الرابع من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن أربع وسبعين سنة ونصف، وتأسف الناس عليه، رحمه الله تعالى.

صاحب الموصل

قرواش بن مقلد بن المسيب بن رافع، الأمير أبو المنيع معتمد الدولة ابن الأمير حسام الدولة العقيلي صاحب الموصل؛ وقد خطب في بلاده للحاكم ثم رجع عن ذلك وخطب للقادر العباسي، فجهز صاحب مصر جيشاً لحربه، ووصل إلى الموصل ونهبوا داره وأخذوا له من الذهب مائتي ألف دينار، فاستنجد عليهم بدبيس بن صدقة واجتمعا على حربهم فنصرا عليهم، وقتلا منهم خلقاً كثيراً.

وكان ظريفاً شاعراً نهاباً وهاباً، وجمع بين أختين فلاموه فقال: خبروني ما الذي نستعمل من الشرع حتى تتكلموا في هذا الأمر؟ وقبض عليه بركة ابن أخيه وحبسه وتقلب زعيم الدولة، فلم تطل دولته، فقام بعده أبو المعالي قريش بن بدران بن مقلد ابن أخيه، فأول ما ملك أخرج عمه قرواشاً وذبحه صبراً، وقيل بل مات في سجنه سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

وفي قرواش يقول الظاهر الجزري:

وليل كوجه البرقعيدي ظلـمة ... وبرد أغانيه وطول قـرونـه

سريت ونومي فيه نوم مشـرد ... كعقل سليمان بن فهد ودينـه

على ألق فيه مضـاء كـأنـه ... أبو جابر في طيشه وجنونـه

إلى أن بدا وجه الصباح كأنـه ... سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وكانت إمارة قرواش خمسين سنة. حكى أبو الهيجاء ابن عمران بن شاهين قال: كنت أساير معتمد الدولة قرواشاً ما بين سنجار ونصيبين، فنزل ثم استدعاني بعد الزوال وقد نزل هناك بقصر العباس بن عمرو الغنوي، وهو مصل على بساتين ومياه كثيرة، فدخلت عليه فوجدته قائماً يتأمل كتابة في الحائط، فقرأتها فإذا هي:

يا قصر عـبـاس بـن عـم ... رو كيف فارقك ابن عمرك؟

قد كنت تـغـتـال الـدهـو ... ر فكيف غالك ريب دهرك؟

واهاً لـعـزك بـل لـجـو ... دك بل لمجدك بل لفـخـرك

وتحت الأبيات مكتوب: وكتب علي بن عبد الله حمدان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وهذا الكاتب هو سيف الدولة ابن حمدان، وتحت ذلك مكتوب:

يا قصر ضعضعك الزما ... ن وحط من علياء قدرك

ومحا محاسن أسـطـر ... شرفت بهن متون جدرك

واهاً لكاتبهـا الـكـري ... م وقدره الموفي بقدرك

وتحت الأبيات: وكتبه الغضنفر بن الحسن بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وتحت ذلك مكتوب:

يا قصر ما فعل الأولى ضربت خيامهم بعقرك?
أخنى الزمان عليهم وطواهم تطويل نشرك
آهاً لقاصر عمر من يختال فيك وطول عمرك

وتحت ذلك مكتوب: وكتب المقلد بن المسيب بن رافع بخطه سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وهذا هو حسام الدولة أبو قرواش المذكور، وتحت ذلك مكتوب:

يا قصر ما فعل الكرا م الساكنون قديم عصرك
عاصرتهم فبذذتهم وشأوتهم طراً بصبرك
ولقد أثار تفجعي يا ابن المسيب رقم سطرك
وعلمت أني لا حق بك دائباً في قفو إثرك

وتحت ذلك مكتوب: وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب سنة إحدى وأربعمائة. قال الراوي: فعجبت لذلك، وقلت له: الساعة كتبت هذا? قال: نعم، ولقد هممت بهدم هذا القصر فإنه مشوم، ودفن الجماعة؛ فدعوت له بالسلامة، ولم يهدم القصر.

وسيأتي ذكر والده المقلد في مكانه من حرف الميم إن شاء الله تعالى.

ومن شعر قرواش:

لله در النائبات فإنها صدأ اللئام وصيقل الأحرار
ما كنت إلا زبرة فطبعنني سيفاً وأطلق صرفهن غراري

ومنه أيضاً:

وآلفة للطيب ليست تغبه منعمة الأطراف لينة اللمس
إذا ما دخان الند من جيبها على وجهها أبصرت غيماً على شمس علا

المظفر قطز

قطز بن عبد الله الشهيد، الملك المظفر سيف الدين المعزي؛ كان من أكبر مماليك المعز أيبك التركماني، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً حازماً حسن التدبير يرجع إلى دين وإسلام وخير، وله اليد البيضاء في جهاد التتار.

حكى شمس الدين الجزري في تاريخه عن أبيه قال: كان قطز في رق ابن الزعيم بدمشق في القصاعين، فضربه أستاذه فبكى ولم يأكل يومه شيئاً، ثم ركب أستاذه وأمر الفراش يترضاه ويطعمه، فحدثني الحاج علي الفراش قال: جئته فقلت له: ما هذا البكاء من ضربة? فقال: إنما بكائي من لعنته أبي وجدي وهما خير منه، فقلت: ومن أبوك? واحد كافر، فقال: والله ما أنا إلا مسلم ابن مسلم، أنا محمود بن مودود ابن أخت خوارزم شاه، من أولاد الملوك؛ فترضيته. ولما تملك أحسن إلى الفراش وأعطاه خمسمائة دينار وعمل له راتباً.

وحكى الجزري أيضاً في تاريخه قال: حدثني أبو بكر بن الدريهم الإسعردي والزكي إبراهيم الجبيلي أستاذ الفارس أقطاي قال: كنا عند قطز لما تسلطن أستاذه المعز أيبك، وعنده منجم مغربي، فصرف أكثر مماليكه، فأردنا القيام فأمرنا بالقعود، ثم أمر المنجم فضرب الرمل وقال: اضرب

لمن يملك بعد أستاذي ومن يكسر التتار؛ فضرب وبقي زماناً يحسب وقال: يا خوند يطلع معي خمس حروف بلا نقط، فقال: لم لا تقول محمود بن مودود؟ فقال? يا خوند لا يقع إلى هذا الاسم، فقال: "أنا" هو، وأنا أكسرهم وآخذ بثأر خالي خوارزم شاه، فقلنا: يا خوند إن شاء الله تعالى، فقال: اكتموا هذا، وأعطى المنجم ثلاثمائة درهم. وكان مدبر دولة ابن أستاذه المنصور علي بن المعز أيبك، فلما دهم التتار الشام رأى أن الوقت يحتاج إلى سلطان مهيب، فعزل الصبي وتسلطن، وتم له ذلك في أواخر سنة سبع وخمسين، فلم يبلغ ريقه ولا تهنا بالسلطنة حتى امتلأ الشام تتار، فتجهز للجهاد وأخذ أهبة الغزو، والتف إليه عسكر الشام وبايعوه، فسار بالجيوش في أوائل رمضان وعمل المصاف مع التتار على عين جالوت، وعليهم كتبغا، فنصره الله عليهم وقتل مقدمهم.

وكان قطز شاباً أشقر كبير اللحية، ولما كسر التتار جهز بيبرس -أعني الظاهر- في أثر التتار ووعده بنيابة حلب، فساق وراءهم إلى أن طردهم عن الشام، ثم انثنى عزمه عن إعطائه حلب وولاها علاء الدين ابن صاحب الموصل، فتأثر الظاهر من ذلك، ودخل قطز دمشق وأحسن إلى الرعية فأحبوه حباً زايداً، ثم استناب على البلد علم الدين سنجر الحلبي، ورجع بعد شهر إلى القاهرة، فقتل بين الغرابي والصالحية، ودفن بالقصير، رحمه الله تعالى، سنة ثمان وخمسين وستمائة، تولى قتله الظاهر وأعانه جماعة من الأمراء، وبقي ملقى فدفنه بعض غلمانه، وصار قبره يقصد بالزيارة ويترحم عليه ويسب من قتله، فلما كثر ذلك بعث الظاهر من نبشه ونقله إلى مكان لا يعرف ودفنه، وعفى قبره وأثره، وكان قتله في سادس عشر القعدة من السنة.

المنصور قلاوون

قلاوون السلطان المنصور سيف الدنيا والدين، أبو المعالي وأبو الفتوح الصالحي النجمي؛ اشتري بألف دينار ولهذا كان يقال له "الألفي"؛ كان من أحسن الناس صورة في صباه وأبهاهم، كان تام الشكل مهيباً مستدير اللحية، قد وخطه الشيب، على وجهه هيبة الملك وعليه سكينة ووقار؛ كان في إمرته إذا دخل دمشق ينزل في دار الزاهر، وعمل نيابة السلطنة للملك العادل سلامش ابن الظاهر عندما خلعوا السعيد وحلفوا لسلامش وهو ابن سبع سنين، وضربت السكة بوجهين: وجه عليه اسم سلامش ووجه عليه اسم قلاوون، وبقي هذا الحال مدة شهرين، وفي رجب سنة ثمان وسبعين خلعوا العادل سلامش، وبايعوا الملك المنصور قلاوون، واستقل بالملك، وأمسك جماعة أمراء ظاهرية، واستعمل مماليكه على نيابة البلاد.

وكسر التتار سنة ثمانين، ونازل حصن المرقب وفتحه سنة أربع وثمانين، وفتح طرابلس، وأنشأ بالقاهرة بين القصرين المدرسة العظيمة والبيمارستان العظيم الذي لم يكن مثله، وتوفي في سادس القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ظاهر القاهرة، وحمل إلى القلعة وملك بعده ولده الأشرف، فلما كان مستهل سنة تسع أنزل من القلعة في تابوته إلى تربته، وفرق الذهب على القراء، وكان ملكاً عظيماً لا يحب سفك الدماء، إلا أنه كان يحب جمع الأموال، وأبقى الله تعالى الملك في بيته من بنيه ومماليكه وبني بنيه إلى الآن، رحمه الله تعالى.

قيس ابن ذريح

قيس بن ذريح -بالذال المعجمة- الكناني صاحب لبنى؛ قال صاحب "الأغاني": كان رضيعاً للحسن بن علي عليهما السلام، مر بخيام بني كعب والحي خلوف فوقف على خيمة لبنى بنت الحباب، فاستسقى ماء فسقته، وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام، فلما رآها وقعت في نفسه فشرب الماء، فقالت: انزل فتبرد عندنا، قال: نعم، ونزل، فجاء أبوها فنحر له وأكرمه، وانصرف قيس وفي قلبه النار من لبنى، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروي، ثم أتاها يوم آخر وقد اشتد وجده بها، فظهرت له فشكا إليها ما يجده من حبها وشكت إليه مثل ذلك، وانصرف إلى أبيه يسأله زواجها فأبى عليه وقال: بنات عمك أحق بك، وكان ذريح كثير المال، فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به، فاستعان بأمه على أبيه فلم يجد عندها ما يحب، فأتى الحسن بن علي رضي الله عنهما وشكا إليه ما به، فقال: أنا أكفيك، ومشى معه إلى أبي لبنى، فلما رآه أعظمه، فقال له: قد جئتك خاطباً ابنتك لقيس بن ذريح، فقال: يا ابن بنت رسول الله ما كنا لنعصي لك أمراً، وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن نحب أن يخطبها أبوه ذريح، فإنا نخاف إن لم يسمح أبوه أن يكون علينا عار وسبة، فأتى الحسن رضي الله عنه ذريحاً وقومه فأعظموه، فقال لذريح: أقسمت عليك إلا خطبت لبنى لقيس، فقال: السمع والطاعة، ثم قام في وجوه القوم وخطبها لابنه وزوجه إياها وزفت إليه، فأقام معها مدة لا ينكر أحد منهم من صاحبه شيئاً. وكان أبر الناس بأبيه، فألهاه عكوفه على لبنى عن ذلك، ووجدت أمه في نفسها فقالت لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك ولداً، وقد حرم الولد من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى غير ولدك، فزوجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً، وألحت عليه، فأمهل قيس حتى اجتمع قومه وقال له: يا قيس إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا لي ولد سواك، وهذه المرأة ليست بولود فتزوج غيرها من بنات عمك لعل الله يهب لك ولداً تقر به أعيننا، فقال قيس لا أتزوج غيرها أبداً، فقال أبوه: إن في مالي سعة فتسرى بالجواري، قال: ولا أسوؤها بشيء، فقال: أقسمت عليك إلا طلقتها، قال: الموت عندي والله أسهل من ذلك، ولكن أخيرك خصال، قال: ما هي؟ قال: تزوج أنت لعل الله يرزقك ولداً غيري، قال: ما في فضل لذلك، قال: فدعني أرحل عنك بأهلي واصنع ما أنت صانع لو مت في علتي هذه، قال: ولا هذه، قال: فأدع لبنى عندك وأرتحل عنك فلعلي أسلوها فإنها تطيب نفسي أنها في حبالي، قال: ولا هذه، ولا أرضى إلا أن تطلقها، ثم حلف أنه لا يكنه بيت ولا سقف إلا أن تطلق لبنى، وكان يخرج فيقف في الشمس فيجيء قيس ويقف إلى جانبه ويظلل عليه بردائه ويصلى هو بحر الشمس حتى يفيء الفيء، فينصرف عنه فيدخل إلى لبنى فيعانقها ويبكي وتبكي معه وتقول له: يا قيس إياك أن تطيع أباك فتهلك وتهلكني، فيقول: ما كنت لأطيع فيك أحداً أبداً. فيقال إنه مكث كذلك سنة، وقيل بل أربعين يوماً، ثم طلقها، فلما بانت بطلاقها وفرغ من الكلام لم يلبث أن استطير عقله ولحقه مثل الجنون، وأسف وجعل يبكي وينشج، وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها، فأقبل بهودج على ناقة وإبل تحمل أثاثها، فلما رأى قيس ذلك أقبل على جاريتها وقال: ويلك! ما دهاني فيكم؟ قالت: لا تسألني وسل لبنى، فذهب إلى لبنى ليسلم عليها فمنعه قومها، وأقبلت

عليه امرأة من قومه وقالت له: مالك تسأل كأنك جهل أو تتجاهل? هذه لبنى ترحل الليلة أو غداً؛ فسقط مغشياً عليه لا يعقل، ثم أفاق وهو يقول:

وإني لمفن دمع عيني بالبـكـا حذار الذي قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذلك بـلـيلة فراق حبيب لم يبن وهو بـائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفك إلا أن ما حـان حـائن

ورحلت لبنى واشتد مرضه، فسأل أبوه فتيات الحي أن يعدنه ويتحدثن عنده ويعللنه، فأتينه وجلسن عنده، وجاءه طبيب يداويه فقال قيس:

عدن قيساً من حب لبنى، ولبنى داء قيس، والحب داء شـديد
فإذا عادنـي الـعـوائد يومـاً قالت العين لا أرى مـا أريد
ليت لبنى تعودني ثم أقـضـي إنها لا تعود فـيمـن يعـود
ويح قيس ماذا تضمن منـهـا داء خبل والقلب منه عـمـيد

فقال الطبيب: مذ كم وجدت العلة بهذه المرأة? فقال:

تعلق روحي روحها قبل خلقنـا ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد
فزاد كما زدنا فأصبـح نـامـياً وليس إذا متنا بمنفصم العـهـد
ولكنه باق علـى كـل حـادث وزائرنا في ظلمة القبر واللحـد

ومن شعره:

وفي عروة العذري أن مت أسـوة وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند
وبي مثل ما قد نابه، غير أنـنـي إلى أجل لم يأتني وقـتـه بـعـد
هل الحب إلا عبـرة ثـم زفـرة وحر على الأحشـاء لـيس بـرد
وفيض دموع تستـهـل إذا بـدا لنا علم من أرضكم لم يكن يبـدو

وشكا أبو لبنى قيساً إلى معاوية، وأعلمه بتعرضه لها بعد الطلاق، فكتب إلى مروان بن الحكم بهدر دمه، وأمر أباها أن يزوجها بخالد بن حلزة من بني غطفان، فلما علم قيس جزع جزعاً شديداً، وقال:

فإن يحجبوها أو يحل وصـلـهـا مقـالة واش أو وعـيد أمـيـر
فلن يمنعوا عيني من دائم البـكـا ولن يذهبوا ما قد أجن ضمـيري
وكنا جميعاً قبل أن يظهر النـوى بأنعم حالـي غـبـطة وسـرور

فما برح الواشون حتى بدت لـنـا بطون النوى مقلوبة لـظـهـور

لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا ولكنما الـدنـيا مـتـاع غـرور

ولم يزل تارة يتوصل إلى زيارتها بالحيلة عليها، وتارة تزوره وهو نازل على قوم، إلى أن ماتت لبنى، فتزايد ولعه وجزعه وخرج في جماعة قومه حتى وقف على قبرها، وقال:

ماتت لبينى فموتها مـوتـي هل تنفعن حسرة على الفوت

فسوف أبكي بكاء مكـتـئب قضى حياة وجداً على مـيت

ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه، فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل؛ ولم يزل عليلاً لا يفيق ولا يجيب متكلماً حتى مات ودفن إلى جانبها، وكانت وفاتهما في حدود السبعين للهجرة، رحمهما الله.

مجنون ليلى

قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس، هو مجنون بني عامر؛ قال صاحب "الأغاني": لم يكن مجنوناً، ولكن كانت به لوثة مثل أبي حية النميري وكان سبب عشقه لليلى أنه أقبل ذات يوم على ناقة له، وعليه حلتان من حلل الملوك، وكان من أجمل الفتيان، فمر بامرأة من قومه يقال لها كريمة وعندها جماعة من النسوان تحدثهن فيهن ليلى، فأعجبهن جماله فدعونه إلى النزول، فنزل وأمر عبداً كان معه فعقر لهن ناقته، وتحدثن بقية يومه معه، فبينما هم كذلك إذ طلع فتى من الحي يسمى منازل، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون، فغضب وقام من عندهن وهو يقول:

أأعقر من أجل الكـريمة نـاقـتـي ووصلي مقرون بوصـل مـنـازل

إذا جاء قعقعن الحـلـي ولـم أكـن إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل

متى ما انتضلنا بالسهام نـضـلـتـه وإن يرم رشقاً عندها فهو ناضـلـي

ولما أصبح لبس حليته وركب ناقة أخرى ومضى متعرضاً لهن، فرأى ليلى قاعدة بفناء بيتها، وكان قد علق قلبه بحبها، وعندها جويريات يتحدثن معها، فوقف المجنون وسلم عليهن فدعونه إلى النزول وقلن له: هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيره؟ فقال: إيه لعمري، ونزل وعقر ناقته، فأرادت ليلى أن تعلم: هل لها عنده مثل ما له عندها، فجعلت تعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتحدث غيره، وكان قد شغفته "بحبها واستملحته" واستملحها، فبينما هي تحدثه إذ أقبل فتى من الحي، فدعته ليلى وسارته سراً ثم قالت له: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون وقد تغير وامتقع لونه فقالت:

كلانا مظهر للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكـين

تبلغنا العيون بمـا أردنـا وفي القلبين ثم هوى دفين

فلما سمع البيتين شهق وأغمي عليه فنضحوا الماء على وجهه، فأفاق بعد ساعة وقد تمكن حب كل منهما من قلب الآخر، وانصرفا وقد أصاب

المجنون لوثة ولم يزل في جنبات الحي منفرداً عارياً ولا يتكلم، إلا أن يذكروا له ليلى فيثوب إليه عقله. فلما تولى الصدقات عليهم نوفل بن مساحق رأى المجنون يلعب بالتراب عرياناً، فسأل عنه فأخبروه بخبره وحكوا له ما هو فيه، فأراد أن يكلمه فقيل له: ما يكلمك إلا إن ذكرت له ليلى وحديثها، فأقبل عليه وذكرها له فثاب إليه عقله وأقبل يحدثه بحديثه وينشده شعره فيها، فرق له نوفل وقال له: أتحب أن أزوجكها؟ قال: نعم، وكيف لي بذلك؟ فدعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معه كأصح ما يكون يحدثه وينشده، فبلغ ذلك رهط ليلى فتلقوه بالسلاح وقالوا لا والله يا ابن مساحق، لا يدخل المجنون منازلنا وقد أهدر السلطان دمه، فأقبل بهم وأدبر فأبوا، فقال للمجنون: إن انصرافك أهون من سفك الدماء، فانصرف وهو يقول:

أيا ويح من أمس يخلس عقـلـه ... فأصبح مذهوباً به كل مـذهـب

خلياً من الـخـلان إلا مـعـذراً ... يضاحكني من كان يهوى تجنبـي

إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعـت ... روائع عقلي من هوى متشعـب

وقالوا صحيح ما به طـيف جـنة ... ولا الهم إلا بافتراء الـتـكـذب

تجنب ليلى أن يلج بـك الـهـوى ... وهيهات كان الحب قبل التجنـب

ألا إنمـا غـادرت يا أم مـالـك ... صدى أينما تذهب به الريح يذهب

ثم إن المجنون وأهله وعشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى ووعظوه وناشدوه الرحم وقالوا: إن هذا الرجل هالك، وقد حكمناك في المهر، فأبى وحلف بالطلاق أن لا يزوجها به أبداً وقال: يا قوم أفضح نفسي وعشيرتي!! فانصرفوا عنه، وزوجها رجل من قومه وبنى بها في تلك الليلة، فيئس المجنون وزال عقله جملة، فقالوا لأبيه: احجج به وادع الله له فلعل الله أن يخلصه، فحج به، فلما كان بمنى سمع صارخاً بالليل يصيح "يا ليلى" فصرخ صرخة كادت نفسه تزهق معها ووقع مغشياً عليه، ولم يزل كذلك حتى أصبح فأفاق وهو حائل اللون وجعل يقول:

عرضت على قلبي العزاء فقال لـي ... من الآن فاياًس لا أعزك من صبـر

إذا بان من تهوى وأصـبـح نـائبـاً ... فلا شيء أجدى من حلولك في القبر

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منـى ... فهيج أحزان الـفـؤاد ومـا يدري

دعا باسم ليلى غيرهـا فـكـأنـمـا ... أطار بليلى طائراً كان في صـدري

دعا باسم ليلى ضلل الـلـه سـعـيه ... وليلى بأرض عنه نـازحة قـفـر

قال العتبي: مر المجنون يوماً بزوج ليلى وهو جالس يصطلي في يوم بارد، فوقف عليه المجنون ثم أنشأ يقول:

بربك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها?
وهل رفت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوانة في نداها?

فقال: اللهم إذ حلفتني فنعم، فقبض المجنون بتلك يديه قبضتين من الجمر فسمع نشيش لحمه وسقط لحم كفيه مع الجمر ووقع مغشياً عليه، وقام زوج ليلى متعجباً منه مغموماً عليه.

ومن شعر المجنون:

أيا جبلي نعمان بالـلـه خـلـيا سبيل الصبا يخلص إلي نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة على كبد لم يبق إلا صميمـهـا
فإن الصبا ريح إذا ما تنسـمـت على نفس مهموم تجلت همومها

ومنه، وبه سمي المجنون:

يقول أناس عل مجنـون عـامـر يروم سلواً قلت إني لـمـا بـيا
وقد لامني في حب ليلى أقاربـي أخي وابن عمي وابن خالي وخاليا
يقولون ليلى أهـل بـيت عـداوة بنفسي ليلى من عـدو ومـالـيا
خليلي لا والله لا أملـك الـبـكـا إذا علم من أرض ليلى بـدا لـيا
قضاها لغيري وابتلاني بحبـهـا فهلا بشيء غير ليلى قضى لـيا

فسلب عقله.

ومن شعره:

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلـتـي غـروب
ومـا ذاك إلا حـين أيقـنـت أنـه يمـر بـواد أنـت مـنـه قـريب
يكون أجاجاً دونكم فـإذا انـتـهـى إليكم تلقى نـشـركـم فـيطـيب
أظل غريب الدار في أرض عامـر ألا كل مهجـور هـنـاك غـريب
وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمـى إلـي وإن لـم آتـه لـحـبـيب
ولا خير في الدنيا إذ أنت لم تزر حبيباً ولم يطرب إليك حـبـيب

وقـــال أيضـــــاً:

وأدنيتني حتى إذا ما ملكتني بقول يحل العصم سهل

الأباطح

تناءيت عني حين لا لـي حـيلة وغادرت ما أوريت بين الجوانح

وقال أيضاً:

أمزمعة للبين ليلى ولم تـمـت كأنك عما قد أظلـك غـافـل

ستعلم إن شطت بهم غربة النوى وزالوا بليلـى أن لـبـك زائل

وقال أيضاً:

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية أو يراح

قطاه عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

ولم يزل المجنون يهيم في كل واد ويتبع الظباء ويكتب ما يقوله على الرمل، ولا يأنس بالناس، حتى أصبح ميتاً في واد كثير الحجارة، وما دل عليه إلا رجل من بني مرة، فحضر أهله وغسلوه وكفنوه، واجتمع حي بني عامر يبكونه أحر بكاء، ولم ير أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم، وذلك في حدود الثمانين من الهجرة، رحمه الله تعالى وعفا عنه، آمين.

حرف الكاف

"ظهير الدين البادرائي"

كامل بن الفتح بن ثابت، ظهير الدين الضرير البادرائي الأديب؛ له شعر وترسل، كتب الصاحب كمال الدين ابن العديم عنه، وتوفي سنة ست وتسعين وخمسمائة، وكان مسكنه ببغداد بباب الأزج، وكان يدخل على الخليفة الناصر ويحاضره ويخلو معه، وعلمه علم الأوائل، وهون عليه الشرائع، والله أعلم.

وقال ياقوت: وكان متهماً في دينه؛ ومن شعره من قصيدة:

وفي الأوانس من بغـداد آنـسة لها من القلب ما تهوى وتختار

سألتها نهلة من ريقها بـدمـي وليس إلا خفي الطرف سمسار

عند العذول اعتراضات ولائمة وعند قلبي جوابـات وأعـذار

"كتبغا المنصوري"

كتبغا الملك العادل، زين الدين المنصوري المغلي؛ كان أسمر قصيراً رقيق الصوت، له لحية صغيرة من الحنك، أسر حدثاً من عسكر هولاكو نوبة حمص الأولى في آخر سنة ثمان وخمسين وستمائة، وأمره أستاذه الملك المنصور، وكان من أمراء الألوف، ثم إنه عظم في دولة الأشرف، ولما قتل الأشرف التفت الخاصكية عليه، فحمل بهم على بيدرا وقتلوه، ولما تملك السلطان الملك الناصر جعل كتبغا نائبه، ولما تحول الناصر إلى الكرك تسلطن كتبغا ولقب بالعادل، ونهض بأمره لاجين وقراسنقر وطائفة كان قد اصطنعهم في نوبة الأشرف، وتمكن، وقدم دمشق وسار بالجيش إلى حمص ثم رد، ولما كان بأرض بيسان وثب حسام الدين لاجين وشد على بتخاص والأزرق فقتلهما في الحال وكانا عضدي كتبغا، واختبط الجيش وفر

كتبغا على فرس النوبة وتبعه أربعة من مماليكه، وساق كتبغا إلى دمشق فتلقاه نائبها مملوكه وفتح له أرجواس القلعة ودقت البشائر، ولم ينتظم له حال، واجتمع كجكن والأمراء وحلفوا لمن هو صاحب مصر وصرحوا لكتبغا في الحال فقال: أنا ما مني خلاف، وخرج من القلعة إلى قاعة صغيرة وبذل الطاعة، فرسم له أن يقيم بقلعة صرخد فأقام بها، وانطوى ذكره إلى بعد نوبة غازان، فأحسن الملك الناصر إليه وأعطاه حماة فمات بها سنة اثنتين وسبعمائة.

وكان موصوفاً بالديانة والخير والرفق بالرعية، ونقل تابوته إلى تربته بسفح قاسيون بدمشق، وجرى في أيامه الغلاء العظيم بالديار المصرية، وكان يبكي ويقول: هذا بخطيئتي، وفيه يقول الوداعي لما تسلطن وخلع على أهل دمشق:

إنما العادل سلطان الـورى عندما جاد بتشريف الجميع
مثل قطر صاب قطراً ماحلاً فكسا أعطافه زهر الربـيع

العتابي

كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر؛ أصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة وصحب طاهر بن الحسين، وكان حسن الاعتذار في رسائله وشعره، وهو أديب مصنف له من الكتب "كتاب المنطق" و"كتاب الآداب" و"كتاب فنون الحكم" و"كتاب الخيل" و"كتاب الألفاظ". وتوفي في حدود العشرين والمائتين.

وكان تزهد ومدح الرشيد والمأمون، وكان قد نقل إلى الرشيد عنه ما أهدر به دمه، فخلصه جعفر فقال فيه شعراً:

ما زلت في غمرات الموت مطرحاً يضيق عني فسيح الرأي من حيلي
فلم تزل دائماً تسعى بلطفـك لـي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

وكلم يحيى بن خالد في حاجة بكلمات قليلة فقال له يحيى: لقد نزر كلامك اليوم وقل، فقال: وكيف لا يقل وقد كفيتني ذل المسألة وحيرة الطلب وخوف الرد؟ فقال له يحيى: لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده.

ومن شعره:

ولو كان يستغني عن الشكر حامد لعزة ملك أو عـلـو مـكـان
لما أمر الله العبـاد بـشـكـره وقال اشكروا لي أيها الثقـلان

ولما دخل على المأمون كان عنده إسحاق الموصلي، فسلم عليه فرد عليه وأدناه وقربه حين دخل عليه وقبل يده، وأقبل عليه يسأله عن حاله وهو يجيبه بلسان طلق، فاستظرفه المأمون وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح، فظن أنه استخف به فقال له: يا أمير المؤمنين الإيناس قبل الإبساس، فاشتبه على المأمون، وأقبل على إسحاق مستفهماً، فأومأ إليه وغمزه على معناه حتى فهمه، فقال: يا غلام، ألف دينار، فأتي بذلك فدفعها إلى العتابي، ثم غمز المأمون إسحاق الموصلي عليه، فجعل العتابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه، فبقي العتابي متعجباً، ثم قال: يا أمير المؤمنين أيذن لي في مسألة

هذا الشيخ عن اسمه، فقال: نعم سله، فقال لإسحاق: يا شيخ من أنت? وما اسمك? فقال: أنا من الناس واسمي كل بصل، فتبسم العتابي، وقال: أما أنت فمعروف وأما الاسم فمنكر، فقال إسحاق: ما أقل إنصافك، أتنكر أن يكون اسمي كل بصل واسمك كل ثوم? وما كل ثوم من الأسماء? أليس البصل أطيب من الثوم? فقال العتابي: لله درك ما أحجك! أيأذن لي أمير المؤمنين أن أصله بما وصلني به? فقال لا بل هو موفر عليك ونأمر له بمثله، فقال إسحاق: أما إذ أقررت فتوهمني أنت، فقال: ما أظنك إلا إسحاق الموصلي الذي يتناهى إلينا خبره، قال: أنا حيث ظننت، فأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما: أما إذ اتفقتما فانصرفا متنادمين، فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق وأقام عنده.

وقال عمر الوراق: رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام فقلت له: ويحك أما تستحي? فقال: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر أكنت تحتشم أن تأكل وهو يراك? فقلت: لا، فقال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، ثم قام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه، فقال لهم: روي لنا من غير وجه أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار، قال: فما بقي أحد منهم إلا أخرج لسانه نحو أرنبة أنفه ويقدره هل يبلغها أم لا، فلما تفرقوا قال العتابي: ألم أعلمك أنهم بقر? ودخل العتابي على عبد الله بن طاهر، فلما مثل بين يديه أنشده:

حسن ظني وحسن ما عود اللـ ... ـه بسؤلي منك الغداة أتى بـي

أي شيء يكون أحسن من حس ... ن يقين حدا إلـيك ركـابـي

فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه من الغد فأنشده:

ودك يكفينيك فـي حـاجـتـي ... ورؤيتي كـافـية عـن سـؤال

وكيف أخشى "الفقر" ما عشت لي ... وإنما كفاك لـي بـيت مـال?

فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه في اليوم الثالث فأنشده:

بهجات الثياب يخلـقـهـا الـده ... ـر رضي الله عنه وثوب غض جديد

فاكسني ما يبيد، أصلـحـك اللـ ... ـه فإني أكـسـوك مـا لا يبـيد

"فأمر له بكسوة وجارية".

حرف اللام

أبو مخنف

لوط بن يحيى بن مخنف بن سليمان الأزدي، أبو مخنف -بالميم والخاء المعجمة والنون والفاء- وجده مخنف من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

توفي لوط سنة سبع وخمسين ومائة. وكان راوية أخبارياً صاحب تصانيف، وكان يروي عن جماعة من المجهولين؛ قال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال الدراقطني: أخباري ضعيف. ومن تصانيفه: "كتاب الردة". "فتوح الشام". "فتوح العراق". "كتاب الجمل". "كتاب صفين". "كتاب النهروان". "كتاب

الغارات". "كتاب الخريت بن راشد وبني ناجية". "كتاب مقتل علي رضي الله عنه". "كتاب مقتل حجر بن عدي وأصحابه". "مقتل محمد بن أبي بكر والأشتر ومحمد بن أبي حذيفة". "كتاب الشورى". ""كتاب" مقتل عثمان رضي الله عنه". "كتاب المسور بن علقمة". "كتاب وفاة معاوية وولاية يزيد ووقعة الحرة ومقتل عبد الله بن الزبير". "كتاب سليمان بن صرد وعين الوردة". "كتاب مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهري". "كتاب مصعب بن الزبير والعراق". "كتاب مقتل عبد الله بن الزبير". كتاب حديث وادي الجماجم ومقتل عبد الرحمن ابن الأشعث". "كتاب نجدة الحروري". "كتاب الأزارقة". "كتاب حديث روستقباذ". "كتاب شبيب الحروري وصالح بن مسرح". "كتاب المطرف بن المغيرة". "كتاب يزيد بن المهلب ومقتله بالعقر". "كتاب خالد القسري ويوسف بن عمر وموت هشام وولاية الوليد". "كتاب زيد بن علي ويحيى بن زيد". "كتاب الضحاك الخارجي". "كتاب الخوارج والمهلب بن أبي صفرة"، وله غير ذلك من الفتوحات.

ليلى الأخيلية

ليلى بنت عبد الله الأخيلية الشاعرة المشهورة؛ كانت من أشهر النساء لا يتقدم عليها إلا الخنساء، توفيت في عشر الثمانين للهجرة. وكان توبة بن الحمير يهواها -وقد نقدم ذكره خطبها فأبى أبوها، فكان يزورها.

قال لها الحجاج: إن شبابك قد مضى واضمحل أمرك وأمر توبة، فأقسم عليك إلا صدقتيني، هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك؟ قالت لا والله أيها الأمير، إلا أنه قد قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر، فقلت له:

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها فليس إليها ما حييت سبـيل
لنا صاحب لا نبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا والله ما سمعت بعدها منه ريبة حتى فرق بيننا، فقال لها الحجاج: فما كان منه بعد ذلك؟ قالت: وجه صاحباً له إلى حاضرنا وقال له: اعل شرفاً واهتف بهذا البيت بين أهله:

عفا الله عنها هل أبيتـن لـيلة من الدهر لا يسري إلي خيالها

فلما فعل ذلك عرفت المعنى، فقلت:

وعنه عفا ربي وأحسن حفظه يعز علينا حاجة لا ينالـهـا

وعن محمد بن الحجاج بن يوسف قال: بينما الأمير جالس إذ استؤذن لليلى، فأذن لها فدخلت امرأة طويلة دعجاء العين حسنة المشية حسنة الثغر، فسلمت عليه، فرحب بها الحجاج وقال لها: ما وراءك؟ ضع لها وسادة يا غلام، فجلست، فقال لها: ما أقدمك إلينا؟ فقالت: السلام على الأمير والقضاء لحقه والتعرض لمعروفه، فقال: كيف خلفت قومك؟ قالت: في حال خصب وأمن ودعة؛ أما الخصب ففي الأموال والكلأ، وأما الأمن فقد أمنهم الله عز وجل، وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم، ثم قالت: ألا أنشدك أيها الأمير؟ قال: إن شئت، فقالت:

أحجاج لا يفلل سلاحك إنمـا منايا بكف اللـه حـيث يراهـا
ال

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشـفـاهـا
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سـقـاهـا
سقاها دماء المارقين وعلـهـا إذا جمحت يوماً وخيف أذاهـا
أعد لها مصـقـولة فـارسـية بأيدي رجال يحلبون صـراهـا
أحجاج لا تعط العداة منـاهـم أبى الله يعطي للعداة منـاهـا
ولا كل خلاف تـقـلـد بـيعة بأعظم عهد الله ثـم شـراهـا

فأمر وكيله أن يعطيها خمسمائة درهم ويكسوها خمسة أثواب كسا خز.
وفي خبر آخر أنها وفدت عليه فقال لها: أنشديني بعض شعر في توبة، فأنشدته:

لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المـعـاير
وما أحد حي وإن عاش سـالـمـاً بأخلد ممن غيبتـه الـمـقـابـر
ولا الحي مما أحدث الدهر معتب ولا الميت أن لم يصبر الحي ناشر
وكل جديد أو شباب إلـى بـلـى وكل امرئ يوماً إلى الله صـائر
قتيل بني عوف فيا لهـفـتـا لـه وما كنت إياهم عـلـيه أحـاذر
ولكنني أخشى عليه قـبـيلة لها بدروب الشام باد وحاضر

فقال الحجاج لحاجبه: اذهب فاقطع عني لسانها، فدعا بالحجام ليقطع لسانها، فقالت: ويحك! إنما قال الأمير: اقطع لسانها بالعطاء والصلة، فارجع إليه فاستأذنه، فرجع إليه فاستأذنه فاستشاط غيظاً، وهم بقطع لسانه، ثم أمر بها فأدخلت عليه، فقالت: كاد وعهد الله يقطع أيها الأمير مقولي، وأنشدته:

حجاج أنت الذي ما فـوقـه أحـد إلا الخليفة والمستعظم الصـمـد
حجاج أنت شهاب الحرب إذ نهجت وأنت للناس نور في الدجى يقـد

## حرف الميم

### "صاحب الرحبة"

مالك بن طوق التغلبي صاحب الرحبة؛ أحد الأشراف والفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل، كان ينادي على باب داره بالخضراء -وكانت دار الإمارة- بعد المغرب: الإفطار يرحمكم الله، قال: والأبواب مفتوحة يدخلها الناس؛ توفي سنة تسع وخمسين ومائتين.
وهو الذي بنى الرحبة التي على الفرات وإليه تنسب، وسبب ذلك أن هارون الرشيد ركب على حراقة مع ندمائه في الفرات ومعهم مالك بن طوق،

فلما اقترب من الدواليب قال: يا أمير المؤمنين لو خرجت إلى الشط لنجوز هذه الدواليب، قال: أحبك تخاف هذه? قال: الله يكفي أمير المؤمنين كل محظور، قال الرشيد: قد تطيرت بقولك، ثم صعد إلى الشط، فلما بلغت الحراقة إلى الدواليب دارت دورة ثم انقلبت بما فيها، فتعجب الرشيد من ذلك وسجد شكراً لله تعالى وتصدق بأموال كثيرة، وقال لمالك: وجبت لك علينا حاجة فسل ما تحب، قال: يعطيني أمير المؤمنين هنا أرضاً أبنيها فتنسب إلي، قال: قد فعلنا وساعدناك بالأموال والرجال، فلما عمرها واستوثقت أموره فيها وتحول الناس فيها أنفذ إليه الخليفة يطلب منه مالاً، فتعلل ودافع ومانع وتحصن وجمع الجيوش، وطالت الوقائع بينه وبين عسكر الرشيد، إلى أن ظفر به صاحب الرشيد وحمله مكبلاً، فمكث في السجن عشرة أيام، ثم أمر بإحضاره في جمع من الرؤساء وأرباب الدولة، فقبل الأرض ولم ينطلق، فعجب الرشيد من صمته وغاظه ذلك وأمر بضرب عنقه، وبسط النطع وجرد السيف وقدم مالك، فقال الوزير: يا مالك تكلم فإن أمير المؤمنين يسمع كلامك، فرفع رأسه وقال: يا أمير المؤمنين أخرست عن الكلام دهشة، وقد أدهشت عن السلام والتحية، فأما إذ إذن أمير المؤمنين فإني أقول: السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الحمد لله الذي خلق الإنسان من سلالة من طين، يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين، ولم بك شعث الأمة، وأخمد بك شهاب الباطل، وأوضح بك سبيل الحق، إن الذنوب تخرس الألسنة الفصيحة وتصدع الأفئدة، وايم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، ثم أنشأ يقول بعد ما التفت يميناً وشمالاً

أرى الموت بين النطع والسيف كامناً ... يلاحظني من حيث ما أتلفت

وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي امرئ مما قضى الله يفلت?

يعز على الأوس بن تغلب وقفة ... يهز علي السيف فيها وأسكت

وأي امرئ يد لي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت

وما بي من خوف أموت وإنني ... لأعلم أن الموت شيء مؤقت

ولكن خوفي صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأني أراهم حين أنعى إليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا

فإن عشت عاشوا آمنين بغبطة ... أذود الردى عنهم، وإن مت موتوا

فكم قائل لا يبعد الله داره ... وآخر جذلان يسر ويشمت

قال: فبكى هارون الرشيد وقال: لقد سكت على همة، وتكلمت على حلم وحكمة، وقد عفوت لك عن الصبوة ووهبتك للصبية؛ فارجع إلى ولدك ولا تعاود، فقال: سمعاً وطاعة، وانصرف.

"مالك بن نويرة"

مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد، أبو المغوار اليربوعي أخو متمم؛ كان يلقب بالجفول لكثرة شعره. قتل في الردة؛ قال صاحب "الأغاني": كان أبو بكر رضي الله عنه لما جهز خالد بن الوليد لقتال أهل الردة قد أوصاهم أنهم إذا سمعوا الأذان في الحي وإقامة الصلاة نزلوا عليهم، فإن أجابوا إلى أداء الزكاة وإلا الغارة، فجاءت السرية حي مالك، وكان في السرية أبو قتادة الأنصاري، وكان ممن شهد أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا، فقبض عليهم خالد وكانت ليلة باردة، فأمر خالد منادياً ينادي "ادفئوا أسراكم" وكان لغة كنانة إذا قالوا "ادفئوا الرجل" يعنون اقتلوه، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً، وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه، فقال أبو قتادة: هذا عملك، فزبره خالد، فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه فيه عمر، فلم يرضى إلا أن يرجع إلى خالد ويقيم معه، فرجع إليه ولم يزل معه حتى قدم خالد المدينة، وكان خالد قد تزوج بزوجة مالك، فقال عمر: إن في سيف خالد رهقاً وحق عليه أن تقيده، وأكثر عليه في ذلك، وكان أبو بكر لا يقيد عماله فقال: يا عمر إن خالداً تأول فأخطأ فارفع لسانك عنه، ثم كتب إلى خالد أن يقدم عليه، فقدم وأخبره بخبره فقبل عذره، وعنفه بالتزويج، وقيل إن خالداً كان يهوى امرأة مالك في الجاهلية، وكان خالد يعتذر في قتله فيقول: إنه قال لي وهو يراجعني: ما إخال صاحبكم إلا قد كان يقول كذا وكذا، فقال خالد، أو ما تعده صاحبك؟ ثم قدمه فضرب عنقه.

ومما يؤيد خالد وأن مالكاً مات مرتداً أن متمماً لما أنشد عمر مراثيه في مالك قال له عمر: والله لوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت أخاك، فقال متمم: لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته، فقال عمر رضي الله عنه ما عزاني أحد عن أخي بأحسن مما عزاني به متمم.

وقال الرياشي: صلى متمم بن نويرة مع أبي بكر رضي الله عنه الصبح ثم أنشده:

نعم القتل إذا الرياح تنـاوحـت ... تحت الإزار قتلت يا ابن الأزور

الأبيات...

ثم بكى حتى سالت عينه العوراء ثم انخرط على سية قوسه مغشياً عليه.

وقيل لمتمم: ما بلغ من وجدك على أخيك؟ فقال: أصبت بإحدى عيني فما قطرت منها قطرة عشرين سنة، فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ.

ويقال في المثل: فتى ولا كمالك، ومرعى ولا كالسعدان، يعنون به مالكاً هذا.

وقيل لمتمم: صف لنا مالكاً فقال: كان يركب الجمل الثفال في الليلة القرة يرتمي لأهله بين المزادتين عليه الشملة الفلوات، يقود الفرس الحرون، ثم يصبح ضاحكاً.

ومن شعر متتم في مالك:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت فوق العضاة قتلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ثم غدرته بل لو دعاك بذمة لم يغدر
لا يلبس الفحشاء تحت ثيابه صعب مقادته عفيف المئزر
فلنعم حشو الدرع كنت وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنور

وقال يرثيه من أبيات:

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فإن تكن الأيام فرقن بيننا فقد بان محموداً أخي يوم ودعا
أقول وقد طار السنا في ربابه وجون يسح الماء حتى تربعا
سقى الله أرضاً حلها قبر مالك ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا
تحيته مني وإن كان نائياً وأمسى تراباً فوقه الأرض بلقعا

وقال:

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقلت لهم إن الشجا يبعث الشجا دعوني فهذا كله قبر مالك

وقال عمر رضي الله عنه لمتمم: أكان مالك يحبك مثل محبتك إياه? فقال: أين أنا من مالك? والله يا أمير المؤمنين لقد أسرني حي من العرب فشدوني وثاقاً وألقوني بفنائهم، فبلغه خبري فأقبل علي على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إلي أعرض عني وقصد إلى القوم، فعرفت ما أراد، فوقف عليهم فسلم وحادثهم وضاحكهم، فوالله ما زال حتى ملأهم سروراً، وأحضروا غداءهم فسألوه النزول يتغدى معهم ففعل، ثم نظر إلي وقال: ليقبح بنا أن نأكل ورجل ملقى بين أيدينا لا يأكل معنا، وأمسك عن الطعام، فقاموا القوم إلي وصبوا الماء على قدي حتى لان وحلوني، ثم جاءوا بي وأجلسوني معهم على الغداء، فلما أكلنا قال لهم: ما ترون تحرم هذا بنا وأكله معنا، وإنه لقبيح بكم أن تردوه إلى القيد، فخلوا

سبيلي وأطلقوني بغير فداء؛ وكان مقتل مالك في حدود سنة "اثنتي عشرة".

مجاهد الخياط

مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبي الفتح المصري التميمي الأديب، المعروف بالخياط، ويعرف بابن "أبي" الربيع؛ كان من كبار أدباء العوام، لكنه قرأ النحو وفهم، وكان قد سلطه الله تعالى على أبي الحسين الجزار شاعر الديار المصرية؛ وتوفي مجاهد سنة اثنتين وسبعين وستمائة: ومن شعره:

أب الحسين تأدب ما الفخر بالشعر فخر
ما تبللت منه بقطرة وهو بحر
وإن أتيت بيت وما لبيتك قدر
ولم تأت بالبيت إلا عليه للناس حكر

وكان ناصر الدين ابن النقيب قد وعده بإردب قمح، فجهز له وبيتين وتأخر له أربعة، فكتب إلى ابن النقيب:

ما ماجداً بالقمح قد جاد لي ما ذا الذي ألجاك أن تمنعه
وقد شكا لي نقصه فرقة ال باقي عسى مولاي أن يجمعه
أأبعث الثنتين من حاصلي إليك أو تبعث لي الأربعة

فكتب إليه ابن النقيب الجواب:

تا الله ما أخرتها مانعاً لها ولا في ذاك من مطمعه
وإنما أخرتها خيفة من كفك المتلفة المضيعة
وما عسى مقدارها عندكم والألف مع مثلك مستودعة
وإنها أجود ما يقتنى وإنك الميشوم بالأربعه

ومن شعره:

أعد يا برق ذكر أهيل نجد فإن لك اليد البيضاء عندي
أشيمك بارقاً فيضل عقلي فواعجباً تضل وأنت تهدي
ويبكيك السحاب وأنت ممن تحمل بعض أشواقي ووعدي
بعثت مع النسيم لهم سلاماً فما عطفوا علي له برد

وقال:

وظبي تظلمت من خده لقلبي عليه حقوق ودم
أخذت القصاص بتعضيضه ولم يجر بعد عليه القلم

ابن مواهب البغدادي

محمد بن محمد بن مواهب، أبو العز ابن الخراساني الشاهر البغدادي صاحب العروض ومصنف النوادر، المنسوب إلى حدة الخاطر؛ قرأ الأدب على الجواليقي، وله ديوان شعر في خمسة عشر مجلداً.

قال العماد الكاتب: ومدح الخلفاء والوزراء، وله مصنفات أدبية، وتغير ذهنه آخر عمره، وتوفي سنة ست وسبعين وخمسمائة، وله اثنتان وثمانون سنة، وأورد له ابن النجار ما يكتب على كمران:

أنا محسود من النا س على أمر عجيب
أنا ما بين قضيب يتثنى وكثيب

وقال:

أنا راض منكم بأيسر شيء يرتضيه لعاشق معشـوق
بسلام على الطريق إذا ما جمعتنا بالاتفاق الطـريق

وقال:

إن شئت أن لا تعد غمـرا فخل زيدا معاً وعـمـرا
واستغن بالله فـي أمـور ما زلن طول الزمان امرا
ولا تخالف مدى الليالـي لله حتى الممـات أمـرا
واقنع بما راج من طعـام والبس إذا ما عريت طمرا

القاضي نجم الدين الطبري

محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله، القاضي نجم الدين ابن جمال الدين الطبري؛ كان فقيهاً جيداً فيه كرم وحسن أخلاق، وله نظم منه:

أشبيه البدر التـمـام إذا بـدا حسناً وليس البدر من أشباهك
مأسور حبك إن يكن متشفـعـاً فإليك بالحسن البديع بجـاهـك
وأساه قـد أعـيا الأسـاة دواؤه وشفاه يحصل بارتشاف شفاهك
فصليه واغتنمي بقاء حـياتـه لا تقطعيه جفاً بحـق إلـهـك

قال تاج الدين اليمني: توفي نجم الدين الطبري سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، ومولده سنة ثمان وخمسين وستمائة، رحمه الله تعالى.

الوأواء الدمشقي

محمد بن أحمد -وقيل هو ابن محمد- أبو الفرج الوأواء الغساني الدمشقي؛ شاعر مطبوع منسجم العبارة حسن جيد التشبيه، بنى الحريري مقامة على قوله:

وأمرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

ومن شعره:

وليل كفكري في صدود معذبي وإلا كأنفاسي عليه من الوجد
وإلا كعمر الهجر فـيه لأنـه إذا قسته بالوصل كان بلا حد

وقال أيضاً:

اسقياني ذبيحة المـاء فـي الـكـأ س وكفا عن شرب ما تسقـيانـي
إنني قـد أمـنـت بـالأمـس إذ م ت بها أن أموت مـوتـاً ثـانـي
قهوة تطـرد الـهـمـوم إذا مـا سكنت فـي مـواطـن الأحـزان
نثرت راحة الـمـزاج عـلـيهـا حدقاً مـا تـدور فـي الأجـفـان
فهي تجري من اللطـافة فـي الأر واح مجرى الأرواح في الأبـدان

يتهادى بـكـأسـهـا مـن هـدايا ه إلـينـا طـرائف الأشـجــان
ما رأينـا ورداً كـورد بـخــدي ه بدا طالعاً علـى غـصـن بـان
زارني والصباح في سـاعـد الأف ق كبحر في نصفه نصـف جـان
وغدا والهلال في شـرك الـفـج ر شريكي في قبضة الارتـهـان
ويمين الجوزاء تـبـسـط بـاعـاً لعناق الـدجـى بـغـير بـنـان
وكأن الإكليل إذ رمـي الـغـر ب به شـعـلـه مـن الـنـيران
وكـأن الـنـجـوم أحــداق روم ركبت في محـاجـر الـسـودان
رشأ تشره الـنـفـوس إلـى مـا في ثناياه من رحـيق الـلـسـان
لا وما احمـر مـن تـورد خـدي ه وما اصفر من شموس الـدنـان
لأطيل السجود في قـبـلة الـكـأ س بتسـبـيح ألـسـن الـعـيدان
كم صلاة على فتى مات سـكـراً قد أقـيمـت فـيـنـا بـغـير أذان
أيهـا الـرائح الـذي راحــتــاه بخضاب الكؤوس مخضـوبـتـان
عج بضحك الأقداح في رهج القص ف إذا ما بكت عليها القـنـانـي
واسقني القهوة التي تنـبـت الـور د إذا شئت في خدود الـغـوانـي
لا تدغدغ صدر المـدام بـأيدي ال مزج ما دغدغت صدور المثانـي
كتبتها أيدي الـسـحـاب بـأقـلا م دموع على طروس المغـانـي
ألـفـات مـؤلـفـات ولامــا ت تكون من ضمير المـعـانـي
في رياض تريك بالـلـيل مـنـهـا سرجاً من شقـائق الـنـعـمـان

انظر إلى ما في هذه القصيدة من جودة التشبيه وصحته ولطف الاستعارات ورشاقة ألفاظها؛ ومن شعره:

وجلا الثريا فـي مـلا ءة نوره البدر التمـام
فكأنهـا كـأس لـيش ربها الدجى والبدر جام
وكأن زرق نجومـهـا حدق مفـتـحة نـيام

وقال أيضاً:

سقياً لـيوم غـدا الـغـمـام بـه والشمس مشرقة والبرق خـلاس
كأنه قـوس رام والـبـروق لـه رشق السهام وعين الشمس برجاس

وقال أيضاً:

والبدر أول ما بدا متلـثـمـاً يبدي الضياء لنا بخد مسفـر
وكأنما هو خوذة من فـضة قد ركبت في هامة من عنبر

وله أيضاً:

لست أنسى قلبي وقد راح نهباً بين بين مـبـرح وصـدود
وسماء العيون إذ ذاك تسقـي بسحاب الدموع روض الخدود

وقال، وهو لطيف عذب:

بالله ربكما عوجا على سكنـي وعاتباه لعل العتب يعطـفـه
وعرضاه بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه?
فإن تبسم قولا في مـلاطـفة ما ضر بوصال منك تسعفه?
وإن بدا لكما في وجهه غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفـه

وقال آخر في المعنى:

ألا يا نسيم الريح بلغ رسالـتـي سليمى وعرض بي كأنك مازح
فإن أعرضت عني فموه مغالطاً بغيري وقل ناحت بذاك النوائح

أخذه القائل فنظمه ذوبيت:

باللطف إذا لقيت من أهـواه عاتبه وقل له الذي ألـقـاه
إن أغضبه الوصال غالطه به أو رق فقل عبدك لا تنسـاه

وقال الآخر موالياً:

بحرمة العهد إن جزت النقا يا سعـد أبصرت ذاك المحيا والأثيث الجعـد
عرض بذكري وغالطها وقل يا دعد إذ لم تجودي بوصلك فاسمحي بالوعد

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي من أبيات:

ويا رسولي إليهم صف لـهـم أرقـي وأن طرفي لطيف الضيف مرتقـب
واسأل مواهبهم للعين بعـض كـرى لعل أن يهبوا لي بعض ما نـهـبـوا
ولطف القول لا تـسـأم مـراجـعة عند الهوى والنوى قد ينجح الطـلـب

عرض بذكري فإن قالوا أتـعـرفـه فاسأل لي الوصل وانكرني إذا غضبوا

ومن قول الوأواء الدمشقي في سيف الدولة:

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين اثنين

أنت إذا جدت ضاحك أبـداً وهو إذا جاد دامع العـين

وقال أيضاً:

أيا ملزمي ذنب الدموع وقد جرت فأبدت من الأسرار كل مصـون

أعني على تأديب دمعي فـإنـه يتوب إذا ما كنت أنت معـينـي

وقال أيضاً وهو لطيف جداً:

إذا اشتد ما ألقى جـلـسـت حـذاءه ونار الهوى قد أضرمت بين أوصالي

أقبـل مـن فـيه نـسـيم كـلامـه إذا مر بي صفحاً بأفـواه أمـالـي

وقال أيضاً:

يا من بزرقة سيف اللحظ طل دمي والسيف ما فخره إلى بزرقـتـه

علمت إنسان عيني أن يعوم فـقـد جادت سباحته في ماء مقـلـتـه

وقال أيضاً:

ولما وقفنا ساعة البين لم نـطـق كلاماً تناجينا بكسر الـحـواجـب

نناجي بإضمار الهوى ظاهر الهوى بأطيب من نجوى الأماني الكواذب

وقال أيضاً:

رعى الله من لم يرع لي حق صحبتي وإن كان في كف المنية مـودعـي

فيا أسفي زدني عـلـيه تـأسـفـاً ويا كبدي وجداً عليه تـقـطـعـي

وإني لمشتـاق إلـى مـن أحـبـه فلا معه شوقي ولا صبره مـعـي

وقال أيضاً:

تنفست الغداة وقد تـولـت ركائبهم معارضة طريقي

تنادت بالحريق فظلت أبكي فنادت بالحريق وبالغريق

وقال في جرب معشوقه من أبيات:

دب في كفيه ما من حبه دب مقلـتـي

فهو يشكو حر حب واشتكائي حر حب

وكانت وفاة الوأواء في عشر التسعين والثلاثمائة تقريباً، رحمه الله تعالى.

محيي الدين ابن سراقة?

محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة، محيي الدين الأنصاري الأندلسي الشاطبي؛ ولد في رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بشاطبة، وتوفي سنة اثنتين وستمائة بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم.

سمع الكثير، وولي مشيخة دار الحديث البهائية بحلب، ثم قدم إلى الديار المصرية ولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى حين وفاته، وكان أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة "والنبل"، وأحد المشايخ المعروفين بطريق القوم، وله في ذلك إشارات لطيفة، مع ما جبل عليه من مكارم الأخلاق واطراح التكليف ورقة الطبع ولين الجانب، وله شعر منه:

إلى كم أمني النفس ما لا تـنـالـه فيذهب عمري والأماني لا تقضـى

وقد مر لي خمس وعشرون حـجة ولم أرض فيها عيشي فمتى أرضى

وأعلم أني والـثـلاثـون مـدتـي وخير مغاني اللهو أوسعها ركضـا

وقال أيضاً:

وصاحب كالزلال يمحو صفاؤه الشك بالـيقـين

لم يحص إلا الجميل مني كأنه كاتـب الـيمـين

وهذا عكس قول المنازي:

وصاحب خلته خـلـيلاً وما جرى غدره ببالي

لم يحص إلا القبيح مني كأنه كاتب الشـمـال

وكان محيي الدين من أبناء القضاة، حفظ القرآن العظيم وتفقه على مذهب مالك، رحمه الله.

نصير الدين الطوسي

محمد بن محمد بن الحسن، نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب علم الرياضي؛ كان رأساً في علم الأوائل، لا سيما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار، قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي وغيره، وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو، وكان يطيعه فيما يشير به عليه، والأموال في تصريفه، وابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد، وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة، وجعل له الأوقاف، وكان حسن الصورة سمحاً كريماً جواداً حليماً حسن العشرة غزير الفضل.

حكي أنه لما أراد العمل للرصد رأى هولاكو ما يغرم عليه، فقال له: هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فايدته? أيدفع ما قدر أن يكون? فقال: أنا أضرب لك مثلاً يأمر القان من يطلع إلى هذا المكان، ويرمي من أعلاه طشت نحاس كبير من غير أن يعلم به أحد، ففعل ذلك، فلما وقع كانت له وقعة عظيمة هائلة روعت كل من هناك، وكاد بعضهم يصعق، وأما هو وهولاكو فإنهما ما حصل لهما شيء لعلمهما بأن ذلك يقع، فقال له: هذا العلم النجومي له هذه الفائدة، يعلم المتحدث فيه ما يحدث فلا يحصل له من

الروعة ما يحصل للذاهل الغافل عنه، فقال له لا بأس بهذا، وأمره بالشروع فيه، أو كما قيل.
ومن دهائه ما حكي أنه حصل لهولاكو غضب من علاء الدين الجويني -صاحب الديوان- فأمر بقتله، فجاء أخوه إلى النصير وذكر له ذلك، فقال النصير: هذا القان إن أمر بأمر لا يمكن رده، خصوصاً إذا برز إلى الخارج، فقال له لا بد من الحيلة في ذلك، فتوجه إلى هولاكو وبيده عكاز وسبحة ثم اصطرلاب، وخلفه من يحمل مبخرة وبخوراً وناراً، فرآه خاصة هولاكو الذين على باب المخيم، فلما وصل أخذ يزيد في البخور ويرفع الاصطرلاب ناظراً فيه ويضعه، فلما رأوه يفعل ذلك دخلوا على هولاكو وأعلموه، ثم خرجوا إليه فقال لهم: القان أين هو؟ قالوا له: جوا، قال: طيب معافى موجود في صحة؟ قالوا: نعم، فسجد شكراً لله تعالى، ثم قال لهم: طيب في نفسه؟ قالوا: نعم، وكرر ذلك مراراً وقال: أريد أرى وجهه بعيني، فدخلوا فأعلموه، وكان في وقت لا يجتمع "فيه" به أحد، فقال: علي به، فلما دخل ورآه سجد وأطال السجود، فقال له: ما خبرك؟ قال: اقتضى الطالع في هذا الوقت أن يكون على القان أمر فظيع عظيم إلى الغاية، فقمت وعملت هذا وبخرت بهذا البخور ودعوت بأدعية أعرفها أسأل الله تعالى صرف ذلك عن القان، وينبغي الآن أن القان يكتب إلى سائر ممالكه بإطلاق من في الاعتقال والعفو عمن له جناية لعل الله عز وجل يصرف هذا الحادث العظيم، ولو لم أر وجه القان ما صدقت، فأمر في تلك الساعة هولاكو بما قال، وانطلق علاء الدين صاحب الديوان في جملة الناس، ولم يذكره النصير الطوسي، وهذا غاية في الدهاء بلغ به مقصده ودفع عن الناس أذاهم.
ومما وقف له عليه أن ورقة حضرت إليه من شخص من جملة ما فيها: يا كلب "يا" ابن الكلب، فكان الجواب: أما قوله يا كذا فليس بصحيح؛ لأن الكلب من ذوات الأربع، وهو نابح طويل الأظفار، وأما أنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص، وأطال في نقض كل ما قاله، هكذا رد عليه بحسن طوية وتأن غير منزعج، ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة. ومن تصانيفه: "كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة" وهو جيد إلى الغاية، و"مقدمة في الهيئة" واختصر "المحصل" للإمام فخر الدين وهذبه وزاد فيه، وشرح "الإرشادات" ورد على الإمام فخر الدين في شرحه، وقال: هذا جرح وما هو شرح وقال فيه: إني حررته في عشرين سنة، وناقض فخر الدين كثيراً، ومن تصانيفه "التجريد في المنطق" و"أوصاف الأشراف" و"قواعد العقائد" و"التخليص في علم الكلام" و"العروض" بالفارسية، و"شرح الثمرة" لبطليموس، و"كتاب المجسطي" و"جامع الحساب في التخت والتراب" و"الكرة والاسطرلاب" و"المغطيات" و"الظاهرات" و"المناظر" و"الليل والنهار" و"الكرة المتحركة" و"الطلوع والغروب" و""تسطيح الكرة" "و" المطالع" و"تربيع الدائرة" و"المخروطات" و"الشكل المعروف بالقطاع" و"الجواهر" و"الاسطوانة" و"الفرائض على مذهب أهل البيت" و"تعديل المعيار في نقض تنزيل الأفكار" و"بقاء النفس بعد بوار البدن" و"الجبر والمقابلة" و"إثبات العقل الفعال" و"شرح مسألة العلم" و"رسالة الإمامة" و"رسالة إلى نجم الدين الكاشي في إثبات واجب الوجود" و"الحواشي على كليات القانون" و"الزيج الإيلخاني" و"رسالة ثلاثون فصلاً في معرفة التقويم"

و"كتاب أكر مانالاوس" و"أكر ثاوذوسيوس" وله شعر كثير بالفارسية.
وقال شمس الدين ابن المؤيد العرضي: أخذ النصير العلم عن كمال الدين ابن يونس الموصلي ومعين الدين سالم بن بدران المصري المعتزلي، وكان منجماً "لأبغا" بعد أبيه، وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده في الأموال، واحتوى على عقله حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به، ودخل عليه مرة ومعه كتاب مصور في عمل الدرياق الفاروق، فقرأه عليه وعظمه عنده وذكر منافعه وقال: إن كمال منفعته أن تسحق مفرداته في هاون ذهب، فأمر له بثلاثة آلاف دينار لعمل هاون، وولاه هولاكو جميع الأوقاف في سائر بلاده، وكان له في كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمل إليه ليصرفه في جامكيات المقيمين بالرصد ولما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الأرصاد، وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم، وكان يبرهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم، وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى.
قال شمس الدين الجزري، قال حسن بن أحمد الحكيم صاحبنا: سافرت إلى مراغة وتفرجت في الرصد ومتوليه علي بن الخواجا نصير الدين الطوسي، وكان شاباً فاضلاً في التنجيم والشعر بالفارسية، وصادفت شمس الدين "ابن" المؤيد العرضي وشمس الدين الشرواني والشيخ كمال الدين الأيكي وحسام الدين الشامي، فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً، منها ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس: الأولى دائرة نصف النهار، وهي مركوزة في الأرض، ودائرة معدل النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض، ودائرة الميل، ورأيت الدائرة الشمسية التي يعرف بها سمت الكواكب، وأخبرني شمس الدين العرضي أن نصير الدين أخذ من هولاكو بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله تعالى خارجاً عن الجوامك والرواتب التي للحكماء والقومة.
وقال نصير الدين في الزيج الإيلخاني: أنني جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء: منهم المؤيد العرضي من دمشق، والفخر المراغي "الذي" كان بالموصل، والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس، ونجم الدين القزويني، وقد ابتدأنا في بنائه في سنة سبع وخمسين وستمائة بمراغة، والأرصاد التي بنيت قبل وعليها كان الاعتماد دون غيرها هو رصد برجس، وله مذ بني ألف وأربعمائة سنة، وبعده رصد بطليموس، وبعده في ملة الإسلام رصد المأمون ببغداد، وله أربعمائة سنة وثلاثون سنة، والرصد البناني في حدود الشام، والرصد الحاكمي بمصر، ورصد بني الأعلم ببغداد وله مائتان وخمسون سنة، وقال الأستاذون: إن أرصاد الكواكب "السبعة" لا تتم في أقل من ثلاثين سنة، لأن فيها يتم دوران هذه السبعة، فقال هولاكو: اجهد في أن رصد هذه السبعة يتم في اثنتي عشرة سنة، قلت: أجتهد في ذلك.
وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه كثير من تلامذته وأصحابه، فأقام بها مدة أشهر ومات، وخلف من الأولاد صدر الدين علي والأصيل حسن والفخر أحمد، وولي صدر الدين بعد أبيه غالب مناصبه، فلما مات ولي بعده الأصيل حسن، وقدم الشام مع غازان، وحكم في أوقاف الشام تلك الأيام وأخذ منها جملة، ورجع مع غازان، وولي نيابة بغداد فأساء السيرة، فعزل وصودر وأهين، فمات غير حميد، وأما الفخر أحمد فقتله غازان لكونه أكل أوقاف الروم وظلم.

ومولد النصير بطوس سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ببغداد، وشيعه صاحب الديوان والكبار، وكانت جنازته حفلة، ودفن في مشهد الكاظم، رحمه الله تعالى آمين.

مؤيد الدين ابن العلقمي

محمد بن محمد بن علي، أبو طالب الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي البغدادي الرافضي، وزير المستعصم؛ ولي الوزارة أربع عشرة سنة فأظهر الرفض قليلاً، وكان وزيراً كافياً خبيراً بتدبير الملك، ولم يزل ناصحاً لأصحابه وأستاذه حتى وقع بينه وبين الدوادار لأنه كان متغالياً في السنة، وعضده ابن الخليفة، فحصل عنده من الضغن ما أوجب سعيه في دمار الإسلام وخراب بغداد على ما هو مشهور؛ لأنه ضعف جانبه وقويت شوكة الدوادار بحاشية الخليفة حتى قال في شعره من ذلك:

وزير رضي من بأسه وانتقامه بطي رقاع حشوها النظم والنثر

كما تسجع الورقاء وهي حمامة وليس لها نهي يطاع ولا أمـر

وأخذ يكاتب التتار إلى أن جر هولاكو وجرأه على أخذ بغداد، وقرر مع هولاكو أموراً انعكست عليه، وندم حيث لا ينفعه الندم، وكان كثيراً ما يقول بعد ذلك:

وجرى القضاء بعكس ما أملته

لأنه عومل بأنواع الهوان من أراذل التتار والمرتدة؛ حكي أنه كان جالساً بالديوان، فدخل عليه بعض التتار ممن ليس له وجاهة راكباً فرسه، فسار إلى أن وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما أراد، وبال الفرس على البساط وأصاب الرشاش ثياب الوزير، وهو صابر لهذا الهوان يظهر قوة النفس وأنه بلغ مراده.

وقال له بعض أهل بغداد: يا مولانا أنت فعلت هذا جميعه حمية، وحميت الشيعة، وقد قتل من الأشراف الفاطميين خلق لا تحصى، وارتكبت الفواحش مع نسائهم، فقال: بعد أن قتل الدوادار ومن كان على رأيه لا مبالاة بذلك. ولم تطل مدته حتى مات غماً وغيظاً في أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة.

بعث إليه المستعصم شدة أقلام، فكتب إليه: قبل الملوك الأرض شكراً للإنعام عليه بأقلام قلمت أظافر الحدثان، وقامت له في حرب الزمان، مقام عوالى المران، وأجنته ثمار الأوطار من أغصانها، وحازت له قصبات المفاخر بيوم رهانها، فيا لله كم عقد زمام في عقدها، وكم بحر سعادة أصبح جارياً من مدادها ومددها، وكم منآد خط استقام بمثقفاتها، وكم صوارم فل مضاربها مطرر مرهفاتها.

لم يبق لي أمل إلا وقد بلـغـت نفسي أقاصيه براً بي وإنعامـا

لأفتحن بها واللـه يقـدر لـي مصانعاً أعجزت من قبل بهراما

تعطي الأقاليم من لم يبد مسـألة له فلا عجب إن تعط أقـلامـا

وكان قد طالع المستعصم في شخص من أمراء الجبل يعرف بابن شرف شاه وقال في آخر كلامه "وهو مدبر" فوقع المستعصم له:

ولا تساعد أبداً مـدبـراً وكن مع الله على المدبر

فكتب ابن العلقمي أبياتاً في الجواب منها:

يا مالكاً أرجو بـحـبـي لـه نيل المنى والفوز في المحشر

أرشدتني لا زلت لي مرشـداً وهـادياً مـن رأيك الأنـور

أبنت لي بيت هدى قـلـتـه عن شرف من بيتك الأطهـر

فضلك فضل ما له مـنـكـر ليس لضوء الشمس من منكر

أن يجمع العالـم فـي واحـد ليس على الله بمستـنـكـر

اشتغل بالحلة على عميد الرؤساء أيوب، وعاد إلى بغداد وأقام عند خاله عضد الدين أبي نصر المبارك ابن الضحاك، وكان أستاذ الدار. ولما قبض على مؤيد الدين القمي -وكان أستاذ الدار- فوضت الأستاذ دارية إلى شمس الدين ابن الناقد، ثم عزل وفوضت الأستاذ دارية إلى ابن العلقمي، فلما توفي المستنصر بالله وولي الخليفة المستعصم وتوفي ابن الناقد وزر ابن العلقمي، وكان قد سمع الحديث واشتغل على أبي البقاء العكبري.

وحكي أنه لما كان يكاتب التتار تحيل إلى أن أخذ رجلاً وحلق رأسه حلقاً بليغاً وكتب ما أراد عليه بالإبر، ونفض عليه الكحل وتركه عنده إلى أن طلع شعره وغطى ما كتب، فجهزه وقال: إذا وصلت مرهم بحلق رأسك ودعهم يقرأون ما فيه، وكان آخر الكلام "اقطعوا الورقة" فضربت عنقه، وهذا غاية في المكر والخزي.

تاج الدين ابن حنا

محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري، الصاحب تاج الدين ابن الصاحب فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين ابن حنا؛ ولد سنة أربعين وستمائة، وتوفي سنة سبع وسبعمائة، وسمع من سبط السلفي ومن الشرف المرسي، وبدمشق من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر، وانتهت إليه رياسة عصره بمصره، وكان ذا تصون وسؤدد ومكارم أخلاق وشكل حسن وبزة فاخرة إلى الغاية، يتناهى في المطاعم والملابس والمساكن، ومع ذلك صدقاته كثيرة وتواضعه وافر، ومحبته في الفقراء والصلحاء زائدة، وهو الذي اشترى الآثار النبوية -على ما قيل- بستين ألف درهم وجعلها في مكانه بالمعشوق، وهو المكان المنسوب إليه بالديار المصرية، وهي قطعة من العنزة ومرود ومخصف وملقط من فضة، ورأى من العز والرياسة والوجاهة ومن السيادة ما لا رآه جده الصاحب بهاء الدين.

حكى الشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى أن الصاحب فخر الدين "ابن" الخليلي لما لبس خلعة الوزارة توجه من القلعة بالخلعة إلى دار الصاحب تاج الدين، وجلس بين يديه وقبل يده، فأراد أن يجبره ويعظم قدره، فالتفت إلى بعض غلمانه وطلب منه توقيعاً يختص بذلك الشخص، فأخذه وناوله لابن الخليلي وقال: مولانا يعلم على هذا التوقيع، فأخذه وقبله ووضعه على رأسه وكتب عليه قدامه؛ وكان فتح الدين ابن سيد الناس إذا حكى هذه الحكاية يقول: وهذه الحركة من الصاحب تاج الدين بمنزلة

الإجازة والإمضاء لوزارة ابن الخليلي.
ومن أحسن حركة اعتمدها ما حكاه الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى في تاريخه، قال: حكى لي القاضي شهاب الدين ابن فضل الله رحمه الله تعالى قال: اجتزت بتربته، فرأيت إلى جانبها مكتباً للأيتام وهم يكتبون القرآن في ألواحهم، فإذا أرادا مسحها غسلوا الألواح وسكبوا ذلك على قبره، فسألت عن ذلك فقيل لي: هذا شرط الواقف، وهذا قصد حسن وعقيدة صحيحة.
وكان الصاحب بهاء الدين يؤثره على أولاده لصلبه ويعظمه، وكتب له عليه حجة بمبلغ ستين مثقال مصرية؛ ومن وجاهته وعظمه في النفوس أنه لما نكب على يد الشجاعي جرده من ثيابه وضربه مقرعة واحدة فوق قميصه، ولم يدعه الناس يصل إلى أكثر من ذلك، مع جبروت الشجاعي وعتوه وتمكنه من السلطان.
وكان له شعر حسن، فمن ذلك ما كتبه إلى الشراج الوراق في حمار سقط في بئر فمات:

يفديك جحشك إذ مضى متـردياً ... وبتالد يفـدى الأديب وطـارف
عدم الشعير فلم يجـده ولا رأى ... تبناً وراح من الظما كالتالـف
ورأى البويرة غير خاف ماؤها ... فرمى حشاشة نفسه لمخـاوف
فهو الشهيد لكم بوافر فضلكـم ... هذي المكارم لا حمامة خاطف
قوم يموت حمارهم عطشاً لقـد ... أزروا بحاتم في الزمان السالف

وأجابه الوراق بقصيدة على وزنها في غاية الحسن، أولها:

أدنت ثمار قطوفها للقاطـف ... وثنت بأنفاس النسيم معاطفي

ومنها في ذكر الحمار:

ولكم بكيت عليه عـنـد مـرابـع ... ومراتع رشت بدمعـي الـذارف
يمشي على عسري ويسري صابراً ... بمعازف تلهـيه دون مـعـالـف
وقد استمر على القنـاعة يقـتـدي ... بي وهي في ذا الوقت جل وظائفي
ودعاه للبئر الـصـدى فـأجـابـه ... واعتاقه صرف الحـمـام الآزف
وهو المدل بألـفة طـالـت ومـا ... أنسي حقوق مرابعي ومـآلـفـي
ومواقفي في كل مـا حـاولـتـه ... في الدهر غير مواقفي ومخالفـي

دوران ساقية لطاحون ونـق ل الماء في شات ويم صائف
لكن بماء البئر راح بنقـلـه قتلته شامات بموت جـارف

وبعث الصاحب تاج الدين إلى السراج، وقد ولد له ولد، صلة وثلثاً حريرياً، وكتب مع ذلك أبياتاً خمسة أولها:

بعثت بها وبالثلث الرفيع
فأجابه الوراق بأبيات أولها:

سرت من جانب العز الرفـيع إلي بطيب أنفـاس الـربـيع
مصرعة كأني اليوم مـنـهـا ولجت على حبيب والصـريع
دعونا الخمسة الأبـيات سـتـاً لسبع علقت فوق الـجـمـيع
فدينا من هباتـك مـذهـبـات كأن بحوكها قطـع الـربـيع
تزيد بلمس كفك حسن وشـي كحسن الروض بالغيث المريع
بها أحييت للنفسـاء نـفـسـاً ولي معها وللطفل الرضـيع
وقد سمنت كيسي بعد ضعـف به التقت الضلوع مع الضلوع

وحكي أنه أضاف جده يوماً ووسع في الضيافة، فلما عاد جده إلى بيته أخذ الناس يتعجبون من همته وكرم نفسه؛ فقال الصاحب بهاء الدين: ليس ما ذكرتموه بعجيب، لأنه نفسه "كريمة ومكنته" متسعة، والعجيب العجيب كونه طول هذا النهار وما أحضره من المشروب والمأكول من الطعام والفاكهة والحلوى وغير ذلك على اختلاف الأنواع ما قام من مكانه، ولا دعا خادماً "فأسر إليه" ولا أشار إليه بيده ولا طرفه. وقيل إن الناس تعجبوا على كثرتهم من شربهم الماء المبرد في كيزان عامة نهارهم، فسئل عن ذلك فيما بعد فقال: اشترينا خمسمائة كوز، وبعثنا إلى الجيران قليلاً قليلاً بردوا ذلك في الباذهنجات التي لهم. ولا شك أنه كان عالي الهمة ممجداً مسوداً.

واعتكف في مئذنة عرفات بجامع مصر ثلاثة أيام، فكتب إليه السراج الوراق:

ثلاثة أيام قطعت لطـولـهـا ثلاث شديدات من السنـوات
حجبن محيا الصاحب ابن محمد لتجمع بين الحسن والحسنـات
وما كاد قلبي أن يقر قـراره لأني بمصر وهو في عرفات

وقال الحكيم شمس الدين ابن دانيال يهجوه:

يحتاج ذا التاج من يرصعه بدره تحت دالها كـسـره
فمن رأى عنقه الطويل ولا ينزل فيه يموت بالحسره

## الأثير ابن بنان

محمد بن محمد "بن محمد" بن بنان الأنباري، أبو طاهر بن أبي الفضل الكاتب؛ من أهل مصر وأصله من الأنبار؛ قرأ الأدب وسمع الحديث، وكان شيخاً جليلاً مهيباً عالماً أديباً كاملاً بليغاً، يكتب الخط الحسن ويقول الشعر الجيد ويترسل، وفيه مفاكهة ودماثة أخلاق.

قدم بغداد رسولاً مع قافلة من مكة من جهة سيف الإسلام طغتكين أخي صلاح الدين من اليمن، فأنزل بباب الأزج وأكرم مثواه، وحدث بكتاب

"الصحاح في اللغة" للجوهري، وبالسيرة النبوية.
ولد سنة سبع وخمسمائة "بمصر" وتوفي بها سنة ست وتسعين وخمسمائة، ودفن بالقرافة وله كتاب "تفسير القرآن المجيد" وكتاب "المنظوم والمنثور" في مجلدين، ومن نظمه في صاحب له توفي:

عجباً لي وقد مـررت بـآثـا ... رك كيف اهتديت نهج الطريق
أتراني نسيت عهـدك فـيهـا ... صدقوا ما لميت من صـديق

وكتب الكثير بخطه المليح، وتولى ديوان النظر في الدولة المصرية، وتنقلت به الخدم في الأيام الصلاحية بتنيس وإسكندرية، وكان القاضي الفاضل ممن يغشى بابه ويمدحه ويفتخر بالوصول إليه.

ابن عروس الكاتب

محمد بن محمد بن عروس الشيرازي، الكاتب الشاعر نزيل سامرا؛ له نظم، وتوفي في سنة ثمانين ومائتين.
ومن شعره:

ولقد تأمـلـت الـحـيا ... ة بعيد فقدان التصابـي
فإذا المصيبة بالـحـيا ... ة هي المصيبة بالشباب

وله أيضاً في أبي العيناء:

طرف أبي العيناء معلول ... ودينه لا شك مدخـول
وليس ذا علم بشـيء ولا ... له إذا حصلت محصول
ما هو إلا جمـلة غـثة ... وليس للجملة تفصـيل

قال محمد بن عروس: اجتمعت أنا وعلي بن الجهم في سفينة، ونحن غير متعارفين فتذاكرنا ووجدت له مذاكرة حلوة، فكان في بعض ما قاله: أنا أشعر الناس، قلت: بماذا؟ قال: بقولي:

سقى الله ليلاً ضمنا بعد هجعة ... وأدنى فؤاداً من فؤاد معذب
فبتنا جميعاً لو تراق زجـاجة ... من الخمر فيما بيننا لم تسرب

فقلت: والله قد أحسنت، ولكنني أشعر منك، قال: بأي شيء؟ قلت: بقولي:

لا والمنازل من نجد ولـيلـتـنـا ... بفيد إذ جسدانا بـيـنـنـا جـسـد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه ... نوماً فما انفك لا خد ولا عـضـد

فقال: أحسنت، ولكن بما صرت أشعر مني؟ قلت: لأنك منعت دخول جسد بين جسدين، وأنا منعت دخول عرض بين جسدين، قال: من أنت؟ قلت: أنا ابن عروس فمن أنت؟ قال: أنا علي بن الجهم.

أبو الحسن البصروي

محمد بن محمد بن أحمد، أبو الحسن البصروي، وبصرى قرية بدجيل دون عكبرا؛ كان شاعراً فصيحاً مطبوعاً له نوادر، منها أنه قال "له" رجل: لقد شربت البارحة كثيراً فاحتجت للقيام للبول كل ساعة كأني جدي، فقال: لم تصغر نفسك يا سيدي؟ وتوفي ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة؛ ومن شعره:

ترى الدنيا وزهرتها فتصبـو وما يخلو من الشبهات صب
فضول العيش أكثره همـوم وأكثر ما يضرك ما تحـب
فلا يغررك زخرف ما تـراه وعيش لين الأطراف رطب
إذا ما بلغه جاءتـك عـفـواً فخذها فالغنى مرعى وشرب
إذا حصل القليل وفيه سـلـم فلا ترد الكثير وفيه حـرب

وله غير ذلك، رحمه الله.

ابن الجنان الشاطبي

محمد بن سعيد بن هشام بن الجنان -بتشديد النون- الشيخ فخر الدين أبو الوليد الشاطبي الحنفي؛ ولد سنة خمس عشرة وستمائة بشاطبة، وقدم الشام وصحب الصاحب كمال الدين ابن العديم وولده قاضي القضاة مجد الدين، فاجتذباه ونقلاه من مذهب مالك إلى مذهب أبي حنيفة، ودرس بالإقبالية وكان أديباً فاضلاً وشاعراً محسناً، وكان يخالط الأكابر وفيه حسن عشرة ومزاج؛ وتوفي سنة خمس وسبعين وستمائة.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى: أخبرني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس قال: أخبرني والدي قال: كنا عند القاضي شمس الدين ابن خلكان وهو ينوب في الحكم بالقاهرة، والشيخ فخر الدين حاضر وهو إلى جانبي، فأنشد:

عرف النسيم بعرفكم وأخو الغرام بحبكم يتشـرف يتعـرف
شرف المتيم في هواكم أنـه طوراً ينوح وتارة يتلـهـف
لطفت معانيه فهب مع الصبا فرقيبه بهبـوبـه لا يعـرف
وإذا الرقيب درى به فـلأنـه أخفى عليه من النسيم وألطف
ولأنه يعدو النـسـيم ديارهـم وله على تلك الربوع توقـف

فقال القاضي شمس الدين: يا شيخ فخر الدين لطفته لطفته إلى أن عاد لا شيء، فالتفت وقال بلسانه: الكاضي حمار ما له دوك شيء، يعني القاضي حمار ما له ذوق.

قال أبو حيان: أنشدني فخر الدين ابن الجنان:

أفناني القبض عنـي حتى تلاشى وجودي
وجاءني البسط يحيي روحي بالنفس جودي
فقلت للنفس شـكـراً كذاك بالنفس جودي
وقمت أشطح سكـراً فغبت عن ذا الوجود

وقال أيضاً:

ذكر العذيب فمال من سكر الهـوى صب على صحف الغرام قد انطوى
يبكي على وادي العقيق بـمـثـلـه ويميل من طرب بمنعطف اللـوى
وجهت وجهي نحوهم فبوجـهـهـم لا أبتغي غـيراً ولا أرجـو سـوى

وبمهجتي معبود حسن منهم فلذا على عرش القلوب قد استوى
أوحى إلى قلبي الذي أوحى له فعجبت كيف نطقت فيه عن الهوى

وقال أيضاً:

عليك من ذاك الحمى يا رسول بشرى علامات الرضى والقبول
جئت وفي عطفيك منهم شذاً يسكر من خمر هواه العذول
يكفيك تشريفاً رسول الرضى أنك للعشاق فيهم رسول
حللتم قلبي وهو الذي يقول في دين الهوى بالحلول

وقال أيضاً:

وأبيك لم يخفق حشاي وإنما طرباً بأودية العقيق يصفق
بالله قولوا من أكون لديهم حتى أرى بهواهم أتعشق
نطق الغرام بحالهم لما رأى أن اللسان بحاله لا ينطق
لا يدعي فيه الفؤاد خفوقه فوشاح من أهوى لعمري أخفق

وقال أيضاً:

ودوح بدت معجزات له تبين عليه وتدعو إليه
جرى النهر حتى سقى غصنه فمال يقبل شكراً يديه
وكف الصبا ضيعت حليه فأضحى الحمام ينادي لديه
كساه الأصيل ثياب الضنى فحل طبيب الدياجي لديه
وجاء النسيم له عائداً فقام له لاثماً معطفيه

وقال أيضاً:

خبر بأنفاس النسيم معطر وافى إلي فظلت منه أسكر
لله ما أحلى شمائله التي جاء النسيم بعرفها يتبختر
وافى وما في القوم من يدري به ولسانه عما به يستخبر
حتى إذا غنى له الحادي بهم وسرى له من نشر ليلى العنبر
هز المعاطف ثم راح مولهاً نشوان في ذيل الصبا يتعثر
متهتكاً في العاشقين كما ترى يبدي الذي يخفيه منه ويضمر
سلطان حبي فيك أرسل أدمعاً أمست بأخبار الغرام تخبر
فقرأت منها في صحيفة وجنتي ما لا وعينك باللسان تعبر

نزلوا حديقة مقلتي أو ما تـرى أغصان أهدابي بدمعي تزهر?
لا أقفرت تلك المنازل منـهـم أبداً وربع الصبر منهم مقفـر

وقال أيضاً:

يا رعى الله عيشنـا روض حيث مال السرور فيه نميل
تحسب النهر عنده يتثـنـى وتخال الغصون فيه تسـيل

وقال أيضاً:

أهيل الحي هل علـم الـفـريق بأني فـيكـم صـب مـشـوق
نعم علمـوا وذاك لأن دمـعـي غداة البين سال بـه الـطـريق
أتأتون الحجاز وما عـلـمـتـم بأن القلب بيتكـم الـعـتـيق?
وألفاظي العذيب وفي ضلوعي ال حمى ودموع مقلتي الـعـقـيق

وقال أيضاً:

لي حبيب عن حبه لا أحـول إن شرح الغرام فيه يطـول
قال لي عاذلي: تناس هـواه قلت: أنسى يا عاذلي ما تقول
ولعمري لقد نسيت فقل لـي أنت فيه مساعد أم عـذول?
لو ضللنا في فترة من هـواه لهدانا من مقلـتـيه رسـول

وقال أيضاً:

قم فاسقنيها وجيش الليل مـنـهـزم والصبح أعلامه محمـرة الـعـذب
والسحب قد نثرت في الروض لؤلؤها فضمها الشمس في ثوب من الذهب

وقال أيضاً:

حديث ذاك الحمى روحي وريحاني فكيف يصبر عن هذين جثمانـي
فمن هواك لذاك الحسن راح بـه في الحي كل خلي القلب يهواني
ثم انثنيت وبي من سكـرة طـرب أهز عطفي به تـيهـاً وأردانـي
وحقهم لو ملكت الكون أجمـعـه وهبته طمعاً في وصل هجرانـي

وقال أيضاً:

بروحي وقلبي مبسمـه الـذي أبان لنا زهراً بأرض عقـيق
وخاف بأن يسري النسيم بعطره فأصبح يخفيه بستر شـقـيق

سعد الدين ابن عربي

محمد بن محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي، سعد الدين ابن الشيخ محيي الدين ابن العربي، الأديب الشاعر؛ ولد بملطية في رمضان سنة ثمان عشرة وستمائة، سمع الحديث ودرس، وكان شاعراً مجيداً وله ديوان مشهور؛ وتوفي بدمشق سنة ست وثمانين وستمائة، ودفن عند قبر أبيه بسفح قاسيون في تربة بني الزكي.

ومن شعره في مليح رآه بالزيادة بدمشق:

يا خليلي في الزيادة ظبي سلبت مقلتاه جفني رقاده
كيف أرجو السلو عنه وطرفي ناظر حسن وجهه في الزيادة

وقال في مليح قاض:

ورب قاض لنا مليح يعرب عن منطق لذيذ
إذا رمانا بسهم لحظ قلنا له دائم النفوذ

وقال في مليح قواس:

قلت لقواس له طلعة من رام عنها الصبر لم يقدر
يا من له وجه كبدر الدجى بكم تبيع القوس للمشتري

وله أيضاً:

لما تبدى عارضاه في نمط قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج سقط وقال قوم إنها اللام فقط

وقال أيضاً:

فاتر الطرف فاتك لدم الصب سافك
هاجر لي مواصل آخذ لي وتارك
وعلى كل حالة فهو مولى ومالك
قد أراني الدجى ضحى وجهه وهو ضاحك
يا سليماً من الأسى أنا والله هالك
لي حال كمثل شع رك يا بدر حالك
كم صبا فيك عابد ولكم ضل ناسك
لك والله منظر قل فيه المشارك
إن يوماً أراك في ه ليوم مبارك

وقال:

أسباك نرجس مقلتيه المضعف يا للهوى غلب القوي الأضعف
فتكت بقلبك مرهفات جفونه سله على م عليه سل المرهف
ويروقني الورد الجني بخده واهاً له لو كان مما يقطف
إن سامني فيه الهوان فإنني أبداً بعشق جماله أتشرف
يثنيه عن وصلي العفاف وطرفه أبداً يريق دمي ولا يتعفف
أمعنفي قسماً بمن قسم وقضى بأنك في الغرام

الهـوى تعنـف
ما أبصرت عيناك أحسن منظراً من وجهه لو كنت ممن ينصف
قال الحبيب وقد رآني مـبـدياً فرط التأسف لو أفاد تـأسـف
مالي أراك لفرك حبك حـاكـياً يعقوب? قلت له: لأنك يوسف

وقال أيضاً:

أن بالأحبة لا أزال مولـهـا إن لم أكن أنا للصبابة من لها
جاء البشير بهم فلولا أنـنـي عبد لهم لبذلت نفسي كلهـا
شرفت بهم منا القلوب وإنمـا شرف المنازل بالذي قد حلها
آه على أيامنـا بـطـويلـع ما كان أطيبها لنا وأجلـهـا
لاحت منازلهم بأعلى المنحنى قف بي لألثم حزنهن وسهلها
يا سادة ملكوا النفوس لأنهـم كانوا أحق بها وكانوا أهلهـا

وقال أيضاً في مليح يسمى بابن الفويرة:

زعموا بأن المسك فارته اغتدت تجنى من الظبي الغرير وتجلب
نسبوا الفويرة للغزال وما دروا أن الغزال إلى الفويرة ينسـب

وقال أيضاً في مليح سمين:

وقالوا من كلفت بـه سـمـين وذلك لا يخف على القـلـوب
فقلت لهم نحول الجسم وصف ال محب وليس من وصف الحبيب

وقال أيضاً في مليح ضعيف:

قيل لي جسم من تحب نحـيل وهو مما يشينه فاسل عنـه
قلت ما ذاك من سقام ولكـن خفة الروح أعدت الجسم منه

وقال أيضاً:

ألا يا سائلي عن شرح حالـي سؤال المشفق البر الرحـيم
فأما الجسم فهو كـمـا تـراه سقيم مثل ناظرك السـقـيم
وأما حال قلبي يا حـبـيبـي فلا تسأل عن أصحاب الجحيم

وقال أيضاً ذوبيت:

قد طارحني الحديث في ناديه بدر حسن جميع مـا يبـديه
يا مهدي در لفظه من فـيه شرفت مسامعي فـإيه إيه

وقال أيضاً:

يا للهوى ما لي من راحـم يأخذ حقي منك يا ظالمـي
لو لم تكن في مهجتي حاكماً ما غبت عني غيبة الحاكم

وقال أيضاً ذوبيت:

صبرت فؤادي عنهم إذ جـاروا في الحب وأرباب الهوى أطوار
نادوني كم تظهر عنـا جـلـداً في قلبك غيرنا؟ فقلت: النـار

وقال أيضاً:

أليلة وصل كـنـت أم لـيلة الـقـدر سقى عهدك الماضي سلاف من الخمر
لئن كان ذاك العـهـد ولـى ولـم يدم فإنـي لـه إنـي لـه دائم الـذكـر
أآمـل أن الـدهـر يسـخـو بــرده فوا أسفاً ما ذاك مـن شـيم الـدهـر
وبـي رشـأ أهـوى رشـاقة قــده إذا ما انثنى يا خجلة الغصن النـضـر
أيا صنم الحسن الـذي فـتـن الـورى وبرهان قولي أن قلبك من صـخـر
سباني ثغر منك كالدر نظمه ويا من رأى درأً يشبه بالبدر
أشاهد ريقاً منه كالشهد طعمه وما ذقته يوماً ولكنني أدري

النور الإسعردي

محمد بن محمد -"وقيل محمد" ابن عبد العزيز- ابن عبد الصمد بن رستم الإسعردي نور الدين الشاعر؛ ولد سنة تسع عشرة وستمائة، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة؛ كان من كبار شعراء الملك الناصر وله به اختصاص، وله ديوان شعر، وغلب عليه المجون، وأفرد هزلياته من شعره وجمعها وسماها "سلافة الزرجون في الخلاعة والمجون" وضم إليها أشياء من نظم غيره، وكان ماجناً خليعاً يجلس تحت الساعات؛ حضر ليلة عند الملك الناصر في مجلس أنس، فخلع عليه قباء وعمامة بطرف ذهب، فأتى بهما من الغد وجلس تحت الساعات.

ومن شعره:

ولقد بليت بشادن أن لمـتـه في قبح ما يأتيه ليس بنافـع
متبذل في خـسة وجـهـالة ومجاعة كشهود باب الجامع

وحضر ليلة عند الناصر في مجلس أنس، وكان في شرف الدين ابن الشيرجي، وكان ألحى، فقام ابن الشيرجي فقضى شغله وعاد، فأشار إليه السلطان بصفع النور الإسعردي فصفعه، فلما فعل نزلت ذقنه على كتف النور، فقبض عليها وأنشد في الحال:

قد صفعنا في ذا المحل الشريف وهو إن كنت ترتضي تشريفي

فارث للعبد من مصيف صفاع يا ربيع الندى وإلا خري فـي

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: ما أحسن ما أتى بياء المنادى هنا لتشريح التورية بين الربيع والخريف، وقوله "وإلا خري في" من أحسن التورية بقرينة إمساكه ذفن ابن الشيرجي، وقد ظرف غاية.

وأضر قبل موته فقال:

قد كنت من قبل في أمن وفي دعة طرفي يرود لقلبي روضة الأدب

حتى تلقبت نور الدين فانعمشـت عيني وحول ذاك النور للـقـب

وقال أيضاً:

سألت الله يختم لي بـخـير فعجل لي ولكن في عيوني

وقال أيضاً:

يا سائلي لما رأى حالـتـي والطرف منى ليس بالمبصر

لست أحاشيك ولـكـنـنـي سمحت بالعينين لـلأعـور

وقال أيضاً:

قلت إذ راح ناعساً ثم أبـدى ضرطة آذنت لشملي بجمع

"فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلي أرى الديار بسمعـي"

وقال مضمناً قول المتنبي:

سباني معسول المراشف عاسل ال معاطف مصقول السوالف مـائد

يروم على أردافه الخصر مسعداً "إذا عظم المطلوب قل المساعد"

وقال أيضاً:

قلت يوماً للصدر هل تثبت الـب عث وتنفي إنكارهم للـحـشـر

قالت أثبت ذقنـك فـي اسـتـي قال أنفي فقلت في وسط حجري

وقال أيضاً يفضل حشيش الفقراء:

لك الخير لا تسمع كـلام الـمـفـنـد ودونك في فـتـياك غـير مـقـلـد

سألت عن الخضراء والخمر فاسمـتـع مقـالة ذي رأي مـصـيب ومـسـدد

وحقك ما بالخمر بعض صـفـاتـهـا أتشرب جهراً في رباط ومـسـجـد?

عليك بها خـضـراء غـير مـبـالـغ بأبيض ورق أو بأحـمـر عـسـجـد

ولكن عـلـى رغـم الـمـدام هـدية تنزه عـن بـيع بـغـير الـتـزهـد

رياضية يحكي الجنان اخـضـرارهـا وخمرهم كـالـمـارج الـمـتـوقـد

مدامهم تنسي المعاني وهذه تذكر أسرار الجمال الموحد
هي السر ترقى الروح فيها إلى ذرى ال معالم في معراج فهم مجرد
بل الروح حقاً لا يحل بربعها هموم ولا يحظى بها غير مهتدي
ولا داسها العصار عمداً ودنس ال دنان بمختوم من القار أسود
ولا تتعب الأبدان عند نزالها وفي القيء إذ تبدو كزق ممدد
ولا تستخف الناس عقلك بينهم لعمري ولا تدعى لديهم بمفسد
وفي طرف المنديل يوماً وعاؤها ويعتاض عن حمل الزجاجة باليد
وتخلص من إثم وحد ولا ترى ذليلاً وتنجو من نديم معربد
وتشربها في العسر واليسر دائماً ولا تتقي فيها ليالي التعبد
وتأمن كبسات الحماة وكيدهم وتسلم من جور الولاة ولا تدي
وتغدوا ذكياً فاضلاً ذا نباهة ظريفاً ولا يغشاك فرط تبلد
وتصبح عند الناس غير مبغض وتمنح من كل بحسن التودد
وإن ذاقها المعشوق وافاك من الحاسد الواشي على غير موعد
ومن فضلها في الطب جودة هضمها وهيهات يحصى فضلها لمعدد
ولا سيما إن كان فيها منادمي غزال كغصن البانة المتأود
ينادم بالشعر اللطيف وتارة يغني فيزري بالحمام المغرد
يغازلني سراً بعيني غزالة ويبسم عن ثغر كدر منضد
فلا تستمع فيها مقالة عاذل يصدك عنها واعص كل مفند

وقال أيضاً يفضل الخمر على الحشيش:

فديتك نور الحق قد لاح فاهتد نديمي وكن في اللهو غير مقلد
أترضى بأن تمسي شبيه بهيمة بأكل حشيش يابس غير أرغد

فدع رأي قوم كـالـدواب ولا تـدر سوى درة كالكواكب الـمـتـوقـد
مدام إذا ما لاح للـركـب نـورهـا وقد ضل ليلاً عاد بالنـور يهـتـدي
حشيشتهم تكسو المـهـيب مـهـانة فتلقاه مثل القاتـل الـمـتـعـمـد
ويبدو على خديه مثل اخضـرارهـا فيضحي بوجه مظلم اللـون أربـد
وتفسد من ذهـن الـنـديم خـيالـه فينظر مبيض الصـبـاح كـأسـود
وخمرتنا تكسـو الـذلـيل مـهـابة وعزاً فتلـقـى دونـه كـل سـيد
وتجلى فتجلـو هـم كـل مـنـادم ويروى بها من شربها قلبه الصـدي
وتـبـدو فـيبـدو سـره وتـسـره فيشبهـهـا لـونـاً بـخـد مـورد
وفيها على رغم الحشيش مـنـافـع فقل في معانيها وصفـهـا وعـدد
وفي غيرها للنـاس كـل مـضـرة فحدث بكل السوء عن وصفها الردي
وحقك ما ذاق الحـشـيش خـلـيفة ولا ملـك فـاق الأنـام بـسـؤدد
ولا جد في وصف لها قط شـاعـر بتنميق ألفاظ كألـحـان مـعـبـد
ولم تضرب الأوتار في مجلس لهـا وما ذاك إلا للـشـراب الـمـورد
أتخضب من غـير الـمـدامة راحة إذا ما بدت في الكأس تجلى على اليد
بها ينثني المعشوق نـشـوان مـائلاً بقد كغصـن الـبـانة الـمـتـأود
يعاطيك راحاً مثلها فـي رضـابـه ومبسمه مثل الحباب الـمـنـضـد
وينعم بالوصل الـذي كـان بـاخـلاً به ثم ينسى كل ما كان في الـغـد
أعن مثلها يا صاح يصبـر عـاقـل لقد كنت في تركي لها غير مهتـدي
ولولا فضول الناس ما بت صـاحـياً ولم أستمع فيها مقـال الـمـفـنـد
فخذها ولا تـسـمـع مـقـالة لائم وإن حرمت يوماً على دين أحـمـد

تأمل هاتين القصيدتين وكيف ناقض بينهما، وبهذا يعرف حذق الشاعر فإنه يمدح الشيء ويذم ضده، ثم يعكس فيميل الطباع إلى ما مدح، ويصرفها على ما ذم، من غير أن يغير حقيقة هذا ولا هذا.

وقال أيضاً:

أيا حبذا دوح حللنا ظـلالـه فطاب لنا فيه مقيل ومسرح
سرينا إليه خلسة كنـسـيمة وعدنا كأغصان به تترنـح

وقال وهو ببستان البهاء ابن سيدة:

ألا يا بهاء الدين ليس بـنـادم نديمك بل تسدي إليه المكارم
خرينا وبلنا إذ سكرنا بنهركـم "ووجهك وضاح وثغرك باسم"

وقال في أحول لائط:

يا ظريفاً يكاد يقطر من عط فيه ماء اللواط في كل واد
عش هنيئاً فإن عينيك يغني حول فيهما عن الـقـواد

وقال أيضاً:

ولي صاحب قال نلت المنى بمن هو دون الورى منيتي
فقلت أتـى زائراً قـال لا ولكن جلدت ولي نـيتـي

شهاب الدين ابن تمرداش

محمد بن محمد بن محمود بن تمرداش، شهاب الدين أبو عبد الله؛ كان في أول مرة جندياً، وخدم بحماة وصحب صاحبها الملك المنصور، ثم أبطل ذلك ولبس زي العدول وجلس في مركز الرواحية بدمشق، وبها ولد وتوفي.

ومن شعره:

أقول لمسواك الحبيب لك الهنا برشف فم ما ناله ثغر عاشق
فقال وفي أحشائه حرقة الجوى مقالة صب للديار مـفـارق
تذكرت أوطاني فقلبي كما ترى أعلله بين الـعـذيب وبـارق

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى: ما أحلى قول محيي الدين ابن قرناص:

سألتك يا عود الأراكة إن تعـد إلى ثغر من أهوى فقبله مشفقا
ورد من ثنيات العذيب منيهـلاً تسلسل ما بين الأبيرق والنقـا

ولابن تمرداش:

ولما التقينا بعد بعد وفي الحشا لواعج شوق في الفؤاد تخـيم
أراد اختباري بالحديث فما رأى سوى نظر فيه الجوى يتكلـم

وقال أيضاً:

ومهفهف الأعطاف معسول اللمى كالغصن يعطفه النسيم إذا سرى
قال اسقني فأتيته بزجاجة ملئت قراحاً وهو لاه لا يرى
وتأرجت برضابه وأمدها من نار وجنته شعاعاً أحمرا
ثم انثنى ثملاً وقد أسكرته برضابه وبوجنتيه وما درى

وقال أيضاً:

قال لي ساحر اللواحظ صف لي هيفي قلت يا رشيق القوام
لك قد لولا جوارح جفني ك لغنت عليه ورق الحمام

وقال أيضاً:

حتام لا تصل المدام وقد أتت لك في النسيم من الحبيب وعود
والنهر من طرب يصفق من فرحة والغصن يرقص والرياض تميد

وقال أيضاً:

قد صنت سر هواكم ضناً به إن المتيم بالهوى لضنين
فوشت به عيني ولم أك عالماً من قبلها أن الوشاة عيون

ومن شعر ابن تمرداش:

لقد لذ لي من بعد طول تنسكي غرامي بمعسول اللمى وتهتكي
وأصليت قلبي في جحيم صدوده وإن كان في توحيده غير مشرك
ولم أنس إذ ودعته وحشاشتي تقابل جيش الشوق في كل معرك
فلو يسمع الشكوى حسود لراعه غريب الهوى من حيث أشكي ويشتكي
ولما سرت من نحوه نسمة الصبا يفوح شذاها كالعبير الممسك
علمت يقيناً أن نار ذكائه أعارت نسيم الريح من عرفها الذكي

وقال أيضاً في خياط:

رأيت في السوق خياطاً محاسنه تزهو على البدر إذ يبدو من الأفق
إن قرض الخيط في فيه وألصقه إلى ثنايا كنظم الدر في النسق
تكسوه نوراً ثناياه فتحبسه على المراشف خيط الصبح في الشفق

وقال أيضاً:

أراه بعيداً وهو في نفسي أدنى إلي وألقاه إذا غاب بالمعنى
وتشتاقه شوق الرياض إلى الحيا عيوني وإن أضحى فؤادي له مغنى
تشرد نومي إذ جفاني لأجله وسال من الصبر إلى المقلة الوسنى "كذا"
وكيف يلام النوم في عشق مقلة لواحظها تلقاك بالحسن والحسنى
يلوم عليه الحاسدون وبيننا من الود ما يفني الزمان وما يفنى
إذا قطعت العمر في ظل عشقه فلله ما أحلاه عيشاً وما أهنا

وله أيضاً:

قسماً بظبي ليس فيه نفور إني بعشق عذاره معذور
قمر يميس به كما شاء الصبا غصن يسر الناظرين نضير
يرنو إلي بناظر فيه الرضى فيغور في قلبي الجوى ويغير
وتزيدني ألطافه شغفاً به وقليل إحسان الحبيب كثير
وإذا أتاني زائراً وافى وفي ديباجتيه نضرة وسرور
لا يعتريه تكلف أنى سرى سراً ولا يرزوه حين يزور

وقال أيضاً:

ولرب ليل سرت فيه والدجى يدعى لفرط ظلامه بالكافر
طوراً أضل عن الطريق وأهتدي طوراً بنجم من هلال الحافر

وقال أيضاً ذوبيت:

أخفيت هواك عن جميع البشر ضناً بحديث سرك المستتر
فانصان وكاد يخفى قمري عن فرط ذكا مثلك لولا نظري

وله أيضاً:

كلما زادني اللواحي ملاما في هوى من أحب قلت سلاما
أنا من معشر إذا استمعوا العذ ل تجافوا عنه ومروا كراما
لي سمع للمنطق العذب إلا أنه لا يعي سواه كلاما
يصبح العاذلون في الهرج ج وقلبي لا يستفيق غراما

والمر
وجفاني الـذي أحـب وأجـفـا ني يبيتون سـجـداً وقـيامـا
وقال أيضاً:
طرب الدوح من غناء الحمـام وتثنى سكـراً بـغـير مـدام
وسقته سحب الغوادي فأضحى باسم النور من بكاء الغـمـام
باسماً في كمامه وابتـسـام ال عجب يخفي للحسن في الأكمام
كيف لا يزدهيه عجب وقد أص بح يحكيك يا رشيق الـقـوام
يا حمام الأراك لا تعرب اللـح ن فحسبي ما فيك من إعجـام
لا تبح بالذي تجن فـتـلـقـى ما ألاقي من كثـرة الـلـوام
وقال أيضاً:
ولقد قطعت العيش في زمن الصبا قطع امرئ عن غـيه لا يرجـع
أيام ألقى الحادثات بـمـثـلـهـا بأساً وأنف الخطب عنـي أجـدع
والآن قد ولى الشباب وأقـبـل ال شيب الملم وخطـبـه لا يدفـع
وقال أيضاً:
تقضت شهور بالبعـاد وأحـوال جرت بعدكم فيها أمور وأحوال
فإن يسر الله التلاقي ذكرتـهـا وإلا فلي في هذه الأرض أمثال
وقال أيضاً:
يا قمري إن جزت وادي الأراك وقبلت أغصانه الخضر فـاك
أرسل إلى عبدك من بعضـهـا فإنني والله مـا لـي سـواك
وقال أيضاً:
روى دمع عيني عن غرامي فأشكلا ولكنه وري الحـديث فـأشـكـلا
وأسنده عن واقـدي أضـالـعـي فأضحى صحيحاً بالغرام معـلـلا
وله أيضاً:
وافى النسيم وقد تحمل مـنـكـم لطفاً يقصر فهمه عن علـمـه
وشكا السقام وما درى ما وأنا أحق من الرسول

قد جرى بسقـمـه

وقال أيضاً:

إن طال ليلي بعدكم فلطولـه عذر وذاك لما أقاسي منكم

لم تسر فيه نجومه لكنـهـا وقفت لتسمع ما أحدث عنكم

وقال أيضاً:

عجباً لمشغوف يحدث عنكم ماذا يقول وما عساه يمدح

والكون إما صامت فمعظم حرماتكم أو ناطق فمسبح

وقال أيضاً:

من لأسير أمست أنيستـه في الدوح عن حاله تسائله

فهو يغني مبدى الحزين لها وهي بأوراقها تراسـلـه

وقال أيضاً:

حتى إذا رق جلباب الدجى وسرت من تحت أذياله مسكية النـفـس

تبسم الصبح إعجاباً بخـلـوتـنـا ووصلنا الطاهر الخالي من الدنس

وقال أيضاً:

جيادك يا من طبق الأرض عدلـه وحاز بأعلى الجد أعلى المناصب

إذا سابقتها في الـمـهـبة غـرة رياح الصبا عادت لها كالجنـائب

ولو لم يكن في ظهرها كعبة المنى لما شبهت آثارها بالـمـحـارب

وقال أيضاً:

يا سيدي أوحشت قوماً ما لهـم عن حسن منظرك الجميل بديل

وتعللت شمس النهار فما لهـا من بعد بعدك بكـرة وأصـيل

وبكى السحاب مساعداً لتفجعي من طول هجرك والنسيم عليل

وقال أيضاً:

يقولون شبهت الغزال بأهيف وهذا دليل في المحبة واضح

ولو لم يكن لحظ الغزال كلحظه اح وراراً لما تاقت إليه الـجـوارح

سبقه إلى هذا شمس الدين محمد بن دانيال فقال":

بي من أمير شكـار وجد يذيب الجوانـج

لما حكى الظبي حسناً حنت إليه الجوارح

وقال أيضاً:

انظر إلى الأزهار تلق رؤوسها شابت وطفل ثمارها ما أدركا

وعبيرها قد ضاع من أكمامهـا وغدا بأذيال الصبا متمسـكـا

وقال أيضاً:

ولما أشارت بالبنان وودعـت وقد أظهرت للكاشحين تشهدا

طفقنا نبوس الأرض نوهم أننا نصلي الضحى عليها من العدا

وقال أيضاً:

ما أبطأت أخبار من أحببـتـه عن مسمعي بقدومه ورجوعه

إلا جرى قلبي إليه خـافـقـاً وشكا إليه تشوقي بدمـوعـه

وقال أيضاً:

يقول لي الدولاب راض حبـيبـك ال ملول بما يهوى الخـير والـنـفـع

فإني من عود خـلـقـت وهـا أنـا إذا مال عني الغصن أسقيه من دمعي

وقال أيضاً ذوبيت:

الصب بك المتعوب والمعتـوب والقلب بك المسلوب والملسوب

يا من طلبت لحاظه سفك دمـي مهلاً ضعف الطالب والمطلوب

قيل إن الشيخ صدر الدين ابن الوكيل كان يقول: وددت لو أخذ شعري كله وأعطاني هذين البيتين.

وله غير ذلك وكل شعره مليح، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

ابن الحداد الأندلسي

محمد بن أحمد بن عثمان، أبو عبد الله القيسي الأندلسي، ابن الحداد الشاعر؛ له ديوان كبير، وكتاب في العروض، اختص بالمعتصم ابن صمادح وتوفي سنة ثمانين وأربعمائة. ومن شعره قوله من قصيدة:

بعيشكما ذات اليمـين فـإنـنـي أراح بشم الروح من عقداتـهـا

فقد عبقت ريح النعامى كـأنـمـا سلام سليمى فاح من نفحاتـهـا

وتيماء للقلب الـمـتـيم مـنـزل فعوجا بتسليم على سلـمـاتـهـا

مشاعر تهـيام وكـعـبة فـتـنة فؤادي من حجاجها ودعـاتـهـا

فكم صافحتني من مناها يد وكم هب عرف اللهو في

المنـى عرفاتها
عهدت بها أصنام حسن عهـدتـي هوى عبد عزاها وعبد مناتـهـا
أهل بأشواقـي إلـيهـا وأتـقـي شرائعها في الحب حق تقاتـهـا

وله أيضاً:

هم في ضميرك خيموا أو قـوضـوا ومنى جفونك أقبلـوا أم أعـرضـوا
وهم رضاك من الـزمـان وأهـلـه سخطوا كما زعمت وشاتك أو رضوا
أهواكـم وإن اسـتـمـر قـلاهـم ومن العجائب أن يحب المبـغـض

وله أيضاً:

وقد هوت بهوى نفسي مها سبـإ فهل درت مضر من تيمت سبأ
كأن قلبي سلـيمـان وهـدهـده طرفي وبلقيس ليلى والهوى النبأ

ابن الصابوني الإشبيلي

محمد بن أحمد ابن الصابوني الصدفي، من أهل إشبيلية؛ قال ابن الأزبار: ذهبت البدائع بذهابه، وختمت الأندلس شعراءها به، ذهب إلى المشرق فتوفي بالإسكندرية وهو طالب مصر سنة أربع "وثلاثين" وستمائة. ومن شعره من قصيدة، رحمه الله تعالى:

أقسم فرق الليل عن سنة الضـحـى واهبط خصر القاع من كفل الدعص
إلى أن أرى برقاً إذا شمت وجـهـه رأيت جبين البدر مكتمل الـقـرص

وقال أيضاً:

لقد حجبت زج الحواجب سلوتي ومن لحظ هذا سميت بالحواجب
وواوات أصداغ أقارب نـسـبة لنوناتها تدعى بوصف عقـارب
وميم فم تحت صـاد لـشـارب سلافاً حواها ختم صاد لشارب

وله أيضاً:

أما وعذار فوق خـديك إنـه لأنكأ فعلي مقلتيك لفـاعـل
وما خيلت نفسي إلـي بـأنـه ستفعل أفعال السيوف الحمائل

وله أيضاً:

رأيت في خـده عـذاراً خلعت في حبه عـذاري
قد كتب الحسن فيه سطراً "ويولج الليل في النهار"

وله أيضاً:

يسقي الرحيق المختوم من يده ختامة من عـذاره مـسـك

أسبل دمعي من صـده درراً جسمي لفرط الضنا لها سلك

أبو نصر الأواني

محمد بن أحمد بن الحسين الفروخي، أبو نصر الكاتب الأواني؛ كان كاتباً على أعمال السواد من قبل الوزير ابن هبيرة، وكان شيخاً فاضلاً نبيلاً أديباً حاذقاً، وصنف عدة رسائل: منها "رسالة في الربيع"؛ وتوفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة.

ومن شعره:

ما لعين جنت على القلب ذنب إنما يرسل اللحاظ القـلـب

والهوى قائد القلوب فإن سل ط جيش الغرام فالقلب نهب

أحياة بعد التـفـرق يا قـل ب فأين الهوى وأين الحـب

كان دعوى ذاك التأوه للبـي ن ولم ينصدع لشملك شعب

وعلاج الهوى عذاب المحبي ن ولكـنـه عـذاب عـذب

وقال أيضاً:

يا رب عفوك إنني في معشر لا أبتغي منهم سواك مـلاذا

هذا ينافق ذا وذا يغـتـاب ذا ويسب هذا ذا ويشتـم ذا ذا

وقال أيضاً:

قالت وقد عاينت حمرة كفـهـا لا تعتبن فالعهد غير مـضـيع

ما إن تعمدت الخطاب وإنـمـا زفرات حبك أوقدت في أضلعي

فبكيت من شوقي دماً فمسحتـه بأناملي فتخضبت من أدمـعـي

وله ترسل مليح، رحمه الله تعالى.

فتح الدين ابن سيد الناس

محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث، فتح الدين أبو الفتح ابن الفقيه أبي عمرو ابن الحافظ أبي بكر اليعمري؛ كان حافظاً بارعاً أديباً بليغاً مترسلاً، حسن المحاورة لطيف العبارة، فصيح الألفاظ كامل الأدوات لا تمل محاضرته، كريم الأخلاق زائد الحياء، حسن الشكل والعمة، وهو من بيت رياسة وعلم، سمع وقرأ وارتحل وكتب وحدث وأجاز. أجاز له عبد اللطيف وكناه بأبي الفتح، وسمع حضوراً سنة خمس وسبعين من القاضي شمس الدين ابن القسطلاني وقرأ على أصحاب ابن طبرزد وأصحاب الكندي وأصحاب الحرستاني، وارتحل إلى دمشق سنة تسعين فكاد يدرك الفخر بن البخاري ففاته بليلتين، قال الشيخ شمس الدين: ولعل مشيخته تقارب الألف. ونسخ بخطه، واختار وانتقى شيئاً كثيراً، ولازم الشهادة مدة؛ وكان عنده كتب كبار وأمهات جيدة: منها

مصنف ابن أبي شيبة، ومسنده، والمحلى، والتمهيد، وجامع عبد الرزاق، وتاريخ أبي خيثمة، والاستيعاب، والاستذكار، وتاريخ الخطيب، والمعاجم الثلاثة للطبراني، وطبقات ابن سعد، وتاريخ المظفري وغير ذلك.
وصنف "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" و"النفخ الشذي في شرح الترمذي" ولم يكمل، وكتاب "بشرى اللبيب بذكر الحبيب" و"منح المدح". وشعره رقيق سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم بلا كلفة، وكتب بالمغربي طبقة كما كتب بالمشرقي.
فن شعره قوله:

عهدي به والبين ليس يروعه ... صباً براه نحوله ودموعه
لا تطلبوا في الحب ثأر متيم ... فالموت من شرع الغرام وشروعه
عن ساكن الوادي سقته مدامعي ... حدث حديثاً طاب لي مسموعه
أفدي الذي عنت البدور لوجهه ... إذ حل معنى الحسن فيه جميعه
البدر من كلف به كلف به ... والغصن من عطف عليه خضوعه
لله معسول المراشف واللمى ... حلو الحديث ظريفه مطبوعه
دارت رحيق لحاظه فلنا بها ... سكر يجل عن المدام صنيعه
يجني فأضمر عتبه فإذا بدا ... فجماله مما جناه شفيعه

وقال أيضاً:

قضى ولم يقض من أحبابه أربا ... صب إذا مر خفاق النسيم صلبا
راض بما صنعت أيدي الغرام به ... فحبسه الحب ما أعطى وما سلبا
لا تحسبن قتيل الحب مات ففي ... شرع الهوى عاش للإخلاص منتسبا
في جنة من معاني حسن قاتله ... لا يشتكي نصبا فيها ولا وصبا
ما مات من مات في أحبابه كلفاً ... وما قضى بل قضى الحق الذي وجبا
فالسحب تبكيه بل تسقيه هامية ... وكيف تبكي محباً نال ما طلبا
فطوقت جيدها الورقاء واختضبت ... له وغنت على أعوادها طربا
ومالت الدوحة الغناء تصبو وتنثر من أوراقها

راقـصة ذهـبـا

والغصن نشوان يثنيه الـغـرام كأنه من حـمـيا وجـده شـربـا
بـه

والروض حمل أنفاس النسـيم أزهاره راجياً من قربـه
شـذا سـبـبـا

فراقه الورد فاستغنى بـه عطفاً إليه ومن رجع الجواب
وثـنـى أبـى

ففارقت روضها الأزهار نحو الرسول سبيلاًوابتغت
واتخـذت سـربـا

وحين وافته نـادت عـنـد لمثل هذا حبيباً فلـتـحـل حـبـا
رؤيتـه

تهلك وجنـات الـورد مـن فـرح وأعين النرجس انهلت له
نـغـبـا

سقته واستوسقت من عرفـه أذكى وأعطر أنفاساً إذا
أرجـاً انتـسـبـا

وأملت لمحة من حسـن فأجفلت رهباً إذ لم تطـق
قـاتـلـه هـربـا

أما درى حين جد الوجـد أن من دمعها ولها من حسنه
لـهـا حجـبـا

وبانة الشيح جادتهـا أوفت وفاء ولفت حولهـا
سـحـائبـهـا عـذبـا

عرارها وخزاماها وما حـمـلـت من البشام سقاه الغيث
منسـكـبـا

والعاذلون لووا أكتافـهـم والكاشحون ثنوا أعطافهم
حـزنـاً حـربـا

لم يبـق عـذل ولا لـوم يؤنـبـه سيان إن بعد اللاحـي وإن
قـربـا

ولم يكن قبل ذا يصغي لـهـم ولا تخوف يوماً أعـين
أذنـاً الـرقـبـا

وربما طاف شيطان الـسـلـو فأرسل الشوق من آماقه
بـه شـهـبـا

أفديه من حافظ للعهد إذ عهداً ومن صادق في الحب
نـقـضـوا ما كذبا

راض الصبابة واستحلى حتى استلان له منها الذي
لواعجـهـا صعـبـا

تراه منقبضاً للوصل طوراً ومكتئباً للبـين
مـقـتـضـيـاً مـرتـقـبـا

يستخبر الركب هل شط والرسم أعجم أنى خاطب
المزار بهم العـربـا

بالله يا نسمات الـريح هـل عنهم يعيد لي العيش الذي

خـبـر ذهـبـا
بانوا فـأي فـؤادٍ لـم يذب أسـفـاً وأي قلب غداة البـين مـا وجـبـا
ناديت بالسفح قلباً في ضيافـتـهـم لا يذكر السفح إلا حن مغـتـربـا
غير أن تصرعه الذكرى إذا خطرت والريح إن نسمت والدمع إن نضبـا
يرتاع للقضب إن ماست معاطفهـا ليناً وكان يروع السمر والقضـبـا
شوقاً إلى غصن بان مثمر قـمـراً على كثيب نقاً بالحسن منـتـقـبـا
تضرم الماء في جنـات وجـنـتـه ناراً وأضرم في أحشائنـا لـهـبـا
ولم يكن بابلي الريق مـبـسـمـه لما اكتسى ثغره من دره حـبـبـا
للأقحوانة مما فـيه مـنـظـرهـا ولم تنل مثله عرفـاً ولا ضـربـا
والبرق يخفق لمـا شـام بـارقـه فالمزن تبكي له أن أعوز الشنـبـا
من لي وللكبد الحرى ومقلتي العبرى استهلت وسحت دمعهـا سـحـبـا
ومن لمضنى إذا لج الـسـقـام بـه والحب لم يرض إلا روحة سلـبـا
ما زال يتعبه حتى اسـتـراح بـه وإنما يألف الراحات مـن تـعـبـا

وقال أيضاً:

ما شروط الصوفي في عصرنا اليو م سـوى سـتـة بـغـيـر زيادة
وهي نيك العلوق والسكر والسـط لة والرقص والغـنـا والـقـيادة
وإذا ما اهتـدى وأبـدى اتـحـاداً وجـمـيلاً مـن خـلـوة وأعـاده
وأتى المنكرات عقـلاً وشـرعـاً فهو شيخ الشيوخ ذو الـسـجـادة

وقال أيضاً:

يا كاتم الشوق إن الدمـع مـبـديه حتى يعيد زمان الوصل مـبـديه
أصبو إلى البان بانت عنه هاجرتي تعللاً بليالـي وصـلـهـا فـيه
عصر مضى وجلابيب الصبا لم يبق من طيبـه إلا تـمـنـيه

قشب

وقال أيضاً:

صرفت الناس عن بالي فحبل ودادهم بـالـي
وحبل الله معتصـمـي به علقـت آمـالـي
فمن يسلو الورى طراً فإني ذلك الـسـالـي
فار وجهي لذي جـدة ولا ميلي لـذي مـال

وقال أيضاً:

فقري لمعروفك المعروف يغنيني يا من أرجيه والتقصير يرجينـي
إن أوثقتني الخطايا عن مدى شرف نجا بإدراكه الناجون مـن دونـي
وغض من أملي ما ساء من عملي فإن لي حسن ظن فيك يكفـينـي

وقال أيضاً:

عذيري من دهري تصدى معاتباً لمستمنح العتبى فأقصد من قصد
رجوت به وصل الحبيب فعندما تبدى له المعشوق قابله الرصد

وقال أيضاً:

يا بديع الجمال شكر جمالـك أن توافي عشاقه بوصـالـك
لنت عطفاً لهم وقلبـك قـاس فهم يأخذون مـن ذا لـذلـك
غير أن الكمال أولى بذا الحس ن ومن للبدور مثل كمالـك
قابلت وجهك السماء فشكل ال بدر ما مرآتها من خـيالـك
مثلته لكن رسـوم صـداهـا كلفته فقصرت عن مثـالـك

وقال أيضاً:

إن غض من فقرنا قوم منـحـوا فكل حزب بما أوتوه قد فرحـوا
إن هم أضاعوا لحفظ المال دينهم فإن ما خسروا أضعاف ما ربحوا

وكانت وفاة الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس حادي عشر شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، ومولده رابع عشر ذي القعدة سنة إحدى وستين وستمائة، رحمه الله.

أبو اليسر ابن الصايغ?

محمد بن محمد بن عبد القادر الأنصاري، الشيخ الإمام المفتي بركة الوقت بدر الدين أبو اليسر ابن قاضي القضاة عز الدين ابن الصايغ الدمشقي الشافعي، مدرس الدماغية والعمادية؛ ولد سنة ست وسبعين وستمائة؛ وسمع كثيراً من أبيه وابن شيبان والفخر علي وبنت مكي، وحضر على ابن

علان، وحدث بصحيح البخاري عن اليونيني، وكان يلازم حلقة الشيخ برهان الدين، وعرض عليه قاضي القضاة فامتنع واستعفى وصمم، فاحترمه الناس وأحبوه لتواضعه ودينه، وعظمه تنكز نائب دمشق واعتقد فيه، وحج غير مرة، وتولى خطابة القدس مدة مديدة وتركها، وكان مقتصداً في لباسه وأموره، زار القدس فتعلل هناك ونقل إلى دمشق فمات بها شهور سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، ودفن عند أبيه بسفح قاسيون، وشيعه الخلائق وحمل على الرؤوس، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

الشيخ بهاء الدين ابن النحاس الحلبي

محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر، الإمام العلامة حجة العرب، بهاء الدين ابن النحاس الحلبي النحوي، شيخ العربية بالديار المصرية؛ ولد في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة بحلب، وتوفي سنة ثمان وتسعين وستمائة بالقاهرة.

سمع ابن اللتي والموفق ابن يعيش وأبا القاسم ابن رواحة وابن خليل، وقرأ القرآن على أبي عبد الله الفاسي وأخذ عن جمال الدين ابن عمرون، ودخل مصر لما خربت حلب وأخذ عن بقايا شيوخها، ثم جلس للإفادة وتخرج به جماعة من الأئمة، وكان من أذكياء بني آدم، وله خبرة بالمنطق وإقليدس، مشهوراً بالدين والصدق والعدالة، مع اطراح الكلفة، يمشي في الليل بين القصرين بقميص وطاقية على رأسه فقط، وكان حسن الأخلاق فيه ظرف النحاة وانبساطهم، وكان له صورة كبيرة في صدور الناس، معروفاً بحل المشكلات، واقتنى كتباً نفيسة، ولم يتزوج قط، وكانت له أوراد من العبادة.

قال قطب الدين عبد الكريم: كان كثير التلامذة كثير الذكر كثير الصلاة، ثقة حجة، يسعى في مصالح الناس، وكان لا يدخر شيئاً، وكان عنده من أصحابه ومن الطلبة من يأكل على مائدته، وكان لا يكلم أحداً في حل النحو إلا بلغة العوام لا يراعي الإعراب. وقال الشيخ أثير الدين: كان الشيخ بهاء الدين والشيخ محيي الدين محمد ابن عبد العزيز المازوني المقيم بالإسكندرية شيخي الديار المصرية، ولم ألق أحداً أكثر سماعاً لكتب الأدب من الشيخ بهاء الدين، وانفرد بسماع "الصحاح" للجوهري، وكان كثير العبادة والمروءة والترحم على من يعرفه، لا يكاد يأكل شيئاً وحده، وكان ينهى عن الخوض في العقائد، وله تودد إلى من ينتمي إلى الخير. ولي التدريس بجامع ابن طولون بالقبة المنصورية، وله تصدير بمصر، ولم يصنف شيئاً إلى إملاء على كتاب "المقرب" لابن عصفور من أول الكتاب إلى باب الوقف أو نحوه.

توفي يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين. وكنت أنا وأياه نمشي بين القصرين، فعبر علينا صبي يسمى بجمال، وكان مصارعاً، فقال الشيخ بهاء الدين: ينظم كل منا في هذا المصارع، فنظم الشيخ بهاء الدين:

مصارع تصرع الآساد سمـرتـه ... تيهاً فكل مليح دونـه هـمـج

لما غدا راجحاً في الحسن قلت لهم ... عن حسنه حدثوا عنه ولا حـرج

ونظم الشيخ أثير الدين أبو حيان:

سباني جمال من مليح مـصـارع ... عليه دليل لـلـمـلاحة واضـح

لئن عز منه المثل فـالـكـل دونـه وإن خف منه الخصر فالردف راجح

قال الشيخ أثير الدين: وسمع الشيخ شهاب الدين العزازي نظمنا فنظم:

هل حكم ينصفني مـن هـوى مصارع يصرع أسد الشـرى

مذ فر مني الصبر في حـبـه حكى عليه مدمعي ما جـرى

أباح قتلي في الهوى عـامـداً وقال كم من عاشق في الورى

رميته في أسر حـبـي ومـن أجفان عينيه أخذت الـكـرى

وقال الشيخ أثير الدين: أنشدني بهاء الدين يخاطب رضي الدين الشاطبي وقد كلفه أن يشتري له قطراً:

أيها الأوحد الرضي الذي طـا ل علاء وطاب في الناس نشرا

أنت بحر لا غرو إن نحن وافي ناك راجين من نداك القطـرا

وأنشدني لنفسه ما كتب على منديل:

ضاع مني خصر الحبيب نحولاً فلهذا أضحـي عـلـيه أدور

لطفت خرقتي وودقت فجلـت عن نظير كما حكتها الخصور

أكتم السر عن رقـيب لـهـذا بي يخفي دموعه المهجـور

وأنشدني لنفسه أيضاً:

أني تركت لذا الـورى دنـياهـم وظللت أنتظر الممات وأرقـب

وقطعت في الدنيا علائق: ليس لي ولد يموت ولا عـقـار يخـرب

وله أيضاً في مليح شرطوه:

قلت لما شرطوه وجـرى دمه القاني على الخد اليقق

ليس بدعاً ما أتوا في فعلهم هو بدر ستروه بالشـفـق

وكتب الخط الفائق المنسوب، وقرأ عليه جماعة من أهل عصره ومصره، وقرأ عليه الشيخ شمس الدين الذهبي، وكان يحفظ ثلث "صحاح" الجوهري، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

البدر ابن جماعة

محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر، قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي؛ ولد بحماة سنة تسع وثلاثين وستمائة، وسمع سنة خمسين من شيخ الشيوخ "الأنصاري، وبمصر من الرضي ابن البرهان والرشيد العطار وإسماعيل" ابن عزون وغيره، وبدمشق من الواني بن أبي اليسر وابن عبد الله وطائفة، وحدث بالشاطبية عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبي، وحدث بالكثير وتفرد في وقته، وكان قوي المشاركة في علم الحديث والفقه والأصول والتفسير، خطيباً تام الشكل، ذا تعبد وأوراد، وحج، وله تصانيف،

درس وأفتى وأشغل؛ ولي خطابة القدس، ثم طلبه الوزير ابن السلعوس فولاه قضاء مصر، ورفع شأنه، ثم حضر إلى الشام قاضياً وولي خطابة الجامع الأموي مع القضاء، ثم طلب لقضاء مصر بعد ابن دقيق العيد وامتدت أيامه إلى أن شاخ وأضر وثقل سمعه، فعزل بقاضي القضاة جلال الدين القزويني سنة سبع وعشرين وسبعمائة، وكثرت أمواله، وباشر آخراً بلا معلوم على القضاء، ولما رجع السلطان من الكرك صرفه وولى جمال الدين الزرعي، فاستتم نحو السنة، ثم أعيد بدر الدين ابن جماعة وولي مناصب كباراً، وكان يخطب من إنشائه، وصنف في علوم الحديث وفي الأحكام، وله "رسالة في الكلام على الاسطرلاب" وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، رحمه الله.

أبو العبر

محمد بن أحمد الهاشمي، كنيته أبو العباس، فصيرها "أبا العبر" ثم إنه كان يزيدها كل سنة حرفاً فمات وهو أبو العبر طرد طبك طلياري بك بك بك.

وكان شاعراً ترك الجد وعدل إلى الهزل، حبسه المأمون وقال: هذا عار على بني هاشم، فصاح في الحبس: نصيحة لأمير المؤمنين، فأخبروه، فاستحضره وقال: هات نصيحتك، فقال: الكشكية أصلحك الله لا تطيب إلا بكشك، فضحك منه وقال: أرى أنه مجنون، فقال أبو العبر: إنما امتخطت حوت، فقال: ويحك! ما معنى قولك؟ فقال: أصلحك الله زعمت أنني مججت نون، وإنما امتخطت حوت، فأطلقه وقال: أظنني في حبسك مأثوم، قال لا ولكنك في ماء بصل، فقال: أخرجوه عني ولا تقم في بغداد فهذا عار علينا.

وكان في مبدأ أمره صالح الشعر مع توسط، لا ينفق مع أبي تمام والبحتري وأضرابهما، فعمد إلى الحمق وكسب بذلك أضعاف ما كسبه كل شاعر بالجد. ومن قوله الصالح:

لا أقول الله يظلـمـنـي كيف أشكو غير متهـم
وإذا ما الدهر ضعضعني لم تجدني كافر النـعـم
قنعت نفسي بما ظفـرت وتناهت في العلا هممي

قال عبد العزيز ابن أحمد: كان أبو العبر يجلس في مجلس يجتمع إليه المجان فكان يجلس على سلم وبين يديه بالوعة فيها ماء وحمأة وقد سد مجراها، وبيده قصبة طويلة، وعلى رأسه خف وفي رجليه قلنسوتان، ومستمليه في جوف بئر، وحوله ثلاثة يدقون بالهواوين، حتى تكثر الجلبة ويقل السماع، ويصيح مستمليه من البئر، ثم يملي عليهم، فإن ضحك أحد ممن حضر قاموا فصبوا على رأسه من البالوعة إن كان وضيعاً، وإن كان ذا مروءة رشوا عليه بالقصبة من مائها، ثم يجلس في الكنيف إلى أن ينقضي المجلس، فلا يخرج منه حتى يغرم درهمين.

ومن شعره الصالح:

أيها الأمرد المولع بـالـهـج ر أفق ما كذا سبيل الـرشـاد
فكأني بحسن وجـهـك قـد أل بس في عارضيك ثوب حـداد
وكأني بعـاشـقـيك وقـد أب دلت فيهم من خلطة بـبـعـاد
حيث تغضي العيون عنك كما قبض السمع من حديث

ين معـاد

فاغتنم قبل أن تصير إلـى كـا ن وتضحي من جملة الأضـداد

وقال أيضاً:

رأيت من العجائب قـاضـيين هما أحدوثة في الخافـقـين

هما اقتسما العمى نصفين عمداً كما اقتسما قضاء الجانـبـين

هما فأل الزمان بهلك يحـيى إذ افتتح القضاء بـأعـورين

وتحسب منهما من هز رأسـاً لينظر فـي مـواريث ودين

كأنك قد جعلت عـلـيه دنـاً فتحت بزاله من فـرد عـين

وكان المتوكل يرمي به في المنجنيق إلى البركة، فإذا علا في الهواء يقول: الطريق، جاءكم المنجنيق، حتى يقع في البركة، فيطرح عليه الشباك ويصطاد، ويخرج وهو يقول: ويأمر بي ذا الملك "فيطرحوني في البرك" ويصطادني بالشبك، كأني بعض السمك، ويضحك لي هك هك.

قال بعضهم: رأيته ببعض آجام سامرا وهو عريان لا يواريه شيء، على يده اليمنى باشق وبيده اليسرى قوس، وعلى رأسه قطعة رثة من حبل مشدود بأنشوطة، وفي ذكره شعر مفتول فيه شص قد ألقاه لصيد السمك، وعلى شفته دوشاب ملطخ، فقلت له: خرب بيتك ما تصنع؟ قال: أصطاد بجميع جوارحي.

وفي كتاب "نثر الدر" باقي نوادره؛ وكانت وفاته بعد الأربعين ومائتين، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

الشيخ مجد الدين ابن الظهير الإربلي

محمد بن أحمد بن عمرو بن أحمد بن أبي شاكر، الشيخ مجد الدين أبو عبد الله ابن الظهير الإربلي الحنفي الأديب؛ ولد بإربل في ثاني صفر سنة اثنتين وستمائة، وسمع ببغداد في الكهولة من أبي بكر ابن الخازن والكاشغري، وبدمشق من السخاوي وكريمة وتاج الدين ابن حمويه وتاج الدين ابن أبي جعفر، وقيل إنه سمع من ابن اللتي. روى عنه أبو شامة والدمياطي وأبو الحسين اليونيني وشهاب الدين محمود، وعليه تدرب وبه تخرج، وابن العطار وابن الخباز والشيخ جمال الدين المزي وجماعة، وكان من كبار الحنفية، ودرس بالقيمازية، وكان ذا رأي منتقى، وهو من أعيان شيوخ الأدب وفحول المتأخرين في الشعر، له ديوان شعر في مجلدين.

وكانت وفاته سنة سبع وسبعين بدمشق، ودفن بمقابر الصوفية، ورثاه الشيخ شهاب الدين محمود بقصيدة أولها:

تنكر ليلي واطمأنت كـواكـبـه وسدت على صبحي الغداة مذاهبه

"منها":

بكته معـالـيه ولـم ير قـلـبـه كريم مضى والمكرمات نوادبـه

ولا غرو أن تبكي المعالي بشجوها على المجد إذ أودى وهن صواحبه

فأي إمام في الندي وفي تمـاثـلـه آدبـابـه ومـآدبـه

الـهـدى
أظن الردى نسر السـمـاء علا فوقه فاستنزلته وأنـه مخـالـبـه
وهي من قصيدة طويلة مليحة.
وهي من شعر الشيخ مجد الدين:
حيث الأراكة والكثيب الأوعس واد يهيم به الفـؤاد مـقـدس
يحمى بأطراف الرماح طرافه عزاً وبالبيض المواضي يحرس
وتكاد أنفاس النسـيم إذا سـرت من خيفة الغيران لا تتنـفـس
وبجو ذاك الشعب أنفس مطلب أمست تذوب أسى عليه الأنفس
وبكل خدر منه لـيث مـخـدر أفغابة ذاك الحمى أم مكـنـس
يا جيرة الحي المظلل بالقـنـا هل ناركم بسوى الأضالع تقبس
أضرمتموها للنـزيل ودونـهـا غير أن فتاك الحفيظة أشـوس
وقال أيضاً:
غش المفند كامن في نصحـه فأطل وقوفك بالغوير وسفحه
واخلع عذارك في محـل ريه برذاذ دمع العاشقين وسفحـه
وإذا سرى سحراً طليح نسيمه مالت به سكراً ذوائب طلحـه
جهل الهوى قوم فراموا شرحه جل الهوى وجنابه عن شرحه
أفدي الذي يغنيه فاتر طرفـه عن سيفه وقوامه عن رمحه
ذو وجنة شرقت بماء نعيمهـا كالورد أشرقه نداه برشحـه
وكأن طرته ونور جـبـينـه ليل تألق فيه بارق صبـحـه
"منها":
قلبي وطرفي ذا يسيل دماً وذا بين الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وإنـمـا تعديل كل منهما في جرحه
والقلب منزلك القديم فإن تجد فيه سواك من الأنام فنحـه
وقال أيضاً:
أواصل فيه لوعتـي وهـو هـاجـر ويؤنسني تـذكـاره وهـو نـافـر

ويغري هـواه نـاظـري بـأدمـع يوردهـا ورد لـه وهـو نـاظـر
ويفتن في تيه الـمـلاحة خـاطـراً فكل خلي فـي هـواه مـخـاطـر
ويزور سخطاً ثاني العطف معرضـاً فلا عطفه يرجى ولا الطـيف زائر
محـياه زاه بـالـمـلاحة زاهــر فقلبي وطرفي فيه سـاه وسـاهـر
يجيل عـلـى الـقـد مـعـجـبـاً حبالة شعر كم بهـا صـيد شـاعـر
جلا طلعة كالروض دبـجة الـحـيا ترف بماء الحـسـن فـيه أزاهـر
وشهر خـداً بـالـعـذار مـطـرزاً فما الفـؤاد لـم يهـم فـي عـاذر
فإن صاد قلبي طرفه فـهـو جـارح وإن فتنـت آياتـه فـهـو سـاحـر
إذا كان صبري في الصبـابة خـاذلاً فمالي سوى دمعي على الشوق ناصر
على أن يفيض الدمع لـم يرو غـلة من الوجد أذكتها العيون الـفـواتـر

وقال أيضاً يتشوق إلى دمشق:

لعل سنا برق الحـمـى يتـألـق على النأي أو طيفاً لأسماء يطرق
فلا نارها تبدو لمـرتـقـب ولا وعود الأماني الكواذب تصـدق
وعل رياح الهوج تهدي لـنـازح عن الشام عرفاً كاللطيمة يعبـق
ديار قضينا العيش فيها منعـمـاً وأيامنا تحنو علينـا وتـشـفـق
سحبنا بها برد الشباب وشربـنـا لذيذ كما شئنا مصفى مصـفـق
مواطن فيها السهم سهمي فكلنـا نحث مطايا اللهو فيه ونعـنـق
كلا جانبيه معـلـم مـتـجـعـد من الماء في أطلالـه يتـدفـق
إذا الشمس حلت متنه فهو مذهب وإن حجبتها دوحه فـهـو أزرق
وإن فرج الأوراق جادت بنورها فرقم أجادته الأكـف مـنـمـق
أطل عليه الشمس قبل غروبـهـا وترجف إجلالاً له حين تشـرق
وتصفر من قبل الأصيل محب من البين المشتت

كـأنـهـا مشـفـق
وفي النيرب المرموق للب من المنظر الزاهي وللطرف
سالـب مونق
بدائع من صنع القـديم تألق فيه المحـدث الـمـتـأنـق
ومـحـدث
رياض كوشي البرد تزهو جداولها والنور بالـمـاء
بحسنهـا يشـرق
فمن نرجس يخشى فراق ترى الدمع في أجفانه
فـريقـه يتـرقـرق
ومن كـل ريحـان مـقـيم وزائر تضاعف رياه الـرياح فـيعـبـق
كأن قدود السـرو فـيه قدود عذارى ميلـهـا يتـرقـرق
مـوائسـاً
إذا ما تداعت للتعـانـق صـدهـا عيون من النور المفتـح
تـرمـق
وقصر يكل الطرف عنـه إلى النسر نسر في السماء
كـأنـه محلـق
زها ببديع الوشي حسنـاً مدبج روض في نواحيه
كـأنـمـا ملـصـق
وكم جدول جـار يطـارد جـدولاً وكم جوسق عال يوازيه
جـوسـق
وكم بركة فيه تـضـاحـك بـركة وكم قسطل في الماء للماء
يدفـق
وكم منزل يعشي العيون تألـق فـيه بـارق يتـألـــق
كـأنـمـا
وفي الربوة الشماء للقلـب وللسمع إصمات وللعين
جـاذب مـرمـق
فهام بها الوادي ففاضـت فكل قرار منه بالـدمـع
عـيونـه يمـلـق
تكفل من دون الجداول يزيد يصـفـيه لـهـا ويصـفـق
شـربـهـا
إذا أشرف الولدان من رأيت بدوراً فـي بـروج تـألـق
شرفـاتـهـا
وفي بردى معنى يشوق يروق ومأوى للسرور
ومنـظـر ومـطـرق
إذا أنت من أعلاه أشرفت تجيل عنان الطرف فيه
نـاظـراً وتطـلـق
رأيت به بحراً من الدوح وغدرانه حيتانه مـنـه تـرمـق
مـزبـداً
تميل مع الأفنـان فـيه كـأنـهـا نشاوى وما دار الرحيق
المعـتـق

وتعطف أعطاف الغصون حمـامة إذا ما تغنت والـغـدير يصـفـق
وتجمع فيه كل حـسـن مـفـرق وشمل الأسى عن حاضريه مفرق
كأن رياض الغوطـتـين جـنـوده يقـسـم فـيهـا جـوده ويفـرق
وبالمزة الفيحـاء دام نـعـيمـهـا جنان تأنى أهـلـهـا وتـأنـقـوا
حدائقها مـن ريهـا ذات بـهـجة بها الراح والريحان والورد محدق
وفي كنفي سطرى ومقرى معالـم تعلم أسباب الهوى كيف تـعـلـق
عليلة أنفاس الـنـسـيم رياضـهـا كأن سراها فأر مسـك مـفـتـق
إذا ما تغنت في ذرى الدوح ورقهـا غدا كل عود منه كالعود يخـفـق
وإن جمشت أنهارها نسمة الصـبـا تسلسل فيها ماؤها وهو مطـلـق
جنيت بها ما شئت من ثمر المـنـى وغازلني فيها الغزال المقـرطـق
وفي بيت أبيات مصايد لـلـنـهـى خيول الهوى واللهو فيهن سـبـق
فكم من كئيب نال فيهـا تـرفـقـاً بمن كان لا يحـنـو ولا يتـرفـق
وكم من خلي لازم طوقه الـهـوى ينوح كما ناح الحمام الـمـطـوق
وفي ساحة الميدان أثواب سـنـدس لها بهجة تجلو الـعـيون ورونـق
كأن شعاع الشمس في كـل وجـهة يفر إذا الغزلان فـيه تـفـرقـوا
من الترك لا عانيهم يبلغ الـمـنـى ولا هو منون عـلـيه فـيعـتـق
عيونهم المرضى ومرضى عهودهم تؤكد أسبـاب الـهـوى وتـوثـق
أكفـهـم تـرمـي ولا دم طـائح وألحاظهم تصمي القلوب وترشـق
إذا أرسلوا سود الذوائب خلـتـهـا محاسنها من جنة الخلـد تـسـرق
تؤلف شمل الماء بـعـد شـتـاتـه وتجمع شمل الأنس وهو مـفـرق
ومن جسر جسرين إلى تل ظلال عنان الأنس فيهن

راهـط مطـلـق

فكم من غياض فـي رياض بها كوثر مـن مـائهـا يتـدفـق
وجـنة

حدائقها لا ظـلـهـا قـالـص ولا مجال خيول اللهو فـيهـن
ضـيق

رعى الله من ودعت والوجد عنان لساني والمدامـع
قابـض تـنـطـق

وفارقتهم لا عن مـلال ولا وغربت عنهم غير قال
رضـى وشـرقـوا

لئن حـالـت الأيام دون فما حال لي العهد ولا انحل
لـقـائهـم موثـق

أجيراننا بالغـوطـتـين عـلـيكـم سلام مشوق قـد يراه
الـتـشـوق

له كـل يوم ثـوب وجـد مـجـدد وصبر كما شاءت نواكم
مـمـزق

أعاتب دهراً صرفه غير أصرف فيه كنز عمـري
مـعـتـب وأنـفـق

نأت بي ولم تسمع خطابي فدام زفيري والحـنـين
خطـوبـه الـمـؤرق

وبدلت عن تلك الظلال منازل صافي العيش منها
وطـيبـهـا مـرنـق

أظل نجي الشوق لا نار تبوح ولا شمـل الأسـى
لـوعـتـي يتـفـرق

وكم ليلة شاب الفـؤاد وما شاب للظلماء فـود
بـطـولـهـا ومـفـرق

وإن غيبتني غشية توهـم يواصل طيف الهم فيهـا
الـكـرى ويطـرق

ويمزج ماء الـنـيل عـنـد بدمعي أشواق إلـيكـم
وروده فـأشـرق

فيا ليت شعري هل تلوح منازل ظني باللـقـاء مـحـقـق
لمقلـتـي

وهل شائم برق الثـنـية على القرب يخفى تارة ثم
نـاظـري يخـفـق

وهل بارد من ماء بانـاس لظى كبد حرى لها الشوق
مـبـرد محـرق

وهل زمني بالـصـالـحـية عـائد يبلغني أقصى المـنـى
ويحـقـق

وهل يجمعنـي والأحـبة لنشكو جميعاً ما لقيت ومـا
مـوقـف لـقـوا

وهل لي إلى باب البريد وقـد بريد بـه فـيمـا يبـلـغ مـوثـق

نـأى
دمشق أذاقتني الليالـي فـراقـهـا وقد كنت أخشى منه قدمـاً وأفـرق
هي الغرض الأقصى ورؤيتها المنى وسكانهـا ودي لـهـم مـتـوثـق
ولو لم تكن ذات العماد لمـا غـدت وليس لها مثل على الأرض يخلـق
حنيني إليهـا مـا حـييت مـرجـع وقلبي أسير الشوق والدمع مطلـق
علـيهـا تـحـياتـي غـواد روائح بها الريح تجري والركائب تخـفـق
لجامعها المعمور بالذكـر بـهـجة ومرأى يسر النـاظـرين ورونـق
محاسنه بكر الزمـان فـصـرفـه علينا مدى الأيام حـان ومـشـفـق
به زجل التسبـيح عـال بـهـيجـه حنين إلى ذاك الحمـى وتـشـوق
وللعلم فـيه والـعـبـادة مـعـلـم جديد على أمر الجـديدين مـونـق
وفـيه لأربـاب الـتـلاوة لـــذة إذا أخذوا في شأنهم وتـحـلـقـوا
كأن مجاج النحل في لـهـواتـهـم إذا رجعوا الأصوات فيها وأطلقـوا
وكم فيه من مثوى نبي ومـشـهـد بنسبته يسمـو مـحـلاً ويسـمـق
وكـم قـائم لـلـه فـيه تـهـجـداً بدعوته نكفى المـخـوف ونـرزق
مصابيحه تجلو الـظـلام كـأنـهـا مصابيح في جو السـمـاء تـألـق
وقبته مـأوى الـهـلال وبـرجـه وفي كل أفق منه للحسن مـشـرق
وقد جاوز الـجـوزاء فـيه مـآذن بأكنافها نـور الـجـلالة مـحـدق
فواحدها مـنـه الـهـلال سـوارة وأخرى لها الجوزاء قرط معـلـق
وأخرى ترى الإكليل في غسق الدجى يزان بها منها جـبـين ومـفـرق
إذا ما بدا قوس السحاب لـنـاظـر فمنها له في الجو سهـم مـفـوق
وقد نازع النسر الـعـنـان إلـى أخـويه نـازع مـتـشـوق

كـأنـه
أحاطت به الأمواه من كل جـانـب وأمثالها فـي أرضـه تـتـخـرق
فمن بركة فيحـاء يدعـج مـاؤهـا ومن جدول ريان كالسهـم يمـرق
وفوارة يحـكـي سـبـيكة فـضة تلألـؤهـا أو بـارقـاً يتـألــق
فإن تنجز الأيام وعـداً بـقـربـهـا فإني موفى الحظ منـهـا مـوفـق
وإن أرض طوعاً أرض مصر وحرها بديلاً فإنـي فـائل الـرأي أخـرق
سقاها فروى كل منفصـم الـعـرى من الدلو دان مرعد السحب مـبـرق
إذا أثقلت حـمـلاً رواعـد مـزنـه حسبت عشار النوق للرعد تطـلـق
وإن شهرت سيفاً من البرق كـفـهـا رأيت بخديه دم الـمـحـل يرهـق
على أنه أضحى الـكـفـيل بـريهـا وإن ضن غيثاً ماؤها الـمـتـدفـق

وكان قد وعده الشيخ شهاب الدين محمود وفخر الدين ابن الجنان فأخلفا، فكتب إلى الشيخ شهاب الدين محمود:

مواعد الفخر والـشـهـاب أكذب من لامع السـراب
أحسنت بالـسـيدين ظـنـاً فكان نقباً عـلـى خـراب
كم أخلفاني فخـلـفـانـي إذ كنت غراً على التـراب
بما تكلـفـت مـن أمـور ما كن من عادتي ودابـي
خرجت فيهن من قشـوري فأفقراني مـن الـلـبـاب
راغا وزاغا وليس هـذا ال خداع من شيمة الصحـاب
لو أنصفاني بفرط شوقـي لوافـيانـي بـلا طـلاب
أو عدلاً في الـوداد عـادا بعد عدول إلى الـصـواب
هل أمن الصعب من ملامي والمؤلم المر من عقـابـي

فأجابه شهاب الدين:

أبارق لاح فـي صـبـاح أم نظم الدر في سـخـاب
أم أسطر فر جيش هـمـي حين تسارعن في طلابـي
لم ير من قبلها مـحـب كتائباً سرن فـي كـتـاب
أرسـلـهـا سـيد نــداه يهزأ بالزاخر الـعـبـاب
إلـى غـريبـين لـو يزالا لها مدى الدهر في ارتقاب
لم يخلفا الوعد بـل أقـامـا ليأخذ الجوع في التـهـاب
ويستـطـيلا بـكـل نـاب كالصارم العضب غير نابي
ويصبح الفخر وهو جـاث ينقض للأكل كالشـهـاب

فلما زاره كتب إلى الأمير ناصر الدين الحراني متولي حرب دمشق:

تفضل فخر الدين مثـل شـهـابـه وزارا محل العبد وامتثـلا الأمـرا
وجاءا بجمع ضامرين من الطـوى فما تركوا عندي لباباً ولا قـشـرا
فأوسعتهم بالرغـم مـنـي كـرامة وإن كنت بالتحقيق ضقت بهم صدرا
وقالوا جميعاً يخلف اللـه قـلـت إن تقبل منكم كان في السنة الأخـرى

وقال أيضاً:

أدار عقيقاً فـي إنـاء مـن الـدر فعاينت شمس الراح في راحة البدر
وأبدت سماء الكأس زهر نجومـهـا فيا حسن يوم حف بالأنجم الزهـر
غدت كعبة الأفراح إذ طاف ناحـراً بها لهم مصقول الترائب والنـحـر
غزال له من أخته البعد والـسـنـا وليس لها در القـلائد والـثـغـر
أغارت على أسرار أرواح شربهـا وأنقذت الأفراح من قبضة الأسـر
غرير من الأتراك زنجـي خـالـه كقلبي مقيم من هواه على جـمـر
إذا ازور سخطاً أو تلفـت راضـياً أمات وأحيا بالقطوب وبالـبـشـر
وإن سل سيف اللحظ أو هز عطفـه فيا خجلة البيض القواضب والسمر
تمتع بأيام الصبا واغـد جـامـعـاً لشمل صبا الأيام باللذة بالـبـكـر
فما العيش إلا وصل كأس بأختـهـا وجارية تسقي وساقـية تـجـري
وداو بحسن الظن بالـلـه كـل مـا جنيت فعفو الله يجلو دجى الـوزر

?

قطب الدين القسطلاني

محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن ميمون، الإمام الزاهد قطب الدين القسطلاني التوزري الأصل المصري ثم المكي، ابن الشيخ الزاهد أبي العباس؛ ولد "بمصر" سنة أربع عشرة وستمائة، ونشأ بمكة وسمع من ابن البناء والسهروردي وابن الزبيدي وجماعة، وقرأ العلم ودرس وأفتى ورحل في طلب الحديث؛ وسمع ببغداد ومصر والشام والموصل، وكان شيخاً عالماً زاهداً عابداً كريم النفس كثير الإيثار حسن الأخلاق قليل المثال؛ طلب من مكة إلى القاهرة وولي مشيخة دار الحديث

بالدار الكاملية إلى أن مات، وله شعر مليح. وروى عنه الدمياطي والمزي والبرزالي وخلق كثير. وكان يتوجه إلى أبي الهول الذي عند أهرام مصر، وهو رأس الصنم الذي هناك، ويعلو رأسه ويضربه باللالكة، ويقول: يا أبا الهول، افعل كذا، افعل كذا، لأن جماعة من أهل مصر يزعمون أن الشمس إذا كانت في الحمل وتوجه أحدهم إلى أبي الهول، وبخر بشكاعى وباذاورد، ووقف عليه وقال ثلاثاً وثلاثين مرة كلمات يحفظونها، وقال معها: يا أبا الهول افعل كذا، فزعموا أن ذلك يتفق وقوعه، وكان الشيخ قطب الدين يفعل ذلك إهانة لأبي الهول وعكساً لذلك المقصد الفاسد؛ لأن تلك الكلمات ربما تكون تعظيماً له ضرورة.

وتوفي الشيخ قطب الدين سنة ستمائة وست وثمانين؛ ومن شعره:

إذا كان أنسي في التزامي لخلوتي ... وقلبي عن كل البرية خالي

فما ضرني من كان في الدهر قالياً ... وما سرني من كان في موالي

وقال أيضاً:

ألا هل لهجر العامرية إقصار ... فتقضى من الوجد المبرح أوطار

عسى ما مضى عيشي في الحمى ... يعود ولي فيه نجوم وأقمار

عدمت فؤادي إن تعلقت غيرها ... وإن زين السلوان لي فهو غدار

ولي من دواعي الشوق في السخط والرضى ... على الوصل والهجران ناه وأمار

أأسلو وفي الأحشاء من لاعج الجوى ... لهيب أسأل الروح فالصبر منهار

وقال أيضاً:

لما رأيتك مشرقاً في ذاتي ... بدلت من حالي ذميم صفاتي

وتوجهت أسرار فكري سجداً ... لجميل ما واجهت من لحظاتي

وتلوت من آيات حسنك سورة ... وسارت محاسنها لجمع شتاتي

وبلوت أحوالي فخلت معبراً ... في الصحو عن سكري بصدق ثباتي

وتحولت أحوال سري في العلا ... فعلت على محو وعن إثبات

وتوحدت صفتي فرحت مروحاً ... نظراً لما أشهدت من آيات

لا أشتهي أن أشتهي متنزهاً ... بل أنتهي عن غفلة الشهوات

أنا إن ظهرت فعن ظهور بواطـن شهدت بنطق كان من سكـتـاتـي
من كان يجهل ما أقـول عـذرتـه فالشمس تخفى في دجى الظلمـات
فدع المعنف والـعـذول وقـل لـه الحق أبلج فاستمـع كـلـمـاتـي
لا تيأسن بـذاهـب مـن حـاضـر أو غائب يدعو إلـى الـغـفـلات
لا تنظرن لغـير ذاتـك واسـتـرح عن كل ما في الكون من طلبـات
نزه مصادر وردها عـن كـل مـا يلقي بها في ظلمة الـشـبـهـات

قاضي القضاة الخويي

محمد بن أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر، قاضي القضاة ذو الفنون شهاب الدين ابن قاضي القضاة شمس الدين الخويي الشافعي، قاضي دمشق وابن قاضيها؛ ولد في سنة ست وعشرين وستمائة ونشأ بدمشق، وقد اشتغل في صغره، ومات والده وله إحدى عشرة سنة فبقي منقطعاً بالعادلية، ثم أدمن الدرس والسهر والتكرار مدة بالمدرسة، وحفظ عدة كتب وعرضها، وتميز على أقرانه، وسمع في صغره من ابن اللتي، وابن المقير والسخاوي وابن الصلاح، وأجاز له خلق من أصبهان وبغداد ومصر والشام، ولازم الاشتغال في كبره.

وصنف كتاباً كبيراً يحتوي على عشرين علماً، وشرح "الفصول" لابن معطي، ونظم "علوم الحديث" لابن الصلاح و"الفصيح" لثعلب، و"كفاية المتحفظ"، وشرح من أول "الملخص" للقابسي خمسة عشر حديثاً في مجلد.

قال الشيخ شمس الدين: ثم انجفل إلى القاهرة فولي قضاء القاهرة والوجه البحري خاصة، اقتطع له من ولاية الوجيه البهنسي، وأقام البهنسي على قضاء مصر والوجه القبلي؛ ولما مات القاضي بهاء الدين ابن الزكي بدمشق نقل الخويي إليها. وسمع منه المزي والبرزالي والنابلسي والختني وعلاء الدين المقدسي.

وتوفي في بستان صيف فيه بالسهم يوم الخميس خامس عشرين رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وصلي عليه بالجامع المظفري ودفن عند والده بتربته بالجبل. كان يعرف من العلوم التفسير والأصولين والفقه والنحو والخلاف والمعاني والبيان والحساب والفرائض. ومن شعره رحمه الله تعالى:

بخفي لطفك كل سوء أتقي فامنن بإرشادي إليه ووفق
أحسنت في الماضي وإني واثق بك أن تجود علي فيما قد بقـي
أنت الذي أرجو فما لي والورى إن الذي يرجو سواك هو الشقي

وقال أيضاً:

أما سواك فـبـابـه لا أطـرق حسبي كريم جوده مـتـدفـق

ما إن يخافك بظل بابك واقـف ظمأ وبحر نداك طام مـغـدق
بحبال جودك لا يزال تعلـقـي ما خاب يوماً من بها يتعـلـق
بشرى لمن أضحى رجاؤك كنزه وله الوثوق بـأنـه لا يمـلـق

الشيخ محمد ابن تمام

محمد بن أحمد بن تمام الصالحي الحنبلي الخياط؛ هو الشيخ البركة أخو الشيخ تقي الدين ابن تمام، ولد بطريق الحج سنة إحدى وخمسين وستمائة، وسمع سنة ست وخمسين من عمره بن عوة التاجر وتمام السروري وابن عبد الدايم وعبد الوهاب بن محمد، وسمع منه خلق كثير. واشتهر بالصلاح والتواضع، وقد طال عمره، وكان يرتزق من خياطة الخام ومما يفتح عليه، ويطعم ويؤثر. وكان مليح الوجه بساماً لين الكلمة أماراً بالمعروف، له وقع في القلوب ومحبة في الصدور، نشأ في تصون وعفاف وقناعة، وتفقه قليلاً وصحب الأخيار مثل الشيخ شمس الدين ابن الكمال، ورافق ابن مسلم والشيخ علي بن نفيس. وكان الأمير سيف الدين تنكز يكرمه ويزوره، ويذهب هو إليه ويشفع عنده، وتمتع بحواسه وأبطأ مشيبه. وتوفي ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى أربعين وسبعمائة، رحمه الله تعالى.

الحافظ شمس الدين الذهبي

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، حافظ لا يجارى، ولافظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأبان الإبهام في تواريخهم والإلباس، جمع الكثير، ونفع الجم الغفير، وأكثر من التصنيف، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف، وقف الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني رحمه الله تعالى على تاريخه الكبير المسمى بتاريخ الإسلام جزءاً بعد جزء إلى أن أنهاه مطالعة، هذا كتاب علم.

ومن تصانيفه: كتاب "تاريخ الإسلام" عشرين مجلداً، وكتاب "تاريخ النبلاء" عشرين مجلداً، و"الدول الإسلامية" و"طبقات القراء" و"طبقات الحفاظ" مجلدان، و"ميزان الاعتدال" ثلاث مجلدات و"المشتبه في الأسماء والأنساب" مجلد. "نبأ الدجال" مجلد. "تذهيب التهذيب" اختصار تهذيب الكمال ثلاث مجلدات. "اختصار كتاب الأطراف" مجلدان. "الكاشف". اختصار "التذهيب" مجلد. "اختصار سنن البيهقي" خمس مجلدات. "تنقيح أحاديث التعليق" لابن الجوزي. "المستحلى اختصار المحلى". "المقتنى في الكنى". "المغني في الضعفاء". "العبر في خبر من غبر" مجلدان. "أختصار المستدرك للحاكم" مجلدان. "اختصار تاريخ ابن عساكر" عشر مجلدات. "اختصار تاريخ الخطيب" مجلدان. "اختصار تاريخ نيسابور" مجلد. "الكبائر" جزآن. "تحريم الإدبار" جزآن. "أخبار السد". "أحاديث مختصر ابن الحاجب". "توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق" مجلد. "نعم السمر في سيرة عمر" مجلد. "التبيان في مناقب عثمان" مجلد."فتح المطالب في أخبار علي بن أبي طالب" مجلد. "معجم أشياخه" وهم ألف وثلاثمائة شيخ. "اختصار كتاب الجهاد لابن عساكر" مجلد. "ما بعد الموت" مجلد. "اختصار كتاب

القدر للبهيقي" ثلاثة أجزاء. "هالة البدر في عدد أهل البدر". "اختصار تقويم البلدان" لصاحب حماة. "نفض الجعبة في أخبار شعبة". "قض نهارك بأخبار ابن المبارك". "أخبار أبي مسلم الخراساني". وله في تراجم الأعيان لكل واحد منهم مصنف قائم الذات، مثل الأئمة الأربعة، ومن يجري مجراهم، لكنه أدخل الكل "في تاريخ النبلاء".

وكان مولده في ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وتوفي في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

ومن شعره:

إذا قرأ الحديث علي شخص وأخلى موضعاً لوفاة مثلي
فمات جازى بإحسان لأنـي "أريد حياته ويريد قتـلـي"

وله أيضاً:

لو أن سفيان علـى حـفـظـه في بعض همي نسي الماضي
نفسي وعرسي ثم ضرسي سعوا في غربتي والشيخ والقاضـي

وقال أيضاً:

العلم قال اللـه قـال رسـولـه إن صح والإجماع فاجهد فـيه
وحذار من نصب الخلاف جهالة بين الرسول وبين رأي فـقـيه

المنتصر بالله

محمد بن جعفر أمير المؤمنين المنتصر "بالله" ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد إبن المهدي ابن المنصور؛ كان أعين أقنى أسمر مليح الوجه جسيماً مهيباً، وكان وافر العقل راغباً في الخير قليل الظلم محسناً إلى العلويين.

وكان يقول: يا بغا أين أبي؟ من قتل أبي؟ ويسب الأتراك ويقول: هؤلاء القتلة الخلفاء، فدسوا للطبيب ابن طيفور ثلاثين ألف دينار عند مرضه فأشار بفصده بريشة مسمومة فمات. ويقال إن ابن طيفور نسي وقال لغلامه: افصدني، ففصده بتلك الريشة فمات أيضاً. وقيل مات بالخوانيق، وقيل سم في كمثراة بإبرة، وقال عند موته: يا أماه، ذهبت مني الدنيا والآخرة، عاجلت أبي فعوجلت. ولم يتمتع بالخلافة لأنه ولي في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، ومات في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، وعاش ستاً وعشرين سنة، وقال عند الموت:

فما متعت نفسي بدنيا أصبتهـا ولكن إلى الرب الكريم أصير
وما كان ما قدمته رأي فلـتة ولكن بفتياها أشار مـشـير

وقال أيضاً:

متى ترفع الأيام من قد وضعته وينقاد لي دهر علي جمـوح
أعلل نفسي بالرجاء وإنـنـي لأغدو على من ساءني وأروح

وله فيما نسب إليه من قتل أبيه:

لو يعلم الناس نـالـنـي فليس لي عندهـم عـذر
كان إلي الأمر في ظاهر وليس لي في باطن الأمر

قال سبط ابن الجوزي في "المرآة": كان المتوكل قد أراد أن ينقل العهد من ابنه المنتصر لابنه المعتز لمحبته لأمه، وسام المنتصر أن ينزل عن ولاية العهد فأبى، وكان يحضره ويتهدده بالقتل، فأحضره ليلة وشتمه شتماً قبيحاً وشتم أمه، فقام المنتصر وهو يقول: والله لو أنها جارية لبعض سواسك لمنعت من ذكرها ولوجب عليك صيانتها، فغضب المتوكل وقال للفتح بن خاقان: وحق قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تلطمه لأقتلنك، فقام الفتح ولطمه، وقال المتوكل: اشهدوا علي، إنني قد خلعته من الخلافة، فبقيت هذه الأشياء في قلبه، وعمل ما عمل مما هو مذكور في ترجمة المتوكل والله أعلم.

المعتز بالله

محمد بن جعفر، أمير المؤمنين المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم؛ ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ولم يل الخلافة قبله أصغر منه، بويع له بالخلافة عند عزل المستعين بالله وهو ابن تسع عشرة سنة، وكانت خلافته ثلاث سنين وستة أشهر وأربعة عشر يوماً، ومات عن أربع وعشرين سنة.

وكان مستضعفاً مع الأتراك، اجتمع إليه الأتراك وقالوا له: أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف، وكان يخافه، فطلب من أمه مالاً لنفقة الأتراك فأبت، ولم يكن في بيوت الأموال شيء، فاجتمعوا هم وصالح واتفقوا على خلعه، وجروه برجله وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس في يوم صائف، فبقي يرفع قدماً ويضع أخرى وهم يلطمون وجهه ويقولون: اخلع نفسك، ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب والشهود وخلعوه، ثم أحضروا محمد بن الواثق من سامرا فسلم عليه المعتز بالخلافة وبايعه، ولقبوه المهتدي، ثم إنهم أخذوا المعتز بعد خمسة أيام وأدخلوه الحمام وعطشوه، وطلب الماء فمنعوه من ذلك حتى أغمي عليه، فأخرجوه وسقوه ماء فشربه وسقط ميتاً.

وقال سبط ابن الجوزي في المرآة: لما أوقفوه في الشمس طلب نعلاً فلم يعطوه، فأسبل سراويله على رجليه، وقيل أنهم نزعوا أصابع يديه ورجليه ثم خنقوه، وقيل أدخلوه سرداباً مجصصاً جديداً فاختنق، ولم يعذب خليفة بمثل ما عذب على صغر سنه؛ وتوفي يوم السبت لست خلون من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين، ودفن إلى جانب أخيه المنتصر.

وكان أبيض جميل الوجه، على خده الأيسر خال أسود، وصلى عليه المهتدي. وأمه رومية، وكان نقش خاتمه "المعتز بالله" وهو ثالث خليفة خلع من بني عباس، ورابع خليفة قتل منهم. قال البحتري: كنت صاحباً لأبي معشر المنجم، فتضايقنا مضايقة شديدة، فدخلنا على المعتز وهو محبوس قبل أن يلي الخلافة، فأنشدته أبياتاً كنت قلتها:

جعلت فداك الدهر ليس بمـنـفـك من الحادث المشكو والنازل المشكي
ومـا هـذه الأيام إلا مـنـــازل فمن منزل رحب إلى منزل ضنـك

وقد هذبتك الـحـادثـات وإنـمـا صفا الذهب الإبريز قبلك ضـنـك
أما في رسول الله يوسـف أسـوة لمثلك محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في السجن برهة فآل به الصبر الجميل إلى الملك

فدفع الورقة إلى خادم على رأسه وقال: احتفظ بها فإن فرج الله تعالى ذكرني لأقضي حاجتهم، وكان أبو معشر قد أخذ له طالعاً لمولده فحكم له بالخلافة بمقتضى الطالع، فلما ولي الخلافة أعطى كل واحد منا ألف دينار، وأجرى له في كل شهر مائة دينار.

وقال الزبير بن بكار: دخلت على المعتز فقال لي: يا عبد الله، قد قلت أبياتاً في مرضي هذا، وقد أعيا علي إجازة بعضها، وأنشدني:

إني عرفت علاج القلب من وجعي وما عرفت علاج الحب والهلـع
جزعت للحب والحمى صبرت لها فليس يشغلني عن حبكم وجـعـي

"قال الزبير: فقلت":

وما أمل ببيتـي لـيلـتـي أبـداً مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي

## الراضي بالله

محمد بن جعفر بن أحمد، الراضي بالله أمير المؤمنين ابن المقتدر ابن المعتضد؛ كان سمحاً واسع النفس، أديباً شاعراً كريم الأخلاق، محباً للعلماء مجالس لهم، ختم الخلفاء في أمور عدة: منها أنه آخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة جالس الندماء، وآخر خليفة كانت عطاياه ونفقاته وجوائزه تجري على ترتيب الخلفاء الأول؛ وقع حريق في الكرخ فأطلق خمسين ألف دينار لعمارة ما احترق.

قال الصولي: دخلت عليه وهو جالس على آجرة قبالة الصانع، وكنت أنا وجماعة من الجلساء، فأمر بالجلوس، فأخذ كل واحد منا آجرة وجلس عليها، واتفق أني قد أخذت أنا آجرتين ملتصقتين فجلست عليهما، فلما قمنا أمر أن توزن كل آجرة ويدفع إلى صاحبها بوزنها دنانير، قال الصولي: فتضاعفت جائزتي عليهم. وقد حكي عنه أنواع من الكرم.

ومن شعره وقد تكلم الناس في إنفاقه الأموال:

لا نقد في كرمي على الإسراف ربح المحامد متجر الأشـراف
أجري كآبائي الخلائف سابـقـاً وأشيد ما قد أسست أسـلافـي
إني من القوم الذين أكـفـهـم معتادة الإتـلاف والإخـلاف

وقال أيضاً:

يصفر وجهي إذا تـأمـلـه طرفي ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذي بوجـنـتـه من دم جسمي إليه قد نقلا

وقال أيضاً:

قد أفصحت بالوتر الأعـجـم وأفهمت من كان لم يفـهـم
جارية تحسب من لطـفـهـا مخاطباً ينطـق لا مـن فـم
جست من العود مجاري الهوى جس الأطباء مجـاري الـدم

وقال أيضاً عند موته:

كل صفو إلـى كـدر كل أمر إلـى حـذر
ومصير الشبـاب لـل موت فيه أو الكبـر
أيهـا الآمـل الـذي تاه في لجة الغـرر
أين من كان قبـلـنـا درس الشخص والأثر
رب إني ادخرت عن دك أرجوه مـدخـر
أنني مـؤمـن بـمـا بين الوحي في السير

قيل إنه مرض وتقيأ في يومين أربعة عشر رطل دم، وقيل إنه استسقى وأصابه ذرب عظيم، وكان عظم آفاته كثرة الجماع؛ توفي ببغداد منتصف ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر، وكانت خلافته ستة سنين وعشرة أيام، ولم يوجد له حنوط لأن الخزائن ختمت عند موته، فاشتروا له حنوطاً من بعض العطارين، وحمل إلى الرصافة في طيار ودفن في تربة عظيمة له أنفق عليها أموال كثيرة. قال ابن الجوزي: درست الآن، ولم يبق لها عين ولا أثر. كان قصيراً أسمر نحيفاً في وجهه طول، رحمه الله تعالى عفا عنا وعنه.

ابن حمدون صاحب التذكرة

محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي ابن أبي سعد، الكاتب المعدل كافي الكفاة بهاء الدين البغدادي؛ من بيت فضل ورياسة، وكان ذا معرفة بالأدب والكتابة، سمع وروى وصنف كتاب "التذكرة" في الأدب والنوادر والتواريخ، وهو كتاب كبير يدخل في اثني عشر مجلداً، اختص بالمستنجد يجتمع به وينادمه، وولاه ديوان الزمام، وكان أولاً عارض جيش المقتفي. وكان كريم الأخلاق حسن العشرة، وقف المستنجد على حكايات له رواها في "التذكرة" توهم غضاضة على الدولة، فأخذ من دست منصبه وحبس، ولم يزل في سجنه إلى أن رمس؛ توفي محبوساً سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

ومن شعره:

يا خفيف العقل والرأس معاً وثقيل الروح أيضاً والبدن
تدعي أنك مثـلـي طـيب طـيب أنت ولكن بـلـبـن

وقال أيضاً:

وحاشا معاليك أن تسـتـزاد وحاشا نوالك أن يقتضـى
ولكنما أستزيد الحـظـوظ وإن أمرتني النهى بالرضى

ابن الأردخل

محمد بن "أبي" الحسن بن يمن، أبو عبد الله الأنصاري الموصلي، المعروف بابن الأردخل الشاعر، نديم صاحب الموصل، ونديم صاحب ميافارقين؛ كان من الشعراء المجيدين، مدح الأشرف موسى وغيره، والأردخل هو المجيد

في البناء توفي سنة ثمان وعشرين وستمائة.
ومن شعره رحمه الله:

ولقد رأيت على الأراك حمامة تبكي فتسعدني على أحزانـي
تبكي على غصن وأندب قـامة فجميعنا يبكي على الأغصـان
صرع الزمان وحيدها فتعللـت من بعده بالنـوح والأحـزان
تخشى من الأوتار وهي مروعة منها فلم غنت على الـعـيدان

وقال أيضاً:

أير أنام اللـيل وهـو يقـوم حامي الإهاب كأنه محموم
مغرى بحرف الجر إلا أنـه ما زال مفتوحاً به المضموم

وله أيضاً:

أفي كل يوم لي من الدهر صاحب جديد ولي حاد إلى بـلـد يحـدو
أروح وأغدو للغنى غير مـدرك ويدركه من لا يروح ولا يغـدو

وقال أيضاً:

وذكـرهـا مـاء بـدحـلة لائم فلم تتمالك أن جرت عبراتـهـا
فلله عين ما عتبت دمـوعـهـا صمتن وإقرار الجواري صماتها

وله أيضاً:

ما على من وصاله الصبح لو قص ر من ليل هجـره مـا أطـالـه
ألفي الـقـوام عـنـي أمـالـو ه فقلبي مكسور تـلـك الإمـالة

وقال:

واهاً على عيش مضت سنواته فكأنما كانت هي السـاعـات
والراح ترجم كل هم طـالـع بكواكب أفلاكها الـراحـات
قابلت بالساقي السماء فأطلعت بدراً علي كـأنـهـا مـرآة
الخضر عارضه وواضح ثغره عين الحياة وصدغه الظلمات

وله أيضاً:

يا قريباً عصيت فيه التـنـائي وعزيزاً أطعت فيه الهـوانـا
أخذت وصف قدك الورق عني فأحبت لحبـه الأغـصـانـا

الشمس الصايغ

محمد بن الحسن بن سباع، شمس الدين الصايغ العروضي؛ أقام بالصاغة زماناً يقرئ الناس العربية والعروض والأدب، وكان يألف بقطب الدين ابن شيخ السلامية، ورأيته "غير" مرة. توفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة تقريباً، وكان له نظم ونثر، وشرح "ملحة الإعراب" وشرح الدريدية في مجلدين كبيرين، رأيته بخطه، وديوانه مجلدين كبيرين، واختصر "صحاح" الجوهري وجرده من الشواهد، وله قصيدة تائية على وزن الهيتية التي لشيطان العراق وتزيد على ألفي بيت، وله المقامة الشهابية عملها للقاضي شهاب الدين الخويي.

ومن نظمه:

إن جزت بالموكب يوماً فلا تسأل عن السيارة الكنس
فثم آرام على ضمر لله ما تفعل بالأنفس
فقل لذي الهيئة يا ذا الذي ينقل ما ينقل عن هرمس
قولك هذا خطل باطل أما ترى الأقمار في الأطلس

أخذ هذا المعنى من سيف الدين المشد ونقضه فإنه قال:

زعم الأوائل أنما تبدو الذوائب للكواكب
وتوهموا الفلك المعظ م أطلساً ما فيه ثاقب
أتراهم لم ينظروا ما في الزمان من العجائب
كم من هلال قد بدا في أطلس وله ذوائب

وقال وهو بمصر يتشوق إلى دمشق:

لي نحو ربعك دائماً يا جلق شوق أكاد به جوى أتمزق
وهمول دمع من جوى بأضالع ذا مغرق عيني وهذا محرق
أنى وقلبي في ربوعك موئق أشتاق منك منازلاً لم أنسها
وبه عرفت بكل ما أتخلق طلل به خلقي تكون أولاً
قلبي الأسير ودمع عيني المطلق وقف عليه لدى التأسف والبكا
أبداً إليك بكله يتشوق أدمشق لا بعدت ديارك عن فتى
حباً وذاك أعز شيء ينفق أنفقت في ناديك أيام الصبا
ولكل جمع صدعة وتفرق ورحلت عنك ولي إليك تلفت
منها وهي جلدي وشاب المفرق فاعتضت عن أنسي بظلك وحشة
وخلعت ثوب الشرخ وهو معتق فلبست ثوب الشيب وهو مشهر

ولكم أسكن عنك قلباً طامعاً بوعود قربك وهو شوقاً يخفق

ولكم أحدث عنك من لاقيته وجميع من سمع الحديث يصدق

والأرض في عرض وطول دائماً لم يحو مثلك غربها والمشرق

لله وادي النيربين وظله لا الرقمتان ورامة والأبرق

وسقى ديار الصالحية وابل يهمي على تلك المنازل مغدق

والسهم لا افترت ثغور أقاحه إلا ودمع سحابه يترقرق

كم فيه من قصر منيف مشرف يبدو به قمر منير مشرق

وببيت لهيا لا تعداه الحيا طلل عليه من النضارة رونق

هو منزل آثاره مشهورة ولأهله عهد علي وموثق

وحباك يا أطلال جوبر واصلاً غيث مريع مستهل مشفق

لله سرحه ذلك الربع الذي قلبي يهيم به وذاك الجوسق

والوادي الشرقي لا برحت به ديم تسح ووبلها يتدفق

فغياضه ورياضه كعيونه هذا يعوم به وهذا يغرق

ولكم قطعت به زماناً لم أزل أشتاقه ما دمت حياً أرزق

في سكر زبدين إلى جسرين كم حيا الحيا حياً عليه رونق

بالواديين كلاهما الغربي والشرقي نزهة من برفق يرمق

أنى اتجهت رأيت دوحاً ماؤه متسلسل يعلو عليه جوسق

والقصر والشرفات والشقراء والـ ميدان عشقاً للذي لا يعشق

فلكم حوت تلك المنازل صورة فيها الجمال مجمع ومفرق

فمخضب ومؤزر ومعمم ومزنر ومبرقع ومقرطق

كم من غزال بالنفوس متوج وقضيب بان بالعيون ممنطق
والريح تكتب والجداول أسطر خط له نسخ الربيع محقق
والطير يقرأ والنسيم مردد والغصن يرقص والغدير يصفق
ومعاطف الأغصان غنتها الصبا طرباً فذا عار وهذا مورق
وكأن زهر اللوز أحداق إلى ال زوار من خلل الغصون تحدق
وكأن أشجار الرياض سرادق في ظلها من كل لون نمرق
والورد بالألوان يجلو منظراً ونسيمه عطر كمسك يعبق
فبلابل منها تهيج بلابلاً وكذاك أثواب الشقيق تشقق
وهزاره يصبو إلى شحروره ويجاوب القمري فيه مطوق
وكأنما في كل عود صادح عود حلا مزمومه والمطلق
والورق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين الخلي الموثق
تتلو على الأغصان أخبار الهوى فيكاد ساكن كل شيء ينطق
يا سائراً والريح تعثر دونه والبرق يبسم إذ به يتألق

إن جزت من وادي دمشق منازلاً لي نحوها حتى الممات تشوق
بالجبهة الغراء والوجه الذي يزهو به القصر المنيف الأبلق
ورأيت ذلك الجامع الفرد الذي في الأرض طراً مثله لا يخلق
قل للفتى عبد الرحيم فإنني أبداً بحسن وداده أتحقق
إن كنتم عرضتم بتشوق وحياتكم إني إليكم أشوق
أشتاقكم من أرض مصر وبيننا بيد تخب لها المطي وتعنق
قفر يحار به الدليل ودونه رمل تكاد به المطايا تغرق
لم أستطع فيه المسير لتوقد الرمضاء نار تحرق

كـأنـه

فارقتكم لا عن رضى فلبعدكـم عني علي الرحب ضنك ضيق

وقنعت حتى صرت أرجو منكم من بعد ذاك القرب طيفاً يطرق

ولقد عطفت على الزمان معاتباً فرأيت كفي عنه صبـراً ألـيق

يمضي النهار وفيه قلبي مفكـر والليل طرفي بالبعـاد مـؤرق

فعليكم مني التـحـية مـا بـدا صبح به وجه الغزالة مشـوق

شمس الدين ابن دانيال الحكيم

محمد بن دانيال بن يوسف الموصلي الحكيم الفاضل الأديب، شمس الدين صاحب النظم الحلو والنثر العذب والطباع الداخلة والنكت الغريبة والنوادر العجيبة؛ قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: هو ابن حجاج عصره، وابن سكرة مصره، وضع كتاب "طيف الخيال" فأبدع طريقه، وأغرب فيه فكان هو المطرب والمرقص على الحقيقة؛ أخبرني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس قال: كان الحكيم شمس الدين ابن دانيال له دكان كحل داخل باب الفتوح، فاجتزت عليه أنا وجماعة من أصحابه، فرأينا عليه زحمة ممن يكحله، فقالوا: تعالوا نخايل على الحكيم، فقلت لهم لا تشاكلوه تخسروا معه، فلم يسمعوا وقالوا: يا حكيم تحتاج إلى عصيات? يعنون أن هؤلاء الذين يكحلهم يعمون ويحتاجون إلى العصا، فقال بسرعة: لا، إلا إن كان فيكم من يقود لله تعالى، فمروا خجلين؛ وله من هذا النوع غرائب ينقلها المصريون عنه. وكانت وفاته بالديار المصرية في شهور سنة عشر وسبعمائة فمن نظمه، قال لغزاً في سرموزة:

وجارية هيفاء ممـشـوقة الـقـد لها وجنة أبهى احمراراً من الورد

من اليمنيات التي حـر وجـهـهـا يفوق صقالاً صفحة الصارم الهندي

وثيقة حبل الوصل منذ صحبتـهـا فلست أراه قط منتقض الـعـهـد

وفي وصلها أمسى الشقاء ميسـراً وجاوز في تيسيره غاية الجـهـد

ولم أر وجهاً قبلـهـا كـل سـاعة على الترب ألقاها معفرة الـخـد

ومن عجبي أني إذا ما وطـئتـهـا تئن أنـينـاً دونـه أنة الـوجــد

مباركة عـنـدي ولا بـرحـت إذاً مدورة الكعبين شؤماً علـى ضـد

وقال أيضاً:

قلت لمولاي السني المحسن المستحسن

من قال إنك ما تنـا فإن عبدك ما يني

وقال أيضاً:

ولرب ليل بالخليج قـطـعـتـه إذ بت منه ساهراً بالـشـاطـي

أمسى الضياء منادمي وحشاه لي محشـوه بـغـرائب الأخـلاط

ولشقوتي بتنا معاً في مضـجـع مترديين على الثرى بـبـسـاط

عصفت علي رياحه فوجدتـهـا أقوى هبوباً مـن رياح شـبـاط

قد كنت أنعس لانتشاق فـسـائه غشياً فيوقظني بصوت ضـراط

ما زلت أنشق منه ريحاً منتـنـاً حتى استحال إلى الخراء مخاطي

يا أيها المفـتـوق مـن أرياحـه هذي النصيحة فيك لـلـخـياط

وقال أيضاً في فرسه:

قد كمل الله برذوني لمنـقـصة وشانه بعد ما أعماه بالـعـرج

أسـير وهـو يعـرج بـــي كأنه ماشياً ينـحـط مـن درج

فإن رماني على ما فيه من عرج فما عليه إذا مت مـن حـرج

وقال في الشيخ ابن ثعلبة وقد ترك الغناء واللهو وتصوف في المشتهى من روضة مصر:

لطمت بعدك الخدود الـدفـوف وتحاملت تلك الصروف الكفوف

وتساوى عند الرقاق وقـد مـا ت لدينا ثقيلها والـخـفـيف

وعلت ضجة المواصل حزنـاً والندامى على السرور عكوف

وجرت أدمع الرواويق حتـى عاد منها النزيف وهو نـزيف

وبدا الشمع وهو من سيلان ال دمع إنسان عينه مـطـروف

يا إمام الملاح دعـوة قـاض في قضايا المجون ليس يحيف

كيف ذقت الخشوع هل هو حلو يا حريفي باللـه أو حـريف

تبت لله تـوبة الـشـيخ إن ال زهد لا يحتوي عليه الضعيف

لا تكن راسب المقر فـمـا ير سب في المستقر إلا الكثـيف

وإذا قمت للصلاة فـقـم ثـع لبة ناشقاً فـأنـت نـظـيف

وإذا ما خلوت في خلوة المـس جد قل للمريد عندي ضـيوف

وإذا ما أخرجت كيسك بالمـع لوم قل للحضور هذا سفـوف
حبذا زهدك التلـيد فـمـا أن ت به في الشيوخ إلا ظـريف
قسماً يا قـلـبة الـبـين إنـي قرم الشوق للقا مـلـهـوف
أترجى منك الرجوع قـريبـاً طمعاً فيك والمحب عطـوف

وقال أيضاً:

أصبحت أفقر من يروح ويغتدي ما في يدي من فـاقة إلا يدي
في منزل لم يحو غيري قاعـداً فإذا رقدت رقدت غير ممـدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة ومخدة كانت لأم المـهـتـدي
ملقى على طراحة في حشوها قمل كمثل السمسم المـتـبـدد
والفأر يركض كالخيول تسابقت من كل جرداء الأديم وأجـرد
هذا وكم ناشر طاوي الحـشـا يبدو كمثل الفاتك الـمـتـردد
هذا ولي ثوب تراه مـرقـعـاً من كل لون مثل ريش الهدهد

وقال أيضاً:

قد عقلنا والعقـل أي وثـاق وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلاً كان مثلي فاضلاً عند قسـمة الأرزاق

وقال أيضاً:

ما عاينت عيناي في عطلتي أدبر من حظي ولا بختـي
قد بعت عبدي وحماري وقد أصبحت لا فوقي ولا تحتي

وقال أيضاً:

يا سائلي عن حرفتي في الورى وضيعتي فيهـم وإفـلاسـي
ما حال من درهـم إنـفـاقـه يأخذه مـن أعـين الـنـاس

وقال أيضاً:

رأيت سراج الدين للصفع صالحاً ولكنه في علمه فاسد الـذهـن
أستره بالكف خوف انطـفـائه وآفته في طفئه كثرة الـدهـن

وقال وقد صلبوا ابن الكازروني وفي عنقه جرة خمر في الأيام الظاهرية:

لقد كان حد الخمر من قبل صلـبـه خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصاحـبـي ألا تب فإن الحد قد جاوز الـحـدا

وقال أيضاً:

لقد منع الإمام الخمر فـينـا وصير حدها حد اليمـانـي
فما جسرت ملوك الجن لأجل الخمر تدخل في القناني خوفاً

وقال أيضاً:

كم قيل لي إذ دعيت شمـسـاً لا بد للشمس مـن طـلـوع
فكـان ذاك الـطـلـوع داء سما إلى السطح من ضلوعي

وقال أيضاً:

يا رشاً لحظه الصحيح العليل كل صب بسيفه مـقـتـول
لك ردف غادرته رهن خصر وهو رهن كما علمت ثقـيل

وقال أيضاً:

يا لائمي في العذار مهلاً فأنت بالعذل لي مهـيج
الحسن قد زادني غرامـاً إذ رقم الورد بالبنفسـج
وكل ديباج خد ظـبـي إن لم يكن معلماً فدحرج

وقال أيضاً:

يقولون سيف الدين من أجل علقه جفاك فلا تأمن غوائل حـقـده
فقلت ألا يا قوم ما أنا جـاهـل فأدخل بين السيف عمداً وغمده

وقال وقد أبطلت المنكرات في أيام حسام الدين لاجين:

احذر نديمي أن تذوق المسكـرا أو أن تحاول قط أمراً منكـرا
لا تشرب الصهباء صرفاً قرقفاً وتزور من تهواه إلا في الكرى
أنا ناصح لك إن قبلت نصيحتـي اشرب إذا ما رمت سكراً سكرا
والرأي عندي ترك عقلك سالمـاً من أن تراه بالـمـدام تـغـيرا
ذي دولة المنصور لاجـين الـذي قهر الملوك وكان سلطان الورى
إياك تأكل أخضراً في عـصـره يا ذا الفقير يصير جسمك أحمرا
والمزر يا مسعود دعه جـانـبـاً واشرب من اللبن المخيض مبكرا
وبني حرام احـفـظـوا أيديكـم فالوقت سيف والمراقب قد درى
توبوا وصلوا داعيين لـمـلـكـه فيه تنالون الـنـعـيم الأكـبـرا

وقال أيضاً وقد دعي إلى عرس:

دعوتني للعـرس يا سـيدي فكدت أن أحضر من أمس

وها أنا الليلة فـي داركـم فالكلب ما يهرب من عرس

وقال في برهان الفاحشة وقد صفع وهو أرمد:

صفع البرهان وما رجما فبكى من بعد الدمع دما
قد كان شكا رمداً صعباً فازداد بذاك الصفع عمى
ورمى النوروز أخادعـه حتى باتت تشكو ورمـا
أدماه الـقـوم بـآخـرة كانت حوراً لا بل أدمـا
نزلوا سحراً في ساحلـه فرأى الإصباح بهم ظلما
من كل فتى بالنطع بـدا مثل القصار إذا احتزمـا
فسقاه بها صرفاً سبـعـاً وسقاه بها سبعين بـمـا

وقال أيضاً:

في وصف حسنكم تكل الألسـن وجمالكم فهو الجمال الأحسـن
يا سادة غابوا فمات تصـبـري وبكيتهم حتى بكاني المسـكـن
لي فيكم ظبي ذكرت لحسـنـه عين الجنان أجم أحـور أعـين
قاسي الفؤاد علي ولكن عطفـه مثلي على غمز الصبـابة لـين
باد ولكن في الضمير محـجـب سهل ولكن بالرماح محـصـن
حلفوا بأن الورد زهـرة خـده صدق الوشاة وعارضاه سوسن
متلون الميثاق لـكـن وجـهـه بسوى الحياء الطلق لا يتـلـون
في خط عارضه ونقطة خالـه شكل يصادر في الهوى ويبرهن

وقال أيضاً في شرح حاله وشكوى زوجته:

قل لـقـاضـي الـفـسـوق والإدبـار عضـد الـبـلـه عـمـدة الـفـجـار
والـذي قـد غـدا سـفـينة جـهـل ولـه مـن قـرونـه كـالـصـواري
بك أشـكـو مـن زوجة صـيرتـنـي غائبـاً بـين سـائر الـحـضـار
غيبـتـني عـني بـمـا أطـعـمـتـنـي فأنـا الـدهـر مـفـكـر فـي انـتـظـار
غبـت حـتـى لـو أنـهـم صـفـعـونـي قلـت كـفـوا بـالـلـه عـن صـفـع جـاري
فنـهـاري مـن الـبـلادة لـيـل في الـتـساوي والـلـيل مـثـل الـنـهـار

دار رأسي على باب داري فبالله أخبروني

يا سادتي أين داري حتى زادت
ملكتني عيارة وعياراً بالدردبيس عياري
أين مخ الجمال من طبع مخي في التساوي وأين مخ الحمار
غفر الله لي بما رحت للبح ر من البرد أصطلي بالنار
وتجردت للسباحة في الآ ل لظني به الزلال الجاري
ولكم قد عصبت رجلي برؤيا أوطأتني حلماً على مسمار
ولكم رمت قلع ضرسي ضروب بعد ما ضر غاية الإضرار
فإذا بي قلعت بعد عنائي واجتهادي القوي من أوزاري
ورحى حزتها لطحن فما زل ت ظلالاً أدور حول المدار
وأنادي وقد سئمت من الرك ض إلى أين منتهى مضماري
أنا أختار لو قعدت من الجه د ولكن أمشي بغير اختيار
أنا أنسى أني نسيت فلا يخ شى سميري إذاعة الأسرار
أنا سطل الشرائحي بما أو دعت من عجة ومن أبزار
ولكم قد رأيت في الماء شيخاً وهو جاث في الجب كالعيار
شيخ سوء كالثلج ذقناً ولكن وجهه في سواده كالقار
أشبه الناس بي وقد يشبه التي س أخاه في حومة الجزار

فاعتراني رعب وناديت ما كن ت إخال اللصوص في الأزيار
أين ترسي وأين درعي الحقيني أم عمرو بصارمي البتار
إن أمت كنت في الغزاة شهيداً أو أعش كنت شاطر الشطار
ثم أثخنت ذلك الزير ضرباً بحسامي حتى هوى لانكسار

وجرى الماء فاختشيت وإلا كدت أقفو الآثار في التيار
أنا كالبان في قوامي وإن أف ردتني كنت في التهارش ضاري
أنا مثل الخروف قرناً وإن أس قط فإني أعد في الأقذار
أنا لو رمت للعلاج طبيباً ما تعديت دكة البيطار
بعد ما كنت من ذكائي أدري أن بابي من صنعة النجار
أحزر البيض قبل ما يكسروه أن فيه البياض فوق الصفار
وبعيني نظرت كوز نحاس كان عندي أقوى من الفخار
وكثير مني على شيب رأسي حفظ هذي الأشياء مثل الكبار

وقال موشحاً يعارض به أحمد الموصلي:

غصن من البان مثمر قمرا يكاد من لينه إذا خطرا يعقد
بديع حسن سبحان خالقه
مسك ذكي الشذا لناشقه
أبيض ثغر يبدي لعاشقه
نمل عذار يحير الشعرا وفوق شعر يستوقف النهرا أسود
يا بأبي شادن فتنت به
يهواه قلبي على تقلبه
مذ زاد في التيه من تجنبه
أحرمني النوم عند ما نفرا حتى لطيف الخيال حين سرى قيد
جوى أذاب الحشا فحرقني
ونيل دمعي جرى فغرقني
لكنه بالدمع خلقني
فرحت أمشي في الدمع منحدرا ذاك لأني غدوت منكسرا مفرد

وأما موشح أحمد الموصلي فإنه قوله:

بي رشأ عندما رنا وسرى باللحظ للعاشقين إذ أسرا قيد
بما بأجفانه من الوطف
وما بأعطافه من الهيف
وما بأردافه من الترف
ذا الأسمر اللدن ردني سمرا وفي فؤادي من قده سمرا أملد

السحر من لحظه ومقـلـتـه
والرشد من فرقه وغرته
والغي من صدغه وطرته
بدر لصبح الجبين قد سترا بليل شعر فانظر له سترى أسود
إن قلت بدراً فالبدر ينخسـف
أو قلت شمس فالشمس تنكسف
أو قلت غصن فالغصن ينقصف
وسنان جفن سما عن النظرا وكل طرف إليه قد نظرا سهـد
يزهو بثغر كالدر والشـهـب
والطلع والأقحوان والحبب
رصع شبه اللجين في الذهب
حوى الثريا من ثغره أثراً له الذي أدمعي به نثرا نـضـد
حاجبه مشرف على شغـفـي
عارضه شاهد على أسفي
ناظره عامل على تلفي
به غرامي قد شاع واشتهرا وسيفه في الحشا إذا شهرا يغمد
عذاره النمل في الفؤاد سعـى
والنحل من ثغره الأقاح رعى
ويوسف أيدي النسا قطعا
بالنور من وجهه سبا الشعرا وردني بالجفا وما شعرا مكمـد

?????

أبو علي بن الشبل

محمد بن الحسين بن عبد الله بن الشبل، أبو علي الشاعر الحكيم البغدادي؛ توفي في المحرم سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، ودفن بباب الحرب؛ كان شاعراً مجيداً وله ديوان، وكان ظريفاً نديماً مطبوعاً، ومن شعره:

لا تظهرن لعـاذل أو عـاذر حاليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حـرارة في القلب مثل شماتة الأعداء

وقال أيضاً:

يفني البخيل بجمع المال مدته وللحـوادث والأيام مـا يدع

كدودة القز ما تبنيه يهدمهـا وغيرها بالذي تبنيه ينتفـع

وقال أيضاً يرثي أخاه بقصيدة أولها:

غاية الحزن والسرور انقـضـاء ما لحي من بعد مـيت بـقـاء

لا لبيد بـأربـد مـات حـزنـاً وسلت عن شقيقها الخـنـسـاء

مثل ما في التراب يبلى الفتى فال حزن يبلى من بعده والـبـكـاء

غير أن الأموات مروا وأبـقـوا غصصاً لا تسيغـهـا الأحـياء

إنما نحن بين ظـفـر ونـاب من خطوب أسودهن ضراء

نتمنى وفي المنى قصر العـم ر فنغدو كما نسـر نـسـاء

صحة المرء للسقام طـريق وطريق الفناء هذا البـقـاء

بالذي نغتدي نموت ونـحـيا أقتل الداء للنفـوس الـدواء

ما لقينا من غدر دنياً فلا كـا نت ولا كان أخذها والعطاء

صلف تحت راعد وسـراب كرعت فيه مومس خرقـاء

راجع جودها عليها فمهـمـا تهب الصبح يسترد المسـاء

ليت شعري حلماً تمر بنا الأيام أم ليس تـعـقـل الأشـياء

من فساد يكون في عالم الكو ن فما للنفوس منه اتـقـاء

وقليلاً ما يصحب المهجة الج سم ففيم الشقا وفيم العـنـاء

قبح اللـه لـذة لـشـقـانـا نالها الأمـهـات والآبـاء

نحن لولا الوجود لم نألم الفق د فإيجادنا عـلـيـنـا بـلاء

ومن شعره:

بربك أيها الفـلـك الـمـدار أقصد ذا المسير أم اضطرار

مدارك قل لنا في أي شـيء ففي أفهامنا عنك انـبـهـار

فطوق في المـجـرة أم لآل هلالك أم يد فـيـهـا سـوار

وفيك الشمس رافعة شعاعـاً بأجنحة قوادمهـا قـصـار

ودنيا كلما وضعت جـنـيـنـاً عراه من نوائبـهـا طـوار

هي العشواء ما خبطت هشيم هي العجماء ما جرحت جبار

فكم من بعده عفـر وعـقـر يضير وما تلا لـيـلاً نـهـار

لقد بلغ العـدو بـنـا مـنـاه وحل بآدم وبنا الـصـغـار

وتهنا ضائعين كقوم مـوسـى ولا عجل أضـل ولا خـوار

فيا لك أكلة مـا زال فـيـهـا علينا نقـمة وعـلـيه عـار

نعاقب في الظهور وما ولدنـا ويذبح في حشا الأم الحـوار

ونخرج كارهين كما دخلنا خروج الضب أخرجه الوجار
وكانت أنعماً لو كان كوناً نشاور قبله أو نستشار
وما أرض عصته ولا سماء ففيم يغول أنجمها انكدار

ومثل هذه للبحتري:

أناة أيها الفلك المدار أنهب ما تطرف أم جبار
ستفنى مثل ما تفني وتبلى كما تبلي فيدرك منك ثار
وما أهل المنازل غير ركب مطاياهم رواح وابتكار
لنا في الدهر آمال طوال نرجيها وأعمار قصار
وأهون بالخطوب على خليع إلى اللذات ليس لها عذار
فآخر يومه سكر تجلى غوايته وأوله خمار

ومن شعر أبي علي ابن الشبل:

وكأنما الإنسان في غيرة متكوناً والحسن فيه معار
متصرف وله القضاء مصرف ومكلف وكأنه مختار
طوراً تصوبه الحظوظ وتارة حظ تحيل صوابه الأقدار
تعمى بصيرته وتبصر بعدما لا يسترد الفائت استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صدره ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامة نفسه ندماً إذا لعبت به الأفكار
لا يعرف التفريط في إيراده حتى يبينه له الإصدار

وقال أيضاً:

إن تكن تجزع من دم عي إذا فاض فصنه
أو تكن أبصرت يوماً سيداً يعفو فكنه
أنا لا أصبر عمن لا يحل الصبر عنه
كل ذنب في الهوى يغ فر لي ما لم أخنه

وقال أيضاً:

قالوا القناعة عز والكفاف غنى والذل والعار حرص النفس والطمع
صدقتم من رضاه سد جوعته إن لم يصبه بماذا عنه يقتنع

وله:

قالوا وقد مات محبوب فجعت به وبالصبا وأرادوا عنه سلواني
سواه في الحسن موجود فقلت لهم من أين لي للهوى الثاني صباً ثاني

وقال أيضاً:

بنا إلى الدير من درنا صبابات فلا تلمني فلا تجدي الملامات
لا تبعدن وإن طال الزمان بها أيام لهو عهدناها وليلات

فكم قضيت لبانات الشباب بها غنماً وكم بقيت عندي لبانات
ما أمكنت دولة الأفراح مقبلة فانعم ولذ فإن العيش تارات
قبل ارتجاع الليالي وهي عارية وإنما لذة الدنيا إعارات
قم فاجل في فلك الظلماء وشمس ضحى بروجها الدهر كاسات وطاسات
لعله إن دعا داعي الحمام بنا نقضي وأنفسنا منها رويات
بم التعلل لولا ذاك من زمن أحياؤه باعتياد الهم أموات
دارت تحيي فقابلنا تحيتها وفي حشاها لقرع المزج روعات
عذراء أخفى مزاج الماء صورتها لم يبق من روحها إلا حشاشات
مدت سرادق برق من أبارقها على مقابلها منها ملاءات
فلاح في أذرع الساقين أسورة تبراً وفوق نحور الشرب جامات
قد وقع الدهر سطراً في صحيفته لا فارقت شارب الخمر المسرات
خذ ما تعجل واترك ما وعدت به فعل اللبيب فللتأخير آفات
وللسعادة أوقات ميسرة تعطي السرور وللأحزان أوقات

ابن فروجة

محمد بن حمد بن فروجة -بالفاء المضمومة وبعد الواو والراء جيم مشددة- البروجردي؛ قال الثعالبي في "التتمة" من شعره:

كأن الأيك توسعنا نثاراً من الورق المكسر والصحاح
تميد كأنما علت براح وما شربت سوى الماء القراح
كأن غصونها شرب نشاوى تصفق كلها راح براح

وقال في الفستق المملوح:

أعجب إلي بفستق أعددته عوناً على العادية الخرطوم
مثل الزبرجد في حرير أخضر في حق عاج في غلاف أديم

وقال أيضاً:

فلو ترى نقلي وما أبدعت فيه بماء الملح أيدي الصنع
قلت حمامات على منهل شحت مناقير تسيغ الجرع

وأكمل منه قول المشتهي أبي الفضل جعفر بن المحسن الدمشقي حيث يقول:

انظر إلى الفستق المملوح حين بدا مشققاً في لطيفات الـطـيافـير
والقلب ما بين قشريه يلوح لـنـا كألسن الطير ما بين المنـاقـير

وقال ابن فروجة:

أما ترون إلى الأصداغ كيف جرى لها نسيم فـوافـت خـده قـدرا
كأنما مـد زنـجـي أنـامـلـه يريد قبضاً على جمر فما قـدرا

قال ياقوت: مولد ابن فروجة بنهاوند في ذي الحجة سنة ثمانين وثلاثمائة. وله "التجني على ابن جني" و"الفتح على أبي الفتح" والكتابان يرد فيهما على أبي الفتح ابن جني في شعر المتنبي، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

أبو طاهر البغدادي

محمد بن حيدر، أبو طاهر "البغدادي" الشاعر المشهور؛ توفي سنة سبع عشرة وخمسمائة ومن شعره:

مرحباً بالتي بها قتل الـهـم وعاشت مكـارم الأخـلاق
هي في رقة الصبابة والشـو ق وفي قسوة النوى والفراق
لست أدري أمن خدود الغواني سفكوها أم أدمع العـشـاق

وقال أيضاً:

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها إن الحمام لمـغـرم بـالـبـان
من معشر نشروا على هام الربى للطـارقـين ذوائب الـنـيران

أورد له محب الدين ابن النجار في تاريخه قصيدة، وهي:

من كــل ذات روادف كالرمل رجرجة ولينـا
منطقن بالتحف الخصـو ر وصن بالترف البطونا
وأقمن من تلك الـعـيو ن على خواطرنا عيونا

"منها":

يا من يلوم على البكـا كلفاً يزيد به جنـونـا
الآن قـد كـان الـذي قد كنت أحذر أن يكونا
وتفرق الشمـل الـذي قد كنت أعهده مصونا
مني تعلمت الـحـمـا م النوح والإبل الحنينا
والسحب من عيني تعلم كيف يحتلب الشؤونـا

ومنها:

ورأيت منك قـبـيح مـا ظن الوشاة بـنـا يقـيـنـا
حتى كأنـك كـنـت بـال هجران للواشي ضمـيـنـا

طولت أنفـاسـي فـلـم قصرت عن وسني الجفونا

السابق المعري

محمد بن الخضر بن الحسن بن القاسم، أبو اليمن بن أبي المهزول التنوخي المعروف بالسابق، من أهل المعرة؛ قال ابن النجار: كان شاعراً مجيداً مليح القول، حسن المعاني رشيق الألفاظ، دخل بغداد، وجالس ابن ناقيا والأبيوردي والخطيب التبريزي وأنشدهم شعره، ودخل الري وأصفهان ولقي ابن الهبارية الشاعر، وعمل رسالة لقبها "تحية الندمان" أتى فيها بكل معنى غريب تشتمل على عشر كراريس، وأورد له في مليح قد حلق شعره:

وجهك المستنير قد كان بدراً فهو شمس لنفي صدغك عنه

ثبتت أية النـهـار عـلـيه إذ محا القوم أية الليل منـه

وأحسن منه قول ابن بلول الكاتب:

حلقوك تقبيحاً لحسنك رغـبة فازداد وجهك بهجة وضياء

كالخمر فك ختامها فتشعشعت كالمشع قط ذباله فـأضـاء

ومن شعر السابق المعري:

وأغيد واجه المرآة زهـواً فحرق بالصبابة كل نفس

وليس من العجائب أن تأتى حريق بين مرآة وشمـس

وقال أيضاً:

ولقد عصيت عواذلي وأطعتـه رشأ يقتل عاشـقـيه ولا يدي

إن تلق شوك اللوم فيه مسامعي فبما جنت من ورد وجنته الندي

وقال أيضاً:

وراح أزاحت ظلام الدجى فأبدى الفراش إليها فطارا

رآها توقد في كـأسـهـا فيممها يحسب النور نـارا

وما زلت أشربها قـهـوة تميت الظلام وتحيي النهارا

وقال أيضاً:

حلمت عن السفيه فزاد بغياً وعاد فكفه سفهي عـلـيه

وفعل الخير من شيمي ولكن أتيت الشر مدفوعـاً إلـيه

قال محب الدين ابن النجار: قال لنا أبو عبد الله "ابن" الملحي: كنت عند السابق قبل موته فقال لي: قد وصف صديقنا أبو نصر ابن الحكيم سماقية، فتقدم من يطبخها وأنفذها إلي، فقلت: نعم، وانصرفت، فتقدمت إلى تعجيل ما اقترحه، وعدت إلى منزلي عاجلاً، فوردت علي رقعة من السابق بخطه المليح الفائق: يا سيدي، كانت السماقية ممسكة، فصارت ممسكة، وأظن سماقها ما نبت، والسكين عن ذبح شاتها نبت.

فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها ولا علت كف ملقي كفه فيهـا

فكتبت في ظهر الرقعة وأنفذتها قرين السماقية:

بل كل ولا حرج منه عليك ودع عنك التمثل بالأشعار تهـديهـا

ولا تعن لتشقـيق الـكـلام ولا قصد المعاني تنقاها وتبنـيهـا

وكانت وفاته بعد الخمسمائة، رحمه الله تعالى.

السنبسي الشاعر

محمد بن خليفة بن حسين، أبو عبد الله النميري العراقي الشاعر المعروف بالسنبسي؛ أصله من هيت، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد، وكان شاعره وشاعر ولده دبيس، وروى عنه السلفي؛ توفي سنة خمس عشرة وخمسمائة.

أورد له ابن النجار في تاريخه قوله:

قم فاسقنيها على صوت النـواعـير حمراء تشرق في ظلمـاء ديجـور

كانت سراج أناس يهـتـدون بـهـا في أول الدهر قبل النار والـنـور

فأصبحت بعد ما أفنى ذبـالـتـهـا مر السنين وتكـرار الأعـاصـير

تهتز في الكأس من ضعف ومن كبر كأنها قبس فـي كـف مـقـرور

ونرجس خضل تحكـى نـواظـره أحداق تبر على أجفـان كـافـور

عليه نيلوفر تحـكـي كـمـائمـه زرق الأسنة في لـون وتـقـدير

وقال أيضاً:

نفض ختاماً عن حديث كأنـه وإن مل من أسماعنا لم يردد

فإما لأمر عاجل يسـتـجـده وإما لأمر فات أو ذكر موعد

وقال أيضاً:

وخمارة من بنات المجـوس لا تطعم النـوم إلا غـرارا

طرقت على عجل والنجـوم في الجو معترضات حيارى

وقد برد الليل فاستخرجـت لنا في الظلام من الدن نارا

وقال أيضاً:

فوالله ما أنسى عـشـية ودعـوا ونحن عجالى بين غـاد وراجـع

وقد سلمت بالطرف منها فلم يكن من النطق إلا رجعنا بالأصابـع

ورحنا وقد روى السلام قلوبـنـا ولم منا في خروق المـسـامـع

ولم يعدم الواشون ما دار بـيـنـنـا من السر لولا ضجرة في المدامع

أنشدت هذه الأبيات في مجلس سيف الدولة فطرب طرباً شديداً، وما ارتضاها مقدار "بن" المطاميري، فقال له سيف الدولة: ويلك يا مقيدير، ما تقول؟ قال: أقول أنا خيراً منه، قال: إن خرجت من عهدة دعواك وإلا ضربت عنقك، فقال وهو سكران ملتخ:

ولما تناجـوا لـلـفـراق غـدية رموا كل قلب مطمـئن بـرائع

وقمنا فـمـبـد حـنة إثـر أنة خروق الكرى إنسانها غير هاجع

أمنا بها الواشين أن يلهجوا بـنـا فلم نتهم إلا وشـاة الـمـدامـع

فطرب سيف الدولة وأمره بالجلوس عنده.

الشيخ محمد الأكال

محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر، المعروف بالأكال، من جبل بني هلال، ومولده بقصر حجاج دمشق سنة ستمائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وستمائة في شهر رمضان.

كان رجلاً صالحاً كثير الإيثار، وحكاياته في أخذ الأجرة على ما يأكله وما يقبله من بر الأمراء والكبراء مشهورة، ولم يسبقه إلى ذلك أحد ولا اقتفى أثره غيره، وجميع ما يتحصل له يصرفه في وجوه البر ويتفقد به المحابيس والمحاويج والأرامل، وكان بعض الناس ينكر على من يعامله بهذه المعاملة، فإذا اتفق ذلك معه انفعل له ودفع ما يرضاه على الأكل، وكلما تناهى الإنسان له في المطعم زاد هو في الاشتراط عليه، وكان مع ذلك حلو الشكل والحديث مليح العبارة، له قبول تام بين سائر الناس. وعاش تسعاً وخمسين سنة رحمه الله تعالى.

ابن الخمسي

محمد بن الخمسي الإسكندري؛ توفي في حدود الخمسمائة. ومن شعره رحمه الله في إنسان بنعت بعين الملك:

ألا إن ملكاً أنت تدعى بـعـيـنـه جدير بأن يمسي ويصبح أعـورا

فإن كنت عين الملك حقاً كما ادعوا فان له العين التي دمعها جـرى

ومن شعره أيضاً:

قال لي العاذل في حبه قوله زور وبهـتـان

ما وجه من أحببته قبلة قلت ولا قولك قرآن

ابن الجراح الكاتب

محمد بن داود بن الجراح الكاتب؛ كان كاتباً عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ودول الملك، له في ذلك مصنفات، كان مع ابن المعتز فلما انحل أمر ابن المعتز وقتل اختفى ابن داود.

قال أبو عمر بن محمد بن يوسف القاضي: لما جرت واقعة ابن المعتز حبست أنا وأبو المثنى ومحمد بن داود بن الجراح، فكنا في دار في ثلاثة بيوت متلاصقات، وبيتي في الوسط، وإذا جننا الليل تحدثنا من وراء الجدار، وأوصى بعضنا إلى بعض، فلما كان في بعض الليالي دخل أناس بشموع إلى

بيت محمد بن داود وأخرجوه وأضجعوه للذبح فقال: يا قوم ذبحاً كالشاة، أين المصادرات؟ أين أنتم من الأموال؟ أنا أفدي نفسي بكذا وكذا. فلم يسمعوا منه وذبحوه وأخذوا رأسه وألقوه في البئر، ثم أخرجوا أبا المثنى بعدما ذهبوا وعادوا وقالوا: يا عدو الله، يقول لك أمير المؤمنين بم استحللت نكث بيعتي؟ فقال: لعلمي أنه لا يصلح، فذبحوه وأخذوا رأسه وألقوا جثته في البئر، ومضوا وعادوا وأخرجوني وقالوا: يقول لك أمير المؤمنين: يا فاعل، ما الذي حملك على نكث بيعتي؟ قلت: الشقاوة، وقد أخطأت وأنا تائب إلى الله تعالى، فحملوني إلى دار الخلافة وابن الفرات جالس، فوبخني فتنصلت واعتذرت، فقالوا: وهب لك أمير المؤمنين ذنبك، واشتريت دمك وجرمك بمائة ألف دينار، فقلت: والله ما رأيت بعضها مجتمعاً قط، فغمزني الوزير، فأديت البعض وسومحت بالباقي.

وكانت وفاة ابن الجراح سنة ست وتسعين ومائتين. ومن شعر ابن الجراح:

قد ذهب الناس فلا نـاس وصار بعد الطمع الياس
وساس أمر القوم أدناهـم وصار تحت الذنب الراس

وقال أيضاً:

أعين أخي أو صاحبي في مصابه أقوم له يوم الحفـاظ وأقـعـد
ومن يفرد الأقوام فيما ينوبـهـم تبته الليالي مرة وهو مـفـرد

ومن تصانيفه كتاب "الورقة" سماه بذلك لأنه في أخبار الشعراء ولا يزيد في خبر الشاعر الواحد على ورقة، ولهذا سمى الصولي كتابه في أخبار الوزراء ب"الأوراق" لأنه أطال في أخبار كل واحد بأوراق؛ وله "الشعر والشعراء" لطيف. كتاب "من سمى عمراً من الشعراء في الجاهلية والإسلام". كتاب "الوزراء".

## الشريف الناسخ

محمد بن رضوان، السيد الشريف العلوي الحسيني الدمشقي الناسخ؛ توفي في ربيع الأول سنة إحدى وستمائة، عن تسع وستين سنة.

كان يكتب خطاً متوسط الحسن والمنسوب، وله يد في النظم والنثر والأخبار وعنده مشاركة في العلوم، وكتب الكثير وجمع، وكان مغرى بتصانيف ابن الأثير الجزري، مثل "المثل السائر" و"الوشي المرقوم" فكتب منها كثيراً.

ومن شعره ما ذكر الشيخ قطب الدين اليونيني أنه سمعه منه:

يا من يعـيب تـلـونـي ما في التلون ما يعـاب
إن السـمـاء إذا تـلـو ن وجهها يرجى السحاب

وقال أيضاً:

كرر على الظبي حديث الهوى على سماه بعد صحو تـغـيم
ولا تـخـف أن لـه نـفـرة فطالما أونس ظبي الصـريم
ولا تقـل إن لـه صـحـبة مع غيرنا دهراً وعهداً قـديم
فالماء ربى الغصن في حجره ومال عنه برسول النـسـيم

وقال أيضاً:

عقد الربيع على الشتاء مآتماً لما تقوض للرحيل خيامه

لطم الشقيق خدوده فتضرجت حزناً وناح على القضيب حمامه

والدهر منفتح العيون إلى خيو ط المزن حيث تفتقت أكمامه

وقال من أبيات:

تجلى لنا ليلاً فلم ندر وجهه أم القمر الوضاح واتضح الشك

صعقت له لما استنار جماله فطور فؤادي مذ تجلى له دك

طما بحر أجفاني فيا نوح غفلتي ان تبه فلهذا البحر تصطنع الفلك

وقال في مليح يلقب بالجدي:

رأيت في جلق أعجوبة ما إن رأينا مثلها في بلد

جدي له من صدغه عقرب وفي مطاوي الجفن منه أسد

وخلقه سنبلة تطلب ال ميزان لا ترضى بأخذ العدد

وقال في حسين الصواف وكان يلازم رجلاً مقدسياً:

يهنيكم الصواف أصبح عابداً للرب غير مداهن ومدلس

طويت له الأرض الفسيحة فاغتدى تحت المهامه في ظلام الحندس

فهو المقيم بجلق وركوعه وسجوده أبداً ببيت المقدس "ي"

وقال أيضاً:

عانقته عند الوداع وقد جرت عيني دموعاً كالنجيع القاني

ورجعت عنه وطرفه في فترة يملي علي "مقاتل الفرسان"

زين الدين ابن الرعاد

محمد بن رضوان بن إبراهيم بن عبد الرحمن، المعروف بابن الرعاد، يدعى زين الدين؛ قال الشيخ أثير الدين: كان المذكور خياطاً بالمحلة من الغربية، وله مشاركة في العربية وله أدب لا بأس به، وكان في غاية الصيانة والترفع عن أهل الدنيا والتودد إليهم، واقتنى من صناعة الخياطة كتباً نفيسة، وابتنى داراً حسنة بالمحلة، وتوفي بالمحلة. ومن شعره في الشيخ بهاء الدين "ابن" النحاس:

سلم على المولى البهاء وصف له شوقي إليه وأنني مملوكه

أبداً يحركني إليه تشوقي جسمي به مشطوره منهوكه
لكن نحلت لبعده فكأنني ألف وليس بممكن تحركه

وقال أيضاً:

رأيت حبيبي في المنام وذلك للمهجور مرتبة عليا معانقي
وقد رق لي من هجر وقسوة وما ضر إبراهيم لو صدق الرؤيا

وقال أيضاً:

نار قلبي لا تقري لهبا وامنعي أجفان عيني أن تناما
فإذا نحن التقينا فارجعي نار إبراهيم برداً وسلاما

وقال أيضاً:

قالوا وقد شاهدوا نحولي إلام في ذا الغرام تشقى
فنيت أو كدت فيه تفنى وأنت لا تستفيق عشقا
فقلت لا تعجبوا لهذا ما كان لله فهو يبقى

## شمس الدين المقدسي

محمد بن سعد بن عبد الله بن مفلح بن هبة الله بن نمير، شمس الدين الأنصاري الحنبلي المقدسي؛ نشأ بقاسيون على الخير والصلاح، وقرأ القرآن والعربية وسمع الكثير، وكان ديناً ورعاً، وبرع في الأدب وحسن الخط، وكتب للصالح إسماعيل وللناصر داود، وطال عمره وروى عنه الدمياطي وغيره، وتوفي سنة خمسين وستمائة.

ومن شعره رحمه الله ما كتبه إلى الصالح إسماعيل:

يا مالكاً لم أجد لي من نصيحة بداً وفيها دمي أخشاه
اسمع نصيحة من أوليته نعماً يخاف كفرانها إن كف أو تركا
والله لا امتد ملك مد مالكه على رعيته من ظلمه شبكا
ترى الحسود به مستبشراً فرحاً مستغرباً من بوادي أمره ضحكا
وزيره ابن غزال والرفيع له قاضي القضاة ووالي حربه ابن بكا
وثعلب وفضيل من هما وهما أهل المشورة فيما ضاق أو ضنكا
جماعة بهم الآفات قد نشرت والشرع قد مات والإسلام قد هلكا
ما راقبوا الله في سر وفي علن وإنما يرقبون النجم والفلكا
إن كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهم أو كان شراً وأمراً سيئاً فلكا

ابن شرف القيرواني

محمد بن "أبي" سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني الجذامي، أحد فحول شعراء الأندلس والغرب؛ كان أعور، وله تصانيف منها "أبكار الأفكار" وهو كتاب حسن في الأدب يشتمل على نظم ونثر من كلامه، وتوفي سنة ستين وأربعمائة.

وكان بينه وبين ابن رشيق مهاجاة ومعاداة جرى الزمان بها كعادته بين المتعاصرين، ولابن رشيق فيه عدة رسائل يهجوه فيها ويذكر أغلاطه وقبائحه، منها رسالة "ساجور الكلب" ورسالة "قطع الأنفاس" ورسالة "نجح الطب" ورسالة "رفع الإشكال ودفع المحال" وكتاب "فسخ الملح، ونسخ اللمح".

ومن شعر ابن شرف وهو تشبيه متمكن:

كأنما حمامنا فـقـحة ألنتن والظلمة والضيق
كأنني في وسطها فيشة ألوطها والعرق الريق

فبلغ ذلك ابن رشيق فقال مجيزاً:

وأنت أيضاً أعور أصلع فصادف التشبيه تحقيق

وهذا في غاية الحسن وعجيب الاتفاق.

ومن شعر ابن شرف من أبيات:

ولقد نعمت بليلة جمـد الـحـيا بالأرض فيها والسماء تـذوب
جمع العشاءين المصلي وانزوى فيها الرقيب كأنه مـرقـوب
والكأس كاسية القميص كأنهـا لوناً وقدراً معصم مخضـوب
هي وردة في خده وبكأسـهـا تحت القناني عسجد مصبـوب
مني إليه ومـن يديه إلـى يدي فالشمس تطلع بيننا وتـغـيب

ومما سار له وطار وملأ الأقطار قوله:

جاور علياً ولا تحفـل بـحـادثة إذا ادرعت فلا تسأل عن الأسـل
فالماجد السيد الحر الـكـريم لـه كالنعت والعطف والتوكيد والبدل
سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملء المسامع والأفواه والمـقـل

وقال أيضاً:

لا تسأل النـاس عـن خـبـر هما يبثانك الأخبار تـطـفـيلا
ولا تعاتب على نقص الطباع أخاً فإن بدر السما لم يعط تكمـيلا

وقال أيضاً:

احذر محاسن أوجه فقدت سن أنفس ولو أنها أقـمـار

محا

سرج تلوح إذا نظرت فإنهـا نور يضيء وإن مسست فنار

وقال أيضاً:

قالوا تصاهلت الحـمـي ر فقلت من عدم السوابق

خلت الدسوت من الرخـا خ ففرزنت فيها البياذق

وقال في عود، والمعنى مشهور:

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الـذي زكت منه أغصان وطابت مغارس

تغنى عليها الطير وهـي رطـيبة وغنت عليها الناس والعود يابـس

وقال:

إذا صحب الفتى جد وسعـد تحامته المكاره والخطوب

ووافاه الحبيب بغـير وعـد طفيلياً وقاد له الـرقـيب

وعد الناس ضرطته غنـاء وقالوا إن فسا قد فاح طيب

وقال في مليح اسمه عمر:

يا أعدل الناس إسماً كم تجور على فؤاد مضناك بالهجران والـبـين

أظنهم سرقوك القاف من قمر فأبدلوها بعين خيفة الـعـين

شرف الدين البوصيري

محمد بن سعيد بن حماد بن "محسن بن" عبد الله بن صهناج بن ملال الصهناجي؛ كان أحد أبويه من أبو صير والآخر من دلاص، فركبت له نسبة منهما وقيل الدلاصيري، لكنه اشتهر بالبوصيري.

كان يعاني صناعة الكتابة والتصرف، وباشر الشرقية ببلبيس، وله تلك القصيدة المشهورة التي نظمها في مباشري الشرقية التي أولها:

فقدت طوائف المستخدمـينـا فلم أر فيهم رجـلاً أمـينـا

فقد عاشرتهم ولبثـت فـيهـم مع التجريب من عمري سنينا

فكتاب الشمال هم جـمـيعـاً فلا صحبت شمالهم اليمـينـا

فكم سرقوا الغلال وما عرفنا بهم فكأنما سرقوا العـيونـا

ولولا ذاك ما لبسـوا حـريراً ولا شربوا خمور الأندرينـا

ولا ربوا من المردان مـرداً كأغصان يقمن وينحـنـينـا

وقد طلعت لبعضهـم ذقـون ولكن بعد ما نتفـوا ذقـونـا

وأقلام الجـمـاعة جـائلات كأسياف بـأيدي لاعـبـينـا

وقد ساوقتهم حرفاً بـحـرف وكل اسم يخطوا منه سـينـا

أمولاي الوزير غفلت عـمـا يتم من اللئام الـكـاتـبـينـا

تنسك معشر منـهـم وعـدوا من الزهاد والمتـورعـينـا

وقيل لهم دعاء مسـتـجـاب وقد ملأوا من السحت

بالطونا

تفقهت القضاة فـخـان كـل أمانته وسـمـوه الأمـينـا
وما أخشى على أموال مصر سوى من معشر يتأولـونـا
يقول المسلمون لنا حـقـوق بها ولنحن أولـى الآخـذينـا
وقال القبط نحن ملوك مصر وإن سواهم هم غاصبـونـا
وحللت اليهود بحفظ سـبـت لهم مال الطوائف أجمعـينـا
وما ابن قـطـيبة إلا شـريك لهم في كل ما يتخطفـونـا
أغار على قرى فاقوس منـه بجور يمنع النوم الجفـونـا
وصير عينها حمـلاً ولـكـن لمنزلة وغلتـهـا خـزينـا
وأصبح شغله تحصيل تـبـر وكانت راؤه من قبل نـونـا
وقدمه الذين لـهـم وصـول فتمم نقصه صـلة الـذينـا
وفي دار الوكالة أي نـهـب فليتك لو نهبت الناهـبـينـا
فقام بهـا يهـودي خـبـيث يسوم المسلمين أذى وهونـا
إذا ألقى بها موسى عـصـاه تلقفت القوافل والسـفـينـا
وشاهدهم إذا اتهـمـوا يؤدي عن الكل الشهادة واليمـينـا

وهي طويلة إلى الغاية، وقد اختصرت من أبياتها كثيراً، وله فيهم غير ذلك وشعره في غاية الحسن واللطافة عذب الألفاظ منسجم التركيب وقال فيمن اسمه عمر وعلى عينه فص:

سموه غمرا فصحفنا اسمه عمرا فبين الدهر منا موضع الغـلـط
فأصبحت عينه غيناً بنقطـتـهـا وطال ما ارتفع التصحيف بالنقط

وقال فيه من قصيدة أولها:

أهوى والمشـيب قـد حـال دونـه والتصابي بعد المشـيب رعـونـه
أبت النفـس أن تـطـيع وقـالـت إن جنـي لا يدخـل الـقـنـينـه
كيف أعصي الهوى وطينة قلـبـي بالهوى قـبـل آدم مـعـجـونـه
سلبـتـه الـرقـاد بـيضة خـدر ذات حسن كالدرة المـكـنـونـه
سمتها قبلة تـسـر بـهـا الـنـف س فقالت كـذا أكـون حـزينـه
قلت لابد أن تـسـيري إلـى الـدا ر فقالت عسى أنـا مـجـنـونـه
قلت سيري فـإنـنـي لـك خـير من أب راحـم وأم حـنـونـــه
أنا نعم القرين إن كنـت تـبـغـي ن حلالاً وأنت نـعـم الـقـرينـه

قالت اضرب عن وصل مثلي صفحاً واضرب الخل أو تصير طحـينـه
لا أرى أن تـمـسـنـي يد شـيخ كيف أرضى به لطستي مسـينـه
قلت إني كثـير مـال فـقـالـت هبك أنت المبـارز الـقـارونـه

"منها":

سيدي لا تخف علي خـروجـاً في عروضي ففطنتي موزونه
كل بحر إن شئت فيه اختبرني لا تكذب فإننـي يقـطـينـه

وقال من قصيدة أولها:

يا أيها المولى الوزير الـذي أيامـه طـائعة أمـــره
ومن له منزلة في الـعـلا تكل عن أوصافها الفكـره
إليك نشكو حالـنـا إنـنـا حاشاك من قوم أولي عسرة
في قلة نحن ولكـن لـنـا عائلة في غاية الـكـثـره
أحدث المولى الحديث الـذي جرى لهم بالخيط والإبـره
صاموا مع الناس ولكنـهـم كانوا لمن أبصرهم عبـره
إن شربوا فالبئر زير لـهـم ما برحت والشربة الجـره
لهم من الخبيز مصـلـوقة في كل يوم تشبه النـشـره
أقول مهما اجتمعوا حولهـا تنزهوا في الماء والخضره
وأقبل العيد وما عـنـدهـم قمح ولا خبز ولا فـطـره
فارحمهم إن عاينوا كعـكة في كف طفل أو رأوا تمره
تشخص أبصارهم نحوها=بشهقة تتبعها زفره?

كم قائل يا أبـتـا مـنـهـم قطعت عنا الخير في كره
ما صرت تأتينا بفـلـس ولا بدرهـم ورق ولا نـقـره
وأنت في خدمة قوم فـهـل تخدمهم يا أبتـي سـخـره
ويوم زارت أمهم أختـهـا والأخت في الغيرة كالضره
وأقبلت تشكو لها حـالـهـا وصبرها مني على العشره
قالت لها كيف تكون النسـا كذا مـع الأزواج يا عـره
قومي اطلبي حقك منه بـلا تخلف منـك ولا فـتـره
وإن تأبى فـخـذي ذقـنـه وانتفيها شعـرة شـعـره
قالت لها ما هكذا عـادتـي فإن زوجي عنده ضجـره
أخاف إن كلمتـه كـلـمة طلقني؛ قالت لها: بـعـره
وهونت قدري في نفسـهـا فجاءت الزوجة محـتـره
فقاتلتني فـتـهـددتـهـا فاستقبلت رأسي بـآجـره
وحق من حـالـتـه هـذه أن ينظر المولى له نظـره

وقال وقد كتب بها إلى بعض الأصحاب:

قل لعلي الـذي صـداقـتـه على حقوق الإخوان مؤتمنـه
أخوك قد عودت طبـيعـتـه بشربة في الربيع كل سـنـه
والآن قد عفنت عـلـيه وقـد هدت قواه وجففـت بـدنـه
وعـاودت يومـهـا زيارتـه وما اعتراها من قبل ذاك سنه
وعاد عند القيام يحـمـلـهـا براحتيه كـأنـهـا زمـنـه
جئت بها للطبيب مشـتـكـياً ودمعتي كالعوارض الهتـنـه
فقال عد لي إذا احتميت وكـل في كل يوم دجـاجة دهـنـه
كيف وصولي إلى الدجاجة وال بيضة عندي كأنـهـا بـدنـه
جزاك ربي إذا انسهلت بـمـا شربت عن كل خرية حسنـه

قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس: كانت له حمارة استعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته فأخذها وجهز له ثمنها مائتي درهم، فكتب على لسانها إلى الناظر: المملوكة حمارة البوصيري "تنشد":

يا أيها السيد الـذي شـهـدت ألفاظه لي بـأنـه فـاضـل
ما كان ظني يبـيعـنـي أحـد قط ولكـن سـيدي جـاهـل
لو جرسوه علي مـن سـفـه لقلت غيظاً عليه يسـتـاهـل
أقصى مرادي لو كنت في بلدي أرعى بها في جوانب الساحل
وبعد هذا فـمـا يحـل لـكـم أخذي لأني من سيدي حامـل

فردها الناظر إليه ولم يأخذ الدراهم منه.

وقال في من على عينه بياض.

انظر تجـد لـلـه فـي عينـيه سـراً أي سـر
طمس اليمين بكـوكـب وسيطمس اليسرى بفجر

وقال في الشيخ زين الدين ابن الرعاد:

لقد عاب شعري في البرية شاعـر ومن عاب أشعاري فلا بد أن يهجى
وشعري بحر لا يوافـيه ضـفـدع ولا يقطع الرعاد يوماً لـه لـجـا

وللبوصيري في مديح النبي صلى الله عليه وسلم قصائد طنانة، منها قصيدة مهموزة أولها:

كيف ترقى رقيك الأنبياء

وقصيدة على وزن بانت سعاد وأولها:

إلى متى أنت باللذات مشـغـول وأنت على كل ما قدمت مسؤول

وقصيدته المشهورة بالبردة التي أولها:

أمن تذكر جيران بـذي سـلـم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

قال البوصيري: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها ما كان اقترحه علي الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق أن أصابني فالج أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة فعملتها، واستشفعت به إلى الله تعالى في أن يعافيني، وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتوسلت، ونمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى علي بردة فانتبهت، ووجدت في نهضة فقمت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحد، فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أيها؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها وقال: والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمايل وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة، فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك وشاع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين ابن حنا، فبعث إلي وأخذها وحلف أن لا يسمعها إلا قائماً حافياً مكشوف الرأس، وكان يحب سماعها هو وأهل بيته. ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقي الموقع رمد أشرف منه على العمى فرأى في المنام قائلاً يقول له: اذهب إلى الصاحب وخذ البردة واجعلها على عينيك فتعافى بإذن الله عز وجل، فأتى إلى الصاحب وذكر منامه فقال: ما أعرف عندي من أثر النبي صلى الله عليه وسلم بردة، ثم فكر ساعة وقال: لعل المراد قصيدة البردة التي للبوصيري، يا ياقوت افتح الصندوق الذي فيه الآثار وأخرج القصيدة للبوصيري، وأت بها، فأتى بها، فأخذها سعد الدين ووضعها على عينيه فعوفي، ومن ثم سميت البردة، والله أعلم.

ابن قتلمش الحاجب

محمد بن سليمان بن قتلمش، أبو منصور السمرقندي، ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وبرع في الأدب، وولي حجبة الباب للخليفة. وتوفي سنة عشرين وستمائة، ودفن في الشونيزية.

ومن شعره:

سئمت تكاليف هذي الحـياة وكر الصباح بها والمسـاء
وقد صرت كالطفل في عقله قليل الصواب كثير الهـذاء
أنام كنت فـي مـجـلـس وأسهر عند دخول الغـنـاء
وقصر خطوي قيد المشـيب وطال على ما عناني عنائي
وما جر ذلك غير الـبـقـا فكيف ترى سوء فعل البقاء

وقال أيضاً:

تقول حليلتي لمـا رأتـنـي وقد أزمعت عن وطني غدوا
أقم واطلب مرامك من صديق فقلت لها يصـير إذاً عـدوا

وقال أيضاً:

لا والذي سخر قلبي لهـا عبداً كما سخر لي قلبهـا
ما فرحي في حبها غير أن تبيح لي من هجرها قلبها

وقال أيضاً:

ومهفهف غض الشباب أنيقه كالبدر غصني الشباب وريقه
نازعته مشمـولة فـأدارهـا من وجنتيه ومقلتيه وريقـه
وقال أيضاً:
يا قوم ما بي مرض واحد لكن بي عدة أمـراض
ولست أدري بعد ذا كلـه أساخط مولاي أم راضي
وقال أيضاً:
ومقرطق وجدي عليه كردفـه وتجلدي والصبر عنه كخصره
نادمته في ليلة مـن شـعـره أجلو محاسنه بشمعة ثـغـره
وقال أيضاً:
لي في هواك وإن عذبـتـنـي أرب ينفي السلو ولو قـطـعـت آرابـا
لا أطلب الروح من كرب الغرام ولو صبت علي سماء الحب أوصـابـا
ولست أبغي ثواب الصبر عنك ولـو ألبستني من سقام الجسـم أثـوابـا
وشقوتي بك لا أرضى النعيم بـهـا وساعة منك تسوى النار أحـقـابـا
وكان مغرى بالقمار والنرد لا يكاد يفارقهما إلا إذا لم يجد من يساعده على ذلك

ابن أبي الربيع الهواري

محمد بن سليمان بن عبد الله بن يوسف، جمال الدين الهواري -بتشديد الواو وبعد الألف راء- المالكي المعروف بابن أبي الربيع؛ كان فاضلاً أديباً، قال قطب الدين اليونيني: قال ابن خلكان: أنشدني جمال الدين لنفسه:
لولا التطير بالخلاف وأنـهـم قالوا مريض لا يعود مريضا
لقضيت نحبي خدمة لأكون مندوباً قضى المفروضا بفنـائكـم
ومن شعره:
أحباب قلبي إن تحكمـت الـنـوى في بيننا وجرى القضاء بما جـرى
فلقد غضضت عن الورى من بعدكم طرفاً يرى من بعدكـم أن لا يرى
وقال أيضاً:
سريت مــن الــســواد إلــى الــســويدا مسـير الـبـدر فـي طـرفــي وقــلــبــي
قضيت من النوى وطراً وها قدقضيت لك البقا في البعد نحبي
وقال في موسى بن يغمور:
لك الله يا موسى فأنت محمـد ال صفات وفكري فيك حسان مدحه

إذا ما دجا ليل من الخطب مظلم فمن يداك البيضاء إسفار صبحه

وكتب إلى صديق له يدعى الصدر:

ما زلت في بعد وقـرب صباً إلـيك وأي صـب
حزت القلوب بأسـرهـا والصدر موضع كل قلب

وقال أيضاً "فيه":

وتوسوست باشتياقي إلى الصد ر وما زال موضع الوسواس

شمس الدين ابن العفيف التلمساني

محمد بن سليمان بن علي، شمس الدين ابن الشيخ عفيف الدين التلمساني؛ قال القاضي شهاب الدين ابن فضل الله في حقه: نسيم سرى، ونعيم جرى، وطيف لا بل أخف موقعاً منه في الكرى، لم يأت إلا بما خف على القلوب، وبرئ من العيوب، رق شعره فكاد أن يشرب، ودق فلا غرو للقضب أن ترقص والحمام أن يطرب، ولزم طريقة دخل فيها لا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع باب الآذان، وكان لأهل عصره ومن جاء على آثارهم افتتان بشعره وخاصة أهل دمشق فإنه بين غمائم حياضهم ربي، وفي كمائم رياضهم حبي، حتى تدفق نهره، وأينع زهره، وقد أدركت جماعة من خلطائه لا يرون عليه تفضيل شاعر، لا يروون له شعراً إلا وهم يعظمونه كالمشاعر، لا ينظرون له بيتاً إلا كالبيت، ولا يقدمون عليه سابقاً حتى لو قلت ولا امرأ القيس لما باليت، ومرت له ولهم بالحمى أوقات لم يبق من زمانها إلا تذكره، ولا من إحسانها إلا تشكره، وأكثر شعره لا بل كله رشيق الألفاظ، سهل على الحفاظ، لا يخلو من الألفاظ العامية، وما تحلو به المذاهب الكلامية، فلهذا علق بكل خاطر، وولع به كل ذاكر، وعاجله أجله فاخترم، وحرم أحباه لذة الحياة وحرم فمن شعره:

بلا غيبة للبدر وجهك أجـمـل وما أنا فيما قلته مـتـجـمـل
ولا عيب عندي فيك لولا صيانة لديك بها كل امـرئ يتـبـذل
لحاظك أسياف ذكور فما لـهـا كما زعموا مثل الأرامل تغزل
وما بال برهان العذار مسلـمـاً ويلزمه دور وفيه تسـلـسـل
وعهدي أن الشمس بالصحو آذنت فما بال سكري من محياك يقبل
كأنك لم تخلق لغـير نـواظـر تسهدها وجداً وقلبـاً تـعـلـل
حبيبي ليهن الحسن أنك حـزتـه ويهن فؤادي أنه لـك مـنـزل
إذا كنت ذا ود صحيح فلم يكـن يضرني العذال حيث تقـولـوا
رأوا منك حظي في المحبة آخراً لذا حرفوا عني الحديث وأولـوا

وقال أيضاً:

بعينيك هذي الفاترات التي تسبي — يهون علي اليوم يا حبي

إذا ما رأت عيني جمالك مقبلاً — وحقك يا روحي سكرت بلا شرب

وإن هز عطفيك الصبا متمايلاً — أضاع الهوى نسكي وغيبت عن لبي

فدعني وهذا الخد أعصر في فمي — عناقيد صدغيه وحسبي به حسبي

لو أن تجار اللؤلؤ الرطب شاهدوا — ثناياك ما عنوا على اللؤلؤ الرطب

أيا ساقي الكاس الذي زاده خده — عليها احمراراً عد بالكاس عن صحبي

وما ذاك بخلاً بالمدام وإنما — إذا حلت لم آمن عليهم من السلب

وبالله قل لي أيها الظبي كيف قد — تعلمت صيد الأسد في شرك الهدب

وماذا الذي قد بعت فاسترهنت به — لديك الربى رهناً كثيباً من الكثب

فخذ قصة الشكوى من الأعين التي — نفيت لذيذ النوم عنها بلا ذنب

ولا تعتبن صباً تهتك ستره — عليك فهتك الستر أليق بالصب

وقال أيضاً:

أعز الله أنصار العيون — وخلد ملك هاتيك الجفون

وضاعف بالفتور لها اقتداراً — وإن تك أضعفت عقلي وديني

وأبقى دولة الأعطاف فينا — وإن جارت على القلب الطعين

وأسبغ ظل ذاك الشعر يوماً — على قد به هيف الغصون

وصان حجاب هاتيك الثنايا — وإن ثنت الفؤاد إلى شجون

وقال أيضاً:

أسير ألحاظ لخد أسيل — كليم أحشاء لطرف كليل

في حب من حظي كشعر له — لكن قصير ذا وهذا طويل

ليس خليلاً لي ولكنه — أضرم في الأحشاء نار الخليل

يا ردفه جرت على خصره — رفقاً به ما أنت إلا ثقيل

وقال أيضاً:

في غزلي من لحظ ذاك الغزال أخبار صب قتلتـه الـنـبـال

غصن سقته أدمـعـي ثـم مـا أثمر لمـا مـال إلا الـمـلال

حل ثـلاثـاً يوم حـمـامــه ذوائباً تعبق منـهـا الـغـوال

فقلـت والـقـصـد ذؤابـاتـه يا سهري في ذي الليالي الطوال

وقال أيضاً:

لم أنس لما زارني مقـبـلاً أولاني الوصل وما ألـوى

وقعت بالرشف على ثغـره وقع المساطيل على الحلوى

وقال أيضاً:

رأى رضاباً عن تسل يه أولو العشق سلوا

ما ذاقـه وشـاقـه هذا وما وكيف لـو

وقال:

يا من أطال التجني وقد أسا في التوخي

أسرفت تيهاً وعجباً وكثرة الشد يرخي

وقال أيضاً:

بحق هذي الأعين الساحـرة وحسن هذي الوجنة الزاهره

خف في الهوى إثمي يا قاتلي فاليوم دنـيا وغـداً آخـره

قلبي مصر لك مـا بـالـه قد ذاب من أخلاقك القاهره

وقال أيضاً:

أحلى من الشهد من هويت وكم شقت به في الهوى مرارات

وكيف لا تستطـاب ريقـتـه وثغره سـكـر سـنـيـنـات

وقال أيضاً:

يا خاله خضرة بـعـارضـه حرستها عن متيم مـغـرى

كف عن العاشقين مقتصـرا هل أنت إلا حويرس الخضرا

وقال أيضاً:

مثل الغزال نـظـرة ولـفـتة ممن ذا رآه مقبلاً ولا افتتـن

أعذب خلق الله ثغـراً وفـمـاً إن لم يكن أحمق بالحسن فمن

في ثغره وخـده وشـكـلـه الماء والخضرة والوجه الحسن

وقال أيضاً:

حللت بأحشاء لها منـك قـاتـل فهل أنت فيها نازل أو مـنـازل

أرى الليل مذ حججت ما حال لونه على أنه بينـي وبـينـك حـائل

أيسعدني يا طلعة البـدر ومن شقوتي خط بخـديك

طـالـع نـازل
ولو أن قسماً واصف منـك وجـنة لأعجزه نبت بها وهـو بـاقـل
على كل أمر منك عون فربـمـا يعين الذي أبلى بما أنت فـاعـل
وبي ساحر باللحظ للخد حـارس وذابل أعطاف لدمـعـي نـازل
وشعر كليلي كان طولاً فمـا لـه قصير كحظي هل لـذاك دلائل
نعم قد تناهى في الغرام تطـاولاً "وعند التناهي يقصر المتطـاول"

وقال أيضاً:

ما بين هجرك والنـوى قد ذبت فيك من الجوى
وحياة وجهـك لا سـلا عنك المحب ولا نـوى
يا فاتني بـمـعـاطـف سجدت لها قضيب اللوى
يا من حكى بـقـوامـه قد القضيب إذا التـوى
ما أنت عندي والقضـي ب اللدن في حال سـوا
هذاك حركـه الـهـوا ء وأنت حركت الهـوى

وقال أيضاً:

تمشى بصحن الجامع اليوم شادن على قده أغصان بان النقا تثني
فقلـت ولـد لاحـت عـيه حـلاوة ألا فانظروا هذي الحلاوة في الصحن

وقال أيضاً:

بدا وجهه من فوق أسـمـر قـده وقد لاح من ليل الذوائب في جنح
فقلت عجيباً كيف لم يذهب الدجـى وقد طلعت شمس النهار على رمح

وقال أيضاً:

وهل فيه من شيء أن طرفه لكل فؤاد في البـرية صـائد
وأن محياه إذا قابل الـدجـى أضاء به جنح من الليل راكد
فكم يتجافى خصره وهو ناحل وكم يتحالى ريقه وهو بـارد
وكم يدعي صوناً وهذي جفونه بفترتها للعاشقـين مـواعـد

وقال أيضاً:

للعاشقين بأحكام الـغـرام فلا تكن في الهوى بالعذل معترضا
روحي الفداء لأحبابي وإن نقضـوا عهد الوفي الذي للعهد ما نقـضـا

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا فمات في حبهم لم يبلغ الغـرضـا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعـوا فرام صبراً فأعيا نيله فـقـضـى

وقال أيضاً موشح:

بدر عن الوصل في الهـوى عـدلا مالي عنه إن جار أو عدلا مذهب
مترك اللحظ لـفـظـه خـنـث
إليه تصبو الحشا وتنبعث
أشكو إليه وليس يكترث
دعا فؤادي بأن يذوب قلى الموت والله إذ دعا وقلـى أقـرب
لم يبق لـي مـقـلة ولا كـبـد
والقلب فيه أودى به الكمد
وليس يلفى لهجره أمد
لا تعجبوا أن غدوت محتملا لكن قلبي إن كان عنه سلا أعجب
بالحسن كل العقول قـد نـهـبـا
والحزن كل القلوب قد وهبا
شمس ولكنني لديه وهبا
فانظر لذاك القوام كيف جلا غصن وكم بالجمال منه جلا غيهب

وقال ذوبيت:

قاسيت بك الغرام والهجر سنين ما بين بكاء وأنـين وحـنـين
أرضيك ولا تزداد إلا غضبـاً الله كما أبلى بك القلب يعـين

وقال أيضاً:

يا من بفؤادي نار وجـدي غـادر من قاس إليك حسنه من فاخـر
لا تخش إذا ما قيل هذا حـسـن عن غيرك فالشيخ غداً شيء آخر

وقال أيضاً:

يا من غدت القلوب في حكم يديه ذا صبك كم تهدي تجنيك إلـيه
عذل وتسهـيد ووجـد وقـلـى ما تم على الكلاب ما تم علـيه

وقال أيضاً:

لا تعتقدوا عذاره الفـتـان قد وشح ورد الخد بالريحان

ذا خالقه قد خط في وجنته لاماً كتبت بالقلم الريحانـي

وقال أيضاً:

يا ممرض جسم صبه بالـتيه أوردت فؤاده بحـار الـتيه

لا يطلب مضنى مغرم فيه سوى إبلاغ حويجة لـه فـي فـيه

وقال أيضاً:

كم يشمت بي في حبك العذال كم يكثر فيك القيل بي والقال

والصبر بكل حالة أليق بـي أحتاج أداريك ويمشي الحال

وقال أيضاً:

إن صد وراح للجفا يعتمد أو زال وداده الذي أعتقد

فالأمر له وما عليه حرج لا يدخل بينه وبيني أحد

وقال أيضاً:

وقد أصبح آخر الهوى أولـه فالعاذل في هواك ما لي وله

بالله علـيك خـل مـا أولـه وارحم دنفاً حشو حشاه ولـه

وكانت وفاة شمس الدين المذكور في شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة بدمشق، وكان مولده بالقاهرة في عاشر جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وستمائة.

ورثاه والده الشيخ عفيف الدين وذكر أخاه أيضاً:

ما لي بفقد المحـمـدين يد مضى أخي ثم بعده الولـد

يا نار قلبي وأين قلـبـي أو يا كبدي لو يكون لي كبـد

يا بائع الموت مشتريه أنـا فالصبر ما لا يصاب والجلد

أين البنان التي إذا كتـبـت وعاين الناس خطها سجدوا

أين الثنايا التي إذا ابتسمـت أو نطقت لاح لؤلؤ نضـد

ما فقدتك الإخوان يا ولـدي وإنما شمس أنسهم فقـدوا

محمد يا مـحـمـد عـدداً وما لما ليس ينتهـي عـدد

"منها":

ماذا على الغاسلين إذ قرب الأم لاك منه لو أنـهـم بـعـدوا

قد حملت نفسه العلوم إلـى ال فردوس والنعش فوقه الجسد

أبكيت خالاتك الضواحك مـن قبل وما صفاتـك الـنـكـد

بي كبر مسنـى وأمـك قـد شاخت فمن أين لي يرى ولد

وهبه قد كان لي فمثـلـك لا يرجى وأين الزمـان والأمـد

"منها":

يا ليتني لم أكن أباً لـك أو يا ليت ما كنت أنت لي ولد

قيل: إنه عمل مرة جماعة سماعاً حسناً وكان فيه جماعة ملاح، فبعثوا منهم مليحاً إلى شمس الدين يطلبونه من والده، فلما جاء الرسول كتب والده على يده:

أرسلتما لي رسولاً في رسالـتـه حلو المراشف والأعطاف والهيف
وقدتمـا ويسـير ذاك أنـكـمـا وقدتما النار في بادي الضنا دنف

فلما حضر ولده وبلغته الواقعة واطلع على مجيء الرسول كتب إلى والده:

مولاي كيف انثنى عنك الرسول ولم تكن لوردة خديه بـمـرتـشـف
جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلـؤة فكيف ردت بلا ثقب إلى الصدف?

ابن النقير المفسر

محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين، العلامة الزاهد جمال الدين أبو عبد الله البلخي الأصل المقدسي الحنفي، المعروف بابن النقيب أحد الأئمة؛ ولد سنة إحدى عشرة وستمائة، ودخل القاهرة ودرس بالعاشورية ثم تركها وأقام بالجامع الأزهر مدة. وكان صالحاً زاهداً متواضعاً عديم التكلف، وكان الأكابر يترددون إليه ويسألونه الدعاء، وصرف همته إلى التفسير وصنف تفسيراً حافلاً جمع فيه خمسين مصنفاً وذكر في أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغات والحقائق وعلم الباطن، قيل إنه في خمسين مجلدة. وتوفي سنة ثمان وتسعين وستمائة، رحمه الله تعالى.

نجم الدين ابن إسرائيل

محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي ابن الحسين، نجم الدين أبو المعالي الشيباني الشاعر المشهور؛ ولد بدمشق سنة ثلاث وستمائة، وتوفي بها سنة سبع وسبعين وستمائة، ودفن داخل قبة الشيخ رسلان. صحب الشيخ علي الحريري ولبس الخرقة من الشيخ شهاب الدين السهروردي وسمع عليه وأجلسه في ثلاث خلوات. وكان قادراً على النظم مكثراً منه، مدح الرؤساء والقضاة وغيرهم، وتجرد وسافر "إلى" البلاد على قدم الفقر وقضى الأوقات الطيبة، وكان ريحانة المشاهد وديباجة السماعات. وحضر بعض الليالي وقتاً وفيه نجم الدين ابن الحكيم الحموي فغنى المغني من شعر ابن إسرائيل قوله:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هـو ذائق

فقال "ابن" الحكيم: كفرت كفرت، فقال ابن إسرائيل لا ما كفرت ولكن أنت ما تفهم؛ وتشوش الوقت.

ومن شعره:

وفى لي من أهواه جهراً بموعـدي فأرغم عذالي عـلـيه وحـسـدي
وزار على شحط المزار تـطـولاً على مغرم بالوصل لـم يتـعـود
فيا حسن ما أبدى لعيني جـمـالـه ويا برد ما أهدى إلى قلبي الصدي
ويا صدق أحلامي ببشرى وصالـه ويا نيل آمالي ويا نجح مقـصـدي

ندیمي من سعد أریحـا ... فقد أمنت من أن تروح ركـائبـي ... وتغـتـدي
ولا تلزمني النسك فالحب ... ولا تذكرا لي الورد فالراح شاغلـي ... موردي
ولا تقفا بي في الرسوم التي ... فقد طال حبسي بين نؤي عفـت ... ومـوقـد
ومرا علي حي بمنعـرج ... وقولا لغزلان الصريم ألا اللـوى ... ابعـدي
ولا تسعداني بعدها لكمـا ... فما في بعد اليوم فقر البـقـا ... لمـسـعـد
أمن بعد ما قد برق الشوق ... وزار الكرى أجفان طرفي غلـتـي ... المسهد
وهامت بي الصهباء وجداً ... سقاها له طرف إلى رؤيتي فكل من ... صدي
وأمسيت والكاسات شمسي ... عروس حميا الحان تجلى وأصبحت ... على يدي
وأضحت ظباء الحي صيد ... وإن صدن من أهل النهى كل خلاعتي ... أصيد
ذراني وعزمي والدجـى ... فقد أبت الـعـلـياء إلا ومـزاره ... تـفـردي
ولا تأيسا مـن روحـه وتـأسـيا ... فكم معرض في اليوم يقبل في غد
ففي الحي صب باع مهجة ... لجيرة ذاك الحي نقداً نفسـه ... بـمـوعـد
هو الحب إما مـنـية أو مـنـية ... ودون العلا حد الحسام المهـنـد
ألم تـريا أنـي وجـدت تـلـذذي ... برؤياه عقبى حيرتـي وتـلـددي
وقد عشت دهراً والزمان ... وتطربني الألحان من كل يهزنـي ... منشـد
فأغدو وفي لـيل الـغـدائر ... أضل ومن صبح المباسم دائبـاً ... أهتـدي
ويسقم جسمي كل جـفـن ... يورد دمعـي كـل خـد مـورد وتـارة
فطوراً أرى في الربع يبدو ... وطوراً وراء الظعن يوهى تولهي ... تجلدي
أحن للمع النار شب ... بنعمان في ظل الأراك ضـرامـهـا ... المعـمـد
وأصبو متى هبت صباحـاً ... تخبرني عن منجد غير جـرية ... منـجـدي

وتخجل أجفاني السحاب بوبلـهـا متى لاح لي برق ببرقة ثهـمـد

وقال في غلام جميل الصورة حياه بتفاحة:

لله تفاحة وافـى بـه سـكـنـي فسكنت لهباً في القلب يستـعـر

كفرصة المسك وافاني الغزال بها وغرة النجم حياني بها القـمـر

حمراء في صورة المريخ عاطرة يزري بنشر الحميا نشرها العطر

أتى بها قاتلي نحوي فهـل أحـد قبلي تمشى إليه الغصن والثمـر

وقال أيضاً:

عسى الطيف بالزوراء منـك يزور فقد نام عـنـه كـاشـح وغـيور

وكيف يزور الطيف صباً مسـهـداً له النجم بعد الظاعـنـين سـمـير

سروا في ضياء من شموس خدورهم كأن سراهم في الـظـلام مـنـير

ظعائن تغزوا الجـيش وهـي رديفة عليهن من سمر الرمـاح سـتـور

إذا نزلوا أرضاً تولت مـحـولـهـا وأضحـت وفـيه روضة وغـدير

وإن فارقوا أرضاً غدت ورمالـهـا من الطيب مسك والتراب عـبـير

أأحبابنا الـنـائين أدعـو وبـيـنـنـا سهول عسير قطعـهـا ووعـور

سقى أبرق الحنان حيث مصيفـكـم من المزن داني الهيدبين مـطـير

ودار لكم بالبان عن أيمن الحـمـى يلوح عليهـا نـضـرة وسـرور

قريبة عهد بالخلـيط رسـومـهـا مواثل ما محت لـهـن سـطـور

كأن مواطي الخيل فـيهـا أهـلـه وآثار أخفـاف الـمـطـي بـدور

وقال أيضاً:

في ذمة الله من أهوى وإن بانا وإن أسر الغدر الـذي بـانـا

وفي سبيل الهوى عهداً تحملـه قلب يرى حفظه الأيمان إيمانا

يا ظاعناً لم أكن من قبل أهوى ربوعاً ولا أشتاق

فرقته أوطانا

لم يبق بينك عندي يا منى أملي للشوق قلباً ولا للدمع أجفانا

وقال أيضاً في كحال كحل محبوبه:

يا سيد الحكماء هـذي سـنة مسنونة في الطب أنت سننتها

أو كلما كلت سيوف جفون من سفكت لواحظه الدماء سننتها

وقال أيضاً:

يا من يشير إليهـم الـمـتـكـلـم وإليهم يتـوجـه الـمـتـظـلـم

وعليهم يحلو الـتـأسـف والأسـى ويلذ لوعات الـغـرام الـمـغـرم

هذا الوجود وإن تـعـدد ظـاهـراً وحـيـاتـكـم مـا فـيه إلا أنـتـم

وشغلتم كلـي بـكـم وجـوارحـي وجوانحي أبداً سمعت فمنكم أو عنكم

وإذا نطقت ففي صفات جمـالـكـم وإذا سألت الكائنـات فـعـنـكـم

وإذا سكرت فمن مـدامة حـبـكـم وبذكركم في سكـرتـي أتـرنـم

إذا نظمت تـغـزلاً فـي صـورة فلأجل حسنكم المحجـب أنـظـم

أنتم حـقـيقة كـل مـوجـود بـدا ووجود هذي الكـائنـات تـوهـم

أنا في وجـودكـم غـريب بـائس وغريبكـم مـا بـالـه لا يرحـم

وقال أيضاً:

وأهيف القامة عذب اللمـى يقر عينيه دوام الـسـهـر

وما رأينا قبـل أجـفـانـه من نرجس يذبل وقت السحر

وقال أيضاً:

إن أم سـمـــراً أو أراك فإنما مقـصـدهـم أن أراك

وإن ترنمت بذكر الـحـمـى فإنما عقد ضميري حـمـاك

وإن دعا غـيرك داع فـمـا أحسب إلا أنـه قـد دعـاك

وإن بكا صب حبيباً فـمـا أحسب إلا أنه قـد بـكـاك

يا جملة الحب وتفـصـيلـه أجملت إذ فرغتني من سواك

ويا غنياً عن غـرامـي بـه من لي بأن يرحم فقري غناك

ملأت كل الكون عشقاً فـمـا أعرف قلباً خالياً من هـواك

وقال أيضاً:

إلى كم، رعاك الله، تنأى وأقـرب وأرضى بما تجني علي وتغضب

فلا أنت مشك إن شكوت فيشتفـي فؤادي وإن أعتب فما أنت معتب

تكلفت لي ذاك الـوداد فـلـم يدم وكل وداد بالتكـلـف يصـعـب

ومن يتكلف ضد ما هو طبـعـه تعد نفسه للطبع، والطبع أغلـب

يقولون هـنـد لا تـدوم وزينـب على العهد، كل الناس هند وزينب

تطلـبـت وداً لا يكـون لـعـلة فأعوزني وجدان ما أتـطـلـب

وحاولت من يوفي بعهد فلم أجـد كأن الذي حاولت عنقاء مغـرب

تلطف فإن اللطف منك سـجـية تعطف فإن العطف منك مجرب

وإن كان لا بداً من الهجر فـاتـئد لعل رحيلي عن جنابـك يقـرب

سأرحل عنك اليوم لا متـلـفـت بوجهي كأني خائف مـتـرقـب

وأما ودادي فهـو بـاق وإن مـن بقاء ودادي أنـنـي أتـعـتـب

وقال أيضاً:

يا غزالاً قد سبانا حـسـنـه وهلالاً لاح في غصن لجين

قمر العقرب خوفت؛ فـمـن منصفي من قمر في عقربين

وقال أيضاً:

ما أحسن الجامع في ليلة الن صف وقد لاح عليه السرور

وأشبهت زهـر قـنـاديلـه كاسات راح للندامى تـدور

وقارن النسر الـثـريا بـه وقابل البدر هناك الـبـدور

وقال أيضاً:

ما مثل جامعنا ومـثـل وقـيده كضياء طلعة شاهدي ومواصلي

وكأن ذاك الوجه قـنـديل يرى ومن العذار معلق بسـلاسـل

وقال أيضاً في مروحة:

ومحبوبة في القيظ لم تخل وفي القر تجفوها أكف

مـن يد الحبـائب
إذا ما الهوى المقصور هيج عاشقاً أتت بالهوى الممدود من كل جانب

وقال في مليح مغن:

وأهيف إن غنـى فـقـمـري بـانة وإن ماس من عجب فبعض غصونها
تحرك خلف الدف حتى تـحـركـت قلوب رجال فجعت بسـكـونـهـا

وقال أيضاً:

هل عهد ليلى بالكثـيب عـائد أم طيفها لسقم جسمـي عـائد
حوراء حار العقل في صفاتهـا لها الجمال عاشـق وحـاسـد
فكل عضو فيه بـدر طـالـع وكل عطف فيه غصن مـائد
فعطفها وحسن صبري ناقـص وحسنها وفـرط وجـدي زائد
يا كعبة الحسن التي أحجـهـا فؤاد مضناك عـلـيك وافـد
قد سقت في الهوى إليك مهجتي والدم دمع لغرامـي شـاهـد
وطفت في مغناك حتى ملنـي من أرضك الرسوم والمعاهـد
ولم أقصر فيك عن حفظ الهوى والحر من يحفظ من يعـاهـد
وربما يجمع جمع شـمـلـنـا بكم وتصفو عندك الـمـوارد
وعلنا نقضي منـانـا يمـنـى وتنقضي من وصلنا المواعـد
أو لا فموتي فـيكـم شـهـادة علي فيها بالرضى شـواهـد

وحكى لي الشيخ عز الدين الدربندي المؤذن بالجامع الأموي، رحمه الله تعالى، قال: أخبرني نجم الدين ابن إسرائيل قال: أضقت في بعض الأوقات إضاقة شديدة، فقلت في نفسي: والله لا مدحت غير الله تعالى، فقلت القصيدة السينية التي أولها:

يا ناق ما دون الأثيل معـرس جدي فصبحك قد بدا يتنفـس
واستصحبي عزماً يبلغ الحمى لتظل تغبطك الجواري الكنس

قال: فجاءت اثنين وستين بيتاً، وكان لي عادة أن أنظم القصيدة وأنقحها فيما بعد، فعرضت القصيدة فلم أر فيها ما يحذف، فنمت ليلتي، فلما كان وقت السحر وإذا بالباب يدق، فقمت فوجدت قاصداً من مصر ومعه كتاب من الأمير جمال الدين "ابن" يغمور، وصحبته صرة ذهب، وقال: الأمير يسلم عليك، وهذه برسم النفقة، فعددت الذهب فكان اثنين وستين ديناراً، أو كما قال، رحمه الله تعالى.

شرف الدين ابن الوحيد

محمد بن شريف بن يوسف، الكاتب شرف الدين بن الوحيد صاحب الخط الفائق والنظم والنثر؛ كان تام الشكل حسن البزة موصوفاً بالشجاعة متكلماً بعدة ألسن، يضرب المثل بحسن كتابته. توفي سنة إحدى عشرة وسبعمائة وقد شاخ.

سافر إلى العراق واجتمع بياقوت المجود، وكان قد اتصل بخدمة بيبرس الجاشكنير، وكتب له أجزاء ختمة في سبعة أجزاء بليقة ذهب بقلم الثلث في قطع البغدادي، دخل فيها جملة من الذهب أعطاها له الجاشكنير ألف وستمائة دينار أو ألف وأربعمائة دينار، دخل الختمة ستمائة دينار وأخذ الباقي، فقيل له في ذلك فقال: متى يعود آخر مثل هذا يكتب مثل هذه الختمة؛ وزمكها صندل المذهب، وهي وقف في جامع الحاكم. وكتب السبعة أقلام طبقة، وخدم بديوان الإنشاء بالقاهرة، ومن نظمه في تفضيل الحشيش:

وخضراء لا الحمراء تفعل فعلها ... لها وثبات في الحشا وثـبـات

تؤجج ناراً في الحشا وهي جنة ... وتبدي مرير الطعم وهي نبات

وقال أيضاً:

جهد المغفل في الزمان مضـيع ... وإن ارتضى أستاذه وزمـانـه

كالثور في الدولاب يسعى وهو لا ... يدري الطريق فلا يزال مكانـه

وكان ناصر الدين شافع قد وقف على شيء من نظمه فأثنى عليه وشكره فلما بلغ ابن الوحيد ذلك قال:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

وكان ناصر الدين شافع قد عمي، فلما بلغه قوله كتب إليه أبياتاً يهجوه:

نعم نظـرت ولـكـن لـم أجـد أدبـاً ... يا من غـدا واحـداً فـي قـلة الأدب

عيرتني بعمـى أصـبـحـت تـذكـره ... والعيب في الرأس دون العيب في الذنب

وكان الواقع "عظيماً" بينه وبين محيي الدين ابن البغدادي، و"ابن البغدادي" عمل له ذلك المنشور الذي أقطعه فيه قائم الهرمل وابن عروة وأبو عروق وما أشبه هذه الأماكن.

ورأيت كتاب "خواص الحيوان" وفيه مكتوب ذكر الضبع: من خواص شعرها أنه من تحمل بشيء منه حدث له البغاء، وقد كتب ابن البغدادي على الهامش: أخبرني الثقة شريف الدين ابن الوحيد الكاتب أنه جرب ذلك فصح معه، أو كما قال.

العلوي

محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب؛ حمله المتوكل من البادية سنة أربعين ومائتين في من طلبه من آل أبي طالب، فحبس ثلاث سنين ثم أطلق، فأقام بسامرا ثم عاد إلى الحجاز. وكان راوية أديباً شاعراً، وهو القائل في الحبس من أبيات:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تألق بالحمى لمعـانـه
يبدو كحاشية الـرداء ودونـه صعب الذرى متمنع أركانـه
فدنا لينظر أين لاح فلـم يجـد نظراً إليه وصده سـجـانـه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانـه

عماد الدين الدنيسري

محمد بن عباس بن أحمد بن صالح، الحكيم البارع عماد الدين الدنيسري؛ ولد بدنيسر سنة خمس وستمائة، وقرأ الطب حتى برع فيه، وساد وسمع الحديث بالديار المصرية، وصحب البهاء زهيراً مدة وتخرج به في الأدب والشعر، وتفقه على مذهب الإمام الشافعي، وصنف "المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة" و"أرجوزة في الدرياق الفاروق"، ونظم "مقدمة المعرفة" لبقراط وغير ذلك، وسكن الشام، وخدم بالقلعة في الدولة الناصرية ثم خدم بالبيمارستان الكبير، وكان أبوه خطيباً بدنيسر. سمع منه قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى والبرزالي. وتوفي سنة ست وثمانين وستمائة.

ومن شعره، رحمه الله تعالى:

وقلت شهودي في هواك كثيرة وأصدقها قلبي ودمعي مسفوح
فقال شهود ليس يقبل قولـهـم فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

وقال أيضاً:

عشقت بدراً مليحاً عليه في الحسن هاله
مثل الغزال ولكـن تغار منه الغزالـه
فقلت أنت حبيبـي ومالكي لا محالـه
جسمي يذوب وجفني دموعه هطالـه
بعثت من نار وجدي مني إليه رسالـه
ولي عليك شهـود معروفة بالعدالـه

وقال أيضاً:

إذا رفع الـعـود تـكـبـيره ونادى على الراح داعي الفرح
رأيت سجـودي لـهـا دائمـاً ولكن عقيب ركـوع الـقـدح

وقال أيضاً:

كلفت بالمعسول من ريقـه وهمت بالعسال من قـده
بدر إذا أبصرته مـقـبـلاً أبصرت بدر التم في سعده
يجرح قلبي لحظه مثلـمـا يجرحه لحظي في خـده
قلت لعذالي علـى حـبـه والقلب موقوف على وجده
من يده في الما إلى زنـده يعرف حر الماء من برده

وقال أيضاً:

ولقد سألت وصاله فأجابنـي عنه الجمال إشارة عن قائل

في نون حاجبه وعين جفونه مع ميم مبسمه جواب السائل

بدر الدين ابن الفويرة

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن حفاظ، بدر الدين السلمي الحنفي الدمشقي، ابن الفويرة؛ تفقه على الصدر سليمان، وبرع في المذهب ودرس وأفتى، وأخذ العربية عن الشيخ جمال الدين ابن مالك ونظر في الأصول، وقال الشعر الفائق، وكان ذا مروءة ودين ومعروف، وهو والد القاضي جمال الدين ابن الفويرة.

ومن شعره:

وشاعر يسحرني طرفه ورقة الألفاظ من شعره
أنشدني نظماً بديعاً له أحيب بذاك النظم من ثغره

وقال أيضاً:

عاينت حبة خاله في روضة من جلنار
فغدا فؤادي طائراً فاصطاده شرك العذار

وقال:

كانت دموعي حمراً قبل بينهم فمذ نأوا قصرتها لوعة الحرق
قطفت باللحظ ورداً من خدودهم فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

وقال أيضاً:

ورياض كلما انعطفت نثرت أوراقها ذهبا
تحسب الأغصان حين شدا فوقها القمري منتحبا
ذكرت عصر الشباب وقد لبست أبراده القشبا
فانثنت في الدوح راقصة ورمت أثوابها طربا

وقال أيضاً:

والروض مثل العروس قد خطرت أعطافه في ملابس قشب
وريقه الطل قد طفت درراً على كؤوس الشقيق كالحبب
في أعين النور كالدموع وفي مباسم الأقحوان كالشنب

وقال أيضاً:

ألا رب غصن أثمر البدر طالعاً وأورق ليلاً من عذاريه أليلا
محياه روض نرجس اللحظ زهره وقد سال فيه عارض الخد جدولا

وقال أيضاً:

ألمت بنا والليل زهر نجومه كأحداق زهر فتحتها الحدائق
وأبدت محياها لنا وهل مع شروق الشمس

وتـبـسـمـت يلمع بارق

وقال أيضاً:

تأمل إلى الروض الأنيق وبهجة ذاك النور بين الحدائق وحسنه

وقد نثرت أيدي السمـاء نظمن حباباً في كؤوس الشقائق لآلـئاً

وقال يمدح الملك الناصر يوسف بن عبد العزيز:

أذاع لسان الدمع يوم النـوى وحلت أكلف البين في عرى سـري صبري

وطلت على الأطلال أسياف دمي واغتدى قلبي أسيراً مع نـأيهـم السفـر

وعطل نادي الأنس من حلي فحليته من أدمع الـعـين حسنهـم بـالـدر

رعى الله ليلات تقضت فقد كن كالخيلان في وجنة بوصـلـهـم الدهـر

وحيا رياضاً بالحمى كنت أنال المنى في ظل أغصانه مـنـهـم الخضر

وأركض طرف اللهو في حلبة فأعثر في ذيل المسرة الهوى بالـسـكـر

وللله لـيل زارنـي فـي ظـلامـه غزال رشيق القد كالغصن النضـر

شربت مياه الحسن من روض براحة طرفي والدجى مسبل وجهه الستـر

وبتنا وثوب الوصل ينشـر إلى أن طوت برد الظلام يد بـيـنـنـا الفجـر

فقام كبدر التم فـي غـسـق يدير شموس الراح في الأنجم الـدجـى الزهـر

وطاف علينا بالكؤوس ضـحـى تمايل عطف الروض في الحلل وقـد الخضر

تعـانـق قـد الـغـصـن أيديه تـارة ويلثم طوراً ثغـره وجـنة الـنـهـر

وألقت عليه الشمس ثوب لتمسح دمع الطل من أعـين شـعـاعـهـا الـزهـر

وفاح نـسـيم يعـبـث فـي الـربـى بديباج روض حاكه واكف الـقـطـر

وينساب منهـا الـمـاء بـين بدت كالغواني في غلائلها شـقـائق الـحـمـر

كما لمعت أسياف يوسف في مخضبة أطرافهـا مـن دم الـوغـى الـكـفـر

ومنها في المديح أيضاً:

يشيد بنيان المـعـالـي ويرفل في ثوب المكارم

لـمـجـده والفـخـر
هو البحر يسطو في غدير مفـاضة بجدوله الماضي على الجحفل المجر
ويغرس في لباتهم سوسـن الـقـنـا فينبت ورد الطعن من ساحة الصدر
ولو لم تكن يمناه غـيثـاً لـمـا بـدا بها لامعاً برق المهنـدة الـبـتـر
ولا أورقت بالنضر في موقف الوغى وقد جال أغصان المثقفة السـمـر
ويا عجباً من كفه كيف أضـرمـت شرار حروب وهي أندى من البحر
ورقصت في ليل الـمـداد عـقـيلة تناغي بألفاظ أرق مـن الـخـمـر
وقد قلدت من بحر علـياك جـيدهـا بنظم لآل هـذبـتـه يد الـفـكـر
تغالي ملوك الأرض في مهر مثلهـا وها هي قد جاءت إليك بلا مـهـر

شهاب الدين الباجربقي

محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجربقي الجزري، الشيخ الزاهد ابن المفتي الكبير جمال الدين؛ تحول جمال الدين بولديه بعد الثمانين وستمائة إلى دمشق، فسمعهما من ابن البخاري، وجلس للإفادة والإفتاء ودرس ومات وقد شاخ بعد الستمائة، فتزهد ولده محمد المذكور وحصل له حال وكشف، فانقطع فصحبه جماعة من الرذالة، وهون لهم أمر الشرائع وأراهم بوارق شيطانية، وكان له قوة تأثير، فقصده جماعة من الفضلاء قلدوا الشيخ صدر الدين ابن الوكيل في تعظيمه، وكان ممن قصده الشيخ مجد الدين التونسي النحوي، فسلكه على عادته، فجاء إليه في اليوم الذي قال له تعود إلي فيه فقال له: ما رأيت؟ قال: وصلت في سلوكي إلى السماء الرابعة، فقال: هذا مقام موسى بن عمران بلغته في أربعة أيام، فرجع الشيخ مجد الدين إلى نفسه وتوجه إلى القاضي وحكى له ما جرى، وتاب إلى الله تعالى وجدد إسلامه، فطلب الباجربقي وحكم بإراقة دمه فاختفى، وتوجه إلى مصر وانقطع بالجامع الأزهر وتردد إليه جماعة، وكان الشيخ صدر الدين يتردد إليه "وهو بدمشق" ويجلس بين يديه ويحصل له بهت في وجهه، ويضع يده تحت ذقنه ويخلل ذقنه بأصابعه وينشد:

عجب من عجائب البر والبح ر وشكل فرد ونوع غريب

وشهد عليه مجد الدين التونسي وخطيب الزنجيلية والشيخ أبو بكر ابن شرف بما أبيح به دمه، وحكي عنه التهاون بالصلاة وذكر النبي صلى الله عليه وسلم باسمه من غير تعظيم ولا صلاة عليه، حتى يقول: ومن محمد هذا؟ فحكم القاضي جمال الدين الزواوي المالكي بإراقة دمه، فاختفى وسافر إلى العراق، وسعى أخوه بحماية بيبرس العلائي إلى الحنبلي، فشهد نحو العشرين بأن الستة الذين شهدوا عليه بينهم وبينه عداوة، فحقن الحنبلي دمه، فغضب المالكي وجدد الحكم بقتله، وجاء بعد مدة ونزل

بالقابون على باب دمشق، ولم يزل مختفياً إلى أن مات، وله ستون سنة، سنة أربع وعشرين وسبعمائة.
وكان يقول: إن لرسل طولت على الأمم الطريق إلى الله تعالى.

شمس الدين الرسعني

محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني، العدل شمس الدين المحدث الحنبلي نزل دمشق؛ كان شيخاً أبيض مليح الشكل، ولد سنة عشر وستمائة، وسمع من ابن روزبه وابن بهروز وابن القبيطي وكريمة وجماعة، وأم بالمسجد الكبير بالرماحين، وسافر إلى مصر في شهادة، ولما عاد دخل الشريعة يسقي فرسه فغرق ولم يظهر له خبر، وذلك سنة تسع وثمانين وستمائة.

كتب إليه بهاء الدين "ابن" الأرزني:

أحن إلى تلك السجايا وإن نـأت — حنين أخي ذكرى حبيب ومنزل
وأهدي إليها من سلامي مشاكلاً — نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فأجابه شمس الدين المذكور:

على فترة جاء الكتاب معـطـراً — بمسك سحيق لا بريا القرنـفـل
فأذكرني ليلات وصل تصرمـت — بدار حبيب لا بـدارة جـلـجـل
شكوت إلى صبري اشتياقاً فقال لي — ترفق ولا تهلك أسى وتـجـمـل
فقلت له إنـي عـلـيك مـعـول — وهل عند رسم دارس من معـول

ومن شعره أيضاً:

ولو أن إنسان يبلـغ لـوعـتـي — ووجدي وأشجاني إلى ذلك الرشا
لأسكنته عيني ولم أرضهـا لـه — ولولا لهيب القلب أسكنته الحشا

وقال أيضاً:

أأحبابنا إن جادت المزن أرضكم — فما هي إلا من دموعي تمطرا
وإن لاح برق فهو برق أضالعي — وإن ناح ورقعن أنيني يخـبـر
وإن نسمت ريح الصبا وتأرجت — فمن طيب أنفاسي بكم تتعطـرا
وإن رنحت أغصان دجلة فانثنت — فعني بإبلاغ النسـيم تـخـبـر
ومن عجب أني أكـتـم لـوعة — وأودعها طي الصبا وهي تنشر

أمير المؤمنين المهدي

محمد بن عبد الله، أمير المؤمنين المهدي ابن المنصور، ثالث خلفاء بني العباس؛ مولده سنة سبع وعشرين ومائة؛ كان جواداً ممدحاً، مليح الشكل محبباً إلى الرعية، قصاباً للزنادقة، وكان ملكه عشر سنين وشهراً ونصفاً، مات في سنة تسع وستين ومائة، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة، وصلى عليه ولده هارون الرشيد. ومن شعره:

أرى ماء وبي عـطـش شـديد ... ولكن لا سبـيل إلـى الـورود
أما يكفيك أنك تـمـلـكـنـي ... وأن الناس كلـهـم عـبـيدي
وأنك لو قطعت يدي ورجـلـي ... لقلت من الرضى أحسنت زيدي

وكتب إلى جاريته الخيزران وهو في منتزه له:

نحن في أفضل السرور ولكن ... ليس إلا بكم يتم الـسـرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي ... أنكم غبتم ونحن حـضـور
فأغذوا المسير بل إن قدرتـم ... أن تطيروا مع النسيم فطيروا

دخل ابن الخياط المكي عليه فقبل يده ومدحه، فأمر له بخمسين ألف درهم، فلما قبضها فرقها على الناس وقال:

لمست بكفي كفه أبتغي الغـنـى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغـنـى ... أفدت وأعداني فضيعت ما عندي

وبلغ المهدي ذلك فأعطاه بكل درهم ديناراً.

وجلس المهدي جلوساً عاماً فدخل عليه رجل وبيده منديل فيه نعل، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك، فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينيه وأعطاه عشرة آلاف درهم، فلما خرج قال لجلسائه: ما ترون؟ إني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلاً عن أن يكون قد لبسها، ولو كذبناه لقال للناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها علي، وكان من يصدقه أكثر ممن يكذبه، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها، والنصرة للضعيف على القوي وإن كان ظالماً، فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله، وكان الذي فعلناه أرجح وأنجح.

أبو الشيص الشاعر

محمد بن عبد الله بن رزين، الشاعر المشهور الملقب بأبي الشيص، وهو ابن عم دعبل الخزاعي؛ توفي سنة ست وتسعين ومائة، وقد كف بصره. قال أبو الشيص وهو مشهور عنه:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متـأخـر عـنـه ولا مـتـقـدم
أجد المـلامة فـي هـواك لـذيذة ... حباً لذكرك فليلـمـنـي الـلـوم
أشبهت أعدائي فصرت ... إذ كان حظي منك حظي

أحـبـهـم منـهـم
وأهنتني فأهنت روحـي ما من يهون عليك ممـن عـامـداً يكـرم

فأخذ بعض المغاربة هذا المعنى فقال:

هددت بالسلطان فيك أخشى صدودك لا من السلطان
وإنـمـا أجد اللذاذة في الملام فلو أخذ الرشا مني الذي يلحانـي درى

ولأبي الشيص:

لا تنكري صدي ولا إعراضي ليس المقل عن الزمان براض
شيئان لا تصبو النساء إليهمـا حلي المشيب وحلة الإنفـاض
حسر المشيب قناعه عن رأسه فرمينه بالصـد والإعـراض
ولربما جعلت محاسن وجهـه لجفونها غرضاً من الأغراض

محمد ابن طاهر

محمد بن عبد الله بن طاهر بن لحسين الخزاعي الخراساني، الأمير أبو العباس؛ كان جواداً ممدحاً أديباً شاعراً، مألفاً لأهل الفضل والأدب "من بيت الأدب" والإمرة والتقدم، ولاه المتوكل على بغداد، وعظم سلطانه في دولة المعتز إلى أن مات بالخوانيق سنة ثلاث وخمسين ومائتين، ومن شعره ما كتبه إلى جارية له:

ماذا تقولين في من شفه سـقـم من جهد حبك حتى صار حيرانا

فأجابته:

إذا رأينا محباً قد أضر بـه جهد الصبابة أولياه إحسانا

وقال في حسن العشرة:

أواصل من هويت على خلال أذود بهن ليات الـمـقـال
وأحفظ سره والغيب مـنـه وأرعى عهده في كل حـال
وفاء لا يحل به انـتـكـاث وود لا تخونـه الـلـيالـي
وأوثره على عسـر ويسـر وينفذ حكمه في سر مالـي
وأغفر نبـوة الإدلال مـنـه إذا ما لم يكن غـير الـدلال
وما أنا بالملول ولا بـجـاف ولا الغدر المذمم من فعالي

وقال في الأترنج:

جسم لجين قميصه ذهب ركبت فيه بديع تركـيب
فيه لمن شمه وأبصـره لون محب وريح محبوب

أبو عبد الله ابن الأبار

محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن، الحافظ العلامة أبو عبد لله القضاعي البلنسي، الكاتب الأديب المعروف بابن الأبار؛ ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة. عني بالحديث وجال في الأندلس وكتب

العالي والنازل، وكان بصيراً بالرجال عالماً بالتاريخ إماماً في العربية، فقيهاً مفنناً أخبارياً فصيحاً، له يد في البلاغة والإنشاء، كامل الرياسة، ذا رياسة وافية وأبهة وتجمل وافر.
وله من المصنفات "تكملة الصلة" لابن بشكوال. كتاب "تحفة القادم" وكتاب "إيماض البرق".
قتل مظلوماً بتونس على يد صاحبها لأنه تخيل منه الخروج وشق العصا، وقيل إن بعض أعدائه ذكر عند صاحب تونس أنه ألف تاريخاً وأنه تكلم فيه جماعة، فلما طلب وأحس بالهلاك قال لغلامه: خذ البغلة وامض بها حيث شئت فهي لك، وكان ذلك في سنة ثمان وخمسين وستمائة.
ومن شعره:

مرقوم الخد مورده يكسوني السقم مجرده
شفاف الدر له جسد بأبي ما أودع مجسده
في وجنته من نعمته جمر بفؤادي موقده
ريم يرمي عن أكحله زرقاً تصمي من يصمده
متداني الخطوة من ترف أترى الأحجال تقيده
ولاه الحسن وأمره وأتاه السحر يؤيده

وقال أيضاً:

ونهر كما ذابت سبائك فضة حكى بمجانيه انعطاف الأراقم
إذا الشفق استولى عليه احمراره تراءى خضيباً مثل دامي الصوارم

وقال أيضاً:

لم تدر ما خلدت عيناك في خلدي من الغرام ولا ما كابدت كبدي
أفديك من رائد رام الدنو فلم يسطعه من فرق في القلب متقد
خان العيون فوافاني على عجل معطلاً جيده إلا من الجيد
عاطيته الكأس فاستحيت مدامتها من ذلك الشنب المعسول والبرد
حتى إذا غازلت أجفانه سنة وصيرته يد الشهباء طوع يدي
أردت توسيده خدي وقلت له فقال كفك عندي أفضل الوسد
فبات في حرم لا غدر يذعره وبت ظمآن لم أصدر ولم أرد
بدر ألم وبدر الأفق ممتحق والجو محلولك الأرجاء من حسد
تحير الليل فيه أين مطلعه أما درى الليل أن البدر طوع يدي

وقال أيضاً:

زارني خيفة الرقيب مـريبـا يتشكى القضيب منه الكثيبـا
رشأ راش لي سهام المـنـايا من جفون تصمي بهن القلوبا
قال لي: ما ترى الرقيب مطلاً قلت ذره أتى المكان الرحيبا
واسقنيها بخمر عينيك صرفـاً واجعل الكأس منك ثغراً شنيبا
عاطني أكؤس الرضاب دراكاً وأدرها علي كوباً فـكـوبـا
ثم لما أن نام من بعد نـعـس وتلقى الكرى سميعاً مجيبـا
قال لابـد أن تـدب إلـــيه قلت أبغي رشاً وآخـذ ذيبـا
قال فابدأ بنـا وثـن عـلـيه قلت عمري لقد وقعت قريبا
فوثبنا على الغـزال وثـوبـاً ودببنا إلى الرقـيب دبـيبـا
فهل أبصرت أو سمعت بصب ناك محبوبه وناك الرقـيبـا

الشيخ جمال الدين ابن مالك

محمد بن عبد الله "بن عبد الله" بن مالك، الإمام العلامة الأوحد جمال الدين الطائي الجياني الشافعي النحوي نزيل دمشق؛ ولد سنة ستمائة وسمع بدمشق وتصدر بحلب لإقراء العربية، وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين، وكان إماماً في القراءات وعللها، صنف فيه قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية، وأما اللغة فكان إليه المنتهى فيها، وكان إماماً في العادلية فكان إذا صلى فيها يشيعه قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان إلى بيته تعظيماً له، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يشق لجه، وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو فكان أمراً عجيباً، وكان الأئمة الأعلام يتحيرون في أمره، وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه غاية، وكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن كان ما فيه شاهد عدل إلى الحديث فإن لم يكن "فيه" شيء عدل إلى أشعار العرب، هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل، وانفرد عن المغاربة بشيئين: الكرم والمذهب الشافعي، وأقام بدمشق مدة يصنف ويشغل بالجامع وبالتربة العادلية، وتخرج به جماعة، وكان نظم الشعر عليه سهلاً، وصنف كتاب "تسهيل الفوائد". مدحه سعد الدين ابن عربي بأبيات مليحة إلى الغاية وهي هذه:

إن الإمام جمال الدين جملـه رب العلا ولنشر العلم أهله
أملى كتاباً له يسمى الفوائد لم يزل مفيداً لذ لب تـأمـلـه
فكل مسألة في النحو يجمعها إن الفوائد جمع لا نظير له

ومن تصانيفه "سبك المنظوم وفك المختوم" وكتاب "الكافية الشافية" ثلاثة آلاف بيت، وشرحها و"الخلاصة" و"هي" "مختصر الشافية" و"إكمال الإعلام بمثلث الكلام" و"فعل وأفعل" و"المقدمة الأسدية" وصنفها باسم ولده

الأسد، و"عدة اللافظ وعمدة الحافظ" و"النظم الأوجز فيما يهمز" و"الاعتضاد في الظاء والضاد" و"إعراب مشكل البخاري".
وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وستمائة.
قال شرف الدين الحصني يرثيه بأبيات، رحمه الله تعالى:

يا شتات الأسماء والأفعال ... بعد موت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط ... منه في الانفصال والاتصال
مصدراً كان للعلوم بإذن الـ ... ـل هذا من غير شبهة ومحال
عدم النعت والتعطف والتـ ... ـو كيد مستبدلاً من الإبدال
ألم اعتراه أسكن منه أسكن منه ... حركات كانت بغير اعتلال
يا لها سكنة لهمز قضاء ... أورثت طول مدة الانفصال
رفعوه في نعشه فانتصبا ... نصب تمييز كيف سير الجبال
صرفوه يا عظم ما فعلوه ... وهو عدل معرف بالجمال
أدغموه في الترب من غير مثل ... سالماً من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدف ... ن وقوفاً ضرورة الامتثال
ومددنا الأكف نطلب قصراً ... مسكناً للنزيل من ذي الجلال
آخر الآي من سبا حظنا منـ ... ـه حظه جاء أول الأنفال
يا لسان الأعراب يا جامع الإ ... عراب يا مفهماً لكل مقال
يا فريد الزمان في النظم والنث ... ر وفي نقل مسندات العوالي
كم علوماً بثثتها في أناس ... علموا ما بثثت عند الزوال

حافي رأسه النحوي
محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر، العلامة جمال الدين التلمساني؛ محيي الدين النحوي المعروف بحافي رأسه.
كان من أئمة العربية، وكان يحفظ "الإيضاح" للفارسي، ويقرئ بداره.
ولد بتلمسان سنة ست وستمائة وسمع من ابن رواج وجماعة، وتصدر للاشتغال زماناً، أخذ عنه تاج الدين الفاكهاني وجماعة.
ولقب بحافي رأسه لحفرة كانت في رأسه، وقيل لأنه كان في أول أمره مكشوف الرأس، وقيل رآه رئيس في الثغر فأعطاه ثياباً جدداً لبدنه فقال:

هذا لبدني ورأسي حافي!? فأمر له بعمامة، فلقب بحافي رأسه.
ومن شعره:

ومعتقد أن الرياسة في الكبر ... فأصب ممقوتاً بها وهو لا يدري
يجر ذيول الكبر طالب رفعة ... ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

وقال أيضاً:

يا منكراً من بخل الثغر ما ... عرف الورى أنكرت ما لا ينكر
أقصر فقد صحت نتانة أهله ... ومن الثغور كما علمت الأبخر

وقال أيضاً:

ومعلمي الصبر الجميل بهجره ... فثنى فؤاداً عنه لم يك ينثني
لا بد من أجر لكل معلم ... وإلى السلو ثواب ما علمتني

وكتب إلى الأمير نور الدين علي بن مسعود الصوابي:

شكوت إليك نور الدين حالي ... وحسبي أن أرى وجه الصواب "ي"
وكتبي بعتها ورهنت حتى ... بقيت من المجوس بلا كتاب

وتوفي سنة ثمانين وستمائة، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه.

ابن حواري الحنفي

محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر بن أحمد بن حواري، الشيخ تاج الدين أبو المكارم التنوخي المعري الأصل الدمشقي الحنفي، ويعرف بابن شقير، الأديب الشاعر؛ ولد سنة ست وستمائة، وهو أخو المحدث الأديب نصر الله، وكانت وفاة تاج الدين سنة تسع وستين وستمائة.
ومن شعره:

ما ضر قاضي الهوى العذري حين ولي ... لو كان في حكمه يقضي علي ولي
وما عليه وقد صرنا رعيته ... لو أنه مغمد عنا ظبا المقل
يا حاكم الحب لا تحكم بسفك دمي ... إلا بفتوى فتور الأعين النجل
ويا غريم الأسى الخصم الألد هوى ... رفقاً علي فجسمي في هواك بلي
أخذت قلبي رهناً يوم كاظمة ... على بقايا دعاو للهوى قبلي
ورمت مني كفيلاً بالأسى عبثاً ... وأنت تعلم أني بالغرام ملي
وقد قضى حاكم التبريح علي بالوجد حتى ينقضي

مـجـتـهـداً أجـلـي
لذا قذفت شهود الدمع فـيك أن الوصال بجرح الجفن عـسـى يثبـت لـي
لا تسطون بعسـال الـقـوام ضعفي فما آفـتـي إلا مـن عـلـى الأسـل
هددتني بالقلى حسبي الجفـا وكـفـى "أنا الغريق فما خوفي من الـبـلـل"

وقال أيضاً:

أما الوفاء فشـيء لـيس يتـفـق من بعد ما خنت يا قلبي بمن أثـق
أغراك طرفي بما أغراك من فتـن حتى سبتك القدود الهيف والحـدق
وقد تشاركتما في فتح باب الهـوى سدت على سلوتي من دونه الطرق
سعيتما في دمي بغياً فيا لـكـمـا لفرط بغيكما الـتـبـريح والأرق
حتام لا ترعوي يا قلب ذب كـمـداً فحسبك المزعجان الشوق والقلـق
تبيت صباً كئيباً نهب جـنـد هـوى لا قاتلي بك طول الدهر معتـلـق
طوراً بنجد وأحيانـاً بـكـاظـمة وتارة لك يبدو بالحـمـى عـلـق
وكل يوم تعـنـيني إلـى أمـل من دونه المرهفات البيض تمتشق
أبكي لكي تنطفي من أدمعي حرقي وكلما فاض دمعي زادت الحـرق
وكنت أشكو ولي صبر ولي رمـق فكيف حالي ولا صبر ولا رمـق

وقال أيضاً:

وغزال سبا فؤادي مـنـه ناظر راشق وقد رشـيق
ريقه رائق السلافة والثـغ ر حباب وخده الـراووق
حل صدغيه ثم قال أفـرق بين هذين? قلت فرق دقيق

وقال أيضاً:

واحيرة القمرين منه إذا بـدا وإذا انثنى يا خجلة الأغصان
كتب الجمال ويا له من كاتـب سطرين من خديه بالريحان "ي"

وكان تاج الدين يلقب بالهدهد، فأعطاه الملك الناصر ضيعة على نهر ثورا، فحسده جماعة وسعوا على إخراجها من يده، فكتب إلى الملك الناصر:

ما قدر داري في البناء فسعـيهـم في هدمها قد زاد في مقدارهـا

هب أنها إيوان كـسـرى رفـعة أو ما بجودك كان أصل قرارهـا
فاكتب بأني لا أعارض كـاتـب عصب يضن علي في إنكارهـا
فالنص جاء عن النبي محمـد ال هادي: "أقروا الطير في أوكارها"

وقال أيضاً ذوبيت:

أقسمت برشق المقلة النباله قلبي وبلين القامة العساله
ما ألبسني حلة وضـنـى يا هذه سوى جفونك القتاله

شهاب الدين ابن الخيمي

محمد بن عبد المنعم بن محمد، شهاب الدين "ابن" الخيمي الأنصاري، اليمني الأصل، المصري الدار؛ حدث بجامع الترمذي عن ابن البناء المكي، وحدث بكثير من مروياته، روى عن الصقلي وابن منير وابن الظاهري، وكان هو المقدم على شعراء عصره مع المشاركة في كثير من العلوم، وشعره في الذروة، وكان يعاني الخدم الديوانية، وباشر وقف مدرسة الشافعي ومشهد الحسين، وفيه أمانة ومعرفة، وكان معروفاً بالأجوبة المسكتة، ولم يعرف عنه غضب، عاش اثنتين وثمانين سنة، وكانت وفاته بالقاهرة سنة خمس وثمانين وستمائة.

اتفق أن نجم الدين ابن إسرائيل حج، فرأى ورقة ملقاة فيها القصيدة التي لابن الخيمي البائية المشهورة فادعاها. قال قطب الدين اليونيني في تاريخه: إن ابن إسرائيل وابن الخيمي اجتمعا بعد ذلك بحضرة جماعة من الأدباء، وجرى الحديث، فتحاكما إلى شرف الدين ابن الفارض فقال: ينبغي لكل واحد منكما أن ينظم أبياتاً على هذا الوزن والروي، فنظم ابن الخيمي:

لله قوم بجرعاء الحمى غيب... القصيدة

ونظم ابن إسرائيل:

لم يقض من حقكم بعض الذي يجب... القصيدة

فلما وقف عليهما ابن الفارض قال لابن إسرائيل:

لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وحكم بالقصيدة لابن الخيمي، واستجاد بعض الحاضرين أبيات ابن إسرائيل وقال: من ينظم مثل هذا ما الحامل له على ادعاء ما ليس له؟ فابتدر ابن الخيمي وقال: هذه سرقة عادة لا سرقة حاجة، وانفصل المجلس وسافر ابن إسرائيل لوقته من الديار المصرية، وطلب ابن خلكان وهو نائب الحكم بالقاهرة الأبيات من ابن الخيمي، فكتبها له وذيل في آخرها أبياتاً، وسأله الحكم بينه وبين من ادعاها: والقصيدة المدعاة هي هذه:

يا مطلباً ليس لـي فـي غـيره أرب إليك التقصي وانتـهـى الـطـلـب
"وما طمحت لمرأى أو لمسـتـمـع إلا المعنى إلى عـلـياك ينـتـسـب"
وما أراني أهـلاًأن تـوصـلـنـي حسبي علواً بأني فـيك مـكـتـئب

لكن ينـازع شـوقـي تـارة أدبـي فأطلب الوصل لما يضـعـف الأدب

ولست أبرح في الحالـين ذا قـلـق نام وشوق له في أضلعـي لـهـب

ومدمع كلما كـفـكـفـت صـيبـه صوناً لذكراك يعصيني وينـسـكـب

ويدعي في الهوى دمعي مقاسمـتـي وجدي وحزني ويجري وهو مختضب

كالطرف يزعم توحيد الحـبـيب ولا يزال في ليلة للـنـجـم يرتـقـب

يا صاحبي قد عدمت المسعدين فـسـا عدني على وصبي لا مسك الوصـب

بالله إن جزت كثبـانـاً بـذي سـلـم قف بي عليها وقل لي هذه الكـثـب

ليقضي الخد من أجراعـهـا وطـراً في تربها ويؤدي بعـض مـا يجـب

ومل إلى البان من شرقي كـاظـمة فلي إلى البان من شـرقـيهـا أرب

وخذ يميناً لمغنى تـهـتـدي بـشـذا نسيمه الرطب إن ضلت بك النجـب

حيث الهضاب وبطحاها يروضـهـا دمع المحبين لا الأنداء والـسـحـب

أكرم به منزلاً تـحـمـيه هـيبـتـه عني وأنواره لا السمر والقـضـب

دعني أعلل نفساً عز مـطـلـبـهـا فيه وقلباً لـغـدر لـيس ينـقـلـب

ففيه عانيت قدماً حسن من حسـنـت به الملاحة واعتزت بـه الـرتـب

أحيا إذا مت مـن شـوق لـرؤيتـه بأنني لـهـواه فـيه مـنـتـسـب

ولست أعجب من جسمي وصحـتـه في حبه إنما سقمي هو الـعـجـب

والهف نفسي لو أجدي تلـهـفـهـا غوثاً وواحربا لو ينـفـع الـحـرب

يمضي الزمان وأشواقي مضـاعـفة يا للرجال ولا وصـل ولا سـبـب

يا بارقاً بأعالي الـرقـمـتـين بـدا لقد حكيت ولكن فاتـك الـشـنـب

ويا نسيماً سرى من حـي كـاظـمة بالله قل لي كيف البـان والـعـذب

وكيف جيرة ذاك الحي هل حفظوا عهداً أراعيه إن شطوا إن قربوا
أم ضيعوا ومرادي منك ذكرهم هم الأحبة إن أعطوا وإن سلبوا
إن كان يرضيهم إبعاد عبدهم فالعبد منهم بذاك البعد مقترب
والهجر إن كان يرضيهم بلا سبب فإنه من لذيذ الوصل محتسب
وإن هم احتجبوا عني فإن لهم في القلب مشهود وحسن ليس يحتجب
قد نزه اللطف والإشراق بهجته عن أن تمنعها الأستار والحجب
ما ينتهي نظري منهم إلى رتب في الحسن إلا ولاحت فوقها رتب
وكلما لاح معنى من جمالهم لباه شوق إلى معناه منتسب
أظل دهري ولي من حبهم طرب ومن أليم اشتياقي نحوهم حرب

وكان الذي نظمه ابن إسرائيل:

لم يقض في حبكم بعض الذي يجب صب متى ما جرت ذكراكم يجب
أحبابنا والمنى تدني زيارتكم وربما حال من دون المنى الأدب
قاطعتمون فأحزاني مواصلة وحلتم فحلا لي فيكم التعب
ما رابكم من حياتي بعد بعدكم وليس لي في حياة بعدكم أرب
رحتم بقلبي وما كادت لتسلبه لولا قدودكم الخطية السلب
يا بارقاً ببريق الحزن لاح لنا أأنت أم أسلمت أقمارها النقب
ويا نسيماً سرى والعطر يصحبه أجزت حيث مشين الخرد العرب
أقسمت بالمقسمات الزهر تحجبها سمر العوالي والهندية القضب
لكدت تشبه برقاً من ثغورهم يا در دمعي لولا الظلم والشنب

والقصيدة التي نظمها ابن الخيمي ثانياً مع ابن إسرائيل:

لله قوم بجرعاء الحمى غيب جنوا علي ولما أن جنوا عتبوا

يا رب هم أخذوا قلبي فلم سخطـوا وإنهم غصبوا عيشي فلم غضـبـوا
هم العريب بنجد مذ عـرفـتـهـم لم يبق لي معهم مال ولا نـشـب
شاكون للحرب لكن من قـدودهـم وفاترات اللحاظ السمر والقضـب
فما ألمـوا بـحـي أو ألـم بـهـم إلا وغادروا على الأبيات وانتهبـوا
عهدت في دمن البطحاء عهد الهوى إليهم وتمـادت بـيـنـنـا حـقـب
فما أضاعوا قديم العهد بل حفظـوا لكن لغيري ذاك العهد قد نسـبـوا
من منصفي من لطيف منهم غنـج لدن القوام لإسـرائيل ينـتـسـب
مبدل القوم ظلمـاً لا يفـي بـمـوا عيد الوصال ومنه الذنب والغضب
تبين لثغتـه بـالـراء نـسـبـتـه والمين منه بزور الوعد والـكـذب
موحد فـيرى كـل الـوجـود لـه ملكاً ويبطل ما يأتي به الـنـسـب
فعن عجـائبـه حـدث ولا حـرج ما ينتهي في المليح المطلق العجب
بدر ولكن هلالاً لاح إذ هـو بـال وردي من شفق الخدين منتـقـب
في كل كأس مبسمه من حلو ريقته خمر ودر ثنـاياه لـهـا حـبـب
فلفظه أبداً سكـران يسـمـعـنـا من معرب اللحن ما ينسى به الأدب
تجني لواحظه فينـا ومـنـطـقـه جناية يجتنى من مرها الـضـرب
حلو الأحاديث والألحاظ ساحـرهـا تلقى إذا نطق الألواح والـكـتـب
لم تبق ألفاظه معـنـى يرق لـنـا لقد شكت ظلمه الأشعار والخطـب
فداؤه ما جرى في الدمع من مهج وما جرى في سبيل الحب محتسب
ويح المتيم شام البرق مـن إضـم فهزه كاهتزاز البارق الـحـرب
وأسكن البرق من وجد ومن كلـف في قلبه فهو في أحشائه لـهـب

وكلما لاح منه بـارق بـعـثـت ماء المدامع من أجفانه سـحـب
وما أعادت نسيمات الـغـوير لـه أخبار ذي الأثل إلا هزه الطـرب
واهاً له أعرض الأحباب عنه وما أجدت رسائله الحسنى ولا القرب

ونظم الشيخ عفيف الدين التلمساني:

لولا الحمى وظباء بالحمى عـرب ما كان في البارق النجدي لي أرب
حلت عقود اصطباري دونه حلـل خفوقها كارتياحاتي لهـا تـجـب
وفي رياض بيوت الحي من إضـم ورد جني ومن أكمامه الـنـقـب
يسقي الأقاحي منها قرقـف فـإذا لاح الحباب عليها فاسمه الشهـب
يقضي بها لعيون الناظرين عـلـى كل القلوب قضاء ما لـه سـبـب
إلا تمارض أجفـان إذا سـلـبـت فمقتضى همها المسلوب لا السلب
وبي لدى الحلة الفيحاء غصن نقـاً يهفو فيجذبه حقـف فـيـنـجـذب
لا تقدر الحجب أن تخفي محاسنـه وإنما في سناه الحجب تنحـجـب
أعاهد الراح أنـي لا أفـارقـهـا من أجل أن الثنايا شبهها الحـبـب
وأرقب البرق لا سقياه من أربـي لكنه مـثـل خـديه لـه لـهـب
يا سالماً في الهوى ممـا أكـابـده رفقاً بأحشاء صب شفه الوصـب
فالأجر يا أملي إن كنت تكـسـبـه من كل ذي كبد حراء يكـتـسـب
يا بدر تم تجـافـى فـي زيارتـه ما آن أن تنجلي عن أفقك السحب
صحا السكارى وسكري دام فيك أما للسكر لا سبب يروى ولا نـسـب
قد آيس الصبر والسلـوان أيسـره وعاقت الصب عن آماله الوصـب
وكلما لاح يا عيني وميض سـنـاً تهمي وإن هب يا قلبي صباً تجب

"وقال العفيف التلمساني أيضاً:

أينكر الوجد أني في الهوى شجب ودون كل دخان ساطع لهب
وما سلوت كما ظن الوشاة ولا أسلو كما يترجى الواله الوصب"
فإن بكى لصباباتي عذول الهوى فلي بما منه يبكي عاذلي طرب
ناشدتك الله يا روحي اذهبي كلفاً بحب قوم عن الجرعاء قد ذهبوا
لا تسأليهم ذماماً في محبتهم فطالما قد وفى بالذمة العرب
هم أهل ودي وهذا واجب لهم وإنما ودهم لي فهو لا يجب
هم ألبسوني سقاماً من جفونهم أصبحت أرفل فيه وهو ينسحب
وصيرت أدمعي حمراً خدودهم فكيف أجحد ما منوا وما وهبوا
هل السلامة إلا أن أموت بهم وجداً وإلا فبقيائي هي العطب
إن يسلبوا البعض مني والجميع لهم فإن أشرف جزأي الذي سلبوا
لو تعلم العذبات المائسات بمن قد بان عنها إذن ما اخضرت العذب
ولو درى منهل الوادي الذي وردوا من وارد ماءه لاهتزه الطرب
إني لأكظم أنفاسي إذا ذكروا كيلا يحرقهم من زفرتي اللهب
أسائل البان عن ميل النسيم بهم سؤال من ليس يدري فيه ما السبب
وتلك آثار لين في قدودهم جرت بها الريح فاهتزت بها القضب
تصحو السكارى ولا أصحو ظماً بكم ويسكر من بعض الذي شربوا

ونظم الشيخ شهاب الدين محمود رحمه الله في هذه المادة:

قضى وهذا الذي في حبهم يجب في ذمة الوجد تلك الروح تحتسب
ما كان يوم رحيل الحي عن إضم لروحه في بقاء بعدهم أرب
صب بكى أسفاً والشمل مجتمع كأنه كان للتفريق يرتقب
نأوا فذابت عليهم روحه ما كان إلا النوى في حتفه

كـمـداً سبـب
لم يدر أن قدود السمر للبيض لو لم يكن أسماءها القضب
مـشـبـهة
وظن كأس الهوى يصحو إذ أوهمته الثنايا أنهـا الـحـبـب
الشريد بها
طوبى له لم يبـدل دين بل مات وهو إلى الإخلاص ينتسب
حـبـهـم
لو لم يمت فيهم ما عاش حياته من وفاة الحب تكـتـسـب
عنـدهـم
بانوا وفي الحي ميت ناح له الحمام وسحت دمعها السحـب
بعـدهـم
وشق غصن النقا من أجله جيوبه وأديرت حولـه الـعـذب
حـزنـاً
وشاهد الغيث أنفاساً فعاد والبرق في أحشـائه لـهـب
يصـعـدهـا
يا بارق الثغر لو لاحت وشمت بارقها ما فاتك الـشـنـب
ثغـورهـم
ويا حياً جادهم إن لم تكن "ما بال عينك منها الماء ينسكـب"
كـلـفـاً
ويا قضيب النقا لو لم تجد عند الصبا منهم ما هزك الطـرب
خـبـراً
بالله يا نسـمـات الـريح أين وهل نأوا أم دموعي دونهم حجـب
هـم
بالله لما اسـتـقـوا عـن أحنت الدار من شوق أم النـجـب
ديارهـم
وهل وجدت فؤادي في فإنه عندهم من بعض ما سلـبـوا
رحالـهـم
نأوا غضاباً وقلبي فـي يا ليتهم غصبوا روحي وما غضبوا
إسـارهـم
طوبى لقلب غدا في الركب كأنه عندهم ضيف وهـم عـرب
عندهم
وإن رجعت إليهم فاذكري إني شرقت بدمع العين مذ غربـوا
خبـري
ثم اذكري سفح دمعي في لا يذكر السفح إلا حن مغـتـرب
معاهدهم
عساك أن تعطفي نحوي فالغصن بالريح ينأى ثم يقـتـرب
معاطفهـم

ومن شعر الشيخ شهاب الدين الخيمي:

كلفت ببدر في مبادي فعاد لنا ضوء الصباح كمـا
الدجـى بـدا

وحجب عنا حسنه نور حسنه فمن ذلك الحسن الضلالة والهدى
فيا عاذلي دعني ونار صبابتي عليه فإني قد وجدت بها هدى
وهاك يدي إني على ترك حبه مدى الدهر لا أعطيك يا عاذلي يدا
فما العيش إلا أن أبيت مواصلاً لبدري أو في حب بدري مسهدا
فيا نار قلبي حبذا أنت مصطلى ويا دمع عيني حبذا أنت موردا
ويا سقمي في الحب أهلاً ومرحباً ويا صحة السلوان شأنك والعدا

وقال أيضاً:

سلام على بعد المزار وقربه سلام فتى ما زال عن عهد حبه
يعلله إن فاته طيب وصلكم لذيذ هواكم في سويداء قلبه
ويلقى بخديه النسيم لأنه بمغناكم قد جر ذيلاً بثوبه
ويعترض الركبان على مبشراً بقربكم يقضي بتفريج كربه

وقال أيضاً:

هل لي إلى برد الثنايا من سبيل لمشوق ذاب من حر الغليل
أو إلى الوصل وصول خلسة لمحب بين واش وعذول
تعب الواشي ولو شاء اكتفى بوشاة من دموعي ونحولي
وبواش من كثير الطيب إن سمح المحبوب بالوصل القليل
وعذول لج في عذلي إذ لم ير الخال على الخد الأسيل
لو رأى وجه حبيبي عاذلي لتفارقنا على وجه جميل
حبذا وجه حبيبي جنة ذات ظل مد بالصدع ظليل
لم يرق قلبي خليل غيره إنه خير حبيب وخليل
خده الناظر برد ناره وسلام إنها نار الخليل
أنا مقتول كما شاء الهوى بالقوام اللدن والطرف الكحيل
مت بالحب شهيداً فعسى جنان الخلد أن يقضى دخولي في

وقال وهو محموم:

صاح قل للطبيب ما هي تلك نار اشتياق قلبي

حمـى إلـيهـم
وخروج المياه من جسمي المض نى بكا أعين المسـام لـديهـم
ما شفاني بكاء عيني حتـى ساعدني عيون جسمي عليهم
وقال أيضاً:
إني سلوت عن الحبيب ولم يكن هذا لأني في الهـوى غـدار
لكنه اختار السلو وقـال لـي إني علي من المحـب أغـار
فأطعته وسلوتـه إذ بـينـنـا في العهد أن أختار ما يختـار
وقال أيضاً:
أيا من سلوا عنا ومالوا إلى الـغـدر وما لزموا أخلاق أهل الهوى العذري
وبعد حلاوات التواصـل والـهـوى جنوا مر طعم الهجر من علقم الصبر
إذا ما رجعتم عن محبـتـكـم لـنـا مشاة رجعنا عن محبتكـم نـجـري
وإن كنتم في الجهر عـنـا صـددتـم ففي سرنا عنكم نصد وفي الجـهـر
سكنتـم فـؤادي مـرة ورحـلـتـم فأصبح منكم خالياً خـالـي الـسـر
وقال لي العذال هـل أنـت راجـع إذا رجعوا عن غدرهم قلت لا أدري
وقال أيضاً:
ألام على الخلاعة إذ شبابي ورونق جدتي ذهبا جميعـا
ومن ذهبت بجدته الليالـي فلا عجب إذا أضحى خليعا
وقال أيضاً:
رأيت على قد المليح ذؤابة فعيني غراماً بالذؤابة تهمـع
وقال لي الواشون مالك باكـياً فقلت بعيني شعرة فهي تدمع
وقال أيضاً:
يا صاح يا صاح البـدار البـدار فالشرق قد أضحى وصاح الهزار
وهب مسكي نـسـيم الـصـبـا فانهض نباكر زمن الابـتـكـار
وقم بنا نـحـي ابـنة الـكـرم أم الزهر زوج الماء أخت النهـار
ثم اجلهـا عـذراء مـن ذاتـهـا صيغت حلاها والحباب النـثـار
صهباء خمر قرقـف سـلـسـل مدامة وراح سـلاف عـقــار
كوجنة السـاقـي فـلا غـرو أن يخلع إذ تجلى عليهـا الـعـذار

صفراء لا أملك في حبها مالاً ولا أملك عنها اصطبار
ولا أخاف النار من شربها لأنني أشربها وهي نار
وما أضعت المال فيها وقد بعت لها، وهي النضار، العقار
تملأ أعطافي وسمعي بها سكراً ووقراً عن حديث الوقار
تشربها قبل فمي مقلتي ففي جفوني قبل سكري انكسار
ما أذهبت عقلي ولكن أطا رته إلى أفق المعالي فطار
فعاطني يا صاح كاساتها وسقني واشرب نهاراً جهار
وهات في يمناي من صرفها كأساً وأخرى هاتها في اليسار
دعني بها أقطع ليلي فما أطوله بعد الليالي القصار
إذ كان ربع بلوى الجزع لي داراً وكان الحب في فيه جار
ما كان أحلى ذلك العيش من عيش وأحلى الدار بالجزع دار

وقال لغزاً في الملعقة:

وممدودة كيد المجتدي بكف على ساعد مسعد
ترى بعضها في فمي كاللسان وجملتها في يدي كاليد

وقال في سبحة سوداء:

وسبحة مسودة لونها يحكي سواد القلب والناظر
كأنني عند اشتغالي بها أعد أيامك يا هاجري

## صريع الدلاء

محمد بن عبد الواحد، الملقب بصريع الدلاء وقتيل الغواشي؛ كان شاعراً ماجناً غلب على شعره الهزل والمجون، عارض مقصورة ابن دريد بمقصورة يقول فيها:

من لم يرد أن تنتقب نعاله يحملها في كفه إذا مشى
ومن أراد أن يصون رجله فلبسه خير له من الحفا
من دخلت في عينه مسلة فاسأله من ساعته عن العمى
من أكل الفحم يسود فمه وراح صحن خده مثل الدجى
من صفع الناس ولم يدعهم أن يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش يفجر رأسه وسال من مفرقه شبه الدما
من أكل الكرش ولا يغسله سال على شاربه منه الخرا
من طبخ الديك ولا يذبحه طار من القدر إلى حيث يشا
من شرب المسهل في فعل الدوا أطال ترداداً إلى بيت الخلا

من مازح السبع ولا يعرفه مازحه السبع مزاحاً بجفا
من فاته العلم وأخطاه الغني فذاك والكلب على حد سوا
والدرج يلفى بالغشاء ملصقاً والسرج لا يلزق إلا بالغرا
والذقن شعر في الوجوه نابت وإنما الاست التي تحت الخصا
فاستمعوها فهي أولى لكم من زخرف القول ومن طول المرا

يقول في آخرها مشيراً إلى ابن دريد:

وهذه في وزنها مثل الحذا فتلك كالدر يضيء لونها

ومن شعره يمدح فخر الملك من قصيدة:

ملك فينا نعم بالإنعام كيف تلقى بؤساً ودولة فخر ال
للتهاني مملكاً ألف عام هكذا ما بقي الجديدان تبقى
لا خلت منه سائر الأيام كل يوم لنا بنعماك عيد
هن مثل الحياة في الأجسام فله الأنعم الجسام اللواتي
ياء بين السيوف والأقلام لم يزل يطلب المحامد والعل
لم ينل مثله بحد الحسام فلقد نال بالعزائم مجداً
عاجز أن يناله من قيام أدرك المجد قاعداً وسواه
ضال مذ كان في قفا الإعدام لم يزل جوده يعطعط بالإف
د يرى الآملين في الأحلام فهو من حبه المكارم والجو
سط كفاً إلى سؤال الغمام قد كفتنا غيوث كفيه أن نب
ونظمنا لديه در الكلام ورضعنا لديه در الأماني

وكانت وفاة صريع الدلاء في شهور اثنتي عشرة وأربعمائة، رحمه الله تعالى.

## الحافظ ضياء الدين المقدسي

محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل، الحافظ الحجة الإمام ضياء الدين أبو عبد الله السعدي "المقدسي" الدمشقي الصالحي صاحب التصانيف؛ ولد بالدير المبارك سنة تسع وستين وخمسمائة، ولزم الحافظ عبد الغني وتخرج به، وحفظ القرآن وتفقه، ورحل أولاً إلى مصر سنة خمس وتسعين، وسمع، ورحل إلى بغداد بعد موت ابن كليب، وسمع من ابن الجوزي وغيره، ودخل همذان ثم رجع إلى دمشق بعد الستمائة، ثم رحل إلى أصفهان "فأكثر بها وتزيد وحصل شيئاً كثيراً من المسانيد والأجزاء ورحل إلى نيسابور" فدخلها ليلة وفاة الفراوي، ورحل إلى مرو وعاد إلى حلب وسمع بها وبحران والموصل، وعاد إلى دمشق بعلم كثير، وحصل أصولاً نفيسة فتح الله بها عليه هبة وشراء ونسخاً، وسمع بمكة، وأكب على الاشتغال لما رجع والتصنيف والنسخ، وأجازه السلفي وشهدة وابن بري وخلق كثير، قال الشيخ شمس الدين: سمعت الشيخ جمال الدين المزي يقول: الحافظ ضياء الدين أعلم من الحافظ عبد الغني.

ومن تصانيفه كتاب "الأحكام" ثلاث مجلدات. "فضائل الأعمال" مجلد. "الأحاديث المختارة" تسعين جزءاً. "فضائل الشام" ثلاثة أجزاء. "فضائل القرآن" جزء. "صفة الجنة والنار". "مناقب أصحاب الحديث". "النهي عن سب الصحابة". "سير المقادسة" كالحافظ عبد الغني والشيخ أبي عمر وغيرهم في عدة مجلدات؛ وله تصانيف كثيرة في أجزاء عديدة.

وبنى مدرسة على باب الجامع المظفري وأعانه عليها أهل الخير، وجعلها دار حديث ووقف عليها كتبه وأجزاءه، وفيها من وقف الموفق والبهاء عبد

الرحمن والحافظ عبد الغني وابن الحاجب وابن سلام وابن هائل والشيخ علي الموصلي، وقد نهبت في نكبة الصالحية نوبة غازان وراح منها شيء كثير.
وكانت وفاة الشيخ الضياء سنة ثلاث وأربعين وستمائة، رحمه الله تعالى.
?

شمس الدين الحنبلي

محمد بن عبد الوهاب بن منصور، العلامة شمس الدين أبو عبد الله الحراني الحنبلي، كان إماماً بارعاً أصولياً من كبار الأئمة في الفقه والأصول والخلاف، تفقه على القاضي نجم الدين راجح الحنبلي والشيخ مجد الدين ابن تيمية، وقدم دمشق فقرأ الأصول والعربية على الشيخ علم الدين القاسم، ودخل مصر ولازم درس الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وناب في القضاء عن تاج الدين ابن بنت الأعز، فلما جعلت القضاة أربعة ناب في القضاء عن الشيخ شمس الدين ابن العماد، ثم قدم دمشق وانتصب للإفادة. وكان حسن العبارة طويل النفس في البحث، أعاد بالجوزية مدة، وناب في إمامة محراب الحنابلة، ثم ابتلي بفالج أبطل نصفه الأيسر وثقل لسانه حتى لا يفهم من كلامه إلا القليل، وبقي كذلك أربعة أشهر ومات سنة خمس وسبعين وستمائة.
وكان من أذكياء الناس، روى عن ابن اللتي والموفق عبد اللطيف وجماعة، ومات في عشر السبعين، وكان يقرأ تائية ابن الفارض ويبكي.
ومن شعره ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود أنه أنشده إياه لغزاً في شبابة:

منقبة مهما خلت مع محبها ... يزودها لثماً وينظرها شزرا
وتصحيفها في كف من شئت فلتقل ... إذا شئت في اليمنى وإن شئت في اليسرى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

طار قلبي يوم ساروا فرقا ... وسواء فاض دمعي أو رقا
حار في سقمي من بعدهم ... كل من "في" الحي داوى أو رقى
بعدهم لا ظل وادي المنحنى ... وكذا بان الحمى لا أورقا

ابن أبي كدية

محمد بن عتيق أبي بكر "بن محمد" بن أبي نصر، التميمي القيرواني الأشعري المتكلم، المعروف بابن أبي كدية؛ درس الأصول بالقيروان على أبي "عبد الله" الحسين بن حاتم الأزدي صاحب ابن الباقلاني، وسمع بمصر من القضاعي، وقدم الشام وأخذ عنه أبو الفتح نصر الله بن محمد المصيصي، ودخل العراق وأقرأ الكلام بالنظامية، وكان صلباً في الاعتقاد، وسمع ابن عبد البر بالأندلس، وتوفي ببغداد سنة اثنتي عشرة؛ وخمسمائة.
سمع يوماً قائلاً ينشد أبيات أبي العلاء المعري:

ضحكنا وكان الضحك منا ... وحق لسكان البسيطة أن

سفاهة يبكـوا
تحطمنا الأيام حتى كـأنـنـا زجاج ولكن لا يعاد له سـبـك
فقال رحمه الله يرد عليه:
كذبت وبيت الله حـلـفة صـادق سيسبكنا بعد الثرى من له الملـك
ونرجع أجساماً صحاحاً سـلـيمة تعارف في الفردوس ما عندنا شك
ومن شعره أيضاً:
كلام إلهي ثابـت لا نـفـارقـه وما دون رب العرش فالله خالقه
ومن لم يقل فقد صار مـلـحـداً وصار إلى قول النصارى يوافقه
ودفن عند الأشعري، قال ابن الجوزي: كان يحفظ كتاب سيبويه.
ابن حسول الهمذاني
محمد بن علي بن حسول -بالحاء المهملة والسين المهملة وبعد الواو لام- الكاتب الهمذاني؛ كان صدراً نبيلاً له النظم والنثر، وسمع من الصاحب ابن عباد ومن ابن فارس صاحب "المجمل"، توفي سنة خمسين وأربعمائة.
ومن شعره في أمرد علوي:
وأزهر من بني الزهراء يرنو إلي كما رنا الظبي الكحـيل
نهاني الدين والإسلام عـنـه فليس إلى مقبـلـه سـبـيل
إذا أرسلت ألحـاظـي إلـيه نهاني الله عنه والـرسـول
ومن شعره أيضاً:
تقعد فوقي لأي مـعـنـى للفضل للهمة النفـيسـه
إن غلط الدهر فيك يومـاً فليس في الشرط أن تقيسه
كنت لنا مسجـداً ولـكـن قد صرت من بعده كنيسه
كم فارس أفضت الليالـي به إلى أن غدا فـريسـه
فلا تفاخر بمن تقـضـى كان الخرا مرة هريسـه
ومن شعره أيضاً:
دخلت على الشيخ مستأنـسـاً به وهو في دستـه الأرفـع
وقد دخل الناس مثل الجـراد فمن ساجـدين ومـن ركـع
فهش ولـكـن لـمـردانـه وقام ولكـن عـلـى أربـع
وأرسل في كمـه مـخـطة بدت لي على صورة الضفدع
فهوعنـي مـا تـأمـتـلـه وزعزع روحي م أضلعـي
وأعرض إعراض مستكـبـر تصدر مثلي ومـسـتـبـدع
فأقبلت أضـرط مـن خـيفة وأفسو على الـسـيد الأروع
وقمت وجددت فرض الوضوء وكنت قعدت وطهري معـي
ورام الخضوع الـذي رامـه أبي من أبيه فلـم أخـضـع

وكيف أقـبـل كـف امـرئ إذا صنع الخير لم يصـنـع
فيقبضها عند بذل الـلـهـى ويبسطها في الجدا الرضـع
وإني وإن كنت ممـن يهـون عليه تكبر مـسـتـوضـع
ليعجبني نتف شيب السبـال وصفع قمحـدوة الأصـلـع
خراها ولو أنه ابن الـفـرات وحرها ولو أنه الأصمـعـي

وقال يهجو بعض المتكبرين:

دخلت على الشيخ فيمن دخل فغربل عصعصه وانتخـل
وأظهر من نخوة الكـبـرياء ما لم أقدر ومـا لـم أخـل
فقلت له مؤثراً نـصـحـه وقد يقبل النصح ممن بخـل
إذا كنت سـيدنـا سـدتـنـا وإن كنت للخال فاذهب فخل
فقال اغتفر زلتي منـعـمـاً فإني نغـل بـزيت وخـل
وكم من وزير كبـير عـراه عند قضاء الحقوق البخـل

وقال يداعب ابن الحنان وكان يخضب

سني كسـن أديب ال عراق زين الظراف
ست وستون عـامـاً ما بيننا من خـلاف
لكـن شـيبـي بـاد وشيبه في غـلاف

ابن حباب الصوري

محمد بن علي بن محمد بن حباب الصوري الشاعر؛ كان فصيحاً، توفي في طرابلس وقد نيف على السبعين، وكانت وفاته سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

ومن شعره، رحمه الله تعالى:

صب جفاه حـبـيبـه فحلا له تـعـذيبـه
فالنار تضرم في الجوا نح والغـرام يذيبـه
حتى بكاه لمـا دهـا ه بعـيده وقـريبـه
وتآمروا في طـبـه كيما يخف لهـيبـه
فأتى الطبيب وما دروا الطبـيب حـبـيبـه

أبو بكر القصار المؤدب

محمد بن علي بن محمد الدينوري، أبو بكر "القصار" المؤدب؛ سكن درب الدواب ببغداد، وله أشعار في الزهد والغزل، توفي سنة أربع عشرة وخمسمائة.

ومن شعره:

ومشمر الأذيال في ممـزوجة متتوج تاجاً مـن الـعـقـيان
بالجاشرية ظل يهتف سحـرة ويصيح من طرب إلى الندمان
ويا طيب لـذة هـذه دنـياكـم لو أنها أبقت على الإنـسـان
أصبو إلى شرب الخمور وإنما لصبوحكم لا للصـلاة أذانـي
طلعت شموس الراح من مثل النجوم وغبن في

أيديهم الأبـدان

أبو سعد الكاتب الكرماني

محمد بن علي بن محمد بن المطلب، أبو سعد الكرماني الكاتب؛ ولد ببغداد، وقرأ طرفاً صالحاً من الأدب وأخبار الأوائل، وسمع الحديث من ابن بشران وابن شاذان، وكان كاتباً سديداً مليح الشعر، إلا أنه كان قليله، كثير الهجاء دقيق الفكر فيه، قال ابن النجار: يشبه هجوه هجو ابن الرومي.

ومن شعره:

عزلت وما خنت فيما وليت وغيري يخون فلا يعـزل

فهذا يدل عـلـى أن مـن يولي ويعزل لا يعـقـل

وكتب إلى الوزير أبي نصر ابن جهير:

هبني كما زعم الواشون لا زعمـوا أخطأت حاشاي أو زلت بي القـدم

وهبك ضاق عليك العذر من حـرج لم أجنه أيضيق العفـو والـكـرم

ما أنصفتني في حكم الـهـوى أذن تصغي لواش وعن عذري بها صمم

ومن شعره:

يا حسرتا مات حظي من قلوبكـم وللحظوظ كما الـنـاس آجـال

إن مت شوقاً ولم أبلغ بكم أملـي كم تحت هذي القبور الدرس آمال

توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ودفن بمقابر قريش، رحمه الله.

الشيخ محيي الدين ابن عربي

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، والمعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره، ولد في شهر رمضان سنة ستين وخمسمائة بمرسية، ذكر أنه سمع بمرسية من ابن بشكوال، وسمع ببغداد ومكة ودمشق، وسكن الروم، ركب له يوماً صاحب الروم فقال: هذا تذعر له الأسود، فسئل عن ذلك فقال: خدمت بمكة بعض الصلحاء فقال يوماً: الله يذل لك أعز خلقه، أو كما قال: وقيل إن صاحب الروم أمر له بدار تساوي مائة ألف درهم على ما قيل، فلما كان يوماً قال له بعض السؤال: شيء لله، فقال: ما لي غير هذه الدار خذها لك.

قال ابن مسدي في جملة ترجمته: كان ظاهري المذهب في العبارات، باطني النظر في الاعتقادات، "وكتب لبعض الولاة" ثم حج ولم يرجع إلى بلده، وروى عن السلفي بالإجازة "العامة"، وبرع في علم التصوف، وتواليف جمة في العرفان، ولولا شطحه في الكلام لم يكن له بأس، ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير.

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني في ذيله على المرآة: وكان يقول أنا أعرف اسم الله الأعظم، وأعرف الكيمياء؛ وكانت وفاته في دار القاضي محيي الدين ابن الزكي، وغسله الجمال ابن عبد الخالق ومحيي الدين، وكان عماد الدين ابن النحاس يصب عليه، وحمل إلى قاسيون ودفن بتربة

بني الزكي.
وكان مولده في سنة ستين وخمسمائة بمرسية من الأندلس، ووفاته في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة.
ومن تصانيفه "الفتوحات المكية" عشرون مجلداً، و"التدبيرات الإلهية والتنزيلات الموصلية" و"فصوص الحكم" وعمل ابن سودكين شرحاً عليها سماه "نقش الفصوص" وهو من تلك المادة، "والإسرا إلى المقام الأسرى" نظماً ونثراً، و"شرح خلع النعلين" و"الأجوبة المسكتة عن سؤالات الحكيم الترمذي" و"تاج الرسائل ومنهاج الوسائل" و"كتاب العظمة" و"كتاب السبعة" وهو كتاب الشان، و"الحروف الثلاثة التي انعطفت أواخرها على أوائلها" و"التجليات" و"مفاتيح الغيب" و"كتاب الحق" و"مراتب علوم الوهب" و"الإعلام بإشارات أهل الإلهام" و"العبادة والخلوة" و"المدخل إلى معرفة الأسماء" و"كنه ما لا بد "للمريد" منه" و"النقباء" و"حلية الأبدال" و"الشروط فيما يلزم أهل طريق الله تعالى من الشروط" و"أسرار الخلوة" و"عقيدة أهل السنة" و"المقنع في إيضاح السهل الممتنع" و"إشارات القرآن" و"كتاب الهو" و"الأحدية" و"الاتحاد العشقي" و"الجلالة" و"الأزل" و"القسم" و"عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب" و"الشواهد" و"مناصحة النفس" و"اليقين" و"تاج التراجم" و"القطب والإمامين" و"رسالة الانتصار" و"الحجب" و"الأنفاس العلوية في المكاتبة" و"ترجمان الأشواق" و"الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق" و"مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار "والعلوم""، و"المواعظ الحسنة" و"المبشرات" و"خطبة ترتيب العالم" و"الجلال والجمال" و"مشكاة الأنوار فيما روي عن الله عز وجل من الأخبار" و"شرح الألفاظ التي اصطلحت عليها الصوفية" و"محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار" خمس مجلدات، وغير ذلك.
قال الشيخ محيي الدين ابن عربي: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلت: يا رسول الله، أيما أفضل الملك أو النبي؟ فقال: الملك، فقلت: يا رسول الله أريد على هذا برهان دليل إذا ذكرته عنك أصدق فيه، فقال: ما جاء عن الله تعالى أنه قال "من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه".
وعلى الجملة فكان رجلاً صالحاً عظيماً، والذي نفهمه من كلامه حسن، والمشكل علينا نكل أمره إلى الله تعالى، وما كلفنا اتباعه ولا العمل بما قاله، وقد عظمه الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني، رحمه الله تعالى، في مصنفه الذي عمله في الكلام على الملك والنبي والصديق والشهيد، وهو مشهور، فقال في الفصل الثاني في فضل الصديقية: قال الشيخ محيي الدين ابن العربي البحر الزاخر في المعارف الإلهية، وذكر من كلامه جملة، ثم قال في آخر الفصل: إنما نقلت كلامه وكلام من يجري مجراه من أهل الطريق لأنهم أعرف بحقائق هذه المقامات وأبصر بها لدخولهم فيها وتحققهم بها ذوقاً، والمخبر عن الشيء ذوقاً مخبر عن اليقين، فاسأل به خبيراً؛ انتهى.
ومن شعر الشيخ محيي الدين:

إذا حل ذكركـم خـاطـري فرشت خدودي مكان التراب

وأقعدني الذل فـي بـابـكـم قعود الأسارى لضرب الرقاب

وقال:

نفسي الفداء لبيض خـرد عـرب لعبن بي عند لثم الركن والحجـر

ما أستدل إذا ما تهت خـلـفـهـم إلا بريحهـم مـن طـيب الأثـر

غازلت من غزلي فيهـن واحـدة حسناء ليس لها أخت من البشـر

إن أسفرت عن محياها أرتك سناً مثل الغزالة إشراقـاً بـلا غـير

للشمس غرتها لـيل طـرتـهـا شمس وليل معاً من أحسن الصور

وقال في كتاب ترجمان الأشواق:

سلام على سلمى ومن حل بالحمى وحق لمثلي رقة أن يسـلـمـا

وما ذا عليهـا أن تـرد تـحـية علينا ولكن لا احتكام على الدمى

سروا وظلام الليل أرخى سدولـه فقلت لها صباً غريباً مـتـيمـا

فأبدت ثناياها وأومـض بـارق فلم أدر من شق الحنادس منهمـا

وقالت أما يكفيه أني بـقـلـبـه يشاهدني من كل وقت أمـا أمـا

وقال فيه أيضاً:

درست عهودهم وإن هـواهـم أبداً جديد في الحشا مـا يدرس

هذي طلولهم وهـذي الأدمـع ولذكرهم أبداً تذوب الأنـفـس

ناديت خلف ركابهم من حبهـم يا من غناه الحسن ها أنا مفلس

يا مـوقـداً نـاراً رويداً هـذه نار الصبابة شأنكم فلتقبـسـوا

وقال أيضاً:

ناحت مـطـوقة فـحـن حـزين وشجاه ترجـيع لـهـا وحـنـين

جرت الدموع من العيون تفـجـعـاً لحنينـهـا فـكـأنـهـن عـيون

طارحتها ثكلى بـفـقـد وحـيدهـا والثكل من فقـد الـوحـيد يكـون

بي لاعج من حب رمـلة حيث الخيام بهـا وحـيث

عـالـج الـعـين
من كل فاتكة الـلـحـاظ أجفانها لظبا الـلـحـاظ جـفـون
مـريضة
ما زلت أجرع دمعتي من غلـتـي أخفي الهوى عن عاذلي وأصـون
حتى إذا صاح الغراب ببـيـنـهـم فضح الفراق صبابة الـمـحـزون
وصلوا السرى قطعوا البرى فلعيسهم تحت الـمـحـامـل رنة وأنـين
عاينت أسباب المـنـية عـنـدمـا أرخوا أزمـتـهـا وشـد وضـين
إن الفراق مع الـغـرام لـقـاتـل صعب الغرام مع اللـقـاء يهـون
ما لي عذول في هـواهـا إنـهـا معشوقة حسنـاء حـيث تـكـون

وقال أيضاً:

ليت شعري هل دروا أي قلب مـلـكـوا
وفـؤادي لـو درى أي شعب سلـكـوا
أتراهـم سـلـمـوا أم تراهم هلـكـوا
حار أرباب الهـوى في الهوى وارتبكوا

مهذب الدين ابن الخيمي

محمد بن علي بن علي، الأديب الكامل مهذب الدين "ابن" الخيمي الحلي، العراقي الشاعر؛ شيخ معمر فاضل، قال ابن النجار: كتبت عنه بالقاهرة، وله مصنفات كثيرة، سمع وروى، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وستمائة.

ومن شعره:

أأصنام هذا الجيل طـراً أكـلـكـم يعوق أما فـيكـم يغـوث ولا ود
لقد طال تردادي إليكم فـلـم أجـد سوى رب شان في الغنى شانه الرد

ومن شعره:

جننت فعوذني بكـتـبـك إن لـي شياطين شوق لا تفارق مضجعـي
إذا استرقت أسرار وجدي تـمـرداً بعثت عليها في الدجى شهب أدمعي

ومن شعره الأبيات المشهورة، وهو ما كتبه لابنه لما عصر:

عصروك أمثال اللصـو ص ولم تفد تلك الأمانه
فإذا سلمت فـخـنـهـم إن السلامة في الخيانـه
وافعل كفعل بني سـنـا ء الملك في مال الخزانه

يقال إن هذه الأبيات لما شاعت أمسك بنو سناء الملك وصودروا بسبب هذه الأبيات.

وقال ابن خلكان: أنشدني مهذب الدين الخيمي، وأخبرني أنه كان بدمشق قد رسم السلطان بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس، فحلق نصفها، وحصل فيه شفاعة، فعفي عنه في الباقي، فعمل فيها أبياتاً ولم يصرح باسمه:

زرت ابن آدم لما قيل حلـقـوا ... جميع لحيته من بعد ما ضربا

فلم أر النصف محلوقاً فعدت له ... مهنئاً بالذي منها لـه وهـبـا

فقام ينشدني والدمع يخـنـقـه ... بيتين ما نظما ميناً ولا كـذبـا

إذا أتتك لحلق الذقـن طـائفة ... "فاخلع ثيابك منها ممعناً هربا"

"وإن أتوك وقالوا إنها نصـف ... فإن أطيب نصفيها الذي ذهبا"

?

الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد

محمد بن علي بن وهب بن مطيع، الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح ابن دقيق العيد القشيري المنفلوطي المصري المالكي الشافعي، أحد الأعلام وقاضي القضاة؛ ولد سنة خمس وعشرين وستمائة بناحية ينبع وتوفي يوم الجمعة حادي عشر صفر سنة اثنتين وسبعمائة.

سمع من ابن المقير وابن رواج وابن الجميزي والبسط، وسمع من ابن عبد الدايم والزين خالد، وله التصانيف البديعة ك"الإمام" و"الإلمام" و"علوم الحديث" و"شرح عمدة الأحكام" و"شرح مقدمة المطرز في أصول الفقه" وجمع "الأربعين في الرواية عن رب العالمين"، وشرح بعض مختصر ابن الحاجب.

وكان إماماً متفنناً محدثاً مجوداً فقيهاً مدققاً أصولياً أديباً شاعراً نحوياً، ذكياً غواصاً على المعاني، مجتهداً وافر العقل كثير السكينة بخيلاً بالكلام، تام الورع شديد التدين، مديم السهر مكباً على المطالعة والجمع، قل أن ترى العيون مثله. وكان سمحاً جواداً، وكان قد قهره الوسواس في أمر المياه والنجاسات، وله في ذلك حكايات ووقائع كثيرة. وكان كثير التسري والتمتع، وله عدة أولاد ذكور بأسماء الصحابة العشرة. تفقه بأبيه وبالشيخ عز الدين ابن عبد السلام، واشتهر اسمه في حياة مشايخه، وكان مالكياً ثم صار شافعياً؛ ومن شعره، رحمه الله تعالى:

الحمد لله كم أسعى بعزمـي فـي ... نيل العلا وقضاء الله ينـكـسـه

كأنني البدر أبغي الشرق والفلك ال ... أعلى يعارض مسعاه فيعكـسـه

وقال أيضاً:

أأحباب قلبي والذين بذكـرهـم ... وترداده طول الزمان تعلقـي

لئن غاب عن عيني بديع ... وجار على الأبدان حكم

جمالكم التفرق
فما ضرنا بعد المسافة بيننا سرائرنا تسري إليكم فنلتقي

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا سائراً نحو الحجاز اجهد فديتك في المسير
مشمرا وفي السرى
وإذا سهرت الليل في طلب العلا فحذار ثم حذار من خدع الكرى
فالقصد حيث النور يشرق ساطعاً والطرف حيث ترى الثرى متعطراً
قف بالمنازل والمناهل من لدن وادي قباء إلى حمى أم القرى
وتوخ آثار النبي فضع بها متشرفاً خديك في عفر الثرى
وإذا رأيت مهابط الوحي التي نشرت على الآفاق نوراً أنورا
فاعلم بأنك ما رأيت مذ كنت في ماضي الزمان شبيهها ولا ترى
ولقد أقول إذا الكواكب أشرقت وترفعت في منتهى شرف الذرى
لا تفخري زهواً فإن أعلى علاً منها وأشرف محمداً جوهرا
نلنا به ما قد رأينا من علا مع ما نؤمل في القيامة أن نرى
فسعادة أزلية سبقت وما هو ثابت أزلاً فلن يتغيرا
وسيادة بارى الأنام بها ولا سيما إذا قدموا عليه المحشرا
وبديع لطف شمائل من دونها ماء الغمامة والنسيم إذا سرى
مع سطوة لله في يوم الوغى تعنو لشدة بأسها أسد الشرى
شوقي لقرب جنابه وصاحبه شوق يجل يسيره أن يذكرا
أفنى كنوز الصبر من أشواقه وجرى على الأحشاء منه ما جرى
إن لاح صبح كان وجد مقلق أو جن ليل كان هماً مسهرا

ومن شعره:

تهيم نفسي طرباً عند ما أستملح البرق الحجازيا

ويستخف الوجد عقلـي وقـد لبست أثواب الحـجـى زيا
يا هل أقضي حاجتي من منى وأنحر البزل الـمـهـاريا
وأرتوي من زمزم فهي لي أرق من ريق المهـا ريا

وقال أيضاً:

تمنيت أن الشيب عاجل لمتـي وقرب مني في صباي مزاره
فآخذ من عصر الشباب نشاطه وآخذ من عصر المشيب وقاره

وقال أيضاً:

عطيته إذا أعطى سـرور فإن سلب الذي أعطى أثابا
فأي النعمتين أعد فضـلاً وأحمد عند عقابهـا إيابـا
أنعمته التي كانت سـروراً أم الأخرى التي جلت ثوابا

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لم يبق لي أمل سواك فإن يفت ودعت أيام الـحـياة وداعـا
لا أستلذ لغير وجهك منظـراً وسوى حديثك لا أريد سماعا

وقال أيضاً:

أتعبت نفـسـك بـين لـذة كـادح طلب الحياة وبين حرص مـؤمـل
وأضعت نفسك لا خلاعة مـاجـن حصلت فيه ولا وقـار مـبـجـل
وتركت حظ النفس في الدنيا وفي ال أخرى ورحت عن الجميع بمعـزل

وقال أيضاً:

لعمري لقد قاسيت بالفقـر شـدة وقعت بها في حـيرة وشـتـات
فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتي وإن لم أبح بالصبر خفت مماتـي
وأعظم به من نـازل بـمـلـمة يزيل حـيائي أو يزيل حـياتـي

وقال أيضاً ذوبيت:

الجسم تذيبه حقوق الخـدمـه والقلب عذابه علو الهـمـه
والعمر بذاك ينقضي في تعب والراحة ماتت فعليها الرحمه

وقال أيضاً:

يا عصر شبيبتـي ولـهـوي ما أسرع ما انقضيت عني ومضيت
قد كنت مساعدي على كيت واليوم فلو رأيت حالي

وكـيت لـبـكـيت

وقال أيضاً:

أفكر في حالي وقـرب منـيتـي وسيري حثيثاً في مصيري إلى القبر

فينشئ لي فكري سحائب لـلأسـى تسح هموماً دونها وابل الـقـطـر

إلى الله أشكو من وجودي فإنـنـي تعبت به مذ كنت في مبتدا العمـر

نروح ونغدو والـمـنـايا فـجـائع تكدره والمـوت خـاتـمة الأمـر

وله أيضاً:

سحائب فكري لا يزال هامياً وليل همي لا أراه راحـلا

قد أتعبتني همتي وفطنتـي فليتني كنت مهيناً جاهـلا

وقال أيضاً:

كم ليلة فيك وصلنا الـسـرى لا نعرف الغمض ولا نستريح

وكلت العيس وجـد الـهـوى واتسع الكرب وضاق الفسـيح

وكادت الأنفس مـمـا بـهـا تزهق والأرواح منا تـطـيح

واختلف الأصحاب ماذا الـذي يزيل من شكـواهـم أو يريح

فقيل تـعـريسـهـم سـاعة وقلت بل ذكراك وهو الصحيح

وقال أيضاً:

يا معرضاً عني ولست بمعرض بل ناقضاً عهدي وليس بناقض

أتعبتني بخـلائق لـك لـم يفـد فيها وقد جمحت رياضة رائض

أرضيت أن تختار رفضي مذهباً فتشنع الأعداء أنك رافـضـي

وقال أيضاً:

قد جرحـتـنـا يد أيامـنـا وليس غير الـلـه مـن آس

فلا ترج الخلق فـي حـاجة ليسوا بأهل لسـوى الـياس

ولا تزد شكوى إليهـم فـلا معنى لشكواك إلـى قـاس

وإن تخالط منهم مـعـشـراً هويت في الدين على الراس

يأكل بعض لحم بعـض ولا يخاف في الغيبة من بـاس

لا ورع في الدين يحمـيهـم عنها ولا حشـمة جـلاس

فاهرب من الناس إلى ربهم لا خير في الخلطة بالنـاس

وقال أيضاً:

إذا كنت في نجد وطيب نسيمهـا تذكرت أهلي باللوى فمحـجـر

وإن كنت فيهم ذبت شوقاً ولـوعة إلى ساكني نجد وعيل تصبـري
وقد طال ما بين الفريقين قصتـي فمن لي بنجد بين أهلي ومعشري

وقال أيضاً نظماً في بعض الوزراء:

مقبل مدبر بـعـيد قـريب محسن مذنب عدو حبـيب
عجب من عجائب البر والبح ر ونوع فرد وشكل غريب

وقال أيضاً:

ذروا في السرى نحو الجناب الممنع لذيذ الكرى واجفوا له كل مضجع
وأهدوا إذا جئتم إلى خير مـربـع تحية مضنى هائم القلب مـوجـع
سريع إلى داعي الصبـابة طـيع
يقوم بأحكام الهوى ويقيمها فكم ليلة قد نازلته هـمـومـهـا
فسامرها حتى تولت نـجـومـهـا له فكرة فيمـن يحـب يديمـهـا
وطرف إلى اللقيا كثير التطـلـع
وكم ذاق في أحواله طعم محنة وكم عارضته من مواقف فـتـنة
وكـم أنة يأتـي بـهـا بـعـد أنة تنم علـى سـر لـه فـي أكـنة
وتخبر عن قلب له مـتـقـطـع
ففي صبره شوق أقام ملازما وحب يحاشي أن يطيع اللـوائمـا
وجفن يرى أن لا يرى الدهر نائمـا وعقل ثوى في سكره الحب دائمـا
وأقسم أن لا يستفـيق ولا يعـي
أقام على بعد المزار متيما وأبكاه برق بالحجاز تـبـسـمـا
وشوقه أحبابه نـظـر الـحـمـى دعوه لأمر دونه تقطـر الـدمـا
فيا ويح نفس الصب ماذا له دعي
له عند ذكر المنحنى سفح عبرة وبين الرجا والخوف موقف عبرة
فحيناً يوافيه النـعـيم بـنـظـرة وحيناً ترى في قلبه نار حـسـرة

يجيء إليه الموت من كل موضع
سلام على صفو الحياة وطيبها إذا لم تفز عيني بلقيا حبيبها
ولم تحظ من إقباله بنصيبها ولا استعطفته عبرتي بصبيبها
ولا وقعت شكواي منه بموقع
موكل طرفي بالسهاد المؤرق ومجري دموعي كالحيا المتدفق
وملهب وجد في فؤادي محرق "بعينك ما يلقى الفؤاد وما لقي"
وعندك ما تحوي وتخفيه أضلعي
أضرب بي البلوى وذو الحب مبتلى يعالج داء بين جنبيه معضلا
ويثقله من وجده ما تحملا وتبعثه الشكوى فيشتاق منزلا
به يتلقى راحة المتودع
مقر الذي دل الأنام بشرعه على أصل دين الله حقاً وفرعه
به انضم شمل الدين من بعد صدعه لنا مذهب العشاق في قصد ربعه
نقيم به رسم البكا والتضرع
تحل به الأنوار ملء رحابه ومستودع الأسرار عند صحابه
هداية من يحتار تأميل بابه وتشريف من يختار قصد جنابه
بتقبيله وجه الثرى المتضوع
أقام لنا شرع الهدى ومناره وألبسنا ثوب التقى وشعاره
وجنبنا جور العمى وعثاره سقى الله عهد الهاشمي وداره
سحاباً من الرضوان ليس بمقلع
بني العز للتوحيد من بعد هذه وأوجب ذل المشركين بجده
عزيز قضى رب السماء وأيده عند اللقاء بجنده

بسـعـده
فأورده للنصر أعـذب مـشـرع

أقول لركب سائرين ليثرب ظفرتم بتقريب النبي الـمـقـرب
فبثوا إليه كل شكـوى ومـتـعـب وقصوا عليه كل سؤال ومطلـب
فأنتم بمرأى للرسول ومسـمـع

أما والذي آتاه مجداً مؤثلا لقد كان كهفاً للعفـاة ومـعـقـلا
يبوئهم ستراً من الحـلـم مـسـدلا ويمطرهم غيثاً من الجود مسبـلا
وينزع في إكرامه كل مـنـزع

لقد شرف الدنيا قدوم محمد وألقى بها أنـوار حـق مـؤبـد
يزين بـه وراثة كـل مـشـهـد فهم بين هاد للأنـام ومـهـتـدي
ومثبت أصل في الهدى ومفـرع

سلام على من شرف الله قدره سلام محب عمر الـدهـر سـره
له مطلب أفنى تمـنـيه عـمـره وحاجات نفس لا تجـاوز صـدره
أعد لها جاه الشفيع المـشـفـع

وقال أيضاً:

آه من حيرة الفراق ويا حـس رة من خاب بعد ما قد تمنـى
ليت شعري أكان هجري لمعنى عند أهل العقيق أم لا لمعنـى

//الشمس الدهان محمد بن علي بن عمر المازني الدهان، الشيخ شمس الدين الدمشقي الشاعر؛ كان يعمل صناعة الدهان وينظم الشعر الرقيق ويدري الموسيقى ويعمل الشعر ويلحن ويغني به المغنون. وكان يلعب بالقانون. توفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وكان قد ربى مملوكاً وهذبه وأحبه حباً مفرطاً، فمات فأسف عليه أسفاً عظيماً ورثاه بشعر كثير، غنى به ونقله المغنون، من ذلك:

تيم قلبي وزادنـي أسـفـا بدر به البدر قد غدا كلفـا
مهفهف القد لين قامـتـه علم غصن الأراكة الهيفا
يا راحلاً أودع الحشا حرقاً كدت بها أن أشارف التلفا
بعدك دمعي قد كاد يغرقني وكلما قلت قد كفى وكفـا

وقال أيضاً موشح:

يا أبـي غـصـن بـانة حـمـلا بدر دجى بالجمال قد كملا أهـيف
فريد حسن ما ماس أو سـفـرا
إلا أغار القضيب والقمرا
يبدي لنا بابتسماه دررا
في شهد لذ طعمه وحلا كأن أنفاسه نسيم طـلا قـرقـف
مورد الخـد فـاتـر الـمـقـل
يفوق ظبي الكناس بالحمل
وينثني كالقضيب في الميل
من حمل ردف مثل الكثيب علا نيط بحصر كأضلعي نحلا مخطف
ظبي من الترك يقنـص الأسـدا
مقرطق قد أذابني كمدا
حاز بديع الجمال فانفردا
واهاً لون لو أجار أو عدلا بهـجـره نـحـلا مـدنـــف لمستهام
غزال سـرب جـمـال شـرك
ستر اصطباري عليه منهتك
لكل قلب هواه منتهك
علم قلبي الولوع والغزلا طرف له بالفتور قد كحلا أوطف
للـه يوم بـه الـزمـان وفـى
إذ من بالوصل بعد طول جفا
حتى إذا ما اطمأن وانعطفا
أسفر عنه اللثام ثم جلا ورداً بغير اللحاظ من فلا يقطـف
فظلت من فرط شـدة الـبـرح
ذا زارني والرقيب لم يلح
ألثم أقدامه من الفرح
وقلت إذ عن صدوده عدلا أهلاًبعد جفوة وقلـى أسـعـف

كمال الدين ابن الزملكاني

محمد بن علي بن عبد الله الواحد، الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة ذو الفنون جمال الإسلام، كمال الدين ابن الزملكاني الأنصاري السماكي

الدمشقي، كبير الشافعية في عصره؛ ولد في شوال سنة سبع وستين وستمائة، وسمع من ابن علان والفخر علي وابن الواسطي وابن القواس، وطلب الحديث وقرأه، وكان فصيحاً متشرعاً، وكان بصيراً بالمذهب وأصوله، قوي العربية، قد أتقنها ذكاء ودربها، ذكياً صحيح الذهن صائب الفكر، تفقه على الشيخ تاج الدين، وأفتى وله نيف وعشرون سنة، وكان يضرب بذكائه المثل، وقرأ العربية على الشيخ بدر الدين ابن مالك وقرأ على قاضي القضاة شهاب الدين الحويي وقاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي وعلى شمس الدين الأيكي وصفي الدين الهندي، وحفظ "التنبيه" و"المنتخب" في أصول الفقه، و"المحصل" في أصول الدين، وغير ذلك، وكتب المنسوب.

وكان شكله حسناً ومنظره رائعاً وتجمله في بزته وهيئته غاية، وشيبته منورة بنور الإسلام يكاد الورد يلقط من وجنتيه، وعقيدته صحيحة متمكنة أشعرية، وفضائله عديدة، وفواضله ربوعها مشيدة، وكان كريم النفس عالي الهمة، حشمته وافرة.

صنف أشياء: منها "رسالة في الرد على الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مسألة الطلاق" و"رسالة في الرد علي في مسألة الزيارة" ورسالة سماها "رابع أربعة" نظماً ونثراً، وشرح قطعة جيدة من "المنهاج".

وتخرج به الأصحاب وانتفع به الطلبة، ودرس بالشامية البرانية والظاهرية والرواحية، وولي نظر ديوان الأفرم ونظر الخزانة ووكالة بيت المال، وكتب في ديوان الإنشاء ووقع في الدست، وله الإنشاء الجيد والتواقيع المليحة.

نقل إلى قضاء القضاة بحلب ومدارسها فأقام بها أكثر من سنتين واشتغلوا عليه الحلبيين، ثم إن السلطان طلبه من حلب ليوليه قضاء دمشق لما نقل قاضي القضاة جلال الدين القزويني إلى مصر، وفرح الناس بذلك، فمرض في الطريق وأدركه الأجل في بلبيس في سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبعمائة، قيل إنه سم في الطريق، وعند الله تجتمع الخصوم. وحكى ولده تقي الدين أن والده الشيخ كمال الدين قال له: يا ولدي، أنا والله ميت ولا أتولى لا مصر ولا غيرها، وما بقي بعد حلب ولاية أخرى لأنه في الوقت الفلاني حضر إلى دمشق فلان الصالح فترددت إليه وخدمته وطلبت منه التسليك، فأمرني بالصوم مدة، ثم أمرني بصيام ثلاثة أيام أفطر فيها على الماء واللبان الذكر، وكان آخر ليلة في الثلاث ليلة النصف من شعبان، فقال لي: الليلة تجي إلى الجامع تتفرج أو تخلو بنفسك؟ فقلت: أخلو بنفسي، فقال جيد، ولا تزال تصلي حتى أجي إليك، فخلوت بنفسي أصلي ساعة جيدة، فلما كنت في الصلاة إذا به قد أقبل، فلم أبطل الصلاة، وإذا قد خيل لي قبة عظيمة بين السماء والأرض، وظاهرها معارج ومراقي، والناس يصعدون فيها من الأرض إلى السماء، فصعدت معهم، فكنت أرى على كل مرقاة مكتوباً: نظر الخزانة، وعلى أخرى وأخرى وأخرى: وكالة بيت المال، التوقيع، المدرسة الفلانية، قضا حلب، فلما وصلت إلى هذه المرقاة أشفقت من تلك الحالة، ورجعت إلى حسي، وبت ليلتي، فلما اجتمعت بالشيخ قال: كيف كانت ليلتك؟ جيت إليك وما قصرت لأنك ما اشتغلت بي، والقبة التي رأيتها هي الدنيا، والمراقي هي المراتب والوظايف والأرزاق، وهذا الذي رأيته كله تناله والله يا عبد الرحمن؛ كل شيء قد رأيته نلته، وكان آخر الكل قضا حلب، وقد قرب

الأجل.

وكان الشيخ كمال الدين كثير التخيل شديد الاحتراز، يتوهم أشياء بعيدة ويبني عليها، وتعب بذلك وعودي وحسد وعمل عليه، ولطف الله به، رحمه الله.

ومن نظمه قصيدة يذكر فيها الكعبة المعظمة، ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

أهـواك يا ربة الأستـار وإن تباعد عن مغنـاي أهـواك مـغـنـاك

وأعمل العيس والأشواق عسى يشاهد معناكـي ترشـدنـي مـعـنـاك

تهوي بها البيد لا تخشى هدت ببرق الثنايا الغر الضلال وقد مـضـنـاك

تشوقها نسمات الـصـبـح تسوقـهـا نـحـو رؤياك سـارية بـريـاك

يا ربة الحرم العالي الأمـين وافاه من أين هـذا الأمـن لـمـن لـولاك

إن شبهوا الخال بالمسك ذا الحال من رؤية المحكي الذكـي فـه والحاكي

أفدي بأسود قـلـبـي نـور من لي بتقبيله من بـعـد أسـوده يمـنـاك

إني قصدتك لا ألوي علـى ترمي النوى بي سراعاً نحو بـشـر مرماك

وقد حططت رحالي في تنحط أثـقـال أوزاري حماك عسى بـلـقـياك

كما حططت بباب المصطفى وقلت للنفس بالمأمـول أملـي بـشـراك

محمد خير خلـق الـلـه وفاتح الخير ما حي كـل كـلـهـم إشـراك

سما بأخمصه فوق السمـاء أوطا أسافلها مـن عـلـو فـكـم أفـلاك

ونال مـرتـبة مـا نـالـهـا أحـد من أنبـياء ذوي فـضـل وأمـلاك

يا صاحب الجاه عند اللـه ما رد جـاهـك إلا كـل أفــاك خـالـقـه

أنت الوجيه على رغم الـعـدا أنت الشفـيع لـفـتـاك أبـداً ونـسـاك

يا فرقة الزيغ لا لقـيت ولا سقى الله يوماً قلب صـالـحة مـرضـاك

ولا حظيت بجاه المصطـفـى ومن أعانـك فـي الـدنـيا أبـداً ووالاك

يا أفضل الرسل يا مولى الأنام ويا خير الخلائق من إنس وأملاك
ها قد قصدتك أشكو بعض ما صنعت بي الذنوب وهذا ملجأ الشاكي
قد قيدتني ذنوب من بلوغ مدى قصدي إلى الفوز منها فهي أشراكي
فاستغفر الله لي واسأله عصمته فيما بقي وغنى من غير إمساك
عليك من ربك الله الصلاة كما منا عليك السلام الطيب الزاكي

وعمل على هذه القصيدة كراريس وسماها "عجالة الراكب".
ومن شعره:

يا سائق الظعن قف بي هذه الكثب عساي أقضي بها ما للهوى يجب
فثم حي حياتي في خيامهم فالموت إن بعدوا والعيش إن قربوا
لي فيهم قمر في القلب منزله لكن طرفي له بالعبد يرتقب
لدن القوام رشيق القد ذو هيف تغار من لينه الأغصان والقضب
حلو المقبل معسول مراشفه يجول فيها رضاب طعمه الضرب
لا غرو إن راح نشواناً ففي فمه خمر ودر ثناياه لها حبب
ولائم لامني في البعد عنه وفي قلبي من الشوق نيران لها لهب
فقلت إن صروف الدهر تصرفني عما أروم فمالي في النوى سبب
ومذ رماني زماني بالبعاد ولم يرحم خضوعي ولما يبق لي نشب

ولما توفي إلى رحمة تاريخ رثاه الشيخ جمال الدين ابن نباتة بقصيدة أولها:

بلغا القاصدين أن الليالي قبضت جملة العلا بالكمال
وقفا في مدارس العقل والنق ل ونوحاً معي على الأطلال
سائلها عسى يجيب صداها أين ولي مجيب أهل السؤال
أين ولي بحر العلوم وأبقى بين أجفاننا الدموع لآلي
أين ذاك الذهن الذي قد ورثنا عنه ما في الحشا من الاشتعال
أين تلك الأقلام يوم انتصار كعوالي الرماح يوم النزال

ينقل الناس عن حديث هداهـا طرق العلم عن متون العوالي
وتفيد الجنى من اللفظ حـلـواً حين كانت نوعاً من العسـال

المنصور صاحب حماة

محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، السلطان الملك المنصور ابن الملك المظفر تقي الدين ابن الأمير نور الدولة، صاحب حماة وابن صاحبها؛ سمع الحديث بالإسكندرية من السلفي، وكان شجاعاً، يحب العلماء، وجمع تاريخاً على السنين في عدة مجلدات، فيه فوائد.

قال شهاب الدين القوصي: قرأت عليه قطعة من كتابه "مضمار الحقائق وسر الخلائق" وهو كبير نفيس يدل على فضله، لم يسبق إلى مثله وله كتاب "طبقات الشعراء" يكون في عشر مجلدات، وجمع من الكتب ما لا مزيد عليه، وكان في خدمته ما يناهز مائتي متعمم من الفقهاء والأدباء والنحاة والمشتغلين بالحكمة والمنجمين والكتاب. وأقامت دولته ثلاثين سنة؛ وتوفي سنة "سبع" عشرة وستمائة، رحمه الله.

ومن شعره:

سحا الدموع فإن القوم قد بانوا وأقفر الصبر لما أقفر البـان
وأسعداني بدمع بعد بـينـهـم فالشان لما نأوا عني له شـأن
لا تبعثوا في نسيم الريح نشركم فإنني من نسيم الريح غـيران
سقاهم الغيث من قبلي كاظمة سحاً وروى ثراهم أينما كانوا

وقال:

ادعني باسمها فإني مجـيب وادر أني مما تحب قـريب
حكم الحب أن أذل لـديهـا نخوة الملك، والغرام عجيب

وقال:

أربي راح وريحـا ن ومحبوب وشادي
والذي ساق لي المل ك له دفع الأعادي

الشيخ صدر الدين ابن الوكيل

محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد، الشيخ الإمام العالم العلامة ذو الفنون، البارع صدر الدين ابن المرحل، ويعرف في الشام بابن الوكيل، المصري الأصل العثماني الشافعي، أحد الأعلام وفريد أعاجيب الزمان في الذكاء والحافظة والذاكرة؛ ولد في شوال سنة خمس وستين بدمياط، وتوفي بالقاهرة سنة ست عشرة وسبعمائة. رثاه جماعة من شعراء مصر والشام وحصل التأسف عليه، وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما بلغه وفاته: أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين.

نشأ بدمشق وتفقه بوالده وبالشيخ شرف الدين المقدسي. وأخذ الأصول عن صفي الدين الهندي وسمع من القاسم الإربلي والمسلم بن علان وجماعة، وكان له عدة محفوظات، قيل إنه حفظ "المفصل" في مائة يوم

ويوم، و"المقامات الحريرية" في خمسين يوماً، و"ديوان المتنبي" على ما قيل في جمعة واحدة، وكان من أذكياء زمانه، فصيحاً مناظراً، لم يكن أحد من الشافعية يقوم بمناظرة الشيخ تقي الدين ابن تيمية غيره، وتخرج به الأصحاب والطلبة، وكان بارعاً في العقليات. وأما الفقه وأصول الفقه فكانا قد بقيا له طباعاً لا يتكلفهما. أفتى ودرس وبعد صيته؛ ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية سبع سنين وجرت له أمور وتنقلات، وكان مع اشتغاله يتنزه ويعاشر، ونادم الأفرم نائب دمشق، ثم توجه إلى مصر وأقام بها إلى أن عاد السلطان من الكرك سنة تسع وسبعمائة، فجاء بعد ما خلص من واقعة الجاشنكير، فإنه نسب إليه منها أشياء، وعزم الصاحب فخر الدين ابن الخليلي على القبض عليه تقرباً إلى خاطر السلطان، فلما أحس بذلك فر إلى السلطان على طريق البدرية ودخل على السلطان وهو بالرمل، فعفا عنه، وجاء إلى دمشق وتوجه إلى حلب وأقرأ بها ودرس وأقبل عليه الحلبيون إقبالاً زائداً، وعاشرهم، وكان محظوظاً، لم يقع بينه وبين أحد من الكبار إلا وعاد من أحب الناس فيه.

وكان حسن الشكل تام الخلق حسن البزة حلو المجالسة طيب المفاكهة، وعنده كرم مفرط، كل ما يحصل له ينفقه بنفس متسعة ملوكية، وكان يتردد إلى الصلحاء ويلتمس دعاءهم ويطلب بركتهم.

قيل إنه وقف له فقير - وكانت ليلة عيد - وقال له: شي لله، فالتفت إلى غلامه، وقال: إيش معك؟ قال: مائتا درهم، قال: ادفعها إلى هذا الفقير، فقال له: يا سيدي الليلة العيد وما معنا شي ننفقه غداً، فقال: امضي إلى القاضي كريم الدين وقول له: الشيخ يهنيك بالعيد، فلما راى كريم الدين غلام الشيخ قال: كأن الشيخ يعوز نفقة في هذا العيد، ودفع له ألفين درهم وثلثمائة للغلام، فلما حضر إلى الشيخ قال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسنة بعشرة، مائتان بألفين.

وكان له مكارم كثيرة ولطفاً زايداً وحسن عشرة؛ وأما أوائل عشرته فما كان لها نظير، لكنه ربما يحصل عنده ملل في آخر الحال، حتى قال فيه القائل:

وداد ابن الوكيل له شبيه بلبادين جلق في المسالك
فأوله حلـي ثـم طـيب وأخره زجاج مع لوالك

وشعره مليح إلى الغاية، وكان ينظم الشعر والموشح والذوبيت والمخمس والزجل والبليق؛ ومن تصانيفه ما جمعه في سفينة وسماه "الأشباه والنظائر"، يقال إنه شيء غريب، وعمل مجلدة في السؤال الذي حضر من عند أسندمر نائب طرابلس في الفرق بين الملك والنبي والشهيد والولي والعالم.

ومن شعره قصيدة بائية أولها:

ليذهبوا في ملامـي أية ذهـبـوا في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب
لا تأسفن علـى مـال تـمـزقـه أيدي سقاة الطلا والخرد العـرب
فما كسوا راحتي من راحها حلـلاً إلا وعروا فؤادي الهم واستلـبـوا

راح بها راحتي في راحتي حصلت فتم عجبي بها وازداد لي العجـب
إذ ينبع الدر من حلـو مـذاقـتـه والتبر منسبك في الكأس منسكـب
وليست الكيميا في غيرها وجـدت وكل ما قيل في أبوابـهـا كـذب
قيراط خمر على القنطار من حزن يعود في الحال أفراحاً وينقـلـب
عناصر أربع في الكأس قد جمعت وفوقها الفلك السيار والـشـهـب
ماء ونار هـواء أرضـهـا قـدح وطوقها فلك والأنجم الـحـبـب
ما الكأس عندي بأطراف الأنامل بل بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب
شججت بالماء منها الرأس موضحة فحين أعقلها بالخمس لا عـجـب
وما تركت بها الخمس التي وجبـت وإن رأوا تركها من بعض ما يجب
ولن أقطب وجهاً حين تبسـم لـي فعند بسط الموالي يحـسـن الأدب
عاطيتها من بنات الترك عـاطـية لحاظها للأسود الغلب قد غلـبـوا
هيفاء جـارية لـلـراح سـاقـية من فوق ساقية تجري وتنـسـرب
من وجهها وتثنيهـا وقـامـتـهـا تخشى الأهلة والقضبان والقضـب
يا قلب أردافها مهما مررت بـهـا قف بي عليها وقل لي هذه الكثب
وإن مررت بشعر فوق قامـتـهـا بالله قلي لي كيف البان والـعـذب
تريك وجنتها ما في زجاجـتـهـا لكن مذاقته للـريق تـنـتـسـب
تحكي الثنايا الذي أبدته من حـبـب "لقد حكيت ولكن قاتك الشـنـب"

وقال أيضاً:

وعارض قد لام في عارض وطاعن يطعن في سـنـه
وقال لي قد طلعت ذقـنـه فقلت لا أفكر في ذقـنـه

وقال وهو في غاية الحسن:

شب وحدي بشائب من سنا البدر أوجه
كلما شاب ينحنـي بيض الله وجهـه

وقال أيضاً:

ولما جلا فصل الخريف محاسناً وصف ماء النهر إذ غرد القمري

أتاه النسيم الرطب رقص دوحه فنقط وجه الماء بالذهب المصري

وقال أيضاً:

عيرتني بالسقم طرفك مشبهي وتحول جسمي مثل خصرك ناحلا

وأراك تشمت إذ أتيتك سائلاً لا بد أن يأتي عذارك سائلا

وقال في مليح به يرقان:

رأيت في طرفه اصفراراً سبا فؤادي فقلت مهلا

أيا مليك الأنام حسناً العفو من سيفك المحلى

وهذا يشبه قول الوداعي:

قال قوم قد شانه يرقان قلت أخطأتم وحاشا وكلا

إنما الخد واللواحظ منه مصحف مذهب وسيف محلى

وقال أيضاً:

أقصى مناي أن أمر على الحمى ويلوح نور رياضه ويفوح

حتى أري سحب الحمى كيف البكا وأعلم الورقاء كيف تنوح

وقال أيضاً:

بعيشك خل عاذلتي تلمني ومنها في ملامتها ومني

فإن نجحت فلا نجحت طريقي وأدركت المنية لا التمني

وإن خابت فلا خابت طريقي وإن كان الهو ثانيه عني

فيا غصن النقا ويجل قدراً قوامك ان أشبهه بغصن

لحاظك بالمها فتكت عناداً ولا تسأل عن الظبي الأغن

وعطفك قد كسا الأغصان وجداً فمالت بالهوى لا بالتثني

ورقت ورقها فبكت عليها وفي الأفنان أبدت كل فن

وقد طارحتها شجناً فلما بكيت صبابة أخذت تغني

وقال أيضاً في مليح اسمه خليل:

تلك المعاطف أم غصون البان لعبت ذوائبها على الكثبان

وتضرحت تلك الحدود فوردها قد شق قلب شقائق النعمان

ما يفعل الموت المبرح في الورى ما تفعل الأحداق في الأبدان

أخليل قلبي وهو يوسف عصـره قلبي الكليم رميت في الـنـيران
قطعته مذ كان قـلـبـاً طـائراً ودعوته فـأتـى بـغـير تـوان
يا نور عينـي لا أراك وهـكـذا إنسان عينـي لا يراه عـيانـي

وقال أيضاً:

أخفيت حبك عن جميع جوانحي فوشت عيوني والوشاة عـيون
وودت أن جوانحي وجوارحي مقل تراك وما لهن جـفـون
يا ليت قيساً في زمان صبابتي حتى أريه العشق كيف يكون

وقال أيضاً في مليح يلقب بالحامض:

وبديع الجمال معتدل الـقـا مة كالغصن والقنا الأملـود
لقبوه بحامض وهـو حـلـو قول من لم يصل إلى العنقود

وقال:

يا وجنة هي جنة قـد زخـرفـت ورداً ومن آس العذار تخـضـرت
عين بنور جمال وجهك مـتـعـت وسوى جمالك أبصرت، لا أبصرت

وقال ذوبيت:

يا غاية منيتي ويا معشـوقـي من بعدك لم أمل إلى مخلـوق
يا خير نديم كان لي يؤنسـنـي من بعدك صلبت على الراووق

وقال أيضاً:

في خدك خط مشرف الصدغ سطور والشاهد ناظر على الفـتـك يدور
يا عارضه بالشرع لا تقـتـلـنـي الشاهد فـاتـك وذا خـطـك زور

وقال:

تغنت في ذرى الأوراق ورق ففي الأفنان من طرب فنون
وكم بسمت ثغور الزهر عجباً وبالأكمام كم رقصت غصون

وقال أيضاً:

وبي من قسا ولان معاطـفـاً إذا قلت أدناني بضاعف تبعيدي
أقر بـرق إذا أقـول أنـا لـه وكم قالها أيضاً ولكن لتهديدي

وقال:

إذا قلت ثغرك صن باللثـام يقول: سيحيميه صارم جفني
وإن قلت قد صار من فتكـه كليلاً يقول عذاري مسنـي

وقال ذوبيت:

كم قال معاطفي حكتها الأسل والبيض سرقن ما حوته المقل
الآن أوامري عليهم حكـمـت البيض تحد والقنا تعـتـقـل

وقال:

عانقت وبالعناق يشفـى الـوجـد حتى شفي الصب ومات الضـد
من أخمصه لثماً إلى وجـنـتـه حتى اشتكت القضب وضج الورد

وقال موضح يعارض به السراج المحار:

ما أخجل قده غصون البان بين الـوق
إلا سلب المها مع الغزلان حسن الحداق
قاسوا غلطاً من حاز حسن البشر
بالبدر يلوح في دياجي الشعر
لا كيد ولا كرامة للقمر
الحب جماله مدى الأزمان معناه بقي
وازداد سناً وخص بالنقصان بدر الأفق
الصحة والسقام في مقلته
والجنة والجحيم في وجنته
من شاهد يقول من دهشته
هذا وأبيك فر من رضوان تحت الغسق
للأرض يعيذه من الشيطان رب الفلق
قد أنتبه الله نباتاً حسناً
وازداد على المدى بهاء وسنا
من جاد له بروحه ما غبنا
قد زين حسنه مع الإحسان حســن الــخــلــق
لو رمت لحسـنـه شـبـيهـاً لم يتـــفـــق ثـانـي
في نرجس لحظه وزهر الـثـغـر
روض نضر قطافـه بـالـنـظـر

قد دبج خـده بـنـبـت الـشـعـر
كالورد حواه ناعم الريحان
بالطل سقي
والقد يميل ميلة الأغصان
للمعتـنـق
أحيا وأمـوت فـي هـواه كـمـدا
من مات جوى في حب قـد
سـعـدا
يا عـاذل لا أتـرك وجـدي أبــدا
لا تعذلني فكلما تلحاني زادت
حرقـي
يستأهل من يهم بالسلوان
ضرب العنق
القـد وطـرفـه قـنـاة وحـسـام
والحاجب واللحاظ قـوس
وسـهـام
والثغر مع الرضـاب كـأس
ومـدام
والدر منظم مع المرجان في
فيه نقي
قد رصع فوقه عقيق قان نظم
النسق
وأما موشحة السراج المحار فهي:
مذ شمت سنا الروق من نعمان باتت حدقـي
تذكري بمسيل دمعها الهتان نـار الـحـرق
ما أومض بـارق الـحـمـى أو خـفـقـا
إلا وأجـد لـي الأسـى والـحــرقــا
هذا سبـب لـمـحـنـتـي قـد خـلـقـا
أمسي لوميضه بقلب عاني بـادي الـقـلـق
لا أعلم في الظلام ما يغشانـي غـير الأرق
أضـنـي جـسـدي فـراق إلـف نـزحـا
أفـنـى جـلـدي دمـع عـيـنـي نـزحـا
كم صحت وزنـد لـوعـتـي قـد قـدحـا
لم تبق يد السقام من جثماني غـير الـرمـق
ما أصنع والسلو مني فاني والوجـد بـقـي
أهـوى قـمـراً حـلـو مـذاق الـقـبـل
لم يكـحـل طـرفـه بـغـير الـكـحـل
تركي اللـحـظـات بـابـلـي الـمـقـل
زاهي الوجنات زائد الإحسان حلو الـخـلـق

عذب الرشفات ساحر الأجفان ساجي الحـدق
ما حـط لـثـامـه وأرخـى شـعـــره
أو هـز مـعـاطـفـاً رشـاقـاً نـضـره
إلا ويقــول كـــل راء نـــظـــره
هذا قمر بدا بلا نقصان تـحـت الـغـسـق
أو شمس ضحى في غصن فينان غض الورق
ما أبـدع مـعـنـى لاح فـي صـورتـه
إينـاع عـذاره عـلـى وجـنـــتـــه
لمـا شـقـي الـحـياة مـن ريقـتـــه
فاعجب لنبات خده الريحاني من حيث سقـي
يضحي ويبيت وهو في النيران لم يحـتـرق
والسراج المحار عارض بهذا موشح أحمد الموصلي، وهو:
مذ غردت الورق على الأغصان بين الـورق
أجرت دمعي وفي فؤادي العاني أذكت حرقي
لما برزت فـي الـدوح تـشـدو وتـنـوح
أضحى دمعي بساحة الـسـفـح سـفـوح
والفكر نديمـي فـي غـبـوق وصـبـوح
قد هيجت الذي به أضناني مـنـه قـلـقـي
والقلب له من بعد صبري الفاني الوجد بقـي
ما لاح بـريق رامة أو لـــمـــعـــا
إلا وسـحـاب عـبـرتـي قـد هـمـعـا
والجسم على المزمع هـجـري مـزمـعـا
بالنازح والنازح عن أوطاني ضاقت طرقـي
ما أصنع قد حملت من أحزاني ما لم أطـق
قلبـي لـهـوى سـاكـنـه قـد خـفـقـا
والوجد حبـيس واصـطـبـاري طـلـقـا
والصامت من سري بـدمـعـي نـطـقـا
في عشق منعم من الولدان أصبحت شـقـي
من جفوته، ولم يزر أجفـانـي غـير الأرق
فالـورد مـع الـشـقـيق مـن خـــديه
قد صانهـمـا الـنـرجـس مـن عـينـيه
والآس هـو الـسـياج مـن صـدغـــيه
واللفظ وريق الأغيد الروحاني عند الـحـدق
حلوان على غصن من المران غض رشـق
الصـاد مـن الـمـقـلة مـن حـقـقـه
والنـون مـن الـحـاجـب مـن عـرقـه
والـلام مـن الـعـارض مـن عـلـقـه
قد سطره بالقلم الريحاني رب الفلق

بالمسك على الكافور كالعنوان فوق الورق
ما أبدع وضع الخال في وجنته
خط الشكل الرفيع من نقطته
قد حير إقليدس في هيئته
كالعنبر في نار الأسيل القاني للمنتشق
فاعجب لعبير وهو في النيران لم يحترق
ومن موشحات الشيخ صدر الدين قوله:

صاح صاح الـهـزار قم نحث الـكـووس
قد تجلـى الـنـهـار فاجل بنت الـقـوس
ما عـلـينـا جـنـاح إن فصل المـصـيف
قد تـولـــى وراح وتولـى الـخـريف
قم فـذات الـجـنـاح ذات رمز لـطـيف
في اقتـلاع الـوقـار من طروس الضروس
وانتهـاب الـعـقـار وسرور الـنـفـوس
زوج الـمـا بـــراح يا شبـيه الـقـمـر
والشهـود الـمـلاح والولـي الـمـطـر
والمغاني الـفـصـاح ساكنات الـشـجـر
وهـي بـكـر تـدار والسقاة الـشـمـوس
والحبـاب الـنـثـار فوق وجه العـروس
إن عيشـي الـرغـيد حين ألقى الـصـديق
وعــذار جـــديد وسـلاف عـتـــيق
ثم ألـقـى شـهـــيد بسـيوف الـرحـيق
كم كذا ذا الـفـشـار وخـيوط الـــرؤوس
طاح عمـري وطـار في سمـاع الـدروس

وكان الشيخ صدر الدين عارفاً بالطب علماً لا علاجاً، فاتفق أن شكا إليه الأفرم سوء هضم، فركب له سفوفاً وأحضره، فلما استعمله أفرط في الإسهال جداً، فأمسكه ممالكيه ليقتلوه، وأحضروا أمين الدين الحكيم لمعالجة الأفرم، فعالجه باستفراغ تلك المواد التي اندفعت وأعطاه أمراق الفراريج، ثم أعطاه الممسكات حتى صلح حاله، فلما صلحت حاله سأل الأفرم عن الشيخ صدر الدين فأخبروه المماليك ما فعلوا به، فأنكر ذلك عليهم ثم أحضره وقال له: يا صدر الدين، جيت تروحني غلطاً، فقال له سليمان الحكيم: يا صدر الدين اشتغل بفقهك ودع الطب، فغلط المفتي يستدرك وغلط الطبيب ما يستدرك، فقال الأفرم: صدق لك، لا تخاطر، ثم قال لمماليكه: مثل صدر الدين ما يتهم، والله الذي جرى عليه منكم أصعب مما جرى عليّ، وما أراد والله إلا الخير، ثم سير له جملة دراهم وقماش.

ولما أنكر البكري استعارة البسط والقناديل من الجامع العمري بمصر لبعض كنائس القبط في بعض مهماتهم، ونسب هذه الفعلة إلى كريم الدين، فطلع البكري إلى حضرة السلطان وكلمه في ذلك وأغلظ له في القول، وكاد يجوز ذلك على السلطان لو لم يحل بعض القضاة الحاضرين على البكري، وقال: ما قصر الشيخ، كالمستهزيء به، فحينئذ أغلظ

السلطان له وأمر بقطع لسانه، فأتى الخبر إلى الشيخ صدر الدين وهو في زاوية السعودي، فطلع إلى القلعة على حمار فاره اكتراه للسرعة، فرأى البكري وقد أخذ ليمضي فيه ما أمر، فلم يملك دموعه أن تساقطت على خده، واستمهل الشرطة، ثم صعد الأيوان والسلطان جالس به، وتقدم إلى السلطان من غير استئذان وهو باك، فقال له السلطان: خير يا صدر الدين فزاد بكاؤه ونحيبه ولم يقدر على مجاوبة السلطان، فلم يزل السلطان يرفق به ويقول له: خير، ما بك؟ إلى أن قدر على الكلام، فقال له: هذا البكري من العلماء الصلحاء، وما أنكر إلا في موضع الإنكار، ولكنه لم يحسن التلطف، فقال له السلطان: إي والله أنا أعرف أنه حطبة، وانفتح الكلام، ولم يزل الشيخ صدر الدين يرفق بالسلطان ويلاطفه حتى قال: خذه وروح وانصرف، هذا كله جرى والقضاة حضور وأمراء الدولة ملء الإيوان، وما فيهم من أعانه.

وكان إذا فرغ مما هو فيه مع أصحابه وعشراه قام وتوضأ وصلى ومرغ وجهه على التراب وبكى حتى يبل ذقنه بالدموع، ويستغفر الله تعالى ويسأله التوبة، رحمه الله تعالى.

ابن اللبانة

محمد بن عيسى بن مح، أبو بكر اللخمي الأندلسي، الشاعر المشهور بابن اللبانة، وله كتاب "مناقل الفتنة" و"نظم السلوك في وعظ الملوك" و"سقيط الدرر ولقيط الزهر" في شعر بني عباد، وتوفي بميورقة في سنة سبع وخمسمائة. من شعره:

هلا ثناك علي قلب مشـفـق ... لترى فراشاً في فراش يحرق

أصبحت كالرمق الذي لا يرتجي ... وبقيت كالنفس الذي لا يلـحـق

وغرقت في دمعي عليك وعمني ... طوف فهل سبب به أتـعـلـق

أو خدعة بتـحـية مـقـبـولة ... في جنب موعدك الذي لا يصدق

أنت المنية والمنى، فيك استـوى ... ظل الغمامة والهجير المحـرق

لك قد ذابلة الوشيج ولـونـهـا ... لكن سنانـك أكـحـل لا أزرق

ويقـال إنـك أيكة حـتــى إذا ... غنيت قيل هو الحمـام الأورق

لو في يدي سحر وعندي نـفـثة ... لجعلت قلبك بعض يوم يعشـق

لتذوق ما قد ذقت من ألم الهـوى ... وترق لي مما تراه وتـشـفـق

وقال أيضاً يمدح المعتمد بن عابد:

بكت عند توديعي فما علم الـركـب ... أذاك سقيط الطل أم لؤلـؤ رطـب

وتابعها سرب وإني نجوم الدياجي لا يقال لهـا

لمـخـطـيء سـرب
لئن وقفت شمس النهـار لـيوشـع لقد وقفت شمس الهوى لي والشهب
هفا بين عصف الريح والموج مثلما هفا بين أضلاعي يكوي به القلـب
كأني قذى في مقلة وهـو نـاظـر بها والمجاذيف التي حولها هـدب

منها في المديح:

حوى قصبات السبق عفواً ولو سعى لها البرق خطفاً جاء من دونها يكبو
ويرتاح عند الجود حـتـى كـأنـه وحاشاه نشوان يلذ لـه الـشـرب
سألت أخاه البحر عنه فـقـال لـي شقيقي إلا أنه الـبـارد الـعـذب

وقال موشح:

في نرجـس الأحـداق وسـوسـن الأجـياد
نبت الهوى مـغـروس بين القـنـا الـمـياد
وفي نقـا الـكـافـور والمنـدل الـرطـب
والهـودج الـمـزرور بالوشي والـعـصـب
قضب من الـبـلـور حمين بـالـقـضـب
نادى بها المـهـجـور من شـدة الـحـب
أذابـت الأشـواق روحي على أجـسـاد
أعارهـا الـطـاووس من ريشـه أبـراد
كواعـب أتـراب تشـابـهـت قـداً
عضت على العـنـاب بالـبـرد الأنـدا
أوصت بي الأوصـاب وأغـرت الـوجـدا
وأكـثـر الأحـبـاب أعـدى مـن الأعـدا
تفـتـر عـن أعـلاق لآلـيء أفـراد
فيه اللمى مـحـروس بألـسـن الأغـمـاد
من جوهر الـذكـرى أعطى نحور الحـور
وقـلـد الـدرا سلالة المـنـصـور
جاوز بـه الـبـحـرا واخرق حجاب النـور
وقـال لـه شـعـرا بفضلك المـشـهـور
جمعـت فـي الآفـاق تنـافـر الأضـداد
فأنت لـيث الـخـيس وأنـت بـدر الـنـاد
خرجـت مـخـتـالا أبغي سـنـا الـبـرق
أقـطـع أمـيالا غرباً إلـى شـرق
مؤمـلاً حـالا يكـون مـن وفـقـي
فقـال مـن قـالا وفـاه بـالـصـدق

دع قطعك الآفاق يا أيها المرتاد
واقصد إلى باديس خير بني عباد
يا من رجاله ثقات الظلا وأمل التعريس
إن شئت أن تحلى بطائل التأنيس
لا تعتمد إلا على علا باديس
من قومه أعلى قدراً من البرجيس
مواطن الأرزاق أولئك الأمجاد
فاحطط رحال العيس وانفض بقايا الزاد

وقل أيضاً:

شق النسيم كمامه عن زاهر يتبسم
فلا تطع لملامه واشرب على الزير والبم
حيا النسيم بمندل عن طيب زهر أنيق
ونرجس الروض تخجل منه خدود الشقيق
فانهض إلى الدن واقبل منه سؤال الرحيق
وفض منه ختامه عن مثل مسك مختم
تكاد منه المدامه للشرب أن تتكلم
حاكت على النهر درعا ريح الصبا في الأصايل
وأسبل القطر دمعا على جيوب الخمايل
فاسمع من العود سجعا تشق منه الغلايل
ما رنمته حمامه من فوق غصن منعم
ولا ادعته كرامه بنت الحسين بن مجذم
أما علي فإني ممن سمعت بذكره
والود يشهد عني بما أبوح بفخر
وقد رأيت التمني يختال في ثوب بره
في حلة من أسامه بظاهر الحسن معلم
متوج بالكرامه وبالسماح مختم
حيا النسيم تلمسان بواكف القطر هطال
فقد قضت كل إحسان بجودها بابن شملال
وقصرت كل إنسان ما حواه من إجلال
ندب يذل همامه ربيعة بن مكدم
وما حواه أسامه في عصره المتقدم
قد جاءك المتنبي يا سيف هذا الزمان
يختال في ثوب عجب بما حوى من معان
يشدو ارتجالاً فيسبي كل الوجوه الحسان
هذا المليح في العمامه لو أنه يتلثم
لقلت هذي غمامه غطت على قمر التم

ماني الموسوس

محمد بن القاسم، أبو الحسن المعروف بماني الموسوس؛ من أهل مصر قدم بغداد أيام المتوكل، وكان من أظرف الناس وألطفهم. توفي سنة خمس وأربعين ومائتين.

ومن شعره:

زعموا أن من تشاغـل بـال لذات عمن يحبه يتـسـلـى
كذبوا والذي تقاد لـه الـبـد ن ومن عاذ بالطواف وصلى
إن نار الهوى أحر من الجـم ر على قلب عاشق يتقلـى

وقال:

دعا طرفه طرفي فأقبل مسرعاً وأثر في خديه فاقتص من قلبي
شكوت إليه ما لقيت من الهوى فقال على رس فمت فما ذنبي

وقال:

ذنبي إليه خضوعي حين أبصره وطول شوقي إليه حين أذكـره
وما جرحت بدمع العين وجنتـه إلا ومن كبدي يقتص محجـره
نفسي على بخله تفديه من قمر وإن رماني بذنب ليس يغفـره
وعاذل باصطبار القلب يأمرني فقلت: من أين لي قلب فأهجره

وذكر صاحب "الأغاني" أن محمد بن عبد الله بن اهر عزم على الصبوح، وعنده الحسن بن محمد بن طالوت، فقال له محمد: نحتاج أن يكون معنا من نأنس به ونلتذ بمنادمته، فمن ترى أن يكون؟ فقال له ابن طالوت: قد خطر ببالي من ليس علينا بمنادمته ثقل، قد خلا من إبرام المجالسين، وبريء من ثقل المؤانسين، خفيف الوطأة إذا أدنتيه، سريع الوثبة إذا أمرته، قال: من هو؟ قال: ماني الموسوس، فتقدم إلى صاحب الشرطة بطلبه وإحضاره، فلم يكن بأسرع من أن قبض عليه ووافى به باب محمد، فلا مثل بين يديه وسلم رد عليه السلام وقال له: ما آن لك أن تزورنا مع شوقنا إليك؟ فقال له ماني: أز الله الأمير، الشوق شديد، والود عتيد، والحجاب صعب، ولو سهل لي الأذن لسهلت علي الزيارة، فقال له محمد: لقد لطفت في الاستئذان، وأمره بالجلوس فجلس، وكان قد أطعم قبل أن يدخل، وأدخل الحمام وأخذ من شعره وألبس ثيباً نظافاً وأتى محمد بن عبد الله بن طاهر بجارية كان يحب السماع منها، فكان أول ما غنته:

ولست بناس إذ غدوا وتحـمـلـوا دموعي على الخدين من شدة الوجد
وقولي وقد زالت بعيني حمولـهـم بواكر تحدى لا يكن آخر العهـد

فقال ماني إيذن لي أيها الأمير، قال: في ماذا؟ قال: في استحسان ما اسمع، قال: نعم، قال: أحسنت فإن رأيت أن تزيدي في هذا الشعر هذين البيتين:

وقفت أناجي الربـع بمثلة موقوف عليه السلام
والـدمـع حـائر الضر والجهد
ولم يعـدنـي هـذا الأمـير على ظالم قد لج في الهجر
بـعـدلـه والـصـد

فقل له محمد: ومن أي شيء استعديت ياماني? قال لا من ظلم أيها الأمير، ولكن تحرك شوق وكان ساكناً. ثم غنت:

حجبوها عن الرياح لأنـي قلت للريح بلغيها السلامـا
لو رضا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرياح الكـلام

فطرب محمد وشرب، فقال ماني: أيها الأمير ما على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما:

فتنفست ثم قلت لطـيفـي ويك لو زرت طيفها إلماما
حيها بالـسـلام سـراً وإلا منعوها لشقوتي أن تنامـا

فقال محمد: أحسنت يا ماني. ثم غنت:

يا خليلي ساعة لا تـريمـا وعلى ذي صبابة فأقيمـا
ما مرننا بـدار زينـب إلا فضح الدمع سرنا المكتوما

فقال ماني: لولا هيبة الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذي لب فيصدران إلا عليه السلام استحسان لهما، فقال له محمد: الرغبة في حسن ما تأتي به حائلة عن كل رهبة، فهات ما عندك، فقال:

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخ ر بطرف لغادرته هشيمـا
وإذا ما تبسمت خلت مـا يب دو من الثغر لؤلؤاً منظوما

وفي الخبر طول وهذا يكفي منه.

## الملك الناصر

محمد بن قلاوون، السلطان الملك الناصر، ناصر الدين أبو الفتح محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون؛ ولد الملك الناصر سنة أربع وثمانين وستمائة، وتوفي يوم الأربعاء تاسع عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ودفن بالمدرسة المنصورية بين القصرين، على والده؛ وكان ملكاً عظيماً دانت له البلاد وملك الأطراف بالطاعة.

لما قتل الأشرف خليل وقع الاتفاق أن يكون السلطان الملك الناصر أخوه هو السلطان، وزين الدين كتبغا هو النائب، والشجاعي وزير، واستقر الأمر على ذلك سنة، ثم تسلطن كتبغا وتسمى بالعادل، وخطب له بمصر والشام وزينت له البلاد، ثم تسلطن لاجين وتسمى بالملك المنصور وقتل في سنة ثمان وتسعين، فحلفوا الأمراء للملك الناصر، وأحضروه من الكرك، وهذه سلطنته الثانية، وعمره يومئذ خمس عشرة سنة، فأقام إلى سنة ثمان وسبعمائة، وذهب إلى الكرك متبرماً من سلار والجاشنكير وحجرهم عليه ومنعهم له من التصرف، وأعرض عن مصر، فوثب الجاشنكير على السلطنة وتسلطن.

وفي سنة تسع وسبعمائة خرج السلطان من الكرك وطلب دمشق ودخل من باب السر إلى قلعة دمشق، وجاء الخبر بنزول الجاشنكير عن الملك وهروبه وهروب سلار، ورحل الملك الناصر طالب مصر فدخلها، فلا استقر بها - وهي سلطنته الثالثة - ومد السماط، قبض على اثنين وثلاثين أمير وأمر غيرهم، وصفا له الوقت إلى حين وفاته، رحمه الله تعالى.

الحافظ ابن النجار

محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، الحافظ الكبير محب الدين ابن النجار البغدادي صاحب التاريخ؛ ولد في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، سمع الحديث من ابن كليب وابن الجوزي وأصحاب ابن الحصين وجماعة. وله الرحلة الواسعة إلى الشام ومصر والحجاز وأصبهان وخراسان ومرو وهراة ونيسابور، وسمع الكثير وحصل الأصول والمسانيد، وصنف التاريخ الذي ذيل به على تاريخ الخطيب واستدرك فيه على الخطيب فجاء في ثلاثين مجلداً، دل على تبحره في هذا الشأن وسعة حفظه.

وكان إماماً ثقة حجة مقرئاً مجوداً حسن المحاضرة كيساً متواضعاً، اشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ، ورحل سبعاً وعشرين سنة. يقال إنه حضر مع تاج الدين الكندي في مجلس المعظم عيسى أو الأشرف موسى لأنه ذكره وأثنى عليه، فقال له الأشرف: أحضره، فسأله السلطان عن وفاة الشافعي ومتى كانت، فبهت، وهذا من التعجيز لمثل هذا الحافظ الكبير القدر، فسبحان من له الكمال.

وله كتاب "القمر المنير في المسند الكبير" ذكر كل صحابي وما له من الحديث، وله كتاب "كنز الإمام في معرفة السنن والأحكام" و"المختلف والمؤتلف" ذيل به على ابن ماكولا، و"المتفق والمفترق" و"نسب المحدثين على الآباء والبلدان". "كتاب عواليه". "كتاب معجمه". "جنة الناظرين في معرفة التابعين". "الكمال في معرفة الرجال". "العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق". "الدرة الثمينة في أخبار المدينة". "نزهة الوري في أخبار أم القرى". "روضة الأوليا في مسجد إيليا". "الأزهار في أنواع الأشعار". "سلوة الوحيد". "غرر الفوائد" ست مجدلدات. "مناقب الشافعي". ووقف كتبه بالنظامية، و"الزهر في محاسن أهل العصر". كتاب نحا فيه نحو "نشوار المحاضرة" مما التقطه من أفواه الرجال. "نزهة الطرف في أخبار أهل الظرف".

"أخبار المشتاق إلى أخبار العشاق". "الشافي" في الطب.

قال ياقوت في "معجم الأدباء": أنشدني لنفسه:

وقائل قال يوم العيد لي ورأى — تململي ودموع العين تنهمر

مالي أراك حزيناً باكياً أسفاً — كأن قلبك فيه النار تستعر

فقلت إني بعيد الدار عن وطني — ومملق الكف والأحباب قد هجروا

ونظر إلى غلام تركي حسن الصورة فرمد باقي يومه فقال:

وقائل قال قد نظرت إلى — وجه مليح فاعتادك الرمد

فقلت إن الشمس المنيرة قد — يعشى بها الناظر الذي يقد

شمس الدين الأصفهاني

محمد بن محمود بن محمد بن عبد الكافي، العلامة شمس الدين الأصفهاني الأصولي؛ قدم الشام بعد الخمسين وستمائة، وناظر الفقهاء، واشتهرت

فضيلته، وانتهت إليه الرياسة في معرفة الأصول، وشرح "المحصول" للإمام فخر الدين شرحاً كبيراً حافلاً، وصنف كتاب "القواعد" مشتملاً على أصول الدين والفقه والمنطق والخلاف، وهو أحسن تصانيفه، وله "غاية الطلب في المنطق" وله معرفة جيدة بالعربية والأدب والشعر، ولكنه كان قليل البضاعة في الفقه والسنة.

ولي قضاء منبج في أيام الناصر، ثم دخل مصر وولي قضاء قوص، ثم قضاء الكرك، ورجع إلى مصر وولي تدريس الصاحبية وتدريس مشهد الحسين، وأعاد وأفاد، ثم ولي تدريس الشافعي، وتخرج به خلق ورحل إليه الطلبة؛ كتب عنه علم الدين البرزالي وغيره.

مولده بأصبهان سنة ست عشرة، وتوفي سنة ثمان وثمانين وستمائة.

ابن المكرم

محمد بن مكرم - بتشديد الراء - ابن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي ثم المصري، القاضي جمال الدين ابن المكرم، من ولد رويفع بن ثابت الأنصاري؛ ولد أول سنة ثلاثين وستمائة، وكان فاضلاً، وعنده تشيع بلا رفض مات في شعبان سنة إحدى عشرة وسبعائة، خدم في الإنشاء بمصر، ثم ولي نظر طرابلس، وكان كثير الحفظ، اختصر كتباً كثيرة، وله نظم ونثر، فمن شعره:

ضع كتابي إذا أتاك إلى الأر ض وقلبه في يديك لماما
فعلى ختمه وفي جانبيه قبل قد وضعتهن تؤاما
كان قصدي بها مباشرة الأر ض وكفيك بالتثامي إذا ما

وقال:

الناس قد أثموا فينا بظنهم وصدقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق قولهم بأن نحقق ما فينا يظنونا
حملي وحملك ذنباً واحداً ثقة بالعفو أجمل من إثم الورى فينا

وقال:

توهم فينا الناس أمراً وصممت على ذاك منهم أنفس وقلوب
وظنوا وبعض الظن إثم وكلهم لأقواله فينا عليه ذنوب
تعالي نحقق ظنهم لنريحهم من الإثم فينا مرة ونتوب

أخذه من قول القائل حيث يقول:

قم بنا تفديك نفسي نجعل الشك يقينا
فإلي كم يا حبيبي يأثم القائل فينا?

وأخذه هذا من قول الأول:

ما أنس لا أنس قولها بمنى ويحك إن الوشاة قد علموا
ونم واش بنا فقلت لها هل لك يا هند في الذي زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها كيلا تضيع الظنون والتهم

ومن شعر ابن المكرم:

بالله إن جزت بوادي الأراك وقبلت أغصانه الخضر فاك

أبعث إلى المملوك من بعضه فإنني والله مـالـي سـواك

ابن الدجاجية

محمد بن مكي بن محمد بن حسن بن عبد الله، القرشي الدمشقي العدل الأديب، بهاء الدين ابن الدجاجية، كان يجيد النظم ، روى عنه الدمياطي،

ومن شعره:

ما راح عندكم النسيم ولا غـدا إلا ليأخذ عنـد عـبـدكـم يدا

أحباب قلبي ذلك القلـق الـذي قد كاد يأخذني عليكم ما هـدا

كدرتم بعد الصفـا وغـدرتـم بعد الوفا وبخلتم بعد الـجـدا

وجعلتم الريان منـزل حـيكـم ولكم محب مات فيه من الصدا

وقال:

من أين لـقـدك ذا الـهـيف قد حار الواصف ما يصـف

الرمـح الأسـمـر يحـسـده والغصن الأخضـر والألـف

فتبارك مـن أنـشـاك لـقـد في الخلق تفاضلت النطـف

يا أحسن بل يا أظـرف مـن زينت بذؤابـتـه الـكـتـف

وقاك الله تـعـالـى الـعـي الناس وعن أعطافك تنصرف"

كل الأقـمـار بـبـلـدتـنـا بضياء جبينك قد خـسـفـوا"

فاحكـم فـلأنـت أمـيرهـم فيهم فببابـك قـد وقـفـوا"

راقت أخلاقـك لـلـغـربـا ء فكيف بمن بك قد ألـفـوا

قسماً بهـواك ومـا أحـلـى قسم العشـاق إذا حـلـفـوا

وبمن خاضوا غمرات مـنـى وحصى الجمرات بها حذفـوا

لا حلت عن المـيثـاق ولـو أودى بحشاشتـي الـتـلـف

يلحاني قـوم مـا فـهـمـوا ما شاني فـيك ولا عـرفـوا

وقال أيضاً:

إلى سلم الجرعاء أهدى سلامه فماذا على من قد لحاه ولامه

تجلد حتى لم يدع معظم الجوى لرائيه إلا جلده وعـظـامـه

وقال أيضاً:

غرته غرته لـمـا سـرى ظن بأن الصبح قد أسفـرا

أقبل يسعى خفـراً خـائفـا على ذمام الوعد أن يخفـرا

يحق يا قوم لمـن قـده ال خطار أن لا يرهب الخطرا

ضممتـه إذ نـام سـمـاره كما يضم البطل الأسمـرا

بتنا وما في ليلنا من كـرى كأنما النوم غدا مـنـكـرا

وقال ذوبيت:

ما عذر فتي ما مد للهـو يدا والدوح قد اكتسى ثياباً جددا
مالت طرباً أغصانه راقصة لما صدح الطير عليها وشدا

وكانت وفاته في شهور سنة سبع وخمسين وستمائة، رحمه الله تعالى.

شرف الدين القدسي

محمد بن موسى الكاتب، شرف الدين القدسي؛ كان كاتب أمير سلاح ثم كتب الإنشاء بقلعة الجبل. كان حسن الأخلاق كريم العشرة محتملاً، فيه كرم وله خط حسن ونظم كثير ونثر.

قال أبو حيان: جالسته مراراً وكتبت عنه وقرأ علينا من نظمه، وخمس "شذور الذهب" تخميساً حسناً، أنشدني من لفظه:

تبسم فاستبكى بـبـارق ثـغـره سحائب جفن ما أحلت بعـارض
مليح أصبناه بـعـين ونـظـرة فمن أجل هذا قد أصيب بعارض

وقال أيضاً:

بي فرط ميل إلى الغزلان والغـزل فكيف لا يقصر العذال عن عذلـي
مالوا علي ولاموا في الهوى عبـثـاً من لم يمل سمعه مذ كان للمـلـل
أضحى الغرام غريمي في هوى رشإ يغنيه عن كحله ما فيه من كـحـل
فالبدر من حسنه قد راح ذا كـلـف والورد من خده قد راح في خجـل
تشاغل الناس في الأسمار بـي وبـه وإنني عن حديث الناس في شـغـل

وقال أيضاً في مليح اسمه سالم:

وأهيف تهـفـو نـحـو بـانة قـده قلوب تبث الشجو فهـي حـمـائم
عجـبـت لـه إذ دام تـوريد خـده وما الورد في حال على الغصن دائم
وأعجب مـن ذا أن حـية شـعـره تجول على أعطافه وهـو سـالـم

ومن شعره قصيدة بديعة البيت معناها وهي:

ما ملت عنك لجفوة ومـلال يوماً، ولا خطر السلو ببالي
يا مانحاً جسمي السقام ومانعاً طرفي المنام وتاركي كالآل
عمن أخذت جواز نعـي ريقـك ال معسول يا ذا المعطف الـعـسـال
عن شعرك الفحام أم عن ثغـرك ال ظام أم عن طـرفـك الـغـزالـي

فأجابني: أنا مالـك أهـل الـهـوى والحسن أضحى شافعي وجمـالـي
وشقائق النعمان أضـحـى نـابـتـاً في وجنتي وحماه رشق نـبـالـي
والصبر أجمل للمحب إذا ابـتـلـي في الحب من محن الهوى بـسـؤال
وعلى أساري "الحب" في سجن الهوى بين الملاح عرفـت بـالـقـفـال
وقتلت معتزلي في شـرع الـهـوى وطرقت بالتنبيه عـين الـسـالـي
وتفقه العشـاق فـي فـكـل مـن نقل الصحيح أجزتـه بـوصـالـي
والجوهري غدا بثغـري سـاكـنـا يحمي الصحاح بـقـدي الـمـيال
وشهود حسني لو نـظـرت إلـيهـم بين الأنام عجبت مـن أفـعـالـي
جرح البكاء عيونهـم وقـلـوبـهـم وزكوا لقذف الدمع فـي الأطـلال
والشاهد المجروح عـنـدي صـادق هل في قضاة العاشقين مـثـالـي
وعلى رحيق الثغر صارم مقلـتـي ولـيتـه ولـك ثـغـر والـــي
وعلى مقامات الـغـرام شـواهـد جسمي الحريري والبديع مـقـالـي
ولبست من حللِ الجمال مـفـصـلاً حسن الملابس مذهب الـغـزالـي
ولحسني الكشاف في جمل الـضـيا لمعاً لإيضاح الفصـيح مـقـالـي
وأتى المطرز نحو خـدي راقـمـاً طرز العذار وحار في أشـكـالـي
والواقدي بنار هجـري والـجـفـا وكلتـه فـلـكـل سـال صـالـي
وبلفظي الفراء يفـري قـلـب مـن وافى يناظر نـاظـري بـنـصـال
ومصارع العشـاق بـين خـيامـنـا ومقاتـل الـفـرسـان يوم نـزال
ورفضت يوم العاشقين فـكـل مـن ذكر الفراق فـدمـعـه مـتـوال
ولدي سلوان الـمـطـاع سـفـاهة لمـتـيم أوثـقـتـه بـحـبـالـي
وخصصت إخوان الصفا برسـائلـي ولهم صـفـا ودي وهـم آمـالـي

والبيهقي بـوجـه كـل مـعـنـف في موقف التـوديع والـتـرحـال

وبوجهي النقـاش راح مـفـسـراً سور المـلاحة مـن دلـيل دلالـي

ورقيبي الكلـبـي قـد أخـسـأتـه بوقـوفـه فـي بـاب ذل سـؤال

ومجاهد أضحى عـلـي مـقـاتـلاً خوفاً من الـرقـبـاء والـعـذال"

"وأبو نعيم منـعـم فـي حـلـيتـي إذ بات يمليها عـلـى الـنـقـال"

ومحاسني قوت القـلـوب كـرمـا ومناقب الأبرار حسـن فـعـالـي

وبطلعتي زاد المسير ومبسـمـي ال ضحاك والمنثـور حـسـن لآلـي"

وبخدي الزهري جنـات الـمـنـى أضحى بها الثوري من عـمـالـي

وبمنطقي قس الـفـصـاحة واعـظ في فترة الأجـفـان لـلـضـلال

وقميص حسني قد من قبل الـهـوى بيدي اليمين وتـارة بـشـمـالـي

والثعلبي رأى الـوجـوه بـجـهـده وحلا له في النقل وجه الـحـالـي

وعلى أبي الجود استغلـت ونـافـع علمي كثير عـاصـم مـتـوالـي"

ولحسني الأنسـاب يرويهـا عـن ال عدل الزكي بـصـحة الـنـقـال

فيراه للتـمـييز نـصـبـاً واجـبـاً ورفعت عنه الهجر من أفـعـالـي

ولي الخلافة في الملاح فلحظي الس فاح والمنـصـور فـي أقـوالـي

وعلى محلـي بـالـجـمـال رواية في راية نـشـرت لـيوم جــدال

ومدينة العلم السخاوي أصـبـحـت في راحتي فعـرفـت بـالـبـذال

قال الأوائل مـا رأينـا مـثـلــه غصن رطيب مـثـمـر بـهـلال

قد عمه الحسن الـغـريب وخـالـه ما في البرية مـنـه قـلـب خـال

فوصلت عشاقي فلام مـعـنـفـي فأجبتـه هـذا الـذي يبـقـى لـي

القوم أبنـاء الـسـبـيل وعـنـدنـا تعطى زكاة الحـسـن كـالأمـوال

قد طال ما نقلوا حديث محاسني فهم عدو لي صحة ورجالـي

هذي القصيدة بالأئمة قدري وفقت بها على أمثالـي
شرفـت
فكأنها العقد النظيم وهم در الثمين مكـلـلاً بـلآلـي
بـالـه

أمير المؤمنين الأمين

محمد بن هارون، أمير المؤمنين الأمين ابن أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي؛ كان ولي العهد بعد أبيه، وكان من أحسن الشباب صورة، أبيض طويلاً ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة وفصاحة وأدب وبلاغة، ولكنه كان سيء الرأي، كثير التبذير أرعن؛ عاش سبعاً وعشرين سنة، وآخر أمره خلع ثم أسر، وقتل صبراً في المحرم سنة تسع وتسعين ومائة، وطيف برأسه، لأنه في سنة خمس وتسعين خلع أخاه المأمون وعقد لعلي ابن عيسى بن ماهان على الجبال ونهاوند وقم وقاشان، وأمر له بمائتي دينار، وأعطى لجنده مالاً عظيماً، وفرق على أهل بغداد ثلاثة آلاف "ألف" درهم، وسارت العساكر لملتقى المأمون وعليهما ابن ماهان، فلقيهم طاهر بن الحسين من قبل المأمون، وهو في أقل من أربعة آلاف فارس، فكسرهم وقتل ابن ماهان. ولما وصل الخبر إلى الأمين قال: دعوني فإن كوثر الخادم صاد سمكتين وأنا "ما صدت" سمكة.

وقيل إن جيش ابن ماهان كان أربعين ألف فارس. وندم الأمين على خلع المأمون، ثم جهز عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في أربعين ألف فارس، فسار إلى همذان فلقيه طاهر فقتله وكسر جيشه بعد حروب عظيمة، وسار طاهر وقد خلت البلاد وتقدم إلى الأهواز، ثم تقدم ونزل بباب الأنبار، ثم سار وأحاط بمدينة المنصور، فخرج الأمين في حراقة هارباً، فلما سمع طاهر بذلك خرج إليه ورماه بالنشاب فانكفأت الحراقة وغرق الأمين ومن كان معه، فسبح حتى صار إلى بستان موسى، فعرفه محمد ابن حميد، فصاح بأصحابه، ثم أخذ برجله، وحمل على برذون إلى بين يدي طاهر فأمر بقتله وقطع رأسه ونصبه على حائط بستان، ونودي عليه: هذا رأس محمد المخلوع، ثم بعث به وبالبردة والقضيب والمصلى مع ابن عمه محمد بن المصعب إلى المأمون، وقال: قد بعثت إليك بالدنيا وهو رأس محمد الأمين وبالآخرة وهي البردة والقضيب، فأمر المأمون لمحمد بن مصعب بألف ألف درهم، ولما رأى رأس الأمين سجد.

وكان قتله سنة تسع وتسعين ومائة، وخلافته أربع سنين، وكان الرشيد يعرف بالفراسة ما يجري بن الأمين والمأمون، فكان ينشد:

محمد لا تبغض أخاك فـإنـه يعود عليك البغي إن كنت باغيا
فلا تعجلن فالدهر فيه إذا مال بالأقوام لم يبق بـاقـيا
كـفـاية

وفي الأمين يقول أبو الهول الحميري:

ملك أبوه وأمه مـن نـبـعة منها سراج الأمة الـوهـاج
شربوا بمكة في ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فـيه مـزاج

يريد أن أباه وأمه من هاشم.
ومن شعر الأمين:

ما يريد الناس من ص ب من يهوى كـئيب
كوثـر دينـي ودنـيا ي وسقمي وطبيبـي
أحمق الناس الذي يل حى محباً في حبيب

أمير المؤمنين المعتصم

محمد بن هارون، أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد؛ ولد سنة ثمانين ومائة، وأمه أم ولد اسمها ماردة، بويع بعد المأمون بعهد منه إليه في رابع عشر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين.
وكان أبيض أصهب اللحية طويلها ربع القامة، ذا شجاعة وقوة وهمة عالية؛ وكان يقال له "المثمن" لأنه ثامن خلفاء بني العباس، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء: بابك وباطيش ومازيار والأفشين وعجيف وقاروت وقائد الرافضة ورئيس الزنادقة. وخلف من الذهب ثمانية آلاف ألف دينار، ومن الدراهم مثلها، ومن الخيل ثمانين ألف فرس، وثمانية آلاف ملوك، وثمانية آلاف جارية، وبني ثمانية قصور.
وكان عرياً من العلم، كان معه ملوك يتعلم في الكتاب، فقال له أبوه: مات يا محمد غلامك، فقال: نعم واستراح من الكتاب، فقال له أبوه: إن كان الكتاب ليبلغ منك هذا، دعوه ولا تعلموه.
وغزا عمورية وفتحها وقتل ثلاثين ألفاً وسبى مثلهم. وكان من أهيب الخلفاء، وامتحن العلماء في القول بخلق القرآن. وقال أحمد بن أبي دواد: كان المعتصم يخرج يده إلي ويقول عض ساعدي بأكبر قوتك، فأقول: ما تطيب نفسي، فيقول: إنه لا يضرني، فأروم ذلك فإذا هو لا تعمل فيه الأسنان. وقبض يوماً على جندي أخذ ابناً لامرأة فأمره برده فأبى، فقبض عليه فسمعت صوت عظامه، ثم أطلقه فسقط، وكان ذلك في حياة المأمون. وجعل زند رجل بين إصبعيه فكسره.
وكان موته في شهور سنة سبع وعشرين ومائتين، وصلى عليه ابنه الواثق. ولكثرة عسكره وضيق بغداد عليه بني سامراً وانتقل إليها بعسكره، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومائتين، وعلق له خمسون ألف مخلاة، ولما احتضر قال: ذهبت الحيلة، ولم يزل يكررها حتى صمت؛ رحمه الله تعالى.
ومن شعره ما أورده ابن المرزبان في "المعجم":

قرب النحام واعجل يا غـلام واطرح السرج عليه واللجام
أعلم الأتراك أنـي خـائض لجة الموت فمن شاء أقـام

وقال:

لم يزل بابك حتـى صار للعالم عبـره
ركب الفيل ومن ير كب فيلاً فهو شهره

وقال في غلامه عجيب:

إني هويت عجيبـاً هوى أراه عجيبـا
طبيب ما بي من الح ب لا عدمت الطبيبا
الوجه منه كـبـدر والقد يحكي القضيبا

أمير المؤمنين المهتدي

محمد بن هارون أمير المؤمنين الخليفة الصالح المهتدي ابن الواثق المعتصم ابن الرشيد؛ ولد في خلافة جده سنة بضع عشرة ومائتين، وبويع له بالخلافة وله بضع وثلاثون سنة. وكان أسمر رقيقاً مليح الوجه، ورعاً متعبداً عادلاً قوياً في أمر الله، بطلاً شجاعاً، لكنه لم يجد ناصراً ولا معيناً على الخير.

وكان يلبس في الليل جبة صوف وكساء ويصلي فيهما، ويفطر في رمضان على خبز وملح وزيت وخل، ويقول: فكر بأنه كان في بني أمية عمر ابن عبد العزيز وكان من التقلل والتقشف على ما بلغنا فغرت على بني هاشم، وأخذت نفسي بذلك. وكان قد اطرح الملاهي وحرم الغناء وحسم أصحاب السلطان عن الظلم، وكان شديد "الإشراف" على الدواوين فخرجوا عليه الأتراك فحاربهم بنفسه، وجرح فأسروه وخلعوه وقتلوه سنة ست وخمسين ومائتين.

قال العمراني: إن الأتراك عصروا خصاه حتى مات وبايعوا أحمد بن المتوكل ولقبوه المعتمد على الله، وذلك في سادس عشر رجب سنة ست وخمسين، وكانت خلافة المهتدي سنة إلا خمسة عشرة يوماً.

جلس يوماً للمظالم فاستعداه رجل على ابن له، فأحضره وحكم عليه ورد الحق للرجل، فقال الرجل: أنت والله يا أمير المؤمنين كما قال الأعشى:

حكمتموه فقضى بينكـم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن الخاسـر

فقال المهتدي: أما أنت فجزاك الله خيراً، وأما أنا فإني والله ما جلست حتى قرأت قوله تعالى: "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها، وكفى بنا حاسبين" "الأنبياء: 47" قال الإسكافي: فما رأيت باكياً أكثر من ذلك اليوم.

ومدحه البحتري بقصيدة منها:

هجرت الملاهي خشية وتفردا بآيات ذكر الله يتلى حكيمهـا
وما تحسن الدنيا إذا هي لم تعن بآخرة حسناء يبقى نعيمـهـا

وخلف من الولد سبعة عشر ذكراً وست بنات، وأولاده أعيان أهل بغداد، وهم الخطباء بالجوامع والعدول ولم يبق ببغداد أكثر من ولده.

الخالدي الشاعر

محمد بن هاشم بن وعلة بن عثمان بن بلال الخالدي مضى ذكر أخيه سعيد في حرف السين ؛ كانا شاعرين اشتركا في كثير من الشعر ونسب إليهما معاً، وكلاهما من خواص سيف الدولة بن حمدان.

والخالدية:قرية من قرى الموصل.

توفي سنة ثمانين وثلثمائة تقريباً.

وكانا خزنة كتب سيف الدولة، وقد اختارا من الدواوين كثيراً، وجمعا مجاميع أدبية؛ ومن شعر محمد المذكور من أبيات:

وصبغ شقائق النعمان يحكي يواقيتاً نظمن على اقتـران
وأحياناً نشبهـها خـدوداً كستها الراح ثوباً أرجواني
شقائق مثل أقـداح مـلاء وخشخاش كفارغة القناني

وإما غازلتها الريح خلـنـا بها جيشي وغى يتقاتـلان
تخال به ثغوراً باسـمـات إذا ما أفتر نور الأقحوان
وآذريونه قـد شـبـهـوه بتشبيه صحيح في المعاني
بكأس من عقيق فيه مسك وهذا الحق أيد بالـبـيان

أبو الوليد ابن حزم

محمد بن يحيى بن حزم من شعراء "الذخيرة"؛ قال ابن بسام: أحلى الناس شعراً، لا سيما إذا عاتب أو عتب، وهو ابن عم الفقيه أبي محمد بن حزم، وكنتيه أبو الوليد. ومن شعره:

أتجزع من دمعي وأنت أسلتـه ومن نار أحشائي ومنك لهيبهـا
وتزعم أن النفس غيرك علقـت وأنت، ولا من عليك، حبيبـهـا
إذا طلعت شمس عليك بسـلـوة أثار الهوى بين الضلوع غروبها

ومن شعره من قصيدة:

والشمس ترمق من محاجر أرمد والظل يركض في النسيم الواني
والراح تأخذ من معاطـف أغـيد أخذ الصبا من عطف غصن البان
ملنا نؤمل غـير ذلـك مـنـزلاً والراح يقصر خطوه فـيدانـي
ثم اعتنقنا والوشـاة بـمـعـزل وقد التقت في جفنه سـنـتـان
والبدر يرميني بمـقـلة حـاسـد لو يستطيع لكان حـيث يرانـي

وله أيضاً:

وكم ليلة عاقرت في ظلها المنـى وقد طرفت من أعين الرقـبـاء
وفي ساعدي حلو الشمائل مترف لعوب بـيأسـي تـارة ورجـائي
أطارحه حلو العـتـاب وربـمـا تغاضب فاسترضيته بـبـكـائي
وفي لفظه الناس سورة الراح فترة تمت إلـى ألـحـاظـه بـولاء
وقد عابثته الراح حتى رمـت بـه لقى بين ثنـيي بـردتـي ورداني
على حاجة في النفس لو شئت نلتها ولكن حمتني عفـتـي وحـيائي

وقال أيضاً:

وكم ليلة بات الهوى ولا رقبة دون الأمانـي ولا

يستـفـزنـي ستـر
وفي ساعدي بدر على غصـن بـانة يود مكاني بـين لـبـاتـه الـبـدر
وفي لحظه كالسكر لا عـن مـدامة ولولا اعتراض الشك قلت هو السكر
فلم يك إلا ما أبـاح لـي الـتـقـى ولم يبقى إلا أن تحل لي الـخـمـر

وقال أيضاً:

كم ليلة ضمت عليه ساعـدي والمسك يأخذ منه ما يعطـيه
والبدر من حسد يجمجم قولـه ما ضر مجدك لو شركتك فيه

توفي بعد الخمسمائة، رحمه الله تعالى.

مجير الدين ابن تميم

محمد بن يعقوب بن علي، مجير الدين ابن تميم الإسعردي، وهو سبط فخر الدين ابن تميم؛ سكن حماة وخدم الملك المنصور، وكان جندياً محتشماً شجاعاً مطبوعاً كريم الأخلاق، بديع النظم رقيقه لطيف التخيل.

توفي بحماة سنة أربع وثمانين وستمائة.وهو في التضمين الذي عاناه في فضلاء المتأخرين آية، وفي صحة المعاني والذوق اللطيف غاية؛ لأنه يأخذ المعنى الأول ويحل تركيبه، وينقله بألفاظه إلى معنى ثاني، حتى كأنّ الناظم الأول إنما أراد به المعنى الثاني، وقد أكثر من ذلك حتى قال:

أطـالـع كـــل ديوان أراه ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه مـعـنـى فشعري نصفه من شعر غيريه

ومنه قوله يرثي قدحاً:

أيا قدحاً قد صدع الدهر شـمـلـه فأصبح بعد الراح قد جاور التربـا
سأبكيك في وقت الصبوح وإننـي سأكثر في وقت الغبوق لك الندبـا
وإن قطبت شمس المدام فحقـهـا "لأنك كنت الشرق للشمس والغربا"

ومنه:

أهديته قدحاً فإن أنصفـتـه أوسعته بجماله تـقـبـيلا
نظمت به الصهباء در حبابها "حتى تصير لرأسه إكلـيلا"

ومنه قوله:

لو أنك إذ شربناها كؤوسـاً ملئن من المدام الأرجواني
حسبت سقاتها دارت علينا "بأشربة وقفن بلا أوانـي"

ومنه قوله أيضاً:

إن كان راووق المدامة عندما تاب الأمير بكى بدمع قانـي

فاليوم ينشد وهو يبكي عند ما شرب المدامة من يد السلطان
"يا عين صار الدمع عندك عادة تبكين في فرح وفي أحـزان"

ومنه قوله:

قالوا فلان تولى نتف عـارضـه ليصبح الحسن عنه غير منتـقـل
فقلت سد طريق الشعر يعـجـزه "ومن يسد طريق العارض الهطل"

وقال يهجو كحالا:

دعوا الشمس الناس كحل العيون فكفه تسوق إلى الطرف الصحيح الدواهيا
فكم ذهبت مـن نـاظـر بـسـواده "وخلت بياضاً خلـفـهـا ومـآقـيا"

وقال أيضاً:

لو كنت في الحمام والحنا على أعطافه ولجـسـمـه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بـقـامة "سال النضار بها وقام الماء"

وقال في مليح كان عند خصي فانتقل إلى غيره:

يقول ويبدي للخصي اعـتـذاره برغبته في غيره واجتـنـابـه
رأيتك مخصياً فملت إلى الـذي "له فضلة عن جسمه في إهابه"

وقال في فوارة:

لقد نزهت عيني أنابـيب بـركة تقابلني أمواجها بالـعـجـائب
أنابيب لجت ف يعلو كـأنـمـا "تحاول ثأراً عند بعض الكواكب"

وقال في عوادة:

جاءت بعود كلما لعبـت بـه لعبت بي الأشجان والتبـريح
"غنت فجاوبها ولم يك قبلـهـا شجر الأراك مع الحمام ينوح"

وقال:

يا ليلة قصـرت بـزورة غـادة سفرت فأغنى وجهها عن بدرها
حتى إذا خافت هجوم صباحـهـا "نشرت ثلاث ذوائب من شعرها"

وقال أيضاً:

وأهيف مثل البدر غصن قوامه عليه قلوب العاشقين تـطـير

يدور عذاراه لتقـبـيل وجـنة "على مثلها كان الخصيب يدور"

وقال أيضاً:

ولم أنس قول الورد والنار قد سطت عليه فأمسـى دمـعـه يتـحـدر

"ترفق فما هذي دموعي التي ترى ولكنها روحي تذوب فتـقـطـر"

وقال في جارية تحمل فانوساً:

يقول لها الفانوس لمـا بـدت لـه وفي قلبه نار من الوجد تسـعـر

خذي بيدي ثم اكشفي الثوب وانظري ضنى جسدي لكننـي أتـسـتـر"

وقال في مليح يشرب من بركة:

أفدي الذي أهوى بفيه شـاربـاً من بركة راقت وطابت مشرعاً

أبدت لعيني وجهـه وخـيالـه "فأرتني القمرين في وقت معا"

وقال أيضاً:

طوبى لمرآة الحبيب فإنـهـا حملت براحة غصن بان أينعا

"واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معاً"

وقال أيضاً:

وليلة بت أسقى في غياهـبـهـا راحاً تسل شبابي من يد الـهـرم

ما زلت أشربها حتى نظرت إلـى غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقال أيضاً:

ألا رب يوم قد تقضى بـبـركة أقمت به فيما جرى متفـكـرا

بعيني رأيت الماء فيها وقد هوى على رأسه من شاهق فتكسرا

وقال أيضاً:

تأمل إلى الدولاب والنهر إذ جرى ودمعهم بين الـرياض غـزير

كأن نسيم الروض قد ضاع منهما فأصبـح ذا يبـكـي وذاك يدور

وقال أيضاً:

ونهر حالف الأهواء حـتـى غدا طوعاً لها في كل أمـر

إذا سرقت حلى الأغصان ألقت إليه بها فيأخـذهـا ويجـري

وقال أيضاً:

لم أنس قول الورد حين جـنـيتـه ودموعه خوف الحـريق تـراق
لا تعجلوا في أخذ روحي واصبروا "فإليكم هـذا الـحـديث يسـاق"

وقال أيضاً:

سيقت إليك من الحـديقة وردة وافتك قبل أوانها تـطـفـيلا
طمعت بلثمك إذ رأتك فجمعت "فمها إليك كطالب تقـبـيلا"

وقال أيضاً:

كيف السبيل للثم من أحببـتـه في روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور وناضر نرجـس مع أقحوان وصفـه لا يدرك
هذا يشير بإصبـع وعـيون ذا ترنو إليه وثغر هذا يضحـك

وقال أيضاً:

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها فنادت عليه في الرياض طـيور
ودولابها كادت تعد ضـلـوعـه لكثرة ما يبـكـي بـهـا ويدور

وقال أيضاً:

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى في موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى أنابيت القنـاة عـلـى يدي تجري دماً من تحت ظل القسطل

وقال أيضاً:

راقبت غفوة من أحب ولم أكن أدري بأن الريح من رقبـائه
حتى هممت بأن أقبـل خـده هبت وغطت وجهه بقـبـائه

وقال في بستانه:

لي بستـان كـبـير نجده أصبح غـورا
دارت الأيام حتـى كبشه قد صار ثورا

وقال أيضاً:

زار الحمى فتعطرت أنفاسه شغفاً بمن تصبو إليه الأنفس
وأحب رؤيته فأنبت نرجساً إن الرياض عيونهن النرجس

وقال أيضاً:

قالوا رأيناك كل وقت تهيم بالشرب والغناء
فقلت إني فتى قنوع أعيش بالماء والهواء

وقال أيضاً:

لو كان فيض الدمع يرجع من نأى عني بكيت بسـائر الأعـضـاء
قلبي له قبـر وتـلـك عـجـيبة أن تقبر الأموات فـي

الأحـياء

وقال وقد اجتاز ليلة بدرا بعض أصحابه معه شمعة فطفئت، وأوقدها من داره:

يا أيها المولى الشريف ومـن لـه — فضل يفوق به على أهـل الأدب

لما أزرتك شمعتي لـتـنـيرهـا — جاءت تحدث عن سراجك بالعجب

وافته حاسرة فـقـبـل رأسـهـا — وأعادها نحوي بتاج مـن ذهـب

وقال أيضاً:

إن تاه ثغر الأقاحي في تشبهه — بثغر حبي واستولى به الطرب

فقل له عندما يحكيه مبتسـمـاً — "لقد حكيت ولكن فاتك الشنب"

وقال في مليح يطيل حمل الكأس:

قالوا الذي تهواه يحبس كاسـه — في كفه من غير ذنب موجب

فأجبتهم كفوا المـلام فـإنـه — قمر ينزه طرفه في كوكـب

وقال أيضاً:

تركت بمصر يوسفاً وهو أمـرد — وقلت لخل قاصد مصر يا فتى

لك الحمد بالرحمن عرج لتخبرني عن نمل خديه هل بيوسف — أتى

وقال يافخر بني السماء والأرض:

يا جاعل الأفق مـثـل الأرض حـجـتـه — بالشمس إذ بزغت والبـدر حـين وضـح

كم من شمـوس وأقـمـار إذا سـرحـت — في الأرض طرت إلـيهـا خـفة وفـرح

فلا تـقـل قـزح فـي الـجـو زينــه — في كل غصن ترى في الأرض قوس قزح

وقال في مليح ينظر في المرآة:

وأهيف ظل بالمرآة مغرى — يواظب رؤية الوجه المليح

يقول طلبت معشوقاً جميلاً — فلما لم أجده عشقت روحي

وقال في رثاء مليح:

وكم ساعدتني مذ دفنت قـوامـه — حمامة أيك بالـغـرام تـبـوح

فكنت وإياها لأجـل قـوامـه — كلانا على الغصن الرطيب ينوح

وقال يهجو:

أنت بين اثنتين يا نـجـل داو — د وكلتاهما مقر الـسـيـاده

ليس تنفك راكباً أير عـبـد مسبطراً أو حاملاً خف غاده
أي ماء لحر وجهك يبـقـى بين ذلك البغا وذل القـياده?

وقال أيضاً:

لمن أبوح بشعري حين أنظمـه أم من أخص بما فيه من الزبـد
أما جهول فلا يدري مواقـعـه أو فاض فهو لا يخلوا من الحسد

وقال أيضاً:

حاذر أصابع من ظلمت فإنـه يدعو بقلب في الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه في جمر الغضا إلا الدعا بأصابع المـنـثـور

وقال أيضاً:

رعى الله وادي النيربين فـإنـنـي قطعت به يوماً لذيذاً من العـمـر
درى أنني قد جئتـه مـتـنـزهـاً فمد لأقدامي بساطاً من الـزهـر
وأخدمني الماء الزلال فحيثمـا ال تفت رأيت الماء في خدمتي يجري

وقال أيضاً:

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس ال مزور قـال وقـولـه لا يدفـع
فتح عيونك في سـواي فـإنـمـا عندي قبالة كـل عـين إصـبـع

وقل:

ومدامة كـاسـاتـهـا تعطي المان من الزمان
قد أحكمت علم النـجـو م وأتقنت سحر البـيان
فإذا حساها الشـاربـو ن وأوقعتهم في الأماني
بدأت بإخراج الضـم ير وبعده عقد اللسان

التلعفري الشاعر

محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الأديب البارع شهاب الدين الشيباني التلعفري، الشاعر المشهور؛ ولد بالموصل سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، واشتغل بالأدب، ومدح الملوك والأعيان، وكان خليعاً معاشراً امتحن بالقمار، وكلما أعطاه الملك الأشرف شيئاً قامر به، فطرده إلى حلب، فمدح العزيز فأحسن إليه وقرر له رسوماً، فسلك معه ذلك المسلك، فنودي في حلب: أي من قامر مع الشهاب التلعفري قطعت يده، فضاقت عليه الأرض فجاء إلى دمشق. ولم يزل يستجدي ويقامر حتى بقي في أتون حمام، وفي الآخر نادم صاحب حماة. توفي سنة خمس وسبعين وستمائة.

ومن شعره:

أقلعت إلا عن العـقـار وتبت إلا من القـمـار

فالكاس والفص ليس يخلو منهم يميني ولا يساري

وقال الشيخ شهاب الدين ابن غانم رحمه الله تعالى: أنشدني التلعفري لنفسه:

جريت بحمراء الكميت إلى الشقرا مقر الهوى حسناً وأعرضت عن مقرى

ولم أخل بالخلخال من كأسها يدي وأثبت في تاريخ ما سرني سطار

وأبصرت ما بين الميادين سائلاً فلم أر إلا أن أقابله نهرا

ولا سيما والروض من حوله له بساط وقد مد النسيم له نشرا

فلله أيام تولت بجانبي يزيد فقد كانت ببهجتها العمرا

وما كان مقصودي يزيد وبرده ولكن قصدي كان أن أنظر الزهرا

وقال أيضاً:

أيطرق في الدجى منكم خيال وطرفي ساهر? هذا محال

سقت أيامنا بأراك حزوي وهاتيك الربى سحب ثقال

منازل للصبا ما زال شملي له فيها بمن أهوى اتصال

دموعي بعدها دال وميم على خدي له ميم ودال

وقال من أبيات:

وإذا الثنية أشرقت وشممت من أرجائها أرجاً كنشر عبير

سل هضبها المنصوب أين حديثه ال مرفوع عن ذيل الصبا المجرور

وقال أيضاً:

حتام أرفل في هواك وتغفل وإلام أهزل من جفاك وتهزل

يا مضرماً في مهجتي بصدوده حرقاً يكاد لهن يذبل يذبل

القلب دل عليك أنك في الدجى قمر السماء لأنه لك منزل

هب أن خدك قد أصيب بعارض ما بال صدغك راح وهو مسلسل

قسماً بحاجبك الذي لم ينعقد إلا أراني السبي وهو محلل

وبماء ثغرك من سلافة ريقة عذبت فقيل هي الرحيق السلسل

لولا مقبلك المنظم عقده ما بات من يهواك وهو

مقـبـل

حزني وحزنك إن لغا من لامنـي ونحوت هجري مجمل ومفصل

لو كنت في شرع المحبة عـادلاً يا ظالمي ما كنت عني تـعـدل

يا آمري من نصحـه بـسـلـوه إن السلو كما تقـول لأجـمـل

لكن يعز خلاص قلـب مـتـيم تركته أيدي الهجر وهو مبلبـل

هيهات كلا لا نجاة لـمـن غـدا من جسمه في كل عضو مقتـل

وقال أيضاً:

أرأيت غيرك يا حـياة الأنـفـس من يحرس الورد الجني بنرجس

أم هل سمعت بشمس أفق أشرقت من قبل وجهك في ظلام الحندس

يا من يدير بمقلتيه ووجـنـتـي ه وراحتيه لنـا ثـلاثة أكـؤس

ما زاغ عن نهج الصواب مشبـه منك الجبين بشمعة في المجلـس

أنسيت ليلتنا وقد أخذ السكـري بزمام هاتيك العيون الـنـعـس

إذ قلت أين الراح قلت مغالـطـاً يغنيك عنها رشف ثغري الألعس

فضممت منك إلي عصناً لم يكـن دون الغلائل بالحمائل مكتـسـي

يا حسنها من ليلة مـا شـانـهـا إلا تبلج صبحها المـتـنـفـس

فوقت للرقباء فيهـا أسـهـمـاً من مقلتيك لها حواجبك القسـي

"ما كنت أطمع قبلها في مثلـهـا فأعدتني من مثلـهـا لـم أيأس"

وقال رحمه الله تعالى:

تولهي بك شيء عنـك غـير خـفـي فراقب الله في الهجران لـي وخـف

واعدل عن الظلم واعدل في النفوس ولا تجر على المستهام المغـرم الـدنـف

يا رائشاً أسهماً من لـحـظ نـاظـره فوق فغير فؤادي لـيس مـن هـدف

سبحان معطيك خصراً غير مختصـر لي في العذاب وعطفاً غير منعطـف

إذا شكوت لترثي لـي وتـرحـم مـا تراه من جسمي المضنى ومن كلفـي
يردني آيساً مـن ذاك عـارضـك ال لامي والمنثني مـن قـدك الألـفـي
أحبابنا بنواحي الغـوطـتـين سـقـى ربوعكم وابل من أدمـعـي الـذرف
قد كنت قبل النوى أشكو الصدود فـوا لهفي على الصد يومي ذا ويا أسفـي
ملاعب كم بهـا مـن شـادن غـنـج حلو الشمائل معسول اللـمـى تـرف
محجب بالتـجـنـي والـدلال رخـي م اللفظ أحور مطبوع على صـلـف
بخده كل مـا بـالـورد مـن ضـرج وقده كل ما بـالـبـان مـن هـيف

وقال أيضاً:

يذكرني برق الحمى الـمـتـألـق زماناً تولى بالحمى وهـو مـونـق
ويرتاح قلبي للـنـسـيم إذا سـرى ويطربني ذاك الحمام الـمـطـوق
سقى بانة الجرعاء إن أخلف الحـيا وضن حياً من عبـرتـي يتـدفـق
ولا حاد عن تلك المعاطـف صـيب من المزن أو من مقلة الصب مغدق
منازل تصبينـي إلـيهـا نـسـيمة لها أرج أرجاؤها منـه تـعـبـق
عدمت عذولي كم يعنف في الهـوى حليف غرام نال منـه الـتـشـوق
إذا لامني أنـشـدتـه مـتـمـثـلاً "بودي لو يهوى العذول ويعـشـق"
كلفت بأحوى من بني الترك أحـور له غصن قـد بـالـذوائب مـورق
رشيق التثني والمعاطف ألعـس ال مراشف يصمي طرفه حين يرمـق
حمى بحسام اللحـظ خـداً مـورداً غدت عنه أكمام الشقيق تـشـقـق
له ناظر في ضمنـه وهـو أسـود عدو لأربـاب الـصـبـابة أزرق

وقال أيضاً:

ألم بي طيفه إلـمـام مـخـتـلـس فأشرقت بسناه ظلـمة الـغـلـس

جلا على بعده لي منه بـدر دجـى على قضيب بغير الدل لـم يمـس
طيف غنيت به عـن شـيم بـارقة وعن تلقي صباً مسكية الـنـفـس
أراحني من مـواعـيد مـزخـرفة أجريت منهن آمالي عـلـى يبـس
فبت في نـعـمة لـلـيل سـابـغة ممتعاً باللمى والثغـر والـلـعـس
أردد الطرف في خـد نـضـارتـه وقف على مستق منها ومقتـبـس
خد متى قلت إن الـورد يشـبـهـه قل الجمـال تـأمـل ذا وذا وقـس
شققت أكمام صون عن شـقـائقـه بالرغم من نرجس في الأعين النعس
فيا لها زورة ما كان لـي طـمـع فيها لعلمي بخلق الزائر الـشـرس
بات الغرام بهـا فـي مـأتـم وأنـا بمنة عظمت للطيف فـي عـرس
وافى بمن لم أخل أنـي أفـوز بـه لما على طرفه دوني من الحـرس

فلا عدمت الكرى من محسن أخذ الأيمان بالأنس لي من إلي يسي وقال من أبيات، رحمه الله تعالى:

في ثغره والقوام اللدن ألف غـنـى عن أبرق الحزن بل عن بانة الوادي
سبحان مطلع بدر التم منـه عـلـى غصن رطيب من الأغصـان مـياد
سكرت من نشوة في مقلتيه صـحـا منها وزاد ضلالي وجهه الـهـادي
ما ضرني ما أقاسي فيه من سـقـم ومن ضنى لو غدا من بعض عوادي

وقال أيضاً:

أي دمع من الجفون أسـالـه إذ أتته مع النسيم رسـالـه
حملته الرياض أسرار عرف أودعتها السحائب الهطالـه
يا خليلي وللخلـيل حـقـوق واجبات الداء في كل حالـه
سل عقيق الحمى وقل إذ تراه خالياً من ظبائه المختـالـه
أين تلك المراشـف الـعـلـيا ت وتلك المعاطف العسـالـه
ولـيال قـضـيتـهـا كـلآل بغزال تغار منـه الـغـزالة
بابلي اللـحـاظ والـريق الأل فاظ كل مدامة سـلـسـالـه
ونقي الجبين والخـد والـثـغ ر فطوبى لمن حسا جريالـه

وطويل الصدود والشعر والمط ... ل ومن لي بأن يديم مطالـه
من بني لاترك كلا جذب القـو ... س رأينا في وسطه بدر هاله
يقع الوهم حين يرمي فلا نـد ... ري يداه أم عينه النـبالـه
قلت لما لوى ديون وصالـي ... وهو مثر وقادر لا محالـه
بيننا الشرع قال سر بي فعندي ... من صفاتي لكل دعوى دلالـه
وشهودي من خال خدي ومن قد ... ي شهود معروفة بالعـدالـه
أنا وكلت مقلتي في دما الخـل ... ق فقالت قبلت هذي الوكالـه

وكتب إليه الأديب شهاب الدين العزازي بهذه الموشحة يمدحه بها:

بات طرفي يتشـكـى الأرقـا ... وتوالت أدمعي لا تـرتـقـي
ليت أيامي ببـانـات الـلـوى ... غفلت عنها لويلات الـنـوى
عاذلاتي باعتلاقي بـالـهـوى ... كيف سلواني وقلبي والجـوى
أقسما في الحب لن يفتـرقـا ... وجفوني أقسمت لا تلتـقـي
ولقد همت بذي قـد نـضـر ... قامة البانة منه تـنـهـصـر
ذي رضاب بارد اللظم خصـر ... في فؤادي منه نار تستـعـر
رشأ قلبي بـه قـد عـلـقـا ... جل من صوره مـن عـلـق
سال من سالفه المسـك فـنـم ... وشذا المسك أبى أن يكتـتـم
"أحور صحح عينيه السـقـم" ... مذ تبدي وتـثـغ وابـتـسـم
خلته بدراً على غصـن نـقـا ... باسماً عن أنفس الدر نـقـي
ساد بالدل وفـرط الـخـفـر ... سانحات الظبيات الـعـفـر
مثل ما فاق فتى التلعـفـري ... قالة الشعر بوشي الـحـبـر
أريحي خص لمـا خـلـقـا ... بسخا النفس وحسن الخـلـق
شيمة أصفى من الراح الشمول ... همة أوفت على العلياء طول
نبعة جرت على النجم الـذيول ... دوحة طابت فروعاً وأصـول
سح جوداً فـي ذراهـا ورقـا ... فكساهـا يانـعـات الـورق
شاعر فاق فحول الـشـعـرا ... بقواف مثل أطراف الكـرى
باسمات تجتلي منهـا الـورى ... يغراً يبـسـم أو زهـراً يرى
كلما لاح سناهـا مـشـرقـا ... سجد الغرب لنور المـشـرق
أيها الموفي على عهد الزمـن ... كرماً محضً وفضلاًومنـن

جاءك الخادم من غير ثـمـن جالب الوشي لصنعاء اليمـن
فاستمعها زادك اللـه بـقـا مدحة لم يحكها إبـن بـقـي

فأجابه شهاب الدين التلعفري رحمهما الله:

ليس يروي ما بقلبي مـن ظـمـا غير بـرق لائح مـن إضـــم
إن تـبـدي لـك بـان الأجــرع وأثيلات النـقـا مـن لـعـلـع
يا خليلي قف على الـدار مـعـي وتأمل كم بـهـا مـن مـصـرع
واحترز واحذر فأحـداق الـدمـى كم أراقت فـي ربـاهـا مـن دم
حظ قلبي فـي الـغـرام الـولـه فعـذولـي فـيه مـا لـي ولـه
حسبـي الـلـيل فـمـا أطـولـه لم يزل آخـــره أولـــــه
البيت في هوى أهيف ريقه كم قـد شـفـى مـن معسول اللمى ألـم
سائلي عن أحـمـد مـمـا حـوى من خـلال هـي لـلـــداء دوا
ما سـواه وهـو يا صـاح سـوى نار من كـل فـن مـا انـطـوى
بحر آداب وفـضـل قـد طـمـا فاخش مـن آذيه الـمـلـتـطـم
العزازي الـشـهـاب الـثـاقـب شكره فـرض عـلـيـنـا واجـب
فهو إذ تبلوه نـعـم الـصـاحـب سهمـه فـي كـل فـن صـائب
جائل في حلبة الفضل كـمـا جال في يوم الوغى شهم كمي
شاعر أبـدع فـي أشـعـاره ومتى أنكرت قـولـي بـاره
لو جرى مهيار في مضمـاره والخوارزمـي فـي آثـاره
قلت عودا وارجعا من أنتـمـا ذا امرؤ القيس إليه ينتـمـي

وكان بالقاهرة قد عشق صبياً يلقب بالنجم، فسافر، ووجد عليه حزن، فكتب إليه عز الدين ابن أمسينا بهذه الأبيات يسأله عن حالة ويسليه:

يا خليلي حد ثـانـي بـعـلـم كيف حال الشهاب بعد النجـم
واقصصا لي حديثه فلقـد قـل اصطباري وزاد فكري وهمي
فمن المستحيل بعـد رواح ال روح عند الورى بقاء الجسـم
ثم قـولا لـه مـقـال أخ ب ر شفيق بغـير ظـن ووهـم
يا شهاباً أنوار بهجته الـغـرا ء تجلو عنا دياحي الـظـلـم

إن ناءى فلال فـلا مـن الإل مام شوقاً من الديار بـرسـم
واصرف الهم عن فؤادك إن أم كن تصريفـه بـإبـنة كـرم

فأجابه الشهاب التلعفري:

بأبي أنت يا خليلـي وأمـتـي أنت قوسي إذا رميت وسهمي
أنت والله لي حـسـام جـراز فيه للنائبات أعـظـم حـسـم
كيف أخشى ذل ولي منك عـز ما ترقت إلـيه هـمة نـجـم
نظمت فيك للمعالـي عـقـود معجزات جميع نثري ونظمي
سيدي ما يطيق عبدك يشـكـو ما يقاسي الناس فرط وجد وغم
مذ تولى نجمي علمت بـأنـي هابط في جميع أمري ونجمي
الليالي عندي ظـلام وظـلـم بعد ذاك اللمى وذاك الظـلـم
جملة المر أن لـي بـعـده دم عاً كجدواك في انسكاب وسجم

وقال:

ما لي ولمصر لا سقاها ربي غيثاً غدقاً من ساريات السحب
بالروح دخلتها وبالقلـب فـلا بالروح خرجت لا ولا بالقلب

## أثير الدين أبو حيان

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الشيخ الإمام الحافظ العلامة فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة، أثير الدين أبو حيان الغرناطي؛ قرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية وثغر الإسكندرية وبلاد مصر والحجاز، وحصل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك، واجتهد وطلب وحصل وكتب، وله إقبال على الطبلة الأذكياء وعنده تعظيم لهم. نظم ونثر، وله الموشحات البديعة، وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله، عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم وتقييد أسمائهم، خصوصاً المغاربة، على ما يتلفظون به من إمالة وترخيم وترقيق وتفخيم، وهو الذي جسر الناس على مصنفات جمال الدين ابن مالك ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض بهم لججها وفتح لهم مقفلها، والتزم أن لا يقريء أحداً إلا أن كان في سيبيويه أو "التسهيل" لابن مالك أو في مصنفاته. ولما قدم من البلاد لازم الشيخ بهاء الدين ابن النحاس رحمه الله تعالى وأخذ عنه كتب الأدب.

وكان حسن العمة مليح الوجه، ظاهر اللون مشرباً بحمرة منور الشيبة؛ مولده بغرناطة في شهور سنة أرب وخمسين وستمائة، وتوفي بالديار المصرية في أوائل سنة خمس وأربعين وسبعمائة، رحمه الله تعالى.

ومن نظمه:

سبق الدمع بالمسيل المـطـايا إذ نوى من أحب عني نقلـه
وأجاد السطور في صفحة الخد ولم لا يجيد وهو ابن مقلـه?

وقال أيضاً:

يقول لي العذول ولم أطعه تسل فقد بدا للحب لحـيه
تخيل أنها شانت حبـيبـي وعندي أنها زين وحلـيه

وقال أيضاً:

شوقي لذاك المحيا الزاهر الـزاهـي شوق شديد وجسمي الواهن الواهـي
أسهرت طرفي ودلهت الفؤاد هـوى والطرف والقلب مني الساهر الساهي
نهب قلبي وتنهـى أن يبـوح بـمـا يلقاه وأشوقه للنـاهـب الـنـاهـي
لهجت بالحب لما أن لـهـوت بـه عن كل شيء فويح اللاهج اللاهي

وقال أيضاً:

راض حبيبي عارض قد بدا يا حسنه من عارض رائض
وظن قوم أن قلـبـي سـلا والأصل لا يعتد بالعـارض

وقال أيضاً:

تعشقتـه شـيخـاً كـأن مـشـيبـه على وجنتيه ياسـمـين عـلـى ورد
أخا الفضل يدري ما يراد من النهـي أمنت عليه من رقـيب ومـن ضـد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى لسود اللحى ناس وناس إلى الـمـرد
ألا إنني لو كنـت أصـبـو لـمـرد صبوت إلى هيفـاء مـائسة الـقـد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشـاركـاً فأحببت أن أبقى بأبيضـهـم وحـدي

وقال في مليح أحدب:

تعشقته أحدبـاً كـيسـاً يحاكي نجيباً حنين اليغام
إذا كدت أسقط من فوقه تعلقت من ظهره بالسنام

وقال أيضاً:

عداتي لهم فضل علـي ومـنة فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتـهـا وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وقال أيضاً:

رجاؤك فلساً قد غاد في قنيصاً رجاء للنتاج من

حبائلي العقم
أأتعب في تحصيله وأضيعه إذاً كنت معتاضاً من البرء بالسقم

وقال في مليح فحام:

وعلقته مسود عين ووقرة وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصد
كأن خطوط الفحم في وجناته لطاخة مسك في جني من الورد

وقال موشحة:

إن كان ليل داج وخاننا الإصباح
فنورها الوهاج يغني عن المصباح
سلافة تبدو كالكوكب الأزهر
مزاجها شهد وعرفها عنبر
يا حبذا الورد منها وإن أسكر
قلبي بها قد هاج فما تراني صاح
عن ذلك المنهاج وعن هوى يا صاح
وبي رشا أهيف قد لج في بعدي
بدر فلا يخسف منه سنا الخد
بلحظه المرهف يسطو على الأسد
كسطوة الحجاج في الناس والسفاح
فما ترى من ناج من لحظه السفاح
علل بالمسك قلبي رشاً أحور
منعم المسك ذو مبسم أعطر
رياه كالمسك وريقه سكر
غصن على رجراج طاعت له الأرواح
فحبذا الآراج إن هبت الأرواح
مهلاً أبا القاسم على أبي حيان
ما إن له عاصم من لحظك الفتان
وهجرك الدائم قد طال بالهيمان
فدمعه أمواج وسره قد لاح
لكنه ما عاج ولا أطاع اللاح
يا رب ذي بهتان يعذل في الراح
وفي هوى الغزلان دافعت بالراح
وقلت لا سلوان عن ذاك يا لاحي
سبع الوجوه والتاج عن ذاك يا لاحي
فاختر لي يا زجاج قمصال وزوج أقداح

وقال يعارض موشح ابن العفيف التلمساني رحمهما الله تعالى:

عاذلي في الأهيف الأنس لو رآه كان قد عذرا
رشأ قد زانه الحور غصن من فوقه قمر

قمر من سحبه الشعـر ثغر فـي فـيه أم درر
جال بين الدر واللعـس خمرة من ذاقها سكـرا
رجة بالردف أم كسـل ريقة بالثغر أم عـسـل
وردة بالخد أم خـجـل "كحل بالعين أم كحـل"
يا لها من أعين نـعـس جلبت للناظر السهـرا
مذ نأى عن مقلتي سنـي ما أذيقا لـذة الـوسـن
طال ما ألقاه من شجني عجباً ضدان في بدنـي
بفؤادي جذوة الـقـبـس وبعيني الماء منفـجـرا
قد أتاني اللـه بـالـفـرج إذ دنا مني أبو الـفـرج
قمر قد حل بـالـمـهـج كيف لا يخشى من الوهج
غيره لو صابه نـفـسـي ظنه مـن حـره شـرراً
نصب العينين لي شـركـا فانثنى والقلب قد ملـكـا
أنت جيت من أرض اندلس نحو مصر تعشق القمرا?

والموشحة التي لشمس الدين محمد بن العفيف التلمساني في هذا الوزن وهي:

قمر يجلو دجى الـغـلـس بهر الأبصار مذ ظـهـرا
آمن من شبهة الـكـلـف ذبت في حبيه بالـكـلـف
لم يزل يسعى إلى تـلـف بركاب الدل والصـلـف
آه لولا أعـين الـحـرس نلت منه الوصل مقتـدرا
يا أمـيراً جـار مـذ ولـيا كيف لا ترثي لمن بـلـيا
فبثغر مـنـك قـد جـلـيا قد حلا طعماً وقد حـلـيا
وبما أوتـيت مـن كـيس جد فما أبقيت مصطـبـرا
بدر تم في الجمال سـنـي ولهذا لـقـبـوه سـنـي
قد سباني لـذة الـوسـن بمحـيا بـاهـر حـسـن
هو خشفي وهو مفترسـي فارو عن أعجوبتي خبـرا
لك خـد يا أبـا الـفـرج زين بالتورد والـضـرج
وحـديث عـاطـر الأرج كم سبى قلباً بـلا حـرج
لو رآك الغصن لـم يمـس أو رآك البدر لاسـتـتـرا
يا مذيباً مهجـتـي كـمـدا فت في الحسن البدور مدى
يا كحيلاً كحله اعـتـمـدا عجباً أن تبريء الـرمـدا
وبسقم الناظـرين كـسـي جفنك السحار فانكـسـرا

ومدحه محيي الدين ابن عبد الظاهر بقوله:

قد قيل لما الناس سمعت مباحثاً في الذات قررها أجل مقـيد
هذا أبو حيان قلت صدقـتـم وبررتم هذا هو التـوحـيدي

وأما ما صنفه فهو: "البحر المحيط" في تفسير القرآن العظيم. "إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب". "كتاب الأسفار الملخص من كتاب الصفار". "شرح سيبويه". "كتاب التجريد لأحكام سيبويه". "كتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل". "كتاب التنخيل من شرح التسهيل".

كتاب "التذكرة". كتاب "المبدع في التصريف". كتاب "الموفور". كتاب "التقريب". كتاب "التدريب". كتاب "غاية الإحسان". كتاب "النكت الحسان". كتاب "الشذا في مسألة كذا". كتاب "الفصل في أحكام الفصل". كتاب "اللمحة". كتاب "الشذرة". كتاب "الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء"، كتاب "عقد اللآلي". كتاب "نكت الأمالي". كتاب "النافع في قراءة نافع". "الأثير في قراءة ابن كثير". "المورد الغمر في قراءة أبي عمرو". "الروض الباسم في قراءة عاصم". "المزن الغامر في قراءة ابن عامر". "الرمزة في قراءة حمزة". "النائي في قراءة الكسائي". "النير الجلي في قراءة زيد بن علي". "الوهاج في اختصار المنهاج". "النور الأجلى في اختصار المحلى". "الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية"ز "الإعلام بأركان الإسلام". "نثر الدرر ونظم الزهر". "قطر الحبي في جواب أسولة الذهبي". "نوافث السحر في دمائث الشعر". "تحفة الندس في نحاة الأندلس". "الأبيات الوافية البيت علم القافية"."مشيخة ابن أبي المنصور". "الإدراك للسان الأترك". "زهو الملك فينحو الترك". "نفحة المسك في سيرة الترك". "الأفعال في لسان الأتراك". "منطق الخرس في لسان الفرس". ومما ليم يكمل تصنيفه: كتاب "مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد". "منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك". نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب" رجز. "مجاني الهصر في شعراء العصر". "المخبور في لسان اليحمور". رحمه الله تعالى.

محمود الوراق

محمود بن الحسن الوراق؛ أكثر شعره في المواعظ والحكم، روى عنه ابن أبي الدنيا، وتوفي في خلافة المعتصم في حدود الثلاثين والمائتين.

ومن شعره:

ما إن بكيت زماناً إلا بكيت عليه
ولا ذممت صديقاً إلا رجعت إليه

وقال:

وما صاحب السبعين والعشر بعدها بأقرب ممن حنكته القابل
ولكن آمالاً يؤملها الفتى وفيهن للراجين حق وباطل

وقال أيضاً:

يا ناظراً يرنو بعيني راقد ومشاهداً للأمر غير مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدماً منها إلىالدنيا بذنب واحد

وقال أيضاً:

أليس عجيباً بأن الفتى يصاب بنقص الذي في يديه
فمن بين باك له موجع وبين معز معز إليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب فليس يعزيه خلق عليه

وقال أيضاً:

سقـياً لأيام خـلــت وكأن أوجهـا رياض
أيام يحيينـا الـهـوى وتميتنا الحدق المراض

وقال أيضاً:

أي جهل يكون أبـين مـن جـه ل أراني أضحي عليه وأمسـي
أبغض الناس إن ظننت على الظن وأنسى اليقين من علم نفـسـي

وقال أيضاً:

إذا أعطاك قتر حين يعطـي وإن لم يعط قال أبى القضاء
يبخل ربه سفهاً وظـلـمـاً ويعذر نفسه فـيمـا يشـاء

وقـــال أيضـــاً:

الدهر لا يبقى على حالة لكـنـه يقـبـل أو يدبـر
فإن تلقاك بـمـكـروهـه فاصبر فإن الدهر لا يصبر

وقال أيضاً:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بـديع
لو كان حبك صادقاً لأطعتـه إن المحب لمن يحب مطيع

وقال أيضاً:

دار الصديق إذا استشاط تغضباً فالغيظ يخرج كامن الأحقـاد
ولربما كان التغضب باحـثـاً لمثـالـب الآبـاء والأجـداد

وقال أيضاً:

تعز بحسن الصبر عن كل هالـك ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم
إذا أنت لم تسل اصطباراً وحسـبة سلوت على الأيام مثل البـهـائم

وقال أيضاً:

لبست صورف الدهر كهلاً وناشئاً وجربت حاليه على العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيراً من الغنـى ولم أر بعد الكفر شراً من الفقـر

وقال أيضاً:

أيا رب قد أحسنت عـوداً وبـدأة إلي فلم ينهض بإحسانك الشكـر
فمن كان ذا عذر لـديك وحـجة فعذري إقراري بأن ليس لي عذر

شهاب الدين محمود

محمود بن سلمان بن فهد، الإمام العلامة البارع البليغ الكاتب الحافظ، شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي الدمشقي الحنبلي؛ ولد بدمشق سنة أربع وأربعين وستمائة، وتوفي في شهور سنة خمس وعشرين وسبعمائة. كتب المنسوب ونسخ الكثير، وتفقه على ابن المنجا وغيره، وتأدب على ابن

مالك، ولازم الشيخ مجد الدين ابن الظهير وسلك طريقته في النظم وأربى عليه، وحذا حذوه في الكتابة. ونقله الوزير شمس الدين بن السلعوس إلى مصر، وتقدم ببلاغته وبديع كتابته وإنشائه وسكونه وتواضعه؛ وأقام بالديار المصرية إلى توفي القاضي شرف الدين بن فضل الله، فجهز إلى دمشق صاحب ديوان إنشائها، فأقام على المنصب ثمانية أعوام، وتوفي رحمه الله تعالى، وصلى عليه الأمير سيف الدين تنكز، ودفن في تربته بسفح قاسيون، وله من التصانيف: "مقامة العشاق"، وكتاب "منازل الأحباب"، و"حسن التوسل في صناعة الترسل"، و"أسنى المنائح في أسنى المدائح".

وكان ممن أتقن الفنين المنظوم والمنثور.

كتب إليه السراج الوراق ملغزاً في سجادة:

يا إماماً ألفاظه الغر فـي الأس ... ماع تزري بالدر في الأسمـاط

وشهاباً يجاوز الشـهـب قـدراً ... فغدت عن علاه ذات انحطـاط

أي أنثى وطئت منـهـا حـلالاً ... مستبيحاً ما لا يبـاح لـواطـي

لم أحاول تقبيلها غير خـمـس ... حال زهدي فيها وحال اغتباطي

وهي مملـوكة وعـنـد أنـاس ... هي ست على اختلاف التعاطي

وهي في صورة خماسـية مـا ... فهقت لا ولا دنت للبـواطـي

وتصيب الإيمان يسعى إلـيهـا ... طالب الله وهو عبد خـاطـي

وأرى أن تحـلـهـا بـيمـين ... ويسار فقد غدت فـي ربـاط

فكتب إليه الجواب:

يا سراجاً لما سمت باسمه الشـم ... س غدا البدر دونها في انحطاط

أنت بحر نـداك مـوج وألـفـا ... ظك در وصنع يمناك شـاطـي

لا تلمني إذا نظمـت مـعـانـي ... ك فمن در فيك كان التقـاطـي

أنت ألغزت في اسم ذات رقـاع ... لم تجاهد وكم غدت في ربـاط

خمساها عشر وللعشـر فـيهـا ... خطوات بـراحة وانـبـسـاط

حازها تابع المجلي فـحـاز ال ... سبق من دونه بغير اشـتـراط

مذ علاها في أول الصف أضحى ... كسليمان فوق متن الـبـسـاط

ومن شعره:

أسروا إلى ليلى سراهم فما انجلى ... وبات كطرفي نجمه وهو حيران

كلانا غريق في المدامع والدجى كأن دموع العين والليل طوفـان

وقال:

عريب سبوا نومي ولم تدر مقلـتـي كما سكنوا قلبي ولم تشعر الأعضـا

وطلقت نومي والجفـون حـوامـل فمن أجل ذا في الخد أبقت لها فرضا

وقال:

تثنى وأغصان الأراك نـواضـر ونحت وأسراب من الطير عكف

فعلم بانات اللوى كيف تنـثـنـي وعلمت ورقاء الحمى كيف تهتف

وقال:

رأتني وقد نال مني الـنـحـول وفاضت دموعي على الخد فيضا

فقالت بعينـي هـذا الـسـقـام فقلت صدقت، وبالخصر أيضـا

يشبه هذا قول الأرجاني:

غالطتني إذ كست جسمي الضنى كسوة عرت من اللحم العظاما

ثم قالت أنت عندي في الهـوى مثل عيني صدقت لكن سقامـا

ومن هذه المادة قول جمال الدين ابن نباتة:

وملولة في الحب لما أن رأت أثر السقا بعظمي المنهاض

قالت تغيرنا فقلت لها نـعـم أنا بالسقام وأنت بالإعراض

وقال أيضاً:

رق العذول لما ألقى بكـم لما رأى صدكم عن صبكم عبـثـا ورثـي

نكثتم حبـل ودري بـعـد وطالما قلتم لا كان مـن قـوتـه نـكـثـا

أين الوفاء الذي كنا نـظـن هذا الجفاء الذي من بعده ومـا حدثـا?

فاه نفثة مصـدور بـهـجـركـم ومن يذق هجر من يشتاقه نفـثـا

رجوت يوم نواه لو تـلـبـث لأشتكي بعض ما ألقى فما لـي لبـثـا

وكم شكوت الذي ألقاه منه أوى لذلي ولا ألوي ولا فـمـا اكتـرثـا

وكم حلفت بـأنـي لا أعـاتـبـه ولست أول صب في الهوى

حنثـا

ويح المحب متى صدت حبـائبـه يوماً قضى وإذا ما واصلوا بعثـا
قضى فناحت عليه الورق من حزن فسجعها بين أثناء النـشـيد رثـا

وقال أيضاً:

أفدي الذي بالأمس ودعنـي فقضى اصطباري بعده نحبا
وسرت به في البحر جارية سوداء يسبق سيرها الشهبا
لوأن حكم البحر طـوع يدي لأخذت كل سفينة غصبـا

وقال مضمناً:

قل لي عن الحمام كيف دخلتها يا صاحبي لتسر خ مشفـقـا
أدخلتها وأولئك الأقـوام قـد شدوا المآزر فوق كثبان النقا

وقال أيضاً:

رأيت في بستان خل لنا بدر دجى يغرس أشجار
فقلت إن أنجب هذا الذي يغرسه أثمر أقـمـارا

وقال أيضاً:

ورأيته في الماء يسبح مـرة والشعر قد رفت عليه ظلاله
فظننت أن البدر قابل وجهـه وجه الغدير فلاح فيه خياله

وقال وكتب به إلى فتح الدين ابن عبد الظاهر:

هل البدر إلا ما حواه لثـامـهـا أو الصبح إلا ما جلاه ابتسامهـا
أو النار إلا ما بدا فوق خـدهـا سناها وفي قلب المحب ضرامها
أقامت بقلبي إذ أقام بـحـبـهـا فدارتها قلبي وداري خيامـهـا
مهاة نقاً لو يستطاع اقتناصـهـا وكعبة حسن لو يطاق استلامهـا
إذا ما نضت عنها اللثام وأسفرت تقشع من شمس النهار غمامهـا
نهاية حظي أن أقبـل تـربـهـا وأيسر حظ للثام التـثـامـهـا
تريك محيا الشمس في ليل شعرهـا على قيد رمح وجهها وقـوامـهـا
وتزهى على البدر المنير فـإنـهـا مدى الدهر لا يخشى السرار تمامها
تغني على أعطافها ورق حلـيهـا إذا ناح في هيف الغصون حمامها
تردد بين الخمر والسحر لحظـهـا وحازها والدر أيضـاً كـلامـهـا
كلانا نشاوي غير أن مدام المعنى والـدلال

جـفـونـهـا مـدامـهـا
وليلة زارت والـثـريا كـأنـهـا نظاماً وحسناً عقدها وابتسـامـهـا
وحيت فأحيت ما أمات وردت فرد الروح في صـدودهـا سلامـهـا
وقالت بعيني ذا السقـام فقلت وهل بلواي إلا الـذي أرى سقـامـهـا
فأبدت ثناياها فقـل فـي بدا نورا وانشق عنها خـمـيلة كمـامـهـا
وأبعدت لا بل سمط در بأصداف ياقوت لماها تـصـونـه خـتـامـهـا
وقالت وما للعين عهد ولا النوم مذ صدت وعز بـطـيفـهـا مرامهـا:
لقد أتعبت عيني جفونك في فقلت سلي جفنيك أين الدجـى منـامـهـا
وما علمت أن الرقاد وقـد كمثل حياتي في يديها جـفـت زمـامـهـا
وكم ليلة سامرت فيها كأني راع ضل عنـه نجـومـهـا سـوامـهـا
كأن الـثـريا والـهـلال ودارة حوته وقد زان الثريا التـئامـهـا
حباب طفا من حول رفرف بكف فتاة طاف بالراح فـضة جـامـهـا
كأن نجوماً في الـمـجـرة سواق رماها في غدير خـرد زحامـهـا
كأن رياضاً قد تسلـسـل فشقت أقاحيها وشاق مـاؤهـا خـزامـهـا
كأن سنا الجوزاء إكلـيل أضاءت لآليه فراق جـوهـر انتظـامـهـا
كأن لدى النسرين في الجو رماة رمى ذا دون هذا غـلـمة سهامـهـا
كأن سـهـيلاً والـنـجـوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمـامـهـا
كأن الدجى هيجاء جرت أسنتها والبرق فيها نجـومـه حـسـامـهـا
كأن الرجوم الـهـاديات تساقط ما بين الأسـنة فـوارس هـامـهـا
كأن سنا المريخ شـعـلة تلوح على بعدويخفى قـابـس ضرامـهـا
كأن السها صب سها نحـو يراعي الليالي جفنه لا

إلـفـه ينـامـهـا
كأن خفوق القلـب قـلـب رأى بلدة الأحباب أقوى مـتـيم مقامـهـا
كأن ثريا أفقه في يمين كريم لا يخاف انـبـسـاطـهـا انضمـامـهـا
كأن بفتح الدين في جوده فروى الروابي والأكام اقـتـدت انركامـهـا

وقال في أبيات:

والطل في أعين النـوار دمعاً تـحـيـر لـم يرقـأ ولـم تـحـسـبـه يكـف
كلؤلؤ ظل عطف الغصن بعقده وتـبـدي مـنـه فـي مـتـشـحـاً شـنـف
يضم من سنـدس الأوراق خضر ويجني من الأزهار في فـي صـور صـدق
والشمس في طفل الأمساء طرف غدا وهو من خوف تنظـر مـن الفراق خفي
كعاشق سار عـن أحـبـابـه به الهوى فتراءاهـم عـلـى وهـفـا شـرف

وقال يرثي شاباً جميلاً فقد:

إن من تهواه قد ظـعـنـا فاندب الأطلال والدمـنـا
واخدع القلب الذي صحبوا وخداع النافـرين عـنـا
واسل عن طيب الحياة فقد صرت لا قلباً ولا سكنـا
لا تقل أرجو الإياب فكـم نازح بعد الـبـعـاد دنـا
فهو دهر كان ملـتـهـياً عنكم والآن قد فـطـنـا
جيرة والـلـه بـعـدهـم لم أجد حسناً ولا حسـنـا
سلبوا روحي فـلـيتـهـم عوضوني عودهم ثمـنـا
ودروا أني أمـوت بـهـم فكسوني بالضنا كـفـنـا
ما على الحادي العجول بهم حرج لو يحبس الـبـدنـا
فعسـى روح مـعـلـقة بهم أن تذكر الـوطـنـا
قلت للبدر المـنـير وقـد غاب من أربى عليه سنا:
غب أو اطلع إن أردت فما فيك لي عن من فقدت غنى
أنبأتني الشمس عنـه وعـن بدرها إذ غاب واقتـرنـا
نحن كنـا إخـوة شـرفـاً فأصاب الدهر أحسـنـنـا
وسألت الـدوح بـعـدهـم هل أمالت نسمة غصـنـا
أو تمشت فـي خـمـائلـه ذات طوق تبعث الشجـنـا
أو سقاه الطل مضطجـعـاً فلوى أعطـافـه وثـنـى
قال لي ذاك النـسـيم نـأى مذ تناءوا والغمـام ونـى
وعيون النور قـد رمـدت وغناء الورق عـاد عـنـا
فإذا ملـنـا فـلا طـرب بل لأن الورق نحن لـنـا

سادتي هل بعد بـعـدكـم ترجع الأيام تجـمـعـنـا
أرتجي واليأس يهـزأ بـي أن يضم الدهر ألفـتـنـا
وضـلال الـحـب غـادر لي فيكم بعد المنون منـى
إن قضى صب يهيم علـي فقد أحبـاب نـأوا فـأنـا
فسـقـاكـم كـل سـارية من دموعي تخجل المزنـا

وقال أيضاً:

يا من أضاف إلى الجمال جمـيلا لا كنت إن طاوعت فيك عـذولا
عوضتني من نار هجـرك جـنة فسكنت ظلاً من رضاك ظلـيلاً
وحللت من أحشاي ربعـاً دارسـاً فغدا بقربك عـامـراً مـأهـولا
ومننت حين منحتني سقـمـاً بـه أشبهت خصرك رقة ونـحـولا
وكففت لحظك بالفتور تلـطـفـاً كيلا أبـيت بـحـده مـقـتـولا
وسلكت بي في الحب أحسن مسلك لم يبق لي نحو السلـو سـبـيلا
ولرب ليل مثل وجـهـك بـدره ودجاه مثل مديد شعـرك طـولا
أرسلت لي فيه الخيال فكان لـي دون الأنيس مؤانسـاً وخـلـيلا
إن لم أجد للوجد فيك بمهجـتـي لا نال قلبي من وصالـك سـولا

وقال أيضاً:

تقضي زماني في انتظار وصالـه ومات اصطباري والغرام بحالـه
قضيب نقا قد كنت أرجو انعطافـه فرحت لحيني آيساً مـن خـيالـه
أعرض من وجد بعـسـال قـده ومعسول فيه بالعذيب وضـالـه
أليس من الـتـبـريح أن مـزاره قريب ونيل الشهب دون منـالـه
لئن عمه بالحسـن ياقـوت خـده فقد خصه بالصون عنبر خـالـه
إذا ما شكوت الوجد قال أخو الهوى صبابته تغنيه عن شـرح حـالـه
وإن رمت وصلاً قال لي أنت مدع فأعرض عنه خيفة من جـدالـه
وما ذاك عـياً غـير أن دلـيلـه علي عليه شـاهـد مـن دلالـه

وقال أيضاً:

نم بأسرار الحمى نـسيمـه فذاع من سر الهوى مكتومـه
روى حديثاً عـن أهـيل رامة جدد ما أبلى الهوى قـديمـه
إلـى كـئيب دنـف عـذابـه في حب جيران النقا نعيمـه
روم أن يعطف من ذاك الحمى عليه من بعد الصدود ريمـه
يا صناً مقـلـتـه صـاد لـه والحاجب النون وفـوه مـيه
طوبى لمن في راحتيك راحه وأنت يا كل المـنـى نـديه
إن تاه في معوج صدغيك فقد هداه من فرقك مستـقـيمـه
آنس قلبي نـار طـور خـده فهو كما شاء الهوى كلـيمـه

وقال يعاتب محبوباً:

غدرتم ولولا الغدر ما كان لي عذر فجاء على قصدي وقصدتم الأمـر
وجدتم مجالاً للـقـلـى وكـذا أنـا فما ضاق لي يوماً ولا لكم صـدر
فلا أشتكي منكـم مـلالاً لأنـكـم هجرتم بحمد الله إذ طاب لي الهجر
فإن تدعوا عنا اصطباراً فـهـكـذا أتانا بلا دعوى كما نشتهي الصبـر
وإن تشكروا حكم البعاد فللـنـوى علينا إياد لا يقوم بهـا الـشـكـر
وكنت أظن الصبر مـراً مـذاقـه فمذ ذقته أيقنت أن الهوى الـمـر
فكونوا كما شئتم فإنا كـمـا نـشـا صحونا جميعاً وانجلى ذلك السكـر
فكم تهت من قد هـنـاك وطـلـعة بغصن ولا غصن وبـدر ولا بـدر
وإن كان زيد صدكم عن وصـالـنـا فلم تخطئوا شيئاً كذا صدنا عـمـرو
وإن كنتم أنسيتم العهـد فـاسـألـوا ليخبركم هل مـر يومـاً لـه ذكـر
تقضي الهوى منا ومنكم فـكـلـنـا سواء ولكن منـكـم بـدأ الـشـر
ولا شر في أمر عرفنـا بـه الـذي لنا عندكم حتى استوى السر والجهر
فلا مقلة عبرى بأجفـانـهـا قـذى ولا كبد حرى بأثـنـائهـا جـمـر
ولا زادنـا حـب جـوى كـل لـيلة ولا سلوة الأيام موعدها الـحـشـر

وكنا كما شاء الغرام كأننا لفرط امتزاج بيننا الماء والخمر
فكم ليلة ما شاب إظلامها دجى وكم ليلة بالهجر ما شابها فجر
فأعقبكم ذاك الوفاء ملالة فلا بأس هذا الغدر شيمته الغدر
وإني وإن ألفيت في ذاك راحة وباتت يدي منكم وراحتها صفر
لمثن ولكن لا يقابل هجركم سوى الهجر لا عتب يمض ولا هجر

وقال أيضاً:

ما ضر من شفع الصدود ببعده لو علل الكلف المشوق بوعده
أو لو شفاه بزورة بعد النوى ليرى الذي فعل البعاد بعبده
ظبي من الأتراك خال باله من حال ملآن الفؤاد بوجده
ريان من ماء الشباب إذا مشى تثني الغصون على تثني قده
ما كنت أشكو من قساوة قلبه لو أنه أعدته رقة خده
أبكي ويضحكه التدلل عن نقا برد شفاء محبه في برده
وأمير حسن ناظري والقلب من أعوانه أبداً علي وجنده
علماً بأن اللحظ منه صارم عضب وما حذرا مواقع حده
لو زارني لفضضت ختم رضابه ما بغيتي في ورده أو ورده
وأجلت كفي في مجال نطاقه في غوره وكففتها عن نجده
قالوا به سقم فقلت لعله في جفنه أو خصره أو عهده
يا سالبي طيب الرقاد وإنما أسفي علي فقد الخيال كفقده
لولا انتظار الطيف يطرق في الطرى ما راح دمعي سائلاً في رده

وقال أيضاً:

أيا رشأ بت من حبه فقيد الكرى قلق المضجع
ومن أصبحت نار وجدي به تؤججها في الحشا أدمعي

"ومن إن تدم مقلتي لحظها إلى وجهه تدم أو تدمع"
ومن غير ذكراه لم يحل في لساني ولا حل في مسمعي
ومن حاز قلبي طوعاً لديه متى يدعه لحظه يتبع
دمي لك فارفع شبا السيف من لحاظك عن مهجتي أو ضع
وحكم حياتي في راحتيك فخذها إن اخترتها أو دع
فصن ذا المحيا الذي في سناه دليل على قدرة المبدع
فما ربة الخدر إن أسفرت بأحوج منك إلى البرقع
ولاح يعنفني في الغرام وهل يسمع اللوم من لا يعي
وأنكر ما يدعي من هواه وسقمي يثبت ما يدعي
رآك فساعدني في الحنين وأضحى على من لحاني معي

وقال أيضاً:

خليلي هذا البرق أسيافه تنضي فهيا عسى حتف الظلام به يقضى
فليس لنا بالصبح عهد لأننا عهدناه من قبل التفرق مبيضاً
ولا بالكرى علم وهل كان لامرئ نأى عنه من يهواه أن يعرف الغمضا
هم هجروا برد الظلال وإنما حشاي، وحاشاهم، أقامت على الرمضا
مضوا فاسترد الدهر أنسي الذي مضى كأن له عندي بقربهم قرضا
وبانوا فآلى البان لا بان بعدهم ولا عانقت أغصانه بعضها بعضا
عريب سبوا نومي ولم تدر مقلتي كما سلبوا قلبي ولم تشعر الأعضا
فليتهم عادوا وقلبي فداهم وأرضي بأن تضحي خدودي لهم أرضا

وقال أيضاً:

أعلي في حب الديار ملام أم هل تذكرها علي حرام
أم هل أذم إذا ذكرت منازلاً فارقتها ولها علي ذمام
دار الأحبة والهوى وشبيبة ذهبت وجيران علي كرام
فارقتها فأرقت من وجدي بهم أفهل لهم أو للكرى إلمام
كانوا حياتي وابتليت بفقدهم فعليهم وعلى الحياة سلام
أشتاقها شوق الغريب سفهاً، وإلا أين مني الشام

مـزاره

وتروقني خدع المنى منها وقد بعد المـدى وتـمـادت الأيام

وتلذ لي سنة السكرى لا رغبة في النوم بل لتعيدها الأحـلام

وتمثل الأوهام لي أنـي بـهـا ثاو ولذات الـهـوى أوهـام

فكأن ربع تشوقي وخـيالـهـا دمن ألم بهـا فـقـال سـلام

ليس الغرام بها لأن نسيمـهـا وان وثغر رياضهـا بـسـام

بل للديار إذ الشباب مـطـاوع فيهـا وأيام الـزمـان وسـام

إذ لا نخاف بها الوشاة وحولنـا فيها العيون وعندنا الـنـمـام

الورد خد والبنفسـج عـارض والنور ثغر والقضـيب قـوام

والراح ريق أو حـديث رائق والنقل لثم والقـيان حـمـام

ولقد نقلت إلى الأجل وإنـمـا عصر الصـبـا أيامـه الأيام

لو عاد لي عصر الشباب رأيتها بعيون صب ماؤهـن غـرام

وقال أيضاً:

يا ليلة بات ثغر الكأس معتـنـقـي فيها فداك سواد القلب والـحـدق

إن كنت أنشر صباً ميتـاً فـلـقـد أمات فقدك ما أبقيت من رمقـي

سمحت لي برشاً أدري الوشاة بـه جبينه والشذا من نشره الـعـبـق

في روضة كلما ماست معاطـفـه فيها تسترت الأغصان بـالـورق

وبات يطفيء بالعذب المبـرد مـن لماه ما أضرمت خداه من حرقـي

وبت حاوي بـدر الـتـم إذ بـيدي طوقت اسود ذاك الشعر في عنقي

وجاء يسعى بها حمراء قبـالـهـا بوجهه فبدت شمسـين فـي أفـق

بكر حبتها ثناياه الحـبـاب كـمـا خداه ألقت عليها حمرة الشـفـق

وقال دونكها إن شئت من قـدحـي أو من لمى شفتي اللعساء أو حدقي

كل مدام وإن شككت ها شـفـتـي وهذه الكأس فاختر ما تـشـاوذق

فيا لها ليلة قضـيتـهـا عـجـبـاً الشمس مغتبقي والبدر معتنـقـي

وكتب إليه علاء الدين ابن غانم من حصن صهيون:

إليك شهاب الدين نشكو متاعباً ... فأنت الذي ما زلت ترثي لمن شكا
إلى الله نشكو حصن صهيون إننا ... إلى الرفق فيها لم نجد قط مسلكا
لتغييره وجه الوجود مقطب ... عليه وعين الشمس زالت من البكا
أصم صراخ الرعد فيه مسامع ال ... برايا وستر البرق وجداً تهتكا

فأجابه شهاب الدين رحمهما الله تعالى:

ألم يكفني شوق إليه وأدمع ... عليه إذا ما جادت الغيث أمسكا
وأني مذ فارقت لا ذقت بعده ... محياه لم أصحب حميماً سوى البكا
إلى أن شكا حالاًغدوت لحملها ... أكابد من همي به فوق ما شكا
وحرك أشجاني على أن في الحشا ... لها باعثاً من نفسها ومحركا
فيا نازحاً أودى بقلبي ولم يزل ... بإخلاصه في حبه متمسكا
وحقك لو عاينت ما في جوانحي ... لساءك أو ما في ضميري لسركا
جوى لو غدا في حصن صهيون بعضه ... تزلزل أو أخني عليه تدكدكا
وتوحيد وجد لو تقسم لم تجد ... على الأرض في دين المودة مشركا
فصبراً، على أني وقد غبت رمته ... فلم ألق نحو الصبر بعدك مسلكا
فهل هو إلا البرق أومض موهناً ... لديك ليحكي نار وجدي فما حكى
أو القطر يهمي وهو مذ شطت النوى ... رأى عبرتي تجري فمثلها لكا
أو الشمس أخفت وجهها عنك كي ترى ... وقد غبت عني وحشة الأفق بعد كا
عساك ترى الرأي الموفق بعدها ... فإن الذي أغراك من قبل غركا

وكتب إلى الشيخ علاء الدين ابن غانم:

سيدي قربك عندي ... منتهى سولي وقصدي
أنت أحلى في فؤادي ... من دنو بعد بعد
فلم اخترت فراقي ... وأنا الليلة وحدي

كن جوابي تغنم الوا فر من شكري وحمدي
وتكن أكرم مولى قد تمشي نحو عبد

فجابه علاء الدين ابن غانم:

لم أغب عنك بودي يا أعز الناس عندي
لكن الحرمان يقصي ني ويدنيني سعدي
أنا للخدمة "...." كل وقت متصدي
لا على رجلي أسعى بل على رأسي وخدي

وقال رحمه الله تعالى:

أيها المنزل الذي كان فيه لتجلي شموسهم إشراق
والذي كان فيه بدر المسرا تعالى تماماً لا يعتريه محاق
أوحشوني مذ فارقوني فهل أص بحت مثلي إليهم تشتاق
فابك لي مسعداً عليهم فلا يأ س إذا ما تساعد العشاق

وقال أيضاً:

وبمهجتي من سل صارم لحظه فحمى رياض خدوده أن تجتني
لو أن رقة خده أو لفظه أو ريقه في قلبه نلت المنى

وقال أيضاً:

قبلت رجل حبيبي فازور واحمر خدا
وقال تثلم رجلي لقد تنازلت جدا
فقلت لم آت ذنباً ولا تعديت حدا
رجل سعت بك نحوي حقوقها لا تؤدي

وقال في مليح حراث:

عشقت حراثاً مليحاً غدا في يده المساس ما أجمله
كأنه الزهرة قدامه ال ثور يراعي مطلع السنبله

وكتب إليه علاء الدين ابن غانم لغزاً في أحمد:

نصف اسم من أهواه في قلبه أمر لغير الفائت القاني
ونصفه الأول معكوسه في العكس حرف وهو حرفان

فأجابه رحمهما الله تعالى:

كتم اسم من همت غراماً به أحمد من كشف وإعلان
فإن نأى فابك على فقده بالعكس من نصف اسمه الثاني
وإن تصحف عكس نصف اسمه أمنت من صد وهجران

وقال:

يا حياتي من حياتي بعدمـا بنت عنهم والنوى أقتل شي
ليتهم لو عاينـونـي لـيروا ميتاً من بعدهم في زي حي

غازان المغلي

محمود بن أرغون المغلي الجنكزخاني صاحب العراقين وخراسان وفارس وأذربيجان والروم؛ كان شاباً عاقلاً شجاعاً مهيباً مليح الشكل، ملك سنة ثلاث وتسعين وستمائة فحسن له نائبه توزون الإسلام فأسلم سنة أربع وتسعين، وفشا الإسلام في التتار. وطرق الشام وغلب عليه بعد أن قل العساكر الإسلامية. وكان يعف عن الدماء لا عن المال، ومات بقرب همذان سنة ثلاث وسبعمائة في شوال، ولم يتكهل، ونقل إلى تبريز، ودفن بتربيه؛ واشتهر أنه سم في منديل تمسح به بعد الجماع، فتعل ومات، وقام بعده أخوه خربندا.

وكان له خبرة بسياسة الأمور وتدبيرالملك، وكان قد التحق في أفعاله بجده الأكبر هولاكو، ولم يكن فيه ما يشينه غير أنه كان بخيلاً، لكن كانت هيبته قوية ورعيته في زمانه آمنة، ولما توفي كتب نائب البيرة مطالعة إلى السلطان الملك الناصر يخبره فيها بوفاته بخط علاء الدين الوداعي، وكانت الأخبار قد اختلفت بوفاته كثيراً:

قد مات قـازان بـلا مـرية ولم يمت في الحجج الماضيه
بل شنعوا عن موته فانثـنـى حياً ولكن هذه الـقـاضـيه

فكتب جواب المطالعة الشيخ شهاب الدين محمود بخطه إلى الأمير سيف الدين طوغان نائب البيرة: ووقفنا على البيتين اللذين نظما في وصف حال قازان وتحقق موته بعد اختلاف الأخبار فيه، والجواب عنهما:

مات من الرعب وإن لم تكن بموته أسيافـنـا راضـيه
وإن يفتهـا فـأخـوه إذا رأى ظباها كانت القاضيه

صفي الدين القرافي

محمود بن محمد بن حامد بن ابي بكر، الشيخ الإمام العالم المحدث المتقن المفيد صفي الدين القرافي الصوفي أخو الشيخ المعمر شهاب الدين الصوفي؛ ولد سنة سبع وأربعين وستمائة، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.

قرأ مسند الإمام أحمد على أبي الغنائم بن علان، وكتب العالي والنازل، وكان فصيح العبارة عذب القراءة، ديناً صيناً؛ حصل له لما تكهل يبس وسوداء، فاستوحش ولازم الوحدة، وبقي يحدث نفسه ولكنه جمع ونسخ وتعب، وخلط "صحاح" الجوهري والأزهري و"المحكم" في ديوان واحد، ووقف كتبه بالخانقاه الشميصاتية، وبها توفي رحمه الله تعالى.

"كشاجم"

محمود بن الحسين، أبو الفتح الكاتب المعروف بكشاجم؛ هو من أهل الرملة من نواحي فلسطين، هو لقب نفسه "كشاجم" فسئل عن ذلك فقال: الكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من جواد والميم من منجم. وقال بعضهم: كشاجم طخ، وزاد الطاء من طباخ والخاء من خراء.

وكان من شعراء أبي الهيجاء "..." عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة.

وله من التصانيف كتاب "أدب النديم". "كتاب المصايد والمطارد". "كتاب الطبيخ". وكانت وفاته في حدود الخمسين وثلثمائة. ومن شعره:

بأبـي وأمـي زائر مـتـنـقـب لم يخف ضوء الشمس تحت قناعه
لم أستتم عـنـاقـه لـقـدومـه حتى ابتدأت عنـاقـه لـوداعـه

وهو من قول العكوك:

راقب الخلوة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
كابد الأهوال في زورتـه ثم ما سلم حـتـى ودعـا

ومن شعر كشاجم يصف النار:

كأنما الجمر والرماد وقـد كاد يواري من نورها نورا
ورد جني القطاف أحمر قد ذرت عليه الأكف كافورا

وقال أيضاً:

جاءت بوجه كأنه قمـر على قوام كأنه غصـن
غنت فلم تبق في جارحة إلا تمنت بـأنـهـا أذن

وقال أيضاً:

أرى وصالك لا يصفو لآمـلـه والهجر يتبعه ركضاً على الأثر
كالقوس أقرب سهميها إذا عطفت عليه أبعدها من منزع الـوتـر

"ابن قادوس"

محمود بن إسماعيل بن قادوس القاضي، أبو الفتح المصري الكاتب صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية؛ أصله من دمياط، قيل إن القاضي الفاضل كان ممن اشتغل عليه، وكان يعظمه ويشميه "ذو البلاغتين"، وكان لا يتمكن من اقتباس فوائده غلاباً إلا في ركوبه من القصر إلى منزله ومن منزله إلى القصر، فيسايره ويجاريه في فنون الإنشاء والأدب. توفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة؛ ومن شعره:

وفاتر النية عنـينـهـا يواصل الرعدة والهزه
مكبراً سبعين في مـرة كأنما صلى على حمزه

يشير إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل عمه حمزة رضي الله عنه كان يقدمه كلما صلى على قتيل قتل يوم أحد.

ومن شعره:

ديباج خـديه بـسـن دس عارضيه مفروز
وبـخـده خـال لـدا ئرة الملاحة مركـز

ومنه أيضاً:

من عاذري من عاذل يلوم في حب رشـا
إذا جحـدت حـبـه قال كفى بالدمع شا

يعني كفى بالدمع شاهداً.

وقال أيضاً:

مداده في الطرس لما بـدا قبله الصب ومن يزهـد
كأنما قد حل فيه اللـمـى أو ذاب فيه الحجر الأسود

"شمس الدين الكوفي"

محمود بن أحمد بن عبد الله بن داود بن محمد بن علي الهاشمي الحنفي، شمس الدين الكوفي؛ كان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً ظريفاً كيساً دمث الأخلاق. ولي التدريس بالمدرسة التشيشية، وخطب في جامع السلطان، ووعظ في باب بدر. توفي في شهور سنة خمس وسبعين وستمائة، ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة، فمن شعره:

ملابس الصبر نبليها وتبـلـينـا ومدة الهجر نفنيها وتفـنـينـا

شوقاً إلى أوجه متنا بفرقتـهـا حزناً وكانت تحيينا فتـحـيينـا

أحزاننا بهم لا تنقضـي ولـنـا شوق إلى ساكني يبرين يبرينـا

يا دهر قد مسنا من بعدهم حرق من الفراق إلى التكفين تكفينـا

وعدتنا بالتلاقي ثم تـخـلـفـنـا فكم نرى منك تلوينا وتـلـوينـا

ديارهم درس من بعد ما درسـت نفسي بها من تلاقينا تـلاقـينـا

متعت فيها إلى حين فـوا أسـفـا إذ عشت حتى رأيت الحين والحينا

كنا جميعاً وكان الدهر يسعـدنـا والكائنات بكأس الأمن تسقـينـا

فالآن قرت عيون الحاسدين بـنـا بما جرى واشتفت منا أعـادينـا

فصار يرحمنا من كان يأمـلـنـا وعاد يبعدنا مـن كـان يدنـينـا

وبات يخذلنا من كان ينـصـرنـا وصار يرخصنا من كان يغلـينـا

واليوم ألطف كل العالمـين بـنـا من عن أحبتنا أضحى يعـزينـا

ليت العذول يرى من فيه يعذلـنـا لعله إذ يرى عـينـاً يراعـينـا

إلى متى نحمل البلوى وعاذلـنـا بغير ما هو يعنـينـا يعـنـينـا

ما ضر عذالنا لو أنهـم رفـقـوا فعذلهم ليس يسلينـا ويسـلـينـا

حمائم الدوح في الأغصان نـائحة كما تنوح فنحكيها وتـحـكـينـا

تشجو وتندب من شوق لمن فقدت ومن فقدنا فنشجيها وتشـجـينـا

قد نسرت يا أحبانـا جـرائحـنـا وما لنا غير لـقـياكـم يداوينـا

أمراضنا من كلام الشامتين بـنـا فهل زمان يشفينا ويشـفـينـا?
إنا عطاش إلى أخباركم فمـتـى يأتي رسـول يروينـا ويروينـا?
ينا إلى عزكم فقـر ومـسـكـنة فهل بشير يغنـينـا فـيغـنـيا?

وقال رحمه الله تعالى:

ارفـق بـصـب لا يريد سـواكـا قد صار من فرط السقام سـواكـا
أسكنتـه ربـع الـغـرام فـيا لـه من ساكن لا يستـطـيع حـراكـا
بالله من أفتاك في سـفـك الـدمـا حتى تسلط طرفـك الـفـتـاكـا
كم لي بأكـنـاف الأجـيرع وقـفة علـــي وادي الأراك أراكـــا
كم صامت بالوجد بنـطـق حـالـه هذا وكـم شـاك فـؤادي شـاكـا
ضرب الغرام على النفوس سـراداً والحسن مد على العقول شـبـاكـا
كيف الخلاص من الحمى وبربعه ال غزلان تنصب للأسـود شـراكـا
وارحمتا لذوي الوى مـن جـاهـل متعـقـل ومـغـفـل يتـذاكـى
قالوا هلكت بحبه فرحـمـت مـن من جهله عد الـنـجـاة هـلاكـا
كفوا فما أحلى عذابي في الـهـوى عندي إذا كان الـمـعـذب ذاكـا
يا صاحبي عرج بجرعاء الحـمـى فهناك رؤية من تـراه هـنـاكـا
عرب يعز المحتمي بجـنـابـهـم والعرب ما زالت تـعـز كـذاكـا

وقال أيضاً:

ما للقلوب سوى الحبـيب أنـيس هو للفـؤاد مـنـادم وجـلـيس
جبذ القلوب إلى هواه جـمـالـه فكأنه للخلـق مـغـنـاطـيس
لا يردك المعقول لطف جمال من أهوى فكيف يناله المحـسـوس
كم قد كتبت إليه قصة غصـتـي بمداد دمعي والخـدود طـروس

لم يبق دمعي وجنتي إلا عـسـى يوماً لها قدم الحـبـيب تـدوس
دمعي بذكرك مطلق ومسلـسـل وصبابتي وقف علـيك حـبـيس
الناس عشاق وأنت حـبـيبـهـم والكون ماشطة وأنـت عـروس
وحماك كم نحرت نـحـو دونـه وتطايرت عنـد الـدنـو رؤوس
أيقال لي أتلفت نفسك في الهـوى عجبي وهل للعاشقين نـفـوس
جردت نفسي ذلك علمت بـأنـه لا يستقيم الكيس لـي والـكـيس
وعكست حال يفي العيون كـأنـه نقش الفصوص صوابه المعكوس
كما قال قوم والـحـديث تـعـلة وادي العروس وما هناك عروس
قد غرهم آل التوهم مـثـلـمـا غرت بصرح قبلهم بـلـقـيس
يا من دعا أرواحنا فـتـبـادرت سبقاً وحن إلى النفـيس نـفـيس
سارت إليك بنا أيانقـنـا فـلا ال تقبيل يعجبهـا ولا الـتـعـريس
ومتى وصلن إليك يا كل المنى ذهب العنا عنا وزال البـوس
العيس تشتاق العقيق لساكـن لولاه ما حنت إليه الـعـيس

وقال أيضاً:

جلا الدجى إذ جلا فينـا مـحـياه فكم أمـات بـه صـبـاً وأحـياه
ممنع تعشق الأكوان بـهـجـتـه بدر بلى ما لبدر التـم مـعـنـاه
أشتاقه وسواد القـلـب مـنـزلـه ولبدر ما زال برج القلـب مـأواه
أكني بليلى ولبنـى حـين أذكـره صوناً له وبحالـي يعـلـم الـلـه
بالحب يعرفنا حـقـاً ونـعـرفـه مكمل الظرف يهوانـا ونـهـواه
أدير عيني في الدنيا وزهـرتـهـا فما يروق لها في الخلق إلا هـو
يسوغ لي العذل إذ يشدو العذول به لولاه ما ساغ عندي العـذل لـولاه

لو شاهد القوم ما شاهدت من قمري بالعذل ما نطقوا فيه ولا فـاهـوا
قالوا تسل عن المحبوب قلت لهـم حاشا لمثلي أن يسلـو وحـاشـاه
أما رأى حسنه من فيه يعـذلـنـي يا قوم ما أجهل اللاحي وأغـبـاه
يا عز من أنـت يا مـولاي سـيده يا ذل من لست يا مـولاي مـولاه
أهيم إن رمز الحادي بذكر حـبـي ب القلب أو هو سمـاه وكـنـاه
هيجت وجدي بذكرى من كلفت به كرر على مسمعي باللـه ذكـراه
أعد فأن حديث الحـب فـي أذنـي والله أطيب مـسـمـوع وأحـلاه

وقال أيضاً رحمه الله:

شهود غرامي في هـواك عـدول سهـاد ودمـع سـائل ونـحـول
وشوقي إلى لقياك شـوق مـبـرح ولي شرح حال في الغرام يطـول
لقد فضح الصب الحمـول ركـائب سرين وأقمار السمـاء حـمـول
سرت وفؤادي موبق موثـق بـهـا تميل به الأشـواق حـيث تـمـيل
وهمت ولكن ما وهمت بحب مـن محاسنه مـا إن لـهـن مـثـيل
حبيب تجني ظالما فاحتـمـلـتـه ً وكل محب للـحـبـيب حـمـول
تجني بلا ذنب عـلـي ومـلـنـي وعن له عمـا عـهـدت يحـول
ومال على ضعفي ومال إلى العـدا وأقبل يصغي والـعـذول يقـول
ولم لم ينزه سمعـه عـن مـقـالة بها كم أتانـي كـاشـح وعـذول
ترى هل لنا بعد الفـراق تـآلـف وهل لي إلى طيب الوصال وصول
لأشكو إليه ما لقـيت ومـا الـذي جرى البيت ودمعي شاهد ودلـيل
فو الله ما يشفي المشـوق راسـلة ولا يشتكي شكوى المحب رسـول

وقال موشح:

قد صفا الوقت وقد رق النسيم
قم بنا نربح

قد خلا السمت ومن نهوى نديم
حقنا نفرح

في طوى قد شمت جنات النعيم
أبداً تفتح

فاختلس من صرف دهر ورقيب
ساعة الإمكان

فالتواني بعد أن يدنو الحبيب
غاية الخسران

في الصبا قد جاء في حال الهيوب
خبر لي راق

وراد أظهر لي ما في الغيوب
هيج الأشواق

قد تجلى الآن معشوق القلوب
معشر العشاق

ها حبيب القلب قد أمسى قريب
أيها الندمان

من له من قربه أدنى نصيب
لا يكن ندمان

تسكر الألباب كاسات الصبا
عند وقت السحر

حين تهوى نشر رايات الربى
وأريج الزهر

وترانا نتثنى طربا
لبلوغ الوطر

احسدينا في التثني إذ نطيب
يا غصون البان

أبداً لا يستوي "غصن" رطيب
وفتى نشوان

قد تعرضت بسكان اللوى
وحمى الأجرع

اين من يعرف قانون الهوى
قم ولا تجزع

وائتمر لي واتبعني في الجوى
وانطبع واسمع

هذه النيران عن يمنى الكثيب
تضرم النيران

ما ينال الفوز منها ويطيب
أبداً كسلان

يا عذولي ليس ذا وقت العتاب
فأنا مشغول

أنا ابغي الآن مع كشف
أبلغ المأمول

الحجاب

إن تقل أنت قتيل فالجواب رضي المقتول

خلني يا عاذل الصب الكئيب كان ما قد كان

فحبيبي نصب عيني لا يغيب من ضمير دان

وقال أيضاً:

تعالوا نعيد الوصل لا كان من وشى فحر اشتياقي بعدكم قد حشا الحشا

وبي رشأ ما في البرية لائم نهى روحه والمال زال الرشا رشا

على سخا بالوصل من بعد شحه ومن بعد ما قد كان نعش أنعشا

وشى باسمك الواشي إلي فسرني وسمعي يا مولاي لما وشى وشا

حديثك سرح يملأ القلب نشوة وعبدك يا بدر الدجى إن تشا انتشا

وقال في خطلوشاه مملوك علاء الدين الجويني:

آه ولا أعذل إن قلت آه قد قتلتني مقلتا خطلشاه

فعارضاه واشرحا قصتي له وما قد فعلا عارضاه

لم يفتن من لا رأى حسنه ولا سبي يا قوم من لا سباه

خاطرت بالروح لذكري له غاية له في الباب دقوا قفاه

بلغت هذه البيات علاء الدين الجويني فكتب إليه: حرمة الشيب والآداب تمنعنا عن غاية ما في الباب، وقد رسمنا لمملوكك خطلو شاه يأتي إليك كل نهار كرتين.

ابن الملحي الواعظ

محمود بن القاسم بن أبي البدر المحلي؛ هو الشيخ العالم الفاضل الكامل شمس الدين ابن الملحي الواعظ الواسطي. توفي آخر جمعة في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبعمائة، رحمه الله تعالى، وقد ناهر السبعين؛ فمن شعره:

رعى الله ربعاً كنتم فيه جيرتي وعيشاً تقضي معكم يا أحبتي

وحيا زماناً كان يجمع بيننا ونحن جميعاً في سرور ولذة

ولا غيرت أيدي الزمان منازلاً نزلتم رباها يا أهيل مودتي

ولا أقفرت تلك الديار التي بها تقضت ليالي أنسنا وتولت

إذا ما جرى تذكاركم في جرى دمع عيني فوق صفحة

مسامعي وجنتي
فلله ما أحلى قديم حديثكم وأطيبه عندي عشاي وغدوتي
أحبة قلبي أين أنسي بقربكم لقد هدني من بعدكم طول وحشتي
تعجلتم بالبعد لما عرفتكم فما وقع التعريف إلا لشقوتي
أحن إليكم كلما هبت الصبا على أثلات الرقمتين ورقت
ويطلبكم قلبي على البعد والنوى وأين سبيلي بعدكم، أين حيلتي
نظرت إلى الأحباب يوم وداعهم فكانت من الأحباب آخر نظرتي
وناديتهم هذا الرحيل، متى اللقا ألا خبروني كم على الصبر مدتي?
وقلت لهم قلبي لديكم وديعة يسافر معكم فاحفظوا لي وديعتي
عسى تسمح الأيام تجمع بيننا وترجع أوطاري ولذاتي التي
ويطرب سمعي من لذيذ حديثكم وتنظر عيني أنجمي وأهلتي

وقال أيضاً:

أنوح إذا الحادي بذكركم وأبكي إذا ما البرق من نحوكم عنا غنى
وكيف شكا قلبي تداويت باسمكم ونعم الدوا أنتم على قلبي المضنى
بكم ولهي لا بالعذيب ولا النقا وأنتم مرادي لا سعاد ولا لبنى
لقد عاش من أنتم من العمر حظه ومات الذي في غيركم عمره يفنى
يلد لي الليل الطويل بذكركم فما أطيب الليل الطويل إذا جنا
أحبتنا أين المواثيق بيننا زمان خلونا الحمى وتعاهدنا
ظنناكم للعمر ذخراً وعدة فيا قرب ما خيبتم بكم الظنا
سمعتم من الأعدء قولهم بنا ومن أجل ما قالوا تغيرتم عنا
تغيرتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران، ما هكذا كنا

واقسمتم أن لا تحولوا عن الوفـا فحلتم عن العهد القديم وما حلنـا
أأحبابنا ما كان أهنـأ عـيشـنـا ولكنه ولى كطيف بدا وهـنـا
مررنا على أوطانكم بعد بعدكـم فمذ نحن شاهدنا أماكنكم نحـنـا
ولما تخيلنا جـمـالـكـم بـهـا وقفنا على تلك الديار وسلمـنـا
سلام على العيش الذي بكم مضى فما كان أشهاه لدي وما أهـنـا
ليالي كان الدهر معنا موافـقـا فلما نأيتم ما رأيت له معـنـى
لئن عاد ذاك العيش يا سادتي بكم وعدنا إلى تلك الديار كما كـنـا
غفرت لأيامي جميع ذنـوبـهـا وقلت لك الإنعام عندي والحسنى

وقال أيضاً:

بدا البرق من حزوي فهاج حنينه وهبت صبا نجد فـزاد أنـيـنـه
وغنى له الحادي بـأيام حـاجـر ففاضت بأمطار الدموع جفونـه
وذكره العيش الذي كان وانقضى فكاد جوى يطرا عليه جنـونـه
غريب بعيد الدار فـارق أهـلـه كئيب وحيد بان عنـه قـرينـه
مريض إذا هب النسيم من الحمى يطيب له خفاقـه وسـكـونـه
تحمل أثقـال الـغـرام ومـالـه معين على حمل الغرام يعـيـنـه
وصان الهوى في قلبه كل جهـده فلما نأى الأحباب بان مصـونـه
وظن بأن الدهر يجمع شـمـلـه بمن يتمناهم فخابت ظـنـونـه
أهيل الحمى بنتم فدمعي مطلـق وقلبي قد ضاقت عليه شجـونـه
أهيل الحمى لا أوحش الربع منكم لقد كنتم للـربـع زينـاً يزينـه
مررت على الوادي وكان زمانكم بلابله تشدو وتجـري عـيونـه
فأبصرته من بعدكم وهو قد عفـا وأقفر منه سهـلـه وحـزونـه

فناديته أين الـذين هنا وغدير العيش صاف
عـهـدتـهـم معينه?
فقل لي الوادي نأو وهذا فؤادي للتنـائي حـزينـه
وتـرحـلـوا
فقلت فهل يسخو الزمان فقال لعل الدهر يسخو
بعودهـم خـؤونـه
إلى أن يعود الماء في النهر تموت به أطياره وغـصـونـه
جاريا
وكم مات صب بالتوقع ولم تقض من خصم الزمان
والمـنـى ديونه

وقال أيضاً:

هنيئاً لمن أمسى وأنت ولو أن نيران الـغـرام تـذيبـه
حـبـيبـه
وطوبى لقل أنت سـاكـن ولو بان عنه إلـفـه وقـريبـه
سـره
وواهاً لمطرود عن الباب لقد ضاق في هذا الوجود
مبـعـد رحيبـه
وحقك ما من ذاق وصلـك "يحق عليه نـدبـه ونـحـيبـه"
مـيت
"أيا غاية الآمال من أنت فكل بلاء عنـده يسـتـطـيبـه
أنـسـه"
ومن أنت راض عنه في طي فما ضره والله من
غيبه يستـغـيبـه
وما ضر صباً أن يبيت ومـا نصيب من الدنيا وأنت
لـه نصـيبـه
عبيدك في باب التطـفـل إذا لم تجبه أنت مـن ذا
واقـف يجـيبـه
غريب عن الأوطان يبكـي وهل ذاق طعم الذل إلا
لـذلة غـريبـه
فقير من الأعمال أنـت مريض من الآثام أنت
غـنـاؤه طـبـيبـه
تقضت ليالـيه وفـات زمـانـه ولم يدر حتى لاح منه
مشـيبـه
غدا خاسراً فالعار يكفيه وقد أن من ضوء النهار
والعـنـا مغـيبـه

وقال أيضاً:

سلام عليم هل تراكم علمتم بما نال قلبي منذ ساعة بنتم
وهل عندكم ما عند قلبي من وهل مثل وجدي للفراق
الأسـى وجـدتـم
أيا سادتي والله عـهـدي وطيب حياتي منذ كنت

بـلـذتـي وكـنـتـم
ليالي كانت كـالـنـهـار مـنـيرة سهرت بها من طيبها وسـهـرتـم
فلا كان يوم كان آخـر عـهـدكـم وقد أسرع الحادي سحيراً وسرتـم
ولا كان يوم فيه خلفـت بـعـدكـم ونحن بوقفـات الـوداع نـسـلـم
ترحلت عنكم كارهـاً غـير طـائع أؤخـر أقـداماً وأخـرى أقـدم
وودعتكم والقلـب يأبـى وداعـكـم وفي كبدي نار الأسى تـتـضـرم
علـمـت مـن الأيام كـل كـريهة ولكن هذا البعد ما كـنـت أعـلـم
حرمتم جفوني أن ترى غير شخصكم كما للذيذ النوم عنهـا حـرمـتـم
وعيني حرمتم أن تراكـم كـأنـمـا لقاؤكم طيب وجفـنـي مـحـرم
ربيعي جمادى حيث سمعي لغيركـم به رجب منكم ونومـي مـحـرم
ولما حدا حادي الفراق بشـمـلـنـا وأنجدت سراً والأحـبة أتـهـمـوا
وأصبح منكم منزل الأنـس خـالـياً تبين عليه وشحة وهـو مـظـلـم
وأضمرت توديعاً له وهو سـاكـت ولكن لسان الحـال مـنـه يكـلـم
وقالت لي الأوطان هل عودة بـكـم فقلت لهـا ربـي بـذلـك يعـلـم

وقال موشح:

نشرت ريح الصبا روح الصبـاح فصبـا الـمـشـتـاق
وبكى عصر الصبا الماضي ونـاح من جـوى الإشـفـاق
قدحت في العود نسمات الـربـيع لهـب الأزهـار
وانثنت ترقم بـالـوشـي الـبـديع جاري الأنـهـار
فكست عن برده البرد الـخـلـيع خلـع الـنـوار
وبدت في خضرة الماء الـقـراح صفـرة الأوراق

كطراز مـذهـب فـوق وشـاح صنــعة الــخــلاق
مثل الورد على المـاء المـعـين مثــل الإنــســان
زهرة العمر له فـي الأربـعـين وبـدا الـنــقــصــان
ولقد يعجلـه بـعـض الـسـنـين يكـســر الأغــصــان
فافهم الجد فما المـعـنـى مـزاح وافــتــح الآمــاق
وادخر ما اسطعت من فعل الصلاح قيل أن تــعــتــاق
مثل الدنيا كبيت الـعـنـكـبـوت أمــره مــوهــون
من بها أيامـه سـهـواً تـفـوت فهــو الــمــحــزن
فسعيد الناس عن الهـم اسـتـراح وابـتــغــى مــا راق
وإذا حف من الطـير الـجـنـاح أدرك الــســبــاق
ما لأهل النوم في اللـيل نـصـيب من لـقـا الـمـحـبــوب
لا ولا تلقى بـعـيداً كـالـقـريب يدرك الـمــطــلــوب
وكذا من لا يرى وجه الـحـبـيب إنــه مــكــروب
فدع النوم فصـبـح الـشـيب لاح مســفــر الإشــراق
وانقضى ليل الصبا الداجـي وراح مثــل ركــب ســاق
أين أهـل الأرض مـن أيام عـاد أين أهــــل الأرض
وقـرون مـلأوا هـذي الـبـلاد طولـهـا والــعــرض
سيعود الكـل فـي يوم الـمـعـاد إذ يقــوم الــعــرض
كلهم يسعى إذ ما الصـور صـاح شاخــص الأحــداق
فلكـم مـن أوجـه ثـم صـبـاح حظــهــا الإحــراق
سيمور الفلك الأعلـى الـمـحـيط من عــلا الأفــلاك
ويضيق الخرق من هذا البـسـيط وتــرى الــمــلاك
عندهـا كـل خـلـيل وخـلـيط قلــبــه ينــســاك
وترى الأعين تجري بانسفاح دمـعـهـا الـدفــاق
زائدات فوقأواه الـبـطـاح تبـلـغ الأعــنــاق

أرتجي ربي ويكفيني الرجا فهو الغفار
والنبي المصطفى بدر الدجا أحمد المختار
من على سنته سار نجا من لهيب النار
مرشد الخلق إلى سبل النجاح طاهر الأعراق
ذا الندى بحر العطايا والسماح طيب الأخلاق

وقال أيضاً:

ما غردت الورق مع الإشراق فوق الورق
إلا وحلمت من جوى الأشواق ما لم أطق
ما نسمت الصبا صباحاً وسرت إلا بمسيرها لروحي أسرت
بالله ولا ذكرت أيامكم إلا ومدامعي من الشوق جرت
أصبو فإذا ما التهبت بي ناري ظلت حدقي
تبكي أسفاً لعل دمعي الجاري يطفي حرقي
أيامكم قضيت عيشاً رغدا بنتم فبقيت بعدكم منفردا
ما أوحش دنياي إذا لم أركم لا أوحشني الزمان منكم أبدا
يا مصطبحي الصفو عن الأكدار يا مغتبقي
من بعدكم غرقت في تيار بحر الغرق
من يوم عدمتكم عدنت الفرحا واعتضت بغصة الجوى والبرحا
والقلب ساقه دهره بعدكم كأسا وإلى الآن فما عاد صحا
سكران من الغرام والتذكار بادي القلق
ظمآن إلى أهيله والجار حلف الأرق
ودعتكم وعبرتي تندفق والقلب بنار وجده يحترق
ناديت قفوا بالله كي أنظركم هيهات نعود بعدها نتفق
قد كان تبقى لي من أوطاري بعض الرمق
فاسترجع مني بيد الأقدار ما كان بقي

ما أشوقني إلى قدوم الغياب ما أتوقني إلى وجوه الأحباب
إن عاد لي الزمان يوماً لم يبق على الزمان والله عتاب
بهم
أو إن أمنت بقربهم أسراري بعد الفرق
حدثتهم بكل ضيم طاري القلب لقي
وقال أيضاً:
كل من يبكي على إلف جفاه أو حبيب مات
وأنا أبكي على طيب الحياه وزمان فات
أين عمري، وعلى عمري واه خلف الحسرات
زار كالطيف وولى بسلام حامل الأوزار
لم يكن إلا كطيف في المنام أو كطير طار
كلما أفكر في عمر الشباب ونزول الشيب
وفعال لي أحصاها الكتاب كم بها من عيب
كدت أن أحثو على رأسي التراب وأشق الجيب
وأنادي من يعزي المستهام فاقد الأوطار
وقته فات وما نال المرام وكفاه العار
كلما قلت عسى قلبي الشقي يبلغ الآمال
وأنال الخير فيما قد بقي وتجود الحال
حطني الدهر فكم ذا أرتقي والمدى قد طال
وكأن قد جاءني داعي الحمام بلغ الإنذار
فانثنت بعدي أغاريد الحمام تندب الآثار
بان من كانوا لقلبي مؤنسين من جميع الناس
رحلوا فاليوم لي قلب حزين دائم الوسواس
فتراني خضاعاً للشامتين مطرقاً بالراس
غائصاً في بحر فكر وغرام موجه زخار

لا أبالي من رحل أو من أقـام ... من جـوى الأفـكـــار
أين من كانوا لضيمي مشتكـي ... ولأســـــــــراري
أين من كانوا لظهري متـكـا ... أين أنـــصـــــاري
بينما هم مثل بستـان زكـا ... نهـــره جـــــاري
هب فيهم عاصم الموت الزؤام ... بهــوا الإعـــصـــار
فإذا النبت به عصف حـطـام ... نهــره قـــد غـــار
جز بأطلال خلت بعد السكـن ... وانـــدب الأطـــلال
أين سكانك يا هـذي الـدمـن ... والـعـلا والـــمـــال
إنها إن لم يكن فيهـا سـكـن ... ليقـــول الـــحـــال
ها هنا كنا جميعاً بانـتـظـام ... في الـذي نـخـتـــار
أصبحت دارهم بعد الـزحـام ... ما بـــهـــــا ديار
أيها الخاطي بليل الخـاطـئين ... لاح ضـوء الـفـجـــر
انتبه قبـل لـحـاق الأولـين ... ومـضـيق الـحـجـــر
واصطبر فالله يجزي الصابرين ... بعـظـــيم الأجـــر
فبـيوم وبـشـهـر وبـعـام ... تنـقـضـي الأعـمـــار
وجزاء الخلق في يوم الـقـيام ... جنة أو نـــــــار
ليس لي غير إلهي ذي الكـرم ... غافـــر الـــــزلات
والنبي المصطفى بدر الظلـم ... صاحـــــــب الآيات
أحمد الهادي الرسول المحتشم ... سيد الـــســـــادات
بدر حق يخجل البدر التـمـام ... مشـــرق الأنـــوار
الذي كان تغشـاه الـغـمـام ... وهـو فـي الأسـفـــار
سلم الـلـه عـلـيه وعـلـى ... آلـــه الأعـــــيان
وعلى صديقه تـاج الـعـلا ... سابـــق الإيمـــــان
وعلى الفاروق مأمون المـلا ... والـرضـا عـثـمـــان
وعلي فارس الجيش الهـمـام ... الـفـتـى الـكـــرار
وعلى أولاده الزهر الـكـرام ... خيرة الأخـــــــيار

وقال كان وكان:

دع عنك شرب الهـلـيـلـج ... يا من فؤاده به حـمـى
واترك ذنـوبـك أي مـن ... ما يحمـل الـتـعـذيب

أهـوال يوم الـقـيامة حدث عن البحر ولا حرج
أقـل مـا فـي الـنـوبة الطـفـل فـيه يشـيب
الـقـبـر قـال نـبـيك أول مـنـازل الآخـره
من أول الـــدن دردري والله الأخـير عـجـيب
من بالأمـل يتـمـسـك مثل الذي يقبض الـهـوا
ومن من الثـلـج بـيتـو لا يأمـن الـتـخـريب
من الـغـراب دلـيلـه أي المنـازل يسـكـنـو
ومـن لإبـلـيس يبـتـع يبـصـر لايش يصـيب
من تاب عن ذنـب واحـد وذنب آخر عـاد فـعـل
كم هرب مـن رشـقـه قعـد حـذا مـــزريب
على الطبيب النـسـخـه وما عـلـيه الـمـزوره
من أهلكه تـخـلـيطـه ما يلتـزم بـو طـبـيب
إن كنت فـحـل ثـابـت نما تميل مـع الـهـوى
الفحل لـلـقـلـع آمـن ومـا يخـاف الـهـيب
خـليت أرض الـجـنـه ما فيها نخـلـه واحـده
واختـرت أرض الـدنـيا جريب خـلـف جـريب
فدرب دينـار تـعـبـر نسيت درب المـقـبـره
لو جزت في درب صالح عرفـت درب حـبـيب
عاملـت دنـياك مـــده فعامل اللـه مـثـلـهـا
إن ريت أنـك تـخـســر فارجـع وقـل تـجـريب
إذا خـلـوت بـنـفـسـك فعـلـت مـا لا ينـبـغـي
أي مـن خـلا أين تـخـلـو والـحـق مـنـك قـــريب
ترمـي لـيوسـف قـلـبـك في منقلب جـب الـهـوى
وعـنـد يعـقـوب تـبـكـي تقـول أكـلـــه الـــذيب
أفـنـيت بـنـدق عـمـرك في رمي عصفور الـهـوى
وللـجـلـيل مـا عـرفـتـه لإيش بـقـيت تـصـــيب
تدب فـوقـك نـمـلـــه تمـد إيدك تـرضـهـــا
يا مـن يرض الـنـمـلـه كم فـي الـتـراب دبـيب
تم الـعـمـل يا شـبـيطـر لا تـتـبـع نـسـر الأمـل
وأي عـقـاب الـمـظـالـم القـوس فـي الـتـعـقـيب
تسـف فـي قـربـانـــك سحت الـحـرام ولا تـسـل
هم يوم تـصـرع وتـخـرج من الـجـمـيع سلـــيب
حلـوان قـولـك وسـمـتـك لكـن مـراغـه داخـلـه
مالك إلى الـحـق مـوصـل فكـيف تـصـل لـطـبـيب
قل لـلـفـقـيه الـمـهـذب قلبك يكـن فـيه تـبـصـره
فإن تـنـبـيه قـلـبـــك تتـمة الـتـــهـــذيب
لا بـد ذي حـركـاتـــك بعد التـصـرف تـتـجـزم
وواو جـمـعـك وحـيتـك تخـرج بـلا تـــرتـــيب

اذخـر لـنـفـسـك ذخـيره عسـى تـراهـا فـي غـدا
نمـى تـعـذب وغـــيرك بمـا جـمـعـت يطـــيب
لا بـد لـك أن تـفـلـــس ولا يغـرك ذا الـغـنـــى
ولـو ورثـت الـــدنـــيا بالفـرض والـتـعـصـيب
أي مـن بـشـوطـو واقـف في منصف العمـر انـتـبـه
وأسرع فـشـمـس حـياتـك بقـي الـقـلـيل وتـغـيب
شرفـك الـنـفـس مـا هـو بالنقش والنفـش والـنـسـب
قد قـال: سـلـمـان مـنـا ولـم يكـن بـنـســيب
من خاط ثـوب الـمـعـالـي بلا جـمـيل يحـمـلـــه
أصـبـح وسـتـره شـهـره وبـــان وفـــيه وريب
واسط مقـام الـفـصـاحـه بغـــداد دار الأذكـــيا
وأنـا فـقـير حـصـل لـي من كـل أرض نـصـيب
فصار مـعـجـون قـلـبـي يشفي القلوب من الـمـرض
ولا يشـوبـــه مـــراره لأن فـيه تـــركـــيب

وأنشده شخص هذين البيتـين:

أيامنا بالحمى حييت أياما وزادك الله إجلالاً وإكـرامـاً
بالأمس قد كنت أحلى ما بأنفسنا فما أصابك حتى صرت أحلاما

وسأله أن يزيد عليها فقال:

يا سادة جرحوا قلبي ببـينـهـم وحملـوه عـلـى الآلام آلامـا
لله ليلات أنس كن لـي بـكـم عصيت فيهن عـذالاً ولـوامـا
كانت لنا من عطيات الزمان فما دامت علينا ولا المعطي لها داما

وقال ذوبيت:

لما رأت العين بياض الـشـعـرات فاضت أسفاً وقرحتها الـعـبـرات
ثم التفتت إلى الصبا وهـي تـقـول قف صل على العمر صلاة الأموات

وقال أيضاً:

ما يلمع بارق بذات العلمين إلا وبعين كل عين لي عين
تالله ولا أنظر يوماً حسـنـاً إلا ويقول خاطري أين وأين

وقال أيضاً:

في أي بطالة وفي أي زمـان أستبدل في الهوى فلاناً بفـلان
أرجو بدلاً هيهات ولى عمـري قد كان من الصبا ومني ما كان

تاج الدين الصرخدي

محمود بن عابد بن حسين بن محمد، الشيخ تاج الدين أبو الثنا التميمي الصرخدي النحوي الشاعر المشهور الحنفي؛ ولد بصرخد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وتوفي بدمشق سنة أربع وسبعين وستمائة، وكان فقيهاً صالحاً، نحوياً بارعاً، شاعراً محسناً ماهراً، متفقاً خيراً متواضعاً دمث الأخلاق، كبير القدر وافر الحرمة. وكان سكنه بالمدرسة النورية؛ ومن شعره قوله:

عجباً لقدك ما ترنح مـائلا إلا وقد سلب الغصون شمائلا

ولسقم جفنك كيف صح بكسرة فيه وأصبح باللواحظ نـابـلا

ولناظر حاز الولاية فـاغـتـدى من غير عزل للمعاطف عامـلا

وإذا علمت بأن ثغرك مـنـهـل في روضة فعلام تحـرم نـائلا

في بحر خدك راح صدغك زورقاً فلحبسه مد الـعـذار سـلاسـلا

وأظن موج الحسن يقذف عنبـراً أضحى له نبت السوالف ساحـلا

ومن العجائب أن سائل أدمـعـي قد جاء يستجدي عـذارك سـائلا

وقال أيضاً:

ما للفـؤاد إذا ذكـرتـك يخـفـق والدمع من عينـي يسـح ويدفـق

وإذا رأيتك فالـلـسـان مـهـابة خرس ودمعي بالصبـابة ينـطـق

ما ذاك إلا أن قـلـبـي مـوثـق بالأسر منك وأن دمعي مطـلـق

لا غرو أن خفق الـفـؤاد فـإنـه في العطف من غصن القوام معلق

وبمهجـتـي بـدر لـه مـن قـده رمح عليه من الذؤابة سـنـجـق

أضحى بقلبي ساكـنـاً ووشـاحـه أبداً كمسكـنـه يجـول ويقـلـق

يا قاطعاً نومـي ولـم يسـرق لـه حسناً وليس النوم مـمـن يسـرق

عيني التي سرقت نصاب الحسن من وجه عليه من الـمـلاحة رونـق

قالوا انتظر مـنـه زيارة طـيفـه فلسوف يأتيك الـخـيال ويطـرق

فأجبتهم والقلـب مـن مثر ومن حسن التصبـر

أشـجـانـه ملـق
مالي وللطيف الطـروق كلفي به ولـه أحـب
وإنـمـا وأعـشـق

وقال أيضاً:

تأنوا ففي طـري الـنـسـيم رسـائل وميلوا فإن البان بـالـسـفـح مـائل
ومـا مـال إلا لـلـسـؤال وعـنـده حديث هوى فاستخـبـروه وسـائلـوا
روى خبراً عن بان نعمـان مـرسـلاً وأسند عنه ما حـكـتـه الـشـمـائل
فعلل مـعـتـلاً وحـرك سـاكـنـاً من الوجد أضحى وهو في الحال عامل
خذوا عن يمين البان قد بلـغ الـهـوى أواخـر لـم تـبـلـغ لـهـن أوائل
وقصوا غرامـي لـلـنـسـيم فـإنـه غريمي إذا ما هيجتـنـي الـبـلابـل
وميلوا إلى رمل الحمى عـل سـربـه تلاحـظـكـم غـزلانـه وتـغـازل
سقى دمنة الوادي بمنـعـرج الـلـوى من المزن محلول النطاقين هـاطـل
ففيها ضفت عند المقـيل ظـلالـهـا ومنها صفت عند الورود المـنـاهـل
وإن سـؤالـي لـلـنـسـيم عـلالة كما أن دمعـي لـلـمـنـازل سـائل

"المختار الثقفي"

المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي؛ قال ابن عبد البر: لم يكن بالمختار، كان أبوه من جلة الصحابة؛ ولد المختار عام الهجرة وليست له صحبة ولا رواية، وأخباره غير مرضية حكاها عنه ثقات مثل سويد ابن غفلة والشعبي وغيرها.

كان معدوداً في أهل الفضل والخير يتراءى بذلك ويكتم الفسق، إلى أن فارق ابن الزبير وطلب الإمارة؛ وكان المختار يتستر بطلب دم الحسين رضي الله عنه؛ يقال إنه كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار رافضياً.

وكان يضمر بغض علي ويظهر منه أحياناً لضعف عقله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:يكون البيت ثقيف كذاب ومبير، وكان الكذاب المختار كذب على الله تعالى وادعى أن ألوحي يأتيه من الله تعالى؛ والمبير الحجاج بن يوسف.

وقتل المختار في رمضان سنة سبع وستين، قتله مصعب بن الزبير.

والفرقة المختارية من الرافضة إليه تنتسب، كان يقول بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي رضي الله عنه، وتبرأ منه محمد بن الحنفية لما بلغه من محارمه، لأنه اتخذ كرسياً غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال: هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو عندنا بمنزلة التابوت الذي

كان في بني اسرائيل فيه السكينة؛ واتخذ حمام أبيض طيرها في الهوا وقال لأصحابه: إن الملائكة تنزل عليكم في صورة حمامات بيض. وألف أسجاعاً باردة، وادعى النبوة.

أبو الفوارس ابن منقذ

مرهف بن أسامة بن منقذ، الإمام العالم مقدم الأمراء أبو الفوارس ابن الأمير الكبير الأديب مؤيد الدولة أسامة، الكناني الشيزري أحد أمراء مصر؛ ولد بشيزر وسمع من أبيه وغيره، وكان مسناً معمراً شاعراً كوالده، وجمع من الكتب شيئاً كثيراً، وتوفي سنة ثلاث عشرة وستمائة؛ ومن شعره:

رحلتم وقلبي بالولاء لديكم وجسمي للعناء مغـرب
مـشـرق
وما أدعي شوقاً فسحب مدامعي تترجم عن شوقي إليكم وتعرب
ووالله ما اخترت التأخير عنكـم ولكن قضاء الله ما منه مهرب

وقال أيضاً:

سمحت بروحي في رضاك ولم تكـن لتعجزني لولا رضـاك الـمـذاهـب
وهانت لجراك الـعـظـائم كـلـهـا علي وقد جـلـت لـدي الـنـوائب
فمهلاً فلي في الأرض عن منزل القلى مسار إذا أحرجـتـنـي ومـسـارب
وإن كنت ترجو طاعتي بـإهـانـتـي وقسري فإن الرأي عنـك لـعـازب

وكان قد أقعد لا يقدر على الحركة إلا أنه صحيح العقل والذهن والبصر، غير أن سمعه ثقل؛ وكان السلطان صلاح الدين قد أقطعه ضياعاً بمصر وأجراه أخوه العادل على ذلك، وكان الكامل ابن العادل يحترمه ويعرف حقه، رحمه الله تعالى.

"مروان بن الحكم"

مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم معه في خلافة عثمان رضي الله عنه، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.

ونظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك.

وكان مروان يقال له "خيط باطل" وفيه يقول عبد الرحمن "ابن أخيه لما بويع:

فو الله ما أدري وإنـي لـسـائل حليلة مضروب القفا كيف تصنع
لحى الله قوماً حكموا خيط باطـل على الناس يعطي من يشاء ويمنع

وولاه معاوية مكة والمدينة والطائف ثم عزله وولى سعيد بن العاص ثم ولاه ثم عزله بالوليد بن عقبة؛ فلما مات معاوية وتولى يزيد ثم مات يزيد وتولى ابنه معاوية ومات معاوية وثب عليها مروان وقال:

إني أرى فتنة تغلي مراجلهـا والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

ثم التقى هو والضحاك بن قيس بمرج راهط وقتل الضحاك.

وكان مروان قد تزوج أم خالد بن يزيد ليضع منه، فوقع بينه وبين خالد كلام، فأغلظ له مروان في القول وقال له: اسكت يا ابن الرطبة؛ فدخل خالد على أمه وقال لها: هكذا أردت يقول لي مروان على رؤوس الناس!! فقالت: اسكت فو الله لا ترى بعدها منه شيئاً تكرهه، وسأقرب عليك ما بعد، فلما نام مروان تلك الليلة قامت إليه مع جواريها وغمته حتى مات.

وكانت خلافته تسعة أشهر، وكانت وفاته في رمضان سنة خمس وستين للهجرة، ومات وله أربع وستون سنة، وصلى عليه ابنه عبد الملك، وكان مولده ليلة بدر لسنتين من الهجرة، رحمه الله.

مروان الحمار

مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الملقب "الحمار" و"الجعدي" نسبة إلى مؤدبه الجعد ابن درهم؛ كان لا يجف له لبد في محاربة الخوارج، ولد بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين وقتل سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام والدهاء؛ بويع له في نصف صفر سنة سبع وعشرين ومائة.

أدخل عليه يزيد بن خالد القسري وكان قد حاربه قبل أن يلي الخلافة فلف منديلاً على إصبعه ثم أدخلها في عين يزيد فقلعها واستخرج الحدقة ثم أدار يديه فاستخرج الحدقة الأخرى، وما سمع من يزيد كلمة.

وسار مروان لحرب بني لعباس في مائة وخمسين ألفاً حتى نزل قريباً من الموصل، فالتقى وعبد الله بن علي عم المنصور في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فانكسر مروان؛ وتقرب عبد الله من الشام وملك دمشق، وهرب مروان ودخل مصر وعبر الصعيد، فوجه عبد الله أخاه صالحاً في طلبه، وعلى طلائعه عمرو بن اسماعيل، فساق عمرو في أثره فلحقه بقرية بوصير فقلته وله من العمر اثنتان وستون سنة.

وكان أشقر أزرق، فقدم عليه شخص أول ولايته فرآه على هذه الصورة فلوى وجهه وقال: ما خلق الله هذه الصورة لأن يضع فيها خيراً أبداً، فبلغه كلامه فأحضره وقال: أنت القائل كذا? والله لأكذبنك، ثم أمر له بجملة وافرة وصرفه، فانصرف الرجل وهو يقول: صورة شر ما نفع الله عندها إلا بالشر. ولما وصل إلى بوصير قطع لسان قائد من قواده اتهمه مكاتبة بني العباس، فاختطفته هرة فأكلته، وفي عشية ذلك اليوم وصل عسكر عبد الله بن علي ودخلوا الدار التي فيها مروان فسلوا لسانه من قفاه ورموا به على الأرض، فجائت تلك الهرة بعينها فأكلت لسانه.

ومن شعر مروان قوله من قصيدة:

أبلغ نزاراً وعرب الشام قاطـبة وبالجزيرة واخصص قيس غيلانا

من ذا الذي يرتجي بعدي وأن تكونوا له في الناس

مودتكم أعوانـا

وكان يلقب بالحمار لثباته في الحرب.

أبو الشمقمق

مروان بن محمد؛ الشمقمق الشاعر، له في الجد والهزل أشياء؛ توفي في حدود الثمانين ومائة، وكان يهجو الشعراء الكبار مثل بشار بن برد وغيره من أهل عصره، وكانوا يصانعونه بالمال وله عليهم رسم في كل سنة، ومن شعره:

شرابك في السحاب إذا عطشنا وخبزك عند منقطع التـراب

وما روحتنا لـتـذب عـنـا ولكن خفت مرزئة الذبـاب

وقال:

إذا حججت بمال أصله دنـس فما حججت ولكن حجت العير

لا يقبل اللـه إلا كـل طـيبة ما كل حج ببيت الله مبـرور

وشخص أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل، فلما مر ببعض الدروب اندق اللواء، فاغتم خالد لذلك وتطير منه، فقال أبو الشمقمق:

ما كان مندق اللواء لـطـيرة تخشى ولا شر يكون معجـلا

لكن هذا العود أضعف متـنـه صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسري عن خالد، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون فزاده ديار ربيعة، فأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم.

"والد أسامة"

مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، والد أسامة؛ قال السمعاني: رأيت مصحفاً بخطه بماء الذهب ما أظن الرائين رأوا مثله. وتقدم بحسن تدبيره على رهطه، وأسن وعمر، وله الأولاد الأمجاد النجباء، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وتوفي بشيزر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة؛ وكتب بخطه سبعين ختمة.

ومن شعره:

ظلوم أبت في الظلوم إلا تـمـاديا وفي الصد والهجران إلا تناهـيا

شكت هجرنا والذنب في ذاك ذنبها فيا عجباً من ظالم جاء شـاكـيا

وطاوعت الواشين في وطالـمـا عصيت عذولاً في هواها وواشيا

ومال بها تيه الجمال إلى القـلـى وهيهات أن أمسي لها الدهر قاليا

ولا ناسياً ما استودعت من عهودها وإن هي أبدت جفوة وتـنـاسـيا

منها:

وقلت أخي يرعى بني وأسرتـي ويحفظ فيهم عهدتي وذمـامـيا
ويجزيهم ما لم أكلفـه فـعـلـه لنفسي فقد أعددته من تـراثـيا
فأصبحت صفر الكف مما رجوته أرى اليأس قد غطى سبيل رجائيا
فمالك لما أن حنى الدهر صعدتي وثلم مني صارماً كان مـاضـيا
تنكرت حتى صار برك قـسـوة وقربك منهم جـفـوة وتـنـائيا
على أنني ما حلت عما عهـدتـه ولا غيرت هذي الـنـون ودياديا
فلا زعزعتك الحادثات فإنـنـي أراك يميني والأنـام شـمـالـيا

مزبد المدني

مزبد بالزاي والباء المشددة المكسورة ودال مهملة أبو إسحاق المدني؛ كان كثير المجون حلو النادرة، له أخبار كثيرة في البخل، فإنه كان مبخلا إلى الغاية؛ قيل إنه صب عليه الماء يوماً، فسألته امرأته عن ذلك فقال: جلدت عميرة، ثم إنه رآها بعد أيام تصب عليها الماء، فسألها عن ذلك فقالت: جاءت عميرة فجلدتني.

وأحضره بعض ولاة المدينة، وقد اتهمه بشرب الخمر، فاستنكهه فلم يجد له رائحة، فقال: قيئوه، فقال: ومن يضمن عشائي أصلحك الله? وقيل له هل لك في الخروج إلى قبا والعقيق، وأخذ ناحية قبور الشهداء، فإن يومنا كما ترى طيباً? فقال: اليوم الأربعاء ولست أبرح من منزلي، قالوا: وما تكره من يوم الأربعاء، وفيه ولد بيونس ابن متى? فقال: بأبي أنتم وأمي فقد التقمه الحوت، قالوا: فهو اليوم الذي نصر الله فيه النبي صلى الله عليه وسلم على الأحزاب، قال: أجل ولكن بعد إذ "زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون" "الأحزاب: 10".وهبت يوماً ريح شديدة فصاح الناس: القيامة، القيامة، فقال مزبد: هذه القيامة على الريق بلا دابة الأرض ولا الدجال ولا يأجوج ومأجوج!!.

ومرض مرة فقال له الطبيب: احتم، قال: يا هذا أنا ما أقدر على شيء إلا على الأماني، أفأحتمي منها?! ورآه إنسان وهو بالرها وعليه جبة خز فقال: هب لي هذه الجبة، فقال: ما أملك غيرها، فقال الرجل: فإن الله تعالى يقول: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" "الحشر: 9"، فقال: الله أرحم بعباده من أن ينزل هذه الآية بالرها في كانون، وإنما أنزلت بالحجاز في حزيران وتموز وآب.

ونظر يوماً إلى امرأته وهي تصعد في سلم فقال لها: أنت طالق إن صعدت، وأنت طالق إن نزلت، وأنت طالق إن وقفت، فرمت بنفسها إلى الأرض، فقال لها: فداك أبي وأمي، إن مات مالك احتاج الناس إليك لأحكامهم.

واشترى يوماً جارية فسئل عنها فقال: فيها خلتان من خلال الجنة: البرد

والسعة.
وقيل له: ما بال حمارك يتبلد إذا رجع إلى منزله؟ قال: لأنه يعلم سوء المنقلب.
وقيل له: أيولد لابن ثمانين ولد؟ قال: نعم، إذا كان له جار ابن ثلاثين سنة.
وسمع رجلاً يقول: عن ابن عباس أنه قال: من نوى حجة فعاقه عنها عائق كتبت له، فقال مزبد: ما خرج كرى أرخص من ذا العام.
وطلب منه بعض جيرانه ملعقة، فقال: ليت لنا ما نأكله بالأصابع.
وهبت بالمدينة ريح صفراء أنكرها الناس وفزعوا، فجعل مزبد يدق أبواب جيرانه ويقول لا تعجلوا بالتوبة، فإنما هي وحياتكم زوبعة، والساعة تنكشف.
وكان مرة نائماً في المسجد، فدخل إنسان فصلى وقال: يا رب أنا اصلي وهذا نائم، فقال: يا بارد، سل حاجتك ولا تحرشه علينا.
وصلى يوماً، فلما فرغ دعا، فقالت امرأته: اللهم أشركني في دعائه، فسمعها، فقال: اللهم اصلبني.
وغضب يوماً عليه بعض الولاة، فأمر الحجام بحلق لحيته، فقال له الحجام: انفخ شدقك حتى أتمكن من الحلاقة، فقال: الوالي أمرك بحلق لحيتي أو تعلمني الزمر؟! وقيل له: كيف حبك لأبي بكر وعمر؟ فقال: ما ترك الطعام في قلبي حباً لأحد.
ودخل يوماً على بعض العلويين، فجعل يعبث به ويؤذيه، فتنفس الصعداء وقال: صلوات الله على عيسى بن مريم فإن أمته معه في راحة لم يخلف عليهم من يؤذيهم.
وباع جارية على أنها تحسن تطبخ، فلم تحسن شيئاً، فطلب إلى القاضي وطولب بأن يحلف على أنها تحسن الطبيخ، فاندفع وحلف أيماناً مغلظة أنه دفع إليها مرة جرادة فعملت منها خمسة ألوان من الطعام وفضل منها شريحة للقديد، سوى الجنب فإنها عملته جوذابة، فضحك من حضر وبئس الخصم من الوصول إلى شيء منه، فخلى سبيله.
وجمع مرة في بيته بين متعاشقين، فتعاتبا ساعة، ثم إن العشيق مد يده إليها فقالت: دع هذا ليس هذا موضعه، فسمعها مزبد فقال: يا زانية، فأين موضعه؟ بين الركن والمقام؟ والله ما بنيت هذه الدار إلا للقحاب والقوادين، ولا اشتري خشبها إلا من دراهم القمار، فأي موضع أحق بالزنا منها؟ ونوادره كثيرة، عفا الله عنا وعنه وسامحنا بمنه وكرمه.

ابن قسيم الحموي

مسلم بن الضر بن المسلم بن قسيم، أبو المجد التنوخي الحموي من شعراء نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى؛ توفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة.
يقال إنه كان له خادم وعبد، فدخل بعض الأيام داره فوجد العبد فوق الخادم، فضربه وخرج، فرأى بعض أصحابه فسأله عن غيظه فقال: هذا العبد النحس ناك الخويدم الصغير، فقال: مولانا المخدوم الكبير.
ومن شعر ابن قسيم:

كأن خمرته إذ قام بمزجـهـا ... من خده عصرت أو من ثناياه

النرجس الغض عيناه، وطرته بنفسج، وجني الـورد خـداه

وقال يصف المطر على النهر:

ولنا إذا انبجست أهاضيب الحـيا يوم تغاث به البلاد وتمـطـر

وتظل مفعمة أكـف بـروقـه تطوى بها حلل الغمام وتنشـر

والغيث منسكب كأن حـبـابـه درر تبث على المياه وتنـثـر

فحسبت أن الروض منه منـور والأرض غرقى والغدير مجدر

وقال يصف زهر الباقلا:

لله في زمن الربيع وصـائف حيت بزهرة باقلاء مبهجـه

ولوت بمفرقها عصابة لؤلـؤ وكأن شمساً بالنجوم متوجـه

وكأن أنملها حبـتـك بـدرة بيضاء مطبقة علي فيروزجه

"صريع الغواني"

مسلم بن الوليد، أبو الوليد مولى الأنصار المعروف بصريع الغواني، أحد فحول الشعراء؛ قيل إنه كان في أول أمره خاملاً أجير فران، فانقاد له الشعر وجوده وكسب به الأموال العظيمة، ثم اتصل بابني سهل: الحسن والفضل فولوه جرجان، فمات وهو واليها. مدح الرشيد وآل برمك وسار شعره. لقبه الرشيد بصريع الغواني لقوله:

وتغدو صريع الكاس والأعين النجل

توفي في حدود المائتين. وقصيدته التي قالها في يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني مشهورة جيدة، وهي:

أجررت حبل خليع في الصبا غـزل وشمرت همم العذال في عـذلـي

هاج البكاء على العين الطموح هوى مفرق بـين تـوديع ومـرتـحـل

كيف السلو لقلب بات يهذي بصاحب قلب غير مـخـتـبـلاً مختـبـل

لولا مراعاة دمع العين لانكشـفـت مني سرائر لم تظهر ولـم تـخـل

أما كفى البين أن أرمي بأسهـمـه حتى رماني بلحظ الأعين النـجـل

مما جنت لي وإن كانت منى صـدق صبابة خلس التسليم بـالـمـقـل

ماذا على الدهر لو لانت عريكـتـه أو رد في الرأس مني سكرة الغزل

جرم الحوادث عندي أنها اختلـسـت مني غذاء بنات الكرم والـكـلـل

ورب يوم من اللذات مختصر قصرته بلقاء الراح والحلل

وليلت خلست للعين من سنة هتكت فيها الصبا عن بيضة الحجل

عن غادة مثل قرن الشمس ناعمة فعم مخلخلها مرتجة الكفل

قد كان دهري وما بي اليوم من كبر شرب المدام وعزف القينة الفضل

إذا شكوت إليها الحب خفرها شكواي واحمر خداها من الخجل

فكم قطعت وعين الدهر راقدة أيامه بالصبا في اللهو والغزل

وطيب الفرع أصفاني مودته كافأته بمديح فيه منتخل

وبلدة لمطايا الركب منضية أنضيتها بوجيف الأينق الذلل

فيم المقام وهذا البحر معترضاً دنا النجاء وحان السير فارتحل

يا مائل الرأس إن الليث مفترس ميل الجماجم والأعناق فاعتدل

حذار من أسد ضرغامة شرس لا يولغ السيف إلا هامة البطل

لولا يزيد لأضحى الملك مطرقا أو مائل الرأس أو مسترخي الطول

حاط الخلافة سيف من بني مطر أقام قائمه من كان ذا ميل

كم صائل في ذرى تمهيد مملكة لولا يزيد بني شيبان لم يصل

ناب الإمام الذي يفتر عنه إذاً ما افترت الحرب عن أنيابها العصل

كفاكم يا بني العباس أن لكم سيفاً بكم غير ما نكس ولا وكل

سد الثغور يزيد بعد ما انفرجت بقائم السيف لا بالختل والحيل

من كان يختل قرناً عند موقفه فإن جار يزيد غير مختتل

كم قد أذاق حمام الموت من بطل حامي الحفيظة لا يؤتي من الوهل

أغر أبيض يغشي البيض أبيض لا يرضى لمولاه يوم الروع بالفشل

يغشى الوغى وشهاب الموت في يده يرمي الفوارس والأبطال بالشعـل
يفتر عند افترار الحرب مبتـسـماً إذا تغير وجه الفـارس البـطـل
موف على مهج في يوم ذي رهـج كأنه أجـل يسـعـى إلـى أمـل
ينال بالرفق ما يعيا الـرجـال بـه كالموت مستعجلاًيأتي على مهـل
يغشي المنايا المنايا ثـم يفـرجـهـا حين النفوس مطلات على الهـبـل
إن شيم بارقـه حـالـت خـلائقـه بين العطية والإمساك والـعـلـل
لا يرحل الناس إلا نحو حـجـرتـه كالبيت يضحي إليه ملتقى السـبـل
يقري المنية أرواح الكمـاة كـمـا يقري الوحوش شحوم الكوم والبزل
يكسو السيوف نفوس الناكثـين بـه ويجعل الهام تيجان القـنـا الـذيل
يغدو فتغدو المنايا فـي أسـنـتـه شوارعاً تتحدى النـاس بـالأجـل
إذا طغت فئة عن غب طاعـتـهـا عبى لها الموت بين البيض والأسل
قد عود الطير عادات وثقـن بـهـا فهن يتبعته في كـل مـرتـحـل
تراه في الأمن في درع مضاعـفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
جافي الجفون صحيح الطرف همته فك العناة وأسر الفاتك الـحـطـل
لا يعبق الطيب عينيه ومـفـرقـه ولا يمسح عينيه مـن الـكـحـل
إذا انتضى سيفه كانت مسـالـكـه مسالك الموت في الأبدان والقـلـل
وإن خلت بحديث النفس فـكـرتـه حي الرجاء ومات الخوف من وجل
كالليث إن هجته فالموت راحـتـه لا يسـتـريح إلـى الأيام والـدول
إنا لحوادث لما رمن هـضـبـتـه أزمعن عن جار شيبان بمنـتـقـل
والـدهـر يغـبـط أولاه أواخـره إذا لم يكن كان في أعصاره الأول

لا تكذبن فإن المجد معدنه وراثة في بني شيبان لم يزل

إذا الشريكي لم يفخر على أحد تكلم الفخر عنه غير منتحل

الزائديون قوم في رماحهم خوف المخيف وأمن الخائف الوجل

سلوا السيوف فأغشوا من يحاربهم خبطاً بها غير تعذير ولا وكل

كبيرهم لا تقوم الراسيات له حلماً وطفلهم في هدي مكتهل

إسلم يزيد فما في الدين من أود إذا سلمت وما في الملك من خلل

أثبت سوق بني الإسلام في صعد يوم الخليج وقد قامت على زلل

لولا دفاعك بأس الروم إذ مكرت عن بيضة الدين لم تأمن الثكل

ويوسف البرم قد صبحت عسكره بعسكر يلفظ الأقدار ذي زجل

غافصته يوم عبر النهر مهلته وكان محتجزاً في الحرب بالمهل

والمارق ابن طريف قد دلفت له بعارض للمنايا مسبل هطل

لما رآك مجداً في منيته وإن دفعك لا يسطاه بالحيل

سام النزال فأبرزت اللقاء له مقدم الخطو فيها غير منتكل

ماتوا وأنت غليل في صدورهم وكان سيفك يستشفى من الغلل

لو أن غير شريكي أطاف بها فاز الوليد بقدح الناضل الخصل

وقمت بالدين يوم الرس فاعتدلت منه دعائم القوم قد أوفت على خزل

ما كان جمعهم لما لقيتهم إلا كمثل نعام ريع منجفل

تابوا ولو لم يتوبوا من ذنوبهم لآب جيشك بالأسرى وبالنفل

كم آمن لك نائي الدار ممتنع أخرجته من حصون الملك والخول

ومارقين غواة من بيوتهم لا ينكلون ولا يؤتون من نكل

خلفت أجسادهم والطير فيها وأقفلتهم هاماً مع

عـاكـفة الـقـفـل
يأبى لك الذم في يومـيك إن ذكـرا عضب حسام وعرض غير مبتـذل
فافخر فما لك في شيبان من مـثـل كذاك ما لبني شيبان مـن مـثـل
كم مشهد لك لا تحصـى مـآثـره قسمت فيه كرزق الجن والخـبـل
لله من هاشم فـي أرضـه جـبـل وأنت وابنك ركنا ذلـك الـجـبـل
قد أعظموك فما تـدعـى لـهـينة إلا لمعضلة تستـن بـالـعـضـل
يا رب مكرمة أصبحت واحـدهـا أعيت صناديد راموها فلـم تـنـل
تشاغل الناس بالدنيا وزخـرفـهـا وأنت من بذلك المعروف في شغل
أقسمت ما ذدت عن جدواك طالبها ولا دفعت اعتزام الجد بالـهـزل
بأبي لسانك منع الـجـود سـائلـه فما يلجلج بين الجود والـبـخـل
صدقت ظني وصدقت الظنون بـه وحط جودك عقد الرحل عن جملي

صنع هذه القصيدة لما أشخصه إليه إلى الرقة، فأخذه وأدخله على الرشيد، فأنشده شعره فيه، فأمر له بمائتي ألف درهم؛ ثم إن يزيد الممدوح بعث إليه بمائة وتسعين ألف درهم وقال لا تكون عطيتي لك بمثل عطية أمير المؤمنين؛ قال مسلم: وأقطعني إقطاعات تبلغ ألف درهم؛ ثم أفضت الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبتني، فهجوته، فشكاني إلى الرشيد، فدعاني وقال: أتبيعني عرض يزيد؟ قلت: نعم، قال: بكم؟ قلت: برغيف، فغضب حتى خفته على نفسي، وقال: قد كان رأيي أن أشتريه منك بمال جسيم، ولست أفعل ولا كرامة، وأنا بريء من أبي، ووالله والله، إن بلغني أنك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكيك؛ قال: فأمسكت عنه بعد ذلك ولم أذكره.

ومن شعر صريع الغواني:

لا يمنعنك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطـان
تلقى بكل بلاد إن حللت بـهـا أرضاً بأرض وجيراناً بجـيران

وقال أيضاً:

وليلة نـاب الـهـم إلا بـقـية تداركها طيف ألم فـسـلـمـا
جمعنا معاذير العتـاب بـرقـدة مشت بيننا نطوي الحديث المكتما

وقال أيضاً:

وخندريس لهـا شـعـاع ابنة خمسين ألـف عـام
كأنها كـوكـب مـنـير والبدر في ليلة التـمـام
لو قرنت بالظـلام يومـاً لانجاب عنا دجى الظـلام
تكسب شرابهـا سـروراً فما يراعون باهـتـمـام
تضحك عن لؤلؤ شـتـيت ألفه الماء البيت النـظـام
ما ذقتها قـط غـير أنـي أمنحها الود بـالـكـلام
حلت لي الكاس حين دارت علي في سكرة المـنـام

مصعب ابن الزبير

مصعب بن الزبير بن العوام؛ استعمله أخوه عبد الله على البصرة، وقتل المختار بن أبي عبيد، وحارب بالعراقين عبد الملك بن مروان، إلى أن قتل سنة إحدى وسبعين للهجرة.

قال الشعبي: ما رأيت أميراً على منبر أحسن من مصعب.

وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، قال: اجتمع في الحجر عبد الله ومصعب وعروة بنو الزبير، وعبد الله بن عمر، فقالوا: تمنوا؛ فقال عبد الله: الخلافة؛ وقال عروة: يؤخذ عني العلم؛ وقال مصعب: إمرة العراق، وأجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، وقال ابن عمر: المغفرة؛ فنالوا ما تمنوا.

أتي مصعب يوماً بأساري من أصحاب المختار، فأمر بقتلهم بين يديه، فقام إليه أسير منهم فقال له: أيها الأمير، ما أقبح بي يوم القيامة أن أقوم إلى صورتك هذه المليحة الحسنة، ووجهك هذا الذي يستضاء به، فأتعلق بك وأقول: أي رب، سل مصعباً هذا فيم قتلني، فاستحيا مصعب وأمر بإطلاقه، فقال: أيها الأمير، اجعل ما وهبت لي في خفض ودعة من العيش، قال: قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم؛ فقال: اشهدني أيها الأميرأن شطر هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيان، قال: ولم ذلك? قال: لقوله فيك:

إنما مصعب شهاب من الل ه تجلت عن وجهه الظلماء

فضحك مصعب وقال: احفظ ما أمرنا لك به، ولابن قيس عندنا مثله.

فما شعر عبد الله بن قيس الرقيات، إلا وقد وافاه المال.

أبو العرب الصقلي

مصعب بن عبد الله بن أبي الفرات، أبو العرب القرشي العبدري الصقلي الشاعر المشهور؛ دخل الأندلس عند تغلب الروم على صقلية، وحظي عند المعتمد بن عباد، وديوانه بأيدي الناس. روى عن ابن عبد البر، أخذ عنه أبو علي ابن غريب "أدب الكاتب" لابن قتيبة، وتوفي بميورقة سنة ست وخمسمائة. ومن شعره.

إلام اتباعي للأمانـي الـكـواذب وهذا طريق المجد بادي المذاهب
أهم ولي عزمان:عزم مـشـرق وآخر يثني همتي في المغـارب
ولا بد لي أن أسأل العيس حـاجة تشق على أخفافها والـغـوارب
إذا كان أصلي من تراب فكلهـا بلادي وكل العاملين أقـاربـي

وما ضاق عني في البسيطة جانب وإن جل إلا اعتضت عنه بجانب
إذا كنت ذا هم فكن ذا عزيمة فما غائب نال النجاح بغائب

ومن شعره من أخرى:

كأن فجاج الأرض يمناك إن يسر بها خائف تجمع عليها الأنامـلا
فأين يفر المرء عنك بـجـرمـه إذا كان يطوي في يديك المراحلا

وهو من قول النابغة:

فإنك كالليل الذي هو مـدركـي وإن خلت أن المنتأي عنك واسع

مطيع بن إياس

مطيع بن إياس الكناني أبو سلمى؛ قيل إنه من الديل. كان شاعراً من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان خليعاً ماجناً حلو النادرة متهماً في دينه مأبوناً، ومولده ومنشأه بالكوفة، وكان إذا حضر ملك، وإذا غاب عنك شاقك، وإذا عرفت به فضحك. وكان يجتمع هو ويحيى بن زياد الحارثي وحماد الراوية وابن المقفع ووالبة ابن الحباب ويتنادمون لا يفترقون ولا يستأثر أحد منهم على صاحبه بمال. وكان يرمي الجميع بالزندقة.

ولام الناس مطيعاً على ما يرمى به من الأبنة، وقالوا: أنت في أدبك وسؤددك ترى هذه الفاحشة، فلو أقصرت عنها، فقال: جربوه أنتم ثم دعوه إن كنتم صادقين، فقالوا: قبح الله تعالى فعلك، وانصرفوا عنه.

وقدم بغداد رجل يقال له الفهمي، مغن محسن، فدعاه مطيع ودعا جماعة من إخوانه، وكتب إلى يحيى بن زياد يدعوه بهذه الأبيات:

عندنا الفهمي مـس رور وزمار مجـيد
ومـعـاذ وعــياذ وعمـير وسـعـيد
وندامى يعملـون ال قلز والقلـز شـديد
بعضهم ريحان بعض فهم مسـك وعـود

القلز بالقاف واللام والزي : البدال. فاتاهم يحيى وأقام عندهم.

وبلغت الأبيات المهدي، فضحك منها وقال: تنايك القوم ورب الكعبة.

وخرج مطيع بن غياس ويحيى بن زياد حاجين، فقدما أثقالهما وقال أحدهما للآخر: هل لك أن نصير إلى زرارة فنقصف عنده ليلتنا ثم نلحق أثقالنا؟ فقال: نعم، فما زال ذلك دأبهما حتى انصرف الناس من مكة، فركبا بعيرين وحلقا رؤوسهما ودخلا مع الحاج، فقال مطيع:

ألم ترني ويحيى إذ حججـنـا وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبـي خـير وبـر فمال بن الطريق إلى زراره
فعاد الناس قد غنموا وحجـوا وأبنا موقرين من الخسـاره

ومن شعر مطيع:

ويوم ببغداد نعـمـنـا صـبـاحـه على وجه حوراء المدامع تطـرب

ببيت ترى فيه الزجاج كأنه نجوم الدجى بين الندامى تقلب
يصرف ساقينا ويقطب تارة فيا طيبها مقطوبة حين تقطب
علينا سحيق الزعفران وفوقنا أكاليل فيها الياسمين المذهب
فما زلت أسعى بين صنج ومزهر من الراح حتى كادت الشمس تغرب

وسقط لمطيع حائط فقال له بعض أصحابه: أحمد الله على السلامة، فقال: أحمده أنت الذي لم ترعك هدته، ولم يصل إليك غباره، ولم تغرم أجرة بنائه.

هو الذي يقول في نخلتي حلوان:

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يف رق بين الألاف والأقران
ولعمري لو ذقتما ألم الفر قة أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

فلما خرج هارون الرشيد إلى طوس هاج به الدم بحلوان، فوصف له الحكيم أكل جمار النخل، فلم يكن بحلوان إلا تلك النخلتان اللتان في العقبة، فقطعوا له رأس إحداهما وأتي به إليه، فأكل منه، فلما بلغ إلى العقبة نظر إلى القائمة وإذا عليها مكتوب هذه الأبيات، فاغتم لذلك وبكى وقال: والله لو سمعت بهذا الشعر ما قطعتها ولو قتلني الدم، ويعز علي أن أكون النحس الذي فرق بينهما. وقال إبراهيم بن القاسم الكاتب المعروف بالرقيق النديم في كتاب "قطب السرور": إن مطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحماد عجرد كانوا يجتمعون عند أبي الأصبغ المقين، وكان له عدة جوار قيان، وكان فتيان الكوفة يألفون منزله وينفقون عنده، وكان هؤلاء الأدباء يغشون منزله لجارية يقال له حوذانة مليحة الغناء حسنة الوجه بارعة الظرف والأدب، وكان لأبي الأصبغ ابن يقال له الأصبغ ولم يكن بالعراق أحسن منه، وكان غالب أهل بغداد يتعشقونه ولا يقدرون عليه، وكان يحيى بن زياد كثير الإفضال على أبي الأصبغ. وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبح يوماً مع يحيى ابن زياد، فاهدي إليه يحيى من الليل جداء ودجاجاً وفراخاً وفاكهة وشراباً، وقال أبو الأصبغ لجورايه: إن يحيى يزورنا فأصلحن له ما يشبه مثله، فلما فرغ من الطعام لم يجد رسولاً يرسله إلى يحيى لأنه وجه بغلمانه في حوائجه، فوجه ابنه الأصبغ وقال له لا تبرح أو تجيء بيحيى معك، فلماجاء الأصبغ قال يحيى للغلام: أدخله وتنح أنت وأغلق الباب وإن أراد الخروج فامنعه.

فلما دخل إليه أصبغ وأدى الرسالة راوده عن نفسه فامتنع، فاروه يحيى فصرعه ورام حل تكته فل يقدر على ذلك فقطعها وقضى غرضه منه، فلما فرغ أعطاه أربعين ديناراً فأخذها، وقال له يحيى: امض وأنا في أثرك، فخرج أصبغ من عنده، فاغتسل يحيى وجلس يتزين ويتبخر، فدخل إليه مطيع بن إياس فرأى ما هو فيه، فقال له: كيف أصبحت؟ فلم يجبه وشمخ

بأنفه وقطب حاجبيه وتعظم، فقال له: أراك تتبخر وتتزين فإلى أين عزمت؟ فلم يجبه وازداد قطوباً وتعظماً، فقال له: ويحك، نزل عليك الوحي؟ كلمتك الملائكة؟ بويع لك بالخلافة؟ وهو يوميء برأسه: لا، لا؛ فقال له: فما خبرك؟ قد تهت فلا تتكلم كأنك قد نكت الأصبغ، قال: أي والله الساعة نكته وأعطيته أربعين ديناراً قطعت تكته، قال له: فإلى أين تمضي؟ قال إلى دعوة أبيه، قال مطيع: فامرأته طالق ثلاثاً إن فارقتك أو أقبل أيرك، فأبداه له يحيى حتى قبله، ثم قال له: كيف قدرت عليه؟ فحدثه حديثه، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبغ، واتبعه مطيع، فقال له: ما تصنع معي والرجل لم يدعك وإنما يريد الخلوة؟ قال: أشيعك إلى بابه ونتحدث، فمضى معه، ودخل يحيى ورد الباب في وجهه، فصبر مطيع ساعة ثم دق الباب واستأذن، فخرج إليه الرسول وقال: يقول لك أنا عنك مشغول اليوم في شغل لا أتفرغ منه لك فتعذر، فقال له مطيع: فابعث لي بدواة وقرطاس، فبعث له فكتب:

| | |
|---|---|
| يا أبا الأصبغ لا زلت على | كل حال ناعماً متـبـعـا |
| لا تصيرني من الود كمـن | قطع التكة قطعاً شنـعـا |
| وأتى ما يشتهي لم يثـنـه | خيفة أو خفض حق ضيعا |
| لو ترى الأصبغ ملقى تحته | مستكيناً خجلاً قد خضعـا |
| وله دفع عـلـيه عـجـل | شبق ساءك ما قد صنعـا |
| فادع بالأصبغ واعرف حاله | سترى أمراً قبيحاً فظعـا |

قال، فقال أبو الأصبغ ليحيى: فعلتها يا ابن الزانية؟! قال لا والله، فضرب بيده إلى تكة ابنه فوجدها مقطوعة فأيقن بالفضيحة، فقال يحيى: قد كان الذي كان، وسعى مطيع ابن الزانية إليك، وهذا ابني هو والله أفره من ابنك وأما عربي ابن عربي وأنت نبطي ابن نبطية، فنك ابني عشر مرات مكان المرة الواحدة التي نكت لابنك، فتكون قد ربحت الدنانير والوحدة بعشر، فضحك أبو الأصبغ وضحك الجواري، وقال لابنه: هات الدنانير يا ابن الفاعلة، فرمى بها إليه وقام خجلاً، فقال يحيى: والله لا دخل مطيع ابن الزانية، فقال أبو الأصبغ وجواريه: ليدخلن إلينا، فقد نصحنا وغشيتنا، فأدخل وجلس يشرب معهم ويحيى يشتمه بكل لسان، ومطيع يضحك.

ونوادر مطيع كثيرة في كتاب "الأغاني"؛ وتوفي سنة تسع وستين ومائة.

"مظفر الذهبي"

مظفر بن محاسن بن علي؛ هو تاج الدين الموصلي الأصل الدمشقي المولد الذهبي، مولده في العشر الأول من الحجة سنة سبع وستمائة، وتوفي سنة ست وثمانين وستمائة.

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان: استعرت ديوانه منه وكتبت منه كثيراً مما اخترته وقرأته عليه، فمن ذلك قوله:

| | |
|---|---|
| إذا شرفت نفس الفتى وتلطفت | طفت فتراها بالهوا تتعـلـق |
| وتقعد بالفدم الغبـي كـثـافة | تجاذبه نحو الحضيض فيغرق |
| وساق لشمس الراح في فيه مغرب | لأن لها من أفق خديه مـشـرق |
| إذا ما سعى بالكاس كان | بكسر جيوش الهم وهو |

مبـشـراً مخـلـق
تعاهدني أعطافه ثـم ويطعن رمح القد قلبي فيصـدق
تـنـثـنـي بخصر يرى مثل السراب وردف تخال الموج فيه ممنطقـاً يصفـق

وقال:

أمن وصحة جسـم وكسر بيت زكسره
نهاية العيش فاقنـع وشره حيث تشره

وقال أيضاً:

راحت تدير بمقلـتيهـا الـراحـا فغبقت مـن أحـداقـهـا أقـداحـا
وجلت لنا من تـحـت لـيل غـدائر قبل الصباح من الجبين صـبـاحـا
ناديتها رفقـاً بـصـب مـدنـفـق قد مال من سكر الغـرام وطـاحـا
قد مسه قـرح الـصـدود فـبـرؤه لو كان يرشف من لمـاك قـراحـا
فتبـسـمـت دلا وقـالـت هـكـذا يلفي ملحـاً مـن أحـب مـلاحـا
قم فاهصر الغصن الرطيب وكسر ال رمان فيه وعضـض الـتـفـاحـا

وقال أيضاً:

سن الظبا من لحظه الوسنان ورنا فراش سهامه ورماني
وبدا فذاب البدر من حسد له فلذاك ما ينفك في نقصـان
ماء النعيم يرف من وجناتـه يسقي رياض شقائق النعمان
قالت عقود نهوده لقـوامـه من أنبت الرمان في المران

وقال:

زمرذ شاربه الأخضـر ينم على ثغره الجوهري
وريق اللمى طعمه سكر وذاك النبات من السكر

وقال:

لقد خاب من يرجو رجوع شبابه بصبغة نيل تنتهـي وتـحـول
كأن بقاياها بـصـفـحة خـده سهام المنايا والنصول نصـول

وقال:

من منصفي من ساحر ساخـر يزيد من ذل لـديه اعـتـزاز
مذ وشحت خداه بالعـارض مرقوم قال الناس: دار

ال الطراز

وقال:

وأمرد ضاق عن معاملتي أودعت فاه خفيف ديار

فقال: بهرجت ذا الخفيف لنا فقلت: والضرب خارج الدار

وكان تاج الدين الذهبي يكتب جيداً، ويذهب أجود، ويصور في نهاية الحسن؛ ودخل السلطان الملك الناصر ابن العزيز عليه وهو بقلعة دمشق يذهب في دار رضوان، فقال له: ما تصنع يا تاج؟ قال: يا خوند أنا بالنهار أذهب إلينا، وفي الليل أذهب الثنا، وقال شعر:

يا حاتم الجود بل يا يوسف الثاني اشفع فديتك إحساناً باحسان

ماذا أقول وعكس الحال صيرني يا مالكي أحرقتني دار رضوان

وقال:

كلفت بتصوير الدمى في شبيبتي وأتقنتها إتقان حبر مهذب

وحاولت عنها رجعة ومدحتكم فلم أخل من تزويق زور مكذب

ولابن صابر المنجنيقي في هذه المادة:

كلفت بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصياصي وافتتاح المرابط

وعدت إلى نظم القريض لشقوتي فلم أخل في الحالي من قصد حائط

وكتب إليه ناصر الدين ابن النقيب يعتذر إليه:

منعتني من أن أراك خيول ضاق صدري بها وضاق السبيل

هي ما بيننا تحول وما ين كر تصحيف من يقول تحول

منظر مثلما رأيت مروع وسماع كما علمت مهول

مقنب خلف مقنب متوال ورعيل يقفوه ثم رعيل

وجمال محملات وقد قا بلها مثلها عليها حمول

وبغال تأتي بزبل فتلقا ها بغال غشم عليها طبول

ودواب الحلفاء والماء والطي ن وقوم ترمي وقوم تشيل

وروايا مؤثرات من الآثا ر ما لا يمحي وما لا يزول

كاع فيها الغسال من كثرة الغس ل وضاع الصابون والغاسول

وجياة الأسواق بالقرد والد ب، وسبع من آخرين وفيل

وصراخ وغاغة وصياح وبغيض وغائظ وثقيل

وشحيج مستنكر ونهاق ورغاء مزعزع وصهيل

وكسير على يد متوك وعلى الكتف آخر محمول

وثياب تخرقت بالمهامي ز وباللجم، رفوها مستحيل

ومواعين من غضار وفخا ر على أهلها الغضار تسيل
فتراها وقد رجعن شقافاً ولأصحابها عليها عويل
وسقوط الأطفال من زحمة الخي ل وللأمهات عنها ذهول
ولكم أزمنت حوافرها خل قاً كثيراً وكم لهن قتيل
وعليها من لا يخاف علينا وإذا قال لا نطيق نقول
وهو من تيهه بلفظة إيا ك وحاشاك أو تنح بخيل
"ما الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمول"
فلك العذر أيها الخل إن لم آت أو يأت من جهاتي رسول

فكتب إليه الجواب مظفر ابن الذهبي:

سيدي من زيارتي أنت معفى وعلينا مزاركم والمثول
أنا أسعى إليك سعي محب ومحق بفعله ما يقول
لو غدت داركم بنجد أتينا لم ترعنا حزونها والسهول
والصخور الكبار بالعجل العا جل والخيل إذ تراها جفول
ورحال يحملن ما سلخ الجزار منه الدماء سحاً تسيل
ومكال ملئن من وسخ المس لخ وافين وانتفضن غليل
ولكم رابني وعيد سرير من جريد به النواظر حول
وقميصي من قطع بنتكة الفوا ل شلت يمينه مشلول
ثم سقا يرش بالقربة الس وق أيضاً: سريعاً ذيلي به مبلول
وزحام والجرح فيكتف المن بل يجري ونصله مسلول
وحمير التراس إذ زجروها حيث أنا عن صدمهن غفول
ودفوف المزكلشين وللنا س عليهم تزاحم ودخول
وجمال الأجناد إذ تجلب الأح طاب والسيروان فدم جهول
وطبالي الشوء مع بطة الزي ات لم ينق طبعها الغاسول
وبرجلي معالج صخرة إن ه ي زلت علي أني قتيل
ولوأن البليغ يستوعب الأن كاد فيها لكان شرحاً يطول

فأجابه الحكيم شمس الدين ابن دانيال:

يا خليلي أنتما المأمول ومنائي من الورى والسول

بكما راقت الفضـائل وانـسـا غت بطيب كما تساغ الشمـول

عجباً منكما صديقـين صـدقـاً لكما عن مزار كـل عـدول

لا يصد الخليل عن زورة الـخ ل إذا ما أتاه أمـر مـهـول

لا ولا زحمة الخلائق في الأس واق كل عليه جـهـلاً يمـيل

وحمير البلاط والجبس تجـري والورى في الزحام عنها غفول

وحمار الزبال يعثـر بـالـزب ل أمامي والريح ريح قـبـول

وغبار النحات والـسـبـل ال منكي ودمعي إذ قابلتني همول

ولكم قد وقعت من طعنة القب ان حيث الوزان فـدم هـول

ومنادي السيوف أرهبـه حـي عثمان ينادي وسيفه مسـلـول

ولقدر الشـرائحـي سـخـام في ثيابي بالغسل لا يستـحـيل

وكذاك الأمراق من مطبخ السل طان يجري بها الغلام العجول

وزحام المجذمين مـع الـبـر ص بقلبي من لمسهن غـلـيل

ووقوع المـياه مـن دار قـوم فوق رأس بالوه أو لم يبولـوا

ولكم سلحة من الطاق ترمـي ها فتاة إذ طفلها مـسـهـول

وبراسي مـنـهـا عـلامة ذم ي كأني أبو العـلا شـمـويل

وحمار مطرمـذ عـجـل إن نال ظهري إني إذاً لـقـتـيل

وسراب الحمام يحفـر إذ ضـا ق ففيض المياه منه تـسـيل

وسقوط الأحجار من كل هدم وذراعي من وقعها مشلـول

ورجال قد زاحموني بأثـقـا ل لهم عند عتلهـا تـرتـيل

والذي يذبح الدجاج ويرمـي هن والدم سائح مـطـلـول

وارتياعي إذا المجرس وافى مقبلاً مدبراً بـه تـنـكـيل

وعصاة الضرير تجرح كعب ي وذيلي بطينها مـبـلـول

كل ذا هين على صاحب الشو ق وإكثاره عـلـيه قـلـيل

فذرا أيها الخـلـيلان عـذراً هو عندي إن زرتما مقبـول

وخذاه نظماً حكى البرد وشياً ولأهدابه عليه فضول

أبو المظفر الأنباري

مفلح بن علي بن يحيى بن عباد، أبو المظفر الأنباري؛ أقام ببغداد وكان يؤدب الصبيان، ثم اتصل بخدمة الوزير ابن هبيرة واختص به سفراً وحضراً، ولما توفي الوزير نقل عنه أنه نظم شعراً يعرض فيه ببعض الصدور، فأخذ وحبس في حبس الجرائم وعوقب مراراً، ومكث في الحبس سنة، ثم أخرج منه ميتاً سنة إحدى وستين وخمسمائة.

وكان حافظاً لكتاب الله تعالى حسن القراءة عالماً بالفقه والأصول أديباً مليح العبارة، سمع الكثير بنفسه وقرأ على الشيوخ وحدث بالسير، رحمه الله؛ ومن شعره:

وكنت قنعت في الدنيا بشخص يكون لراحتي ولكبت ضدي

تؤانسه مفاكهتي وقربي وتؤلمه مفارقتي وبعدي

فما سمحت به الأيام إلا يسيراً والمنون إليه تخدي

فما فرت به عيناي حتى توخاه الردى وبقيت وحدي

وقال:

سقى ربوعاً أقوت على حاجر واهي العزال مجلجل ماطر

وجاد ماذان والعقيق إلى غمرة دان وسميه باكر

يثير سلكاً من الرذاذ علي بان قرورا وروضها الزاهر

بكت بها شجوها فأضحكها بالنور دمع السحائب الماطر

كأنما الطل في ذوائبه والشمس صبحاً تنسل من كافر

عقد فتاة ألقى جواهره سلك خؤون لضعفه خائر

إذا تغنى حمامه طرقاً كان له من هديله سامر

كأنه شارب معتقة كان لها قس إيليا عاصر

من عهد كسرى وقيصر ختمت ما فضها شارب ولا تاجر

يا خالياً من غرام مكتئب ويا رقوداً عن ليله الساهر

وناصحي والنصيح متهم إن لم تكن مسعداً فكن عاذر

وعدتني منك وقفة أمماً أين وفاء الميعاد يا غادر

قف ساعة بي على معاهدهم ولا تكن للمطي بالزاجر

أما تراها تحن مرزمة ودمعها في جفونها حائر

قد أيقنت أنني أخو كلف بأربع لا ترق للذاكر

قد كنت جلداً فخانني جلدي أهجر من مل أو غدا هاجر

ومدمعي جامداً فمذ رحلوا عن ارض نجد لم يرق لي ناظر
حجر علي البكاء في طلل وإن شجاني إلا على حاجر
ومخطف الخصر أغيد علقت بالقلب منه كنفثة الساحر
يعقد أزراره على غصن وبدر تم يعشي له الناظر
بمهجتي رمت وصله فأبى وعدت منه بصفقة الخاسر
رمى فأصمى عن قوس حاجبه فالسهم لا طائش ولا عاثر
ما خامر القلب قط فيه ولا جالت بنات السلو في خاطر
له على القلب من جلالته رقبة ناه من غيرة آمر
بغيب ذهي إذا تذكره وهو بقلبي مخيم حاضر
حن فؤادي إلى معذبه فيا لهيم حنت إلى الزاجر

مقدار المطاميري

مقدار بن المختار، أبو الجزائز بن المطاميري الشاعر التكريتي؛ توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة؛ من شعره:

لو أن وقفة ليل ذي الأثل رجعت علي بذاهب الوصل
أو عاود الإلمام طيفكم لقضى ديون الحب ذو مطل
كانت ليالي وصلكم خلساً جادت بها مألوفة البخل

تثني اللثام على حصى برد تشفي مذاقته من الخبل
وتدير نجلاوين زانهما كحل لقد أغنى عن الكحل
ويهز منها الخطو معتدلاً نشوان من ترف ومن دل
كقوام خوط البان رنحه ولع النسيم بذي نقا سهل
يا صاحبي سري اللذين هما أدنى محافظة من الأهل
بباله هل آنستما أحداً شغف الغرام فؤاده مثلي
ليت الحلول سهول كاظمة لم يستحلوا في الهوى قتلي
جحدوا دمي وعلى أكفهم نضح يقوم بشاهد عدل

وقال:

ولما تنادوا بالفراق غدية رموا كل قلب مطمئن برائع

وقمنـا فـمـبـد حـنة إثـر أنة تقوم بالأنفاس عـوج الأضـالـع
مواقف تدمي كل عـبـراء ثـرة صدوف الكرى إنسانها غير هاجع
أمنا بها الواشين أن يلهجـوا بـنـا فلم نتهم إلا وشـاة الـمـدامـع

أبو سعد الآبي

منصور بن الحسين، الأستاذ أبو سعد الآبي؛ تقلد الوزارة بالري، وكان يلقب بالوزير الكبير ذي المعالي زين الكفاة؛ كان أديباً ماهراً ناظماً عالي الهمة شريف النفس، ذكره الثعالبي في كتاب "اليتيمة" واثنى عليه، وله كتاب "نثر الدر" لم يجمع مثله، سبع مجلدات، كل مجلد بخطبة، وكل مجلد فيه أبواب، لم يجمع أحد في المنثور مثله. وله كتاب "نزهة الأدب" وله كتاب "الأنس والعرس"، وكان يتشيع. ولما ورد السلطان إلى الري سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ولاه القيام باستيفاء الأموال.

ومن شعره:

على التلعات البيض من أبرق اللوى تلألأ برق مثلما ابتسمت سـعـدى
واتلـع إن مـاس الأراكة لـم يدع لها فنناً سبطـاً ولا ورقـاً جـعـدا
إذا وردت ماء العـذيب ركـائبـي فقد اعشبت مرعى وقد أعذبت وردا
يرف علـيهـا الأقـحـوان غـدية وقد عله طل كدمـعـي أو أنـدى
هنالك قوم كلـمـا زرت حـيهـم لقيت أبا سعد به الطائر الـسـعـدا
عقائله يفرشن بـالـورد طـرقـه ليوطئه إن جئته الـفـرس الـوردا

وقال:

إذا الليل أسبـل أستـاره وضم أبا حسن والحسـن
فإني بريء من المصطفى لئن كنت أعلم من ناك من

وقال:

أزور بمهجتي العلمـين دارا يناغي الأقحوان به العرارا
أناشد لامع البرق اليمـانـي وأستسقي لكاظمة القطـارا
واسأل عـن نـار كـل دار وما تغني مساءلتي الـديارا
سلام إن يكن قولـي سـلام يليح الوصل أو يدني المزارا
سلام فتى يحن إلى هـنـات صحا من سكرها إلا ادكارا
ودون المنحني بالجزع حـي عزيز أن يزور وأن يزارا
ألا يا صاحبي عرج قـلـيلاً فقد آنست من وهبين نـارا
ألا يا نـاذريه دمــي رويداً أراقته عقيلتـكـم جـبـارا
فربت ليلة سهرت ونمـتـم قطعناها عتاباً واعـتـذارا

وما حدرت لمحظور نقـاباً ولا وضعت لفاحشة خمارا
وليلة زرتها والأفـق سـود حوافيه وأنجـمـه حـيارى

أمير العرب بهاء الدولة

منصور بن دبيس بن علي بن مزيد، أبو كامل بهاء الدولة الأسدي؛ كان أديباً فاضلاً، شاعراً فارساً، شجاعاً كريماً جواداً ذا رأي وحسن تدبير، وكان حفظة لأخبار المتقدمين وسير الأوائل وأشعار الجاهلية والإسلام.

قرأ الأدب على عبد الواحد بن علي بن برهان، وكان حسن السيرة عادلاً في رعيته؛ ولد سنة خمس وعشرين وأربعمائة، وتوفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وكانت أيامه بالعراق أربع سنين وشهوراً. ولما دخل على عميد الملك الكندري وزير طغرلبك أسيراً قال له الأمير: أين فروسيتكم وشجاعتكم؟ فأنشده:

فإن نهزم فهزامون قدماً وإن نهزم فغير مهزمينا
وما إن طبنا جبن ولكـن منايانا ودولة آخـرينـا

وقال أيضاً:

أقول لـزياد ولا سـتـر دونـه ونحن بشاطي المسرقان جنـوح
وقد عاد للدولاب رجـع كـأنـه حنين مطايا مسـهـن طـلـوح
تبصر خليلي هل ترى ضوء بارق على نشز نحو العـراق يلـوح
فقال وقد طال التشـوق مـا أرى سوى زفرات في الفؤاد تفـوح
رعى الله سكانه العراق فإنـنـي عليهم وإن شط المزار شـحـيح
ولازال من نوء السماك علـيهـم ونوء الثريا الـعـشـي دلـوح

وقال أيضاً:

ما لامني فيك أعدائي إلا لغفلتهم عني وعـن وعـذالـي حـالـي
لا طيب الله لي عيشاً أفـوز بـه إن دب سكر التسلي عنك في بالي

وقال أيضاً:

ولما رأيتـك ضـراعة تزين الخداع مقالاً جميلا
تسليت عنك بمن لا أريد فدب السلو قليلاً قلـيلا

وقال من أبيات:

أولئك قومي إن أعد الذي لـهـم كرم وإن أفخر بـهـم لا أكـذب
هم ملجأ الجاني إذا كان خـائفـاً ومأوى الصريخ والفقير المعصب
بطاء عن الفحشاء لا يحضرونهـا سراع إلى داعي الصباح المثوب

مناعيش للمولى مساميح للـقـرى مصاليت تحت العارض المتلهب
وجدت أبي فيهم وخالي كليهـمـا يطاع ويؤتى أمره وهو محتبـي
فلم أتعمـد لـلـسيادة فـيهـم ولكن أتتني وادعاً غير متـعـب

النمري الشاعر

منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم؛ كان من شعراء الدولة العباسية، وهو تلميذ العتابي، والعبابي هو الذي وصفه للفضل بن يحيى بن خالد حتى أقدمه من الجزيرة واستصحبه وأوصله للرشيد، ومنصور هو راوية العتابي وعنه أخذ ومن بحره استقى، وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة فتهاجرا وتناقضا وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه.
وعرف منصور النمري مذهب الرشيد في الشعر ومقصده في نفي الإمامة عن آل أبي طالب والطعن عليهم، لما كان يبلغه عن مروان بن أبي حفصة، فسلك مذهب مروان ونحا نحوه ولم يصرح بالهجاء كما كان يفعل مروان، وكان شديد العداوة للطالبيين.
وتوفي منصور النمري في حدود العشر والمائتين، ولما دخل على الرشيد أنشد:

أمير المؤمنين إليك خـضـنـا غمار الموت من بلد شـطـير
بخوص كالأهـلة خـافـقـات يلبن على السرى "وعلى الهجير"
حمـلـن إلـي آمـلاًثـقـالا ومثل الصخر والدر الـنـثـير
فقد وقفوا المديح بمـنـتـهـاه وغايته فصار إلـى مـصـير
إلى من لا تشـير إلـى سـواه إذا ذكر الندى كف الـمـشـير

فقال مروان بن أبي حفصة: وددت والله أنه أخذ جائزتي وسكت.
وقال في هذه القصيدة:

يد لك في رقاب بني عـلـي ومن ليس بالمن الصـغـير
مننت على ابن عبد الله يحيى وكان من الهلاك على شفير
فإن شكروا فقد أنعمت فيهـم وإلا فالندامة لـلـكـفـور
وإن قالوا بنو ابنتـه فـحـق وبروا والمناسب للـذكـور
وما لبني بنات مـن تـراث مع الأعمام في ورق الزبور

ولابن المعتز هذا المعنى حيث يقول:

فأنـتـم بـنـو بـنـتـه دونـنـا ونـحـن بـنـو عـمـه الـمـسـلـم

وهذا في غاية الفخر والحسن لأن العباس رضي الله عنه مات مسلماً وأبا طالب مات كافراً.
ودخل يوماً على الرشيد وأنشده قوله:

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجـع
بأن الشباب وفاتتني بـلـذتـه صروف دهر وأيام لها خـدع
ما كنت أوفى شبابي كنه غربته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبـع

فقال الرشيد: أحسن والله، لا يتهنا أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب؛ ومن القصيدة في المديح:

أي امريء بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينـتـفـع
إن المكـارم والـمـعـروف أودية أحلك الله منها حـيث تـجـتـمـع
إذا رفعت امرءاً فالـلـه يرفـعـه
نفسي فداؤك والأبطال معلمة يوم الوغى والمنايا بينها قرع

فأمر الرشيد له بمائة ألف درهم.

وكان محمد البيذق ينشد الرشيد أشعار المحدثين، وكان إنشاده يطرب أكثر من الغناء، فأنشده يوماً هذه القصيدة، فلما بلغ هذه الأبيات كان بين يديه خوان فرمى به من يديه وقال: هذا أطيب من كل طعام ومن كل شيء، وبعث إلى منصور النمري بسبعة آلاف دينار، قال البيذق: فلم يعطني منها ما يرضيني، وشخص إلى رأس عين فأغضبني فأنشدت هارون قوله:

شاء من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطـل

حتى بلغت قوله:

إلا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

فقال هارون: أراه يحرض علي. ابعثوا إليه من يأتيني برأسه، فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يفده. وتوجه إليه الرسول فوافاه في اليوم الثاني الذي مات فيه منصور، فأمر ينبشه وإحراقه، فشفع فيه الفضل ولم يزل إلى أن كف عنه.

ومن مديح قصيدته العينية في الرشيد قوله:

إن أخلف الغيث لم تخلف مخايله أو ضاق أمر ذكرناه فيتـسـع

قيل إن العتابي استقبل منصوراً النمري يوماً فوجده واجماً كثيباً فقال له: ما خبرك؟ قال: تركت امرأتي تطلق وقد عسرت عليها الولادة، وهي يدي ورجلي والقيمة بأمري، فقال له العتابي: اكتب على فرجها "هارون"، قال: ولم ذلك؟ قال: لتلد ويتسع المكان، قال: وكيف ذلك؟ قال: لقولك كذا وكذا وأنشده البيت، فقال: يا كشخان، والله لئن تخلصت امرأتي لأذكرن ذلك للرشيد؛ فلما ولدت امرأة منصور اخبر الرشيد الواقعة، فغضب وطلب العتابي، فاستتر عند الفضل بن الربيع حتى شفع له فأمره بإحضاره فأحضره فقال له: ويلك تقول كذا وكذا للنمري، فاعتذر له حتى قبل ذلك ، فقال العتابي: ما حمله على الكذب علي إلا وقوفي على ميله إلى العلوية، وأنشده قصيدته اللامية التي أولها:

شاء من الناس راتع هامل

فغضب وقال للفضل: احضره الساعة، فستره الفضل عنده، ولم يزل الرشيد يتطلبه إلى أن قال يوماً للفضل: ويحك يفوتني النمري؟! قال: يا أمير المؤمنين، قد حصلته وهو عندي، قال: فجئني به؛ وكان الفضل قد أمره أن يلبس فروة مقلوبة ويباشر الشمس ليشحب ويسوء حاله، ففعل، فلما أراد إدخاله عليه علمه ما يقول، فلما وقعت عين الرشيد عليه قال: السيف، فقال الفضل: يا أمير المؤمنين ومن هو هذا الكلب حتى نأمر بقتله بحضرتك؟ قال: أليس هو الذي يقول:

إلا مساعير يغضبون لنا بسلة البيض والقنا الذابل

فقال منصور لا يا سيدي، ما أنا الذي قلت هذا ولقد كذب علي، ولكني الذي أقول:

يا منزل الحي ذا المغاني أنعم صباحاً على بلاكا

منها:

هارون يا خير من يرجى لم يطع الله من عصاكا

في خير دين وخير دنـيا من اتقى الله واتقـاكـا

فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله، فقال منصور يمدح الفضل:

رأيت الملك مـذ آزر ت قد قامت محانـيه

هو الأوحد في الفضل فما يعرف ثـانـيه

الراشد بالله

منصور بن الفضل بن أحمد بن عبد الله، أبو جعفر الإمام الراشد بالله أمير المؤمنين ابن المسترشد بالله ابن المستظهر؛ ولد ليلة الجمعة ثالث عشر شهر رمضان سنة اثنتين وخمسمائة، ويقال إنه لم يكن له مخرج، فأحضر الأطباء وأشاروا بأن يفتح له مخرج بآلة من ذهب، ففعل به ذلك واستقام أمره.

وخطب لوالده بولاية العهد سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وبويع له بالخلافة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة.

وكان مليحاً أبيض شديد الأيد شجاعاً حسن السيرة جيد الطوية، يؤثر العدل ويكره الشر، وكان فصيحاً أديباً شاعراً سمحاً جواداً، ولم تطل أيامه، خلعه السلطان مسعود وبايع عمه الإمام المتقي وعمره أربعون سنة، وخرج الراشد بالله إلى نواحي أصبهان فقتله الفراشون بالسكاكين في خركاته وبني له هناك تربة.

يحكى أنه كان ببستان الخلافة إيل عظيم الخلقة اعترضه في بعض الميادين، فهرب الخدم عنه، فهجم عليه بنفسه ومسك قرنيه فقلعهما بيده فوقع ميتاً؛ ومن شعره رحمه الله تعالى:

سأقتضي من زمني ديوني إن أخرتني ريب المنون

ولست بالراشد إن لم أنتخي لهاشم عن حسبي ودينـي

"المستنصر بالله"

منصور بن محمد بن أحمد، الإمام المستنصر بالله ابن الإمام الظاهر ابن الإمام الناصر؛ ولد في ثالث عشر صفر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، بويع له بالخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من الحجة سنة أربعين وستمائة، وبويع بعده لولده الأكبر أبي أحمد المستعصم.

ولما استقر الإمام المستنصر نشر العدل وبث المعروف وزاد أبواب الخيرات، وقرب أهل العلم والزهاد والصالحين، وبنى المدارس والمساجد والربط والمشاهد ودور الضيافة والبيمارستانات، وكف الفتن واعتنى بطرق الحاج وإصلاح آبارها، وبنى بالمدينة ومكة دوراً للمرضى وأرسل إليها ما تحتاج من العقاقير والمركبات من الأدوية؛ وجمع العساكر وقام بأمر الجهاد، وأذعنت لطاعته ملوك الأرض، وبيعت كتب العلم في أيامه بأغلى الأثمان لميله إلى اقتنائها ورغبته في تحصيلها وإكبابه على مطالعتها ووقفها على أهل الفضل. وصنف الفضلاء في دولته بدائع المصنفات في فنون العلم تقربوا باهدائها إليه.

وكان أبيض أشقر الشعر ضخماً قصيراً، وكان جده الإمام الناصر يقربه ويسميه "القاضي" لعقله وهديه وإنكاره المنكر.

قال ابن واصل: وبنى على دجلة من الجانب الشرقي فيما يلي دار الخلافة مدرسة ما بني على وجه الأرض مثلها، وهي بأربع مدرسين على المذاهب الأربعة، وعمل فيها بيمارستاناً كبيراً، ورتب فيها مطبخاً ومزملة للفقراء، ورتب لهم حماماً وبالحمام قومة، واستخدم عساكر عظيمة تزي على مائة ألف وعشرين ألف فارس، وهزم التتار.

وكان قد بلغ ارتفاع وقف المستنصرية نيفاً وسبعين ألف مثقال.

ولما اهتم رضي الله عنه بجمع الجند من أقطار الأرض لدفع التتار اتفق جماعة من التجار وجمعوا مالاً خطيراً وسألوا الإنعام عليهم بقبوله وانفاقه على الغزاة ودفعوا المال إلى الدوادار، فأمر بأن يرد عليهم المال وقال: جزاكم الله الخير، يكفينا منكم الدعاء، وفي خزائننا ما يغني عن ذلك.

وكان له جارية يحبها اسمها "فضة"، فمن شعره فيها:

قالوا أمثل أمير المؤمنـين لـه — عقل يقسم بين الملك والغـزل

فقلت ما جئت بدعاً في الغـرام — أخذت إلا بخط من حلى الرسل

وما يضيع الهوى عقلاً يكون له — فضلاً إلى الرأس والتدبير للدول

وحكي أن محيي الدين ابن الجوزي حضر عنده بعض الصالحين وشكا إليه أمر دين لزمه وعجز عن قضائه، فهم ابن الجوزي أن يقضي دينه، ثم رأى أن يؤثر المستنصر بالله بهذه المثوبة لما يعلم من صلاح الرجل ورغبة المستنصر في الخير، فطالعه بذلك، فبعث إلى ابن الجوزي من المال مقدار دين الرجل، وبعث مع ذلك مائتي دينار وقال: هذه لنفقته لأنه إذ قضى دينه لم يبق له ما ينفقه، وبعث إلى ابن الجوزي خمسمائة دينار وقال: هذه عوض إيثارك لنا بهذه المثوبة، رحمه الله تعالى.

النيري الواسطي

منصور بن محمد بن علي، أبو نصر الخباز المعروف بالنيري من أهل واسط؛ كان أمياً لا يحسن الكتابة، وكان له خاطر جيد في النظم. لو أراد أن لا يتكلم في خطابه إلا بالشعر لفعل ذلك، ولم يزل يجتمع بالناس ويهذب شعره إلى أن أجاد النظم، ومات سنة خمسين وأربعمائة؛ فمن شعره رحمه الله تعالى:

ولرب يوم بت أخلف شمسه والروض قد نثرت محاسن برده
بمدامة صفراء كلل تاجها كف المزاج بلؤلؤ من عقده
ومليحة تحدو الهموم إذا شدت ومهفهف يسبي القضيب بقده
هذاك منتقش العذار كأنما غرس البنفسج في منابت ورده
ويد الفتاة خضيبة فكأنما غمست أديم وصالها في صده
غنت فأطربت الغزال بشدوها فجنى أناملها بخضرة زنده
ودنا يقبلها فمن رقبائها سخطت عليه وأسرفت في رده
لطمت عوارضه بغير جناية منه فأثر نقشها في خده

ومنه:

الكأس بن معصفر ومخلق والحب بين مزنر ومقرطق
والماء في زبد الصراة كأنه ورد اللجين على قباء فستقي
وترى الهلال لليلتين كأنه ال خلخال يلمع تحت ذي أزرق

ومنه:

كأن نجوم الليل أحداق فضة بأجفان تبر لم يصغهن صائغ
ونجم الثريا شبه كاس مرصع بكف حبيب رده وهو فارغ

وقال أيضاً:

حبيبي ما يفارقك الرقيب ولا لي منك يا سكني نصيب
ولا تخلوا وأخلوا معك يوماً فأملي من حديثك ما يطيب
أحب لا أحب سواك خلقاً وتبغضني وذا شيء عجيب
إذا كان المحب قليل حظ فما حسناته إلا ذنوب

وقال أيضاً:

وتبرية جاءتك في ثوب فضة بكف خماسي القوام رشيق
أتت بين طعمي عنبر وسلافة بأنفاس مسك في شعاع حريق
كأن حباب المزج في جنباتها كواكب در في سماء عقيق

وقال أيضاً:

سقاني وقد نام الرقيب مدامة على فرق والليل عسكرهزنج
وطير عقلي حين تاه بنظرة على واضح من تحتها أعين دعج
وفي يده تفاحة شبه خده مضرجة كالنار ليس لها وهج

عقيقية الأثواب درية الـحـشـا فظاهرها نار وباطنهـا ثـلـج

وقال أيضاً:

الخد بين مـطـرز ومـدبـج والثغر بين منظم ومـفـلـج
وكأنما وجـنـاتـه بـلـورة وعذاره والصدغ من فيروزج
وكأنا والكاس تجمع شملـنـا والروض بني مجلل وممزج
من طرفه والخد ثـم عـذاره في نرجس وشقائق وبنفسـج

الخليفة الهادي

موسى بن محمد، أمير المؤمنين الهادي ابن المهدي ابن المنصور؛ كان أبيض جسيماً طويلاً مولده بالري سنة سبع وأربعين ومائة، وتوفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من ربيع الول سنة سبعين ومائة، وله خمس وعشرون سنة وشهور، وصلى عليه أخوه الرشيد، ودفن بالقصر الأبيض الذي كان علمه. وكانت خلافته سنة وشهراً واحداً وعشرين يوماً. وأمه أم ولد يقال لها الخيزران.

وكان شجاعاً بطلاً أديباً جواداً صعب المرام، يلهو ويلعب ويركب حماراً فارهاً، ولا يقيم أبهة الخلافة وكان فصيحاً قادراً على الكلام تعلوه هيبة وله سطوة.

أعطى لإبراهيم الموصلي سبعمائة ألف درهم.

يقال إن أمه الخيزران سمته لأنه طالب أخاه الرشيد أن يخلع نفسه من العهد ويقدم ولده، وكان موسى قد سماه الناطق بالحق، فامتنع، فهم بقتله مراراً، فكانت أمهما الخيزران تدافع عنه، ولعظمها في دولة المهدي كان كبراء الدولة يغشون بابها للحوائج، فأغضب الهادي ذلك وقال لها: ما هذه المواكب التي تغدو لبابك وتروح؟! إنما للمرأة بيتها ومغزلها وسجادتها وسبحتها، ثم أنفذ لها أرزاً مسموماً، ففطنت له ولم تأكله وأخذت في الاحتيال عليه وسمته، فمات، وفي ليلة مات ولد خليفة وولي خلفية: توفي الهادي وولي الرشيد وولد المأمون.

وهو أول من وصل بمائة ألف درهم لأنه أعطى سلم الخاسر مائة ألف درهم، وكان أسمح بني العباس بالمال.

وحكي أنه كان في بستان له يتفرج وهو راكب حماراً، فجيء إليه برجل قد وجب عليه القتل وشرطيان يمسكانه عن يمينه ويساره، فأفلت منهما واخترط سيف أحدهما وأقبل به على الهادي، فصاح الهادي وقد أيقن بالموت: ويلك، اضرب عنقه يوهم أن وراءه أحداً، فلوى عنقه، فوثب من حماره عليه وضرب به الأرض وأخذ السيف من يده وذبحه به، وعاد الشرطيان وأصحابه الذين كانوا قد هربوا فلم يعتبهم بحرف واحد.

وقتل جاريتين بلغه عنهما ما أوجب ذلك عنده، وشاع عنه ما فعل بهما، وكثر الكلام في ذلك:

يلومني من جهـل الأمـرا فكيف إن لم يسمع العـذرا
يزعـم أنـي آثـم والـذي فعلته أرجـو بـه الأجـرا
من كان ذا صبر على مثل ذا فلست منه أملك الصـبـرا

الرئيس موسى القرطبي

موسى بن ميمون، الرئيس أبو عمران القرطبي اليهودي، الطبيب المفتن في العلوم؛ كان رئيساً على اليهود بمصر، وكان أوحد أهل زمانه في الطب، وكان السلطان صلاح الدين يستطبه، وكذلك ولده الأفضل. ويقال إنه كان قد أسلم بالمغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه؛ ولما قدم من الغرب صلى بمن في المركب التراويح في شهر رمضان، وجاء إلى الديار المصرية، وجاء إلى دمشق، فاتفق للقاضي محي الدين ابن الزكي مرض خطر، فعالجه الرئيس موسى وبالغ في نصحه؛ فرأى له القاضي ذلك وأراد مكافأته على ذلك، فحلف أيماناً مغلظة أنه ما يأخذ شيئاً أبداً. ثم بعد مدة اشترى داراً وسأل من القاضي تقديم التاريخ إلى خمس سنين متأخرة، فما بخل القاضي عليه بمثل ذلك، ولم يعلم أن في ذلك مفسدة، ثم إنه أثبت ذلك؛ وبعد مدة توجه إلى الديار المصرية، وخدم القاضي الفاضل، فجاء من كان في المركب وقالوا: جاء معنا من الغرب وصلى بنا التراويح في السنة الفلانية، فأنكر ذلك وأخرج المكتوب وقال: أنا كنت في دمشق قبل هذه السنة بمدة واشتريت داراً، وهذا خط القاضي بذلك؛ فلما رأى الفاضل خط محيي الدين ابن الزكي بالثبوت ما شك فيه واندفعت القضية بخبث هذا الشيطان.

وعلى الجملة فكان فاضلاً، وله كتاب "الدلالة" في أصول دينهم. وهو جيد إلى الغاية على قواعدهم. وكانت له مشاركة في كل فن، وفيه يقول ابن سناء الملك:

أرى طب جالينوس للجسم وحده ... وطب أبي عمران للعقل والجسم

فلو كان بدر التم من يستطبه ... لتم له ما يدعيه من التم

وداواه يوم التم من كلف به ... وأبراه في يوم السرار من السقم

وله مقالة في معالجة الحدبة، صنفها للقاضي الفاضل، ومقالة في السموم و"تنقيح الفصول" وهو من أجل كتب الطب.

وتوفي سنة عشر وستمائة.

"المؤمل المحاربي" المؤمل بن أميل المحاربي الكوفي؛ كان شاعراً محسناً، مدح المهدي، فأجازه عشرة آلاف دينار، وتوفي في حدود التسعين والمائة، وهو القائل في امرأة كان يهواها من أهل الحيرة:

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ... ليت المؤمل لم يخلق له بصر

فيقال إنه رأى رجلاً في المنام قد أدخل إصبعيه في عينيه فأخرجهما وقال: هذا ما تمنيت، فأصبح أعمى. ومن هذه القصيدة:

يكفي المحبين في الدنيا عذابهم ... والله لا عذبتهم بعدها سقر

وامتدح المهدي، وهو ولي العهد، فأعطاه عشرين ألف درهم، فبلغ المنصور ذلك فكتب إليه يلومه ويقول: إنما كان ينبغي أن تعطيه أربعة آلاف درهم بعد أن يقيم ببابك سنة؛ وأجلس قائداً من قواده على جسر النهروان يتصفح وجوه الناس حتى مر به المؤمل، فأخذه ودخل به على المنصور فسلم

فقال: من أنت؟ قال: المؤمل بن أميل، فقال: أتيت إلي غلام غر خدعته؟! فقال: نعم، أصلح الله أمير المؤمنين، أتيت غلاماً كريماً فخدعته فانخدع، فكأن ذلك أعجب المنصور، فقال: أنشدني ما قلت فيه، فأنشده القصيدة، ومنها:

هو الـمـهـدي إلا أن فـيه مشابهة من القمر المـنـير
تشابه ذا وذا فهـمـا إذا مـا أنارا مشكلان على البصـير
فهذا في الظلام سراج لـيل وهذا في النهار ضياء نـور
ولكن فضل الرحمـن هـذا على ذا بالمنابر والـسـرير
وبالملك العـزيز فـذا أمـير وما ذا بالأمير ولا الـوزير
وبعض الشهر ينقص ذا وهذا منير عند نقصان الشـهـور
فيا ابن خليفة الله المصـفـى به تعلو مفاخرة الفـخـور
لئن فت الملوك وقد تـوافـوا إليك من السهول والوعـور
لقد سبق الملوك أبوك حتـى بقوا من بين كاب أو حسـير
وجئت مصلياً تجري حـثـياً وما بك حين تجري من فتور
فقال النـاس مـا هـذان إلا كما بني الخليق إلى الجـدير
لئن سبق الكبير فأهل سبـق له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصبي مدى كـبـير فقد خلق الصغير من الكبير

فقال: والله لقد أحسنت ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم، فأين المال؟ قال: ها هوذا، فقال: يا ربيع، امض معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخذ الباقي منه، ففعل؛ فلما ولي الخلافة المهدي، ولى أبا ثوبان المظالم، فكان يجلس بالرصافة، فإذا ملأ كساءه رقاعاً دفعها إلى المهدي، فرفع المؤمل رقعة ذكر فيها واقعته، فلما نظر إليها المهدي ضحك وقال: ردوا إليه عشرين ألف ردهم، فردت إليه.

وقال محمد بن حذيفة الطائي، حدثني أبي قال: رأيت المؤمل شيخاً كبيراً أعمى نحيفاً، فقلت له: لقد صدقت في قولك:

وقد زعموا لي أنها نذرت دمـي وما لي بحمد الله لـحـم ولا دم
برى حبها لحمي ولم يبق لـي دم وإن زعموا أني صحيح مسـلـم
فلم أر مثل الحب صح سقـيمـه ولا مثل من لا يعرف الحب يسقم
ستقتل جلداً بالياً فـوق أعـظـم وليس يبالي القتل جلد وأعـظـم

فقال: نعم، فديتك، ما كنت لأقول إلا حقاً.

حرف النون

البديهي الشاعر

ناشب بن هلال بن ناشب بن نصير الحراني، أبو منصور المعروف بالبديهي؛ كان أديباً فاضلاً يقول الشعر بديهاً ويعظ في التعازي وغيرها، وسمع أبا القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين وأبا القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي وابن كادش وغيرهم، وحدث باليسير. ولد سنة أربع

عشرة وخمسمائة، وتوفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، ومن شعره رحمه الله تعالى:

لا تحقرنّي وإن أبصرتني حدثـاً — فالشبل يصغر حيناً ثم يأتـسـد

إني وإن صغرت سنّي فقد فقهت — خواطري غرراً ما نالها أحـد

ومنه:

يحسدني كل من رآنـي — أركب في موكب الأمير

والناس لا يعلمون أنـي — تبيت خيلي بلا شـعـير

وقال: قصدت ديار بكر مكتسباً بالوعظ، فلما نزلت قلعة ماردين دعاني صاحبها تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق للإفطار عنده في شهر رمضان، فحضرت عنده فلم يرفع مجلسي ولا أكرمني، وقال بعد الإفطار لغلام عنده: آتينا بكتاب، فجاء به، فقال: ادفعه إلى الشيخ ليقرأ فيه، فازداد غيظي لذلك وفتحت الكتاب وإذا هو ديوان امرىء القيس، وإذا في أوله:

ألا عم صباحاً أيها الطلـل البـالـي — وهل يعمن من كان في العصر الخالي

فقلت في نفسي: أنا ضيف وغريب وأستفتح ما أقرأه على سلطان كبير وقد مضى هزيع من الليل:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي!!

فقلت:

ألا عم مساءً أيها الملك العالي — ولا زلتَ في عزّ يدوم وإقبال

ثم أتممت القصيدة، فتهلل وجه السلطان لذلك ورفع مجلسي وأدناني إليه، وكان ذلك سبب حظوتي عنده، رحمهما الله تعالى.

المطرزي شارح المقامات

ناصر بن عبد السيد بن علي، أبو الفتح المطرزي الأديب الخوارزمي؛ من أعيان مشايخ خوارزم في علم الأدب، قرأ على والده وبرع في معرفة النحو واللغة وصار أوحد زمانه، وصنف كتباً حساناً، وكان شديد التعصب داعية إلى الاعتزال.

مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة ووفاته سنة عشر وستمائة، وصنف شرحاً للمقامات الحريرية وكتاب "المعرب" وتكلم فيه على الألفاظ التي يستعملها الفقهاء الحنفية، وهو لهم مثل الأزهري للشافعية، ومقدمة في النحو و الإقناع في اللغة و مختصر إصلاح المنطق.

ولما مات رثي بثلاثمائة قصيدة بالعربي وبالعجمي، وكان يقال هو خليفة الزمخشري، وكان سائر الذكر مشهور السمعة، وانتفع الناس به وأخذو عنه.

ومن شعره رحمه الله تعالى :

تعامى زماني عن حقوقي وإنه — قبيح على الزرقاء تبدي تعاميا

فإن تنكروا فضلي فإن دعـاءه — كفى لذوي الأسماع منكم مناديا

ومن أبيات:

وإني لأستحيي من الله أن أرى حليف غوان أو أليف أغانـي

قال ياقوت في معجم الأدباء: أنشدني المطرزي ببغداد لنفسه:

يا خليلي اسقياني بالـزجـاج حلب الكرمة من غير مزاج
أنا لا ألتذ سمعاً بالـلـجـاج فاسقنيها قبل تغريد الدجـاج
قبل أن يؤذن صبحي بانبلاج
إن أردت الراح فاشربها صباحا بعد أن تصحب أتراباً ملاحا
جمعوا حسناً وأنساً ومزاحـا وغدوا كالبحر علماً وسماحا
فهم مفتاح باب الإبتـهـاج

ابن صورة الكتبي

ناصر بن علي بن خلف، الوجيه المعروف بابن صورة الكتبي؛ كان سمساراً في الكتب بمصر وله في ذلك حظ كبير، وكان يجلس في دهليز داره لذلك ويجتمع الناس عنده يوم الأحد والأربعاء من أعيان الرؤساء والفضلاء ويعرض عليهم الكتب التي تباع، ولا يزالون عنده إلى انقضاء وقت السوق. توفي سنة سبع وستمائة بمثر ودفن بالقرافة؛ وكان له دار مليحة موصوفة بالحسن فاحترقت، فقال في ذلك نشو الملك أبو الحسن علي بن المنجم، وقد تقدم ذكره:

أقول وقد عاينت دار ابن صورة وللنار فيها مـارج يتـضـرم
كذا كل مال أصله من مهاوش فعما قليل في نهـابـر يعـدم
وما هو إلا كافر طال عمـره فجاءته لما استبطأته جهـنـم

وقال ابن المنجم أيضاً لما وقعت الأرضة في دار ابن صورة:

قالوا بدار ابن صورة سـعـت الأرضة حتى أتت على الخشب
من أعلم الأرضة الـمـشـومة أن الدار مسروقة من الكتـب

وفيه يقول ابن الساعاتي وقد غدر به في كتاب:

يا خائناً ما كـنـت أحـس به يخف إلى الـخـيانـه
أصبحت في سلب القلـوب وذاك من عـدم الـديانـه
كفتى زبـيد فـيالـعـمـا رة وابن صورة في الأمانه
فامرر علـيه و قـل لـه في الستر منه والصيانـه
يا ريشكـون غـدرت بـي إن كنت تحسن بالرطانـه

ابن الشقيشقة الصفار

نصر الله بن مظفر بن أبي طالب بن عقير بن حمزة، نجيب الدين أبو الفتح الشيباني الدمشقي الصفار المعروف بابن الشقيشقة، المحدث الشاهد؛ ولد سنة نيف وثمانين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة.

سمع وعني بالحديث، وكان يعقد الأنكحة تحت الساعات، وفيه يقول البهاء ابن الحوط:

جلس الشقيشقة الشقي لـيشـهـدا بأبيكمـا مـاذا عـدا مـمـا بـدا
هل زلزل الزلزال أم هل أخرج الد جال أم عدم الرجال ذوو الـهـدى
عجباً لمحلول العـقـيدة جـاهـل بالشرع قد أذنوا لـه أن يعـقـدا

وقف قاعته التي بدرب البانياسي دار حديث، وتولى مشيختها الشيخ جمال الدين المزي؛ قال الشيخ شمس الدين: ولم يكن بالعدل في دينه.

ابن حواري الحنفي

نصر الله بن عبد المنعم بن نصر الله بن أحمد بن جعفر بن حواري، الشيخ شرف الدين أبو الفتح التنوخي الدمشقي الحنفي الأديب، ويعرف بابن شقير أيضاً؛ ولد في سنة أربع وستمائة، وتوفي سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

سمع البكري وابن ملاعب، وروى عنه الدمياطي وابن الجناز والدواداري وقاضي القضاة ابن صصرى وآخرون.

وخطه أسلوب غريب، كتب كثيراً، وملكت من ذلك عدة مجلدات؛ وكان أديباً فاضلاً حسن المحاضرة حفظة للنوادر والأخبار، حسن البزّة، كريما مجملاً عمّر في آخر عمره مسجداً عند طواحين الأشنان، وتأنق في عمارته، ودفن لما مات بمغارة الجوع؛ وصنف كاب إيقاظ الوسنان في تفضيل دمشق وذكر محاسنها وما مدحت به في ثلاث مجلدات، وهو عندي بخطه. وكان مقامه بالعادلية الصغيرة.

ولما ولي القاضي شمس الدين ابن خلكان وفوض إليه أمر الأوقاف جميعها طلب الحسابات من أربابها، ومن شرف الدين هذا عن وقف المدرسة، فعمل له الحساب وكتب وريقة فيها:

ولم أعمل لمخلوق حسـابـاً وها أنا قد عملت لك الحسابا

فقال له القاضي: خذ أوراقك ولا تعمل لنا حساباً ولا نعمل لك، وكان له خلق حاد وفيه تسرع؛ وهو أخو تاج الدين المقدم ذكره، رحمهما الله .

فخر القضاة ابن بصاقة

نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي، فخر القضاة أبو الفتح ابن بصاقة الغفاري المصري الحنفي الناصري الكاتب؛ شاعر كاتب ماهر، كان خصيصاً بالمعظم عيسى ثم بابنه الناصر داود، وتوجه معه إلى بغداد.

ولد بقوص سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وتوفي بدمشق سنة خمسين وستمائة.

ومن شعره لغزاً في المحفة المحمولة على البغال، رحمه الله تعالى:

وحاملة محمولة غير أنـهـا إذا حملت ألقت سريعاً جنينها
وأكثر ما تحويه يوماً ولـيلة وتضجر منه أن يدوم قرينها
منعمة لم ترض خدمة نفسها فغلمانها من حولها يخدمونها
لها جسد ما بين روحين يغتـدي فلولاهما كان الترهب دينـهـا

وقد شبهت بالعرش في أن تحتها ثمانية من فوقهم يحملـونـهـا

وقال أيضاً لغزاً في البيضة:

ومولـودة لا روح فـيهـا وإنـهـا لتقبل نفخ الـروح بـعـد ولادهـا

وتسمو على الأقران في حومة الوغى ولكن سمواً لـم يكـن بـمـرادهـا

إذا جمعت فالنقص يعرو حروفـهـا ولكنها تزداد عـنـد انـفـرادهـا

وقال أيضاً في السيف:

وأبيض وضاح الجبين صحبـتـه فأحسن حتى ما أقوم بـشـكـره

إذا خذلتني أسرتي وتـقـاعـدت أخلاي عن نصري حباني بنصره

يواصلني في شدتي منه قـاطـع يخفف عني في رخائي بهجـره

شددت يدي منه على قـائم بـمـا أكلفه يلقى الأعـادي بـصـدره

صبور على الشكوى فلو دست خده على رقة فيه وثقت بـصـبـره

إذا نابني خطب جلـيل نـدبـتـه فيهتز منه مستـقـل بـأمـره

يخف غداة الروع مهما نهـرتـه فيغرق في بحر العجاج بنـهـره

ويمضي إذا أرسلته في مـهـمة فما يتلقاني مـقـيمـاً لـعـذره

غدا فاخـراً بـين الأنـام بـحـده وراح أبيّاً عن أبـيه بـفـخـره

فغص خلفه إن كنت تؤثر كشفـه ولا تدّعِ التقصير عن طوا بحـره

فها أنا عنه قد كشـفـت لأنـنـي حلفت له أن لا أبـوح بـسـره

وقال في الرمح:

ولي صاحب قد كمّل الله خلـقـه وليس به نقص يعاب فـيذكـر

عصي ثقيل إن أطيل عـنـانـه مطيع خفيف الكل حين يقصـر

يسابقني يوم النزال إلـى الـعـدا فإن لم أوخره فـمـا يتـأخـر

ويؤمن منه الشر ما دام ولكن إذا ما نام يخشـى

قـائمـاً ويحـذر
أنال به في الروع مهما اعتقلتـه مراماً إذا أطلـقـتـه يتـعـذر
تعدى على أعدائه مـتـنـصـلاً إليهم وما أبدى اعتذاراً فـيعـذر
ترى منه أميّاً إلى الخط ينتـمـي ومعرىً بغزو الروم وهو مزنّر
عجبت له من صامت وهو أجوف ومن مستطيل الشكل وهو مدور
ومن طاعن في السنَ ليس بمنحن ومن أرعن مذ عاش وهو موقر
ففكر إذا ما رمت إفشـاء سـره فها أنا قد أظهرته وهو مضمـر

وقال في الخيمة:

ومرفوعة منـصـوبة قـد نـصـبـتـهـا ولـكـنـه رفـع يؤول إلـى خـفــض
تعـين عـلـى حـر الـزمـان وبــرده بلا حـسـب زاك ولا كـرم مـحــض
وتـصـبـح لـلاجـي إلـيهـا وقــاية لبعض الأذى الطاري على الجسم لا العرض
تقـوم عـلـى رجـلـين طـوراً وتــارة تقوم علـى رجـل بـلا عـرج مـنـض
إذا حضـرت كـانـت عـقـيلة خـدرهـا وإن تبد لم تلزم مـكـانـا عـلـى الأرض
قصـدت كـريمـا خـيمـه لـيبـينـهــا وقصد الكريم الخيم من جمـلة الـفـرض

يا رافع لواء الأدباء، ودافع لأواء الغرباء، هذا اللغز ممهد موطا، مكشوف لا مغطى، وقد سطر مفردا ومجموعاً، وذكر مقيسا ومرفوعا، إلا أنه قد استخفى وهو مظهر، وأسر وهو مجهر، وتعامى وهو بصير، وتطاول وهو قصير، وتصامم وهو سميع، وتعاصى وهو مطيع، ومثل مولاي من عرف وكره، ولم يعمل فكره، والأمر له علي أمره، وأطال للأولياء عمره.

وقال أيضاً:

ومليح جـاءنـا يش طح في صدر نهار
وهو في مبدأ سكر وعقابيل خـمـار
فسقـيـنـاه إلـى أن أظلم الليل لـسـار
وجذبنا في لـبـان ودفعنا بـمـداري
فصبحناه بـكـاس وغبقنـاه بـعـار

وقال في جمع سواك:

أيا سيداً ما رام جدواه الله طالـب فعاد ولم يظفر بأقصى مطالبـه

أبن لي عن الجمع الذي إن ذكرته تخاطب من خاطبته بمعـايبـه

وكتب إلى ركن الدين قرطاي ببغداد وهو ساكن عند نهر عيسى:

أمولاي إني مـذ رأيتـك سـاكـنـاً على نهر عيسى لم أزل دائم الفكـر

لأنك بحـر بـالـمـكـارم زاخـر ومن عجب أن يسكن البحر في النهر

ولما كان ببغداد خرج للشعراء من عند المستنصر ذهب على أيدي الحجاب ولم يخرج إليه شيء، فكتب إلى الخليفة المستنصر:

لما مدحت الإمـام أرجـو ما نال غيري من المواهب

أجدت في مدحه ولـكـن عدت بجدي العثور خائب

فقال لي مـادحـوه لـمـا فازوا وما فزت بالرغائب

لم أنت فينا بـغـير عـين قلت لأني بغير حـاجـب

وقال:

وعلقٍ نفيسٍ تعلـقـتـه قزار على خلوة وارتياع

ولم يبق في الرمد إلا كما يقال على أكلة والـوداع

فعاجلته عن دخول الكنيف بشحّ مطاع ورأي مضاع

فغرقني منه نوء البطـين ورواه مني نوء الـذرع

وقال:

على ورد خـديه وآس عـذاره يليق بمن يهواه خلـع عـذاره

وأبذل جهدي في مداراة قلـبـه ولولا الهوى يقتادني لـم أداره

أرى جنةً في خده غير أنـنـي أرى جل ناري شب من جلناره

كغصن النقا في لينه واعتدالـه وريم الفلا في جيده ونـفـاره

سكرت بكأس من رحيق رضابه ولم أدر أن الموت عقبى خماره

وقال:

لو شرحت الذي وجدت من الوج د عليكم أمللتكـم ومـلـلـت

فلهذا خففت عنكم من الـكـت ب ولو شيت أن أطيل أطلـت

غير أن العبيد تحمل عـن قـل ب الموالي وهكذا قد فعـلـت

وقال في مليح نحوي:

بليت بـنـحـويّ يخـالـف رأيه أواناً فيجزيني على المدح بالمنـع

تعجبت من واو تبدت بـصـدغـه ولم يحظني منها بعطف ولا جمـع

ومن ألف من قـده قـد أمـالـهـا عن الوصل لكن لم يملها عن القطع

وقال أبو الحسين الجزار يمدحه:

عفا الله عما قد جنـتـه يد الـدهـر فقد بذل المجهود في طلب الـعـذر

أيحسن أن أشكو الزمان الذي غـدت صنائعه عندي تجل عن الـشـكـر

لقد كنت في أسر الخمول فلـم يزل بتدريجه حتى خلصت مـن الأسـر

فشكراً لأيامٍ وفت لـي بـوعـدهـا وأبدت لعيني فوق ما جال في فكري

وكم ليلة قد بتها مـعـسـراً ولـي بزخرف آمالي كنوزٌ من الـيسـر

أقول لقلبي كلما اشتقت لـلـغـنـى إذا جاء نصر الله تبت يد الـفـقـر

منها:

وإن جئته بالمدح يلقـاك بـالـلـهـا فكم مرة قد قابل النظـم بـالـنـثـر

ويهتزّ للـجـدوى إذا مـا مـدحـتـه كما اهتز، حاشا وصفه، شارب الخمر

منها:

ولو أنني وافيت غـيرك مـادحـاً لتممت نقصي بالحماقة والفـشـر

وأعطيت نفسي عنده فوق حقـهـا من الكبر لكن ليس ذا موضع الكبر

وكل امرىء لا يحسن العوم غارق إذا ما رماه الجهل في لجة البحـر

أبو صالح الجيلي

نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر، أبو صالح الجيلي الشافعي؛ تفقه في صباه، ثم صحب محمد بن علي النوقاني الفقيه الشافعي، وقرأ عليه الخلاف والأصول وبرع في ذلك، وتولى التدريس في مدرسة جده بباب الأزج وبالمدرسة الشاطئية عند باب المراتب، وبنيت له دار بجامع القصر للمناظرة، وعقد مجلس الوعظ في مدرسته، وكان له قبول عظيم.

وأذن له في الدخول في كل جمعة على الأمير أبي نصر محمد ابن الإمام الناصر لسماع مسند مسلم فحصل له به أنس، فلما بويع له بالخلافة ولقب بالإمام الظاهر قلده قضاء القضاة في يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وخلع عليه السواد وقرىء عهده في جوامع مدينة السلام، فسار السيرة المرضية وأقام ناموس الشرع ولم يحاب أحداً في دين الله . وكان يملي الحديث في مجلس حكمه ويكتب الناس عنه، ولم تغيّره الولاية عن أخلاقه، وأقام على القضاء مدة أيام الظاهر، وتولّى المستنصر بالله فأقره على ذلك أربعة أشهر وأياماً وعزله.

وكان له رسم في رجب من الصدقة الناصرية يأخذه من البدرية ، فاتفق تفرقته في بعض السنين في يوم الأربعاء، وكان قد توجه لزيارة قبر أحمد بن حنبل، فلما عاد من الزيارة وجد الناس قد قبضوا رسومهم وانفصلوا، وقيل له: إن رسمك قد رفع إلى الحكيم ابن توما النصراني فامض إليه، فقال: والله لا أمضي إليه ولا أطلب رزقي من كافر، وعاد إلى منزله متوكلاً على الله تعالى وقال:

نفس ما عن ديننا من بدل فدعي الدنيا وخلي جدلي
ما تساوي أننا نمضي إلى مشرك إذ ذاك عين الزلل
إن يكن دين علينا فلنا خالق يقضيه، هذا أملي

ولم يزل ذلك الذهب عند الحكيم النصراني إلى أن مات وأخذ من تركته وحمل إلى القاضي.

ومولده في شهور سنة أربع وستين وخمسمائة، ووفاته سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وكانت جنازته عظيمة، ودفن إلى جانب قبر الإمام أحمد بن حنبل، وقيل بل دفن معه، تولى ذلكالرعاع والعوام، وقبض على من فعل ذلك وعوقب وحبس، ونبش بعد ثلاثة أيام ونقل وعفي قبره ولم يعلم أين دفن.

ورثاه الشيخ يحيى الصرصري رحمه الله تعالى بقوله:

أبا صالح ما العيش بعدك صالح نزحت ففيك الحزن للدمع نازح
وما مقل ضنت عليك بمائها غداة النوى إلا عيون شحائح
نأيت وصعب الدمع بعدك بالأسى ذلول ومطواع التصبر جامع
على مثلك اليوم البكاء لذي الحجى مباح وفيك القلب بالحزن نائح
وما عذر عين لا تفيض دموعها عليك وآماق المعالي سوافح
على صفحات المكرمات كآبة لفقدك لما غيبتك الصفائح
فالله قبر ضم فضلك إنه لقبر بعيد قطره متفاسح
به الروح والريحان والنور عاكف وفوق ثراه فأرة المسك فائح
لئن ذقت كأساً ذاقها أحمد الرضا وقد ذاقها من قبل هود وصالح
لما مات ما أحييت من سنن الهدى بعلمك فليرغم حسود وكاشح
سقى جدثاً أصبحت فيه مخيماً من السلسبيل العذب غاد ورائح
علوت بقرب من إمامك ذروةً تسنّمتها إذ أنت عنه تنافح
وما كنت إلا سر جدك، وحياً، فميزان العلا بك راجح

مـيتـاً
وكنت عماد الدين معنى وصورة وغيرك عن ألقابه مـتـنـازح
سموت بمجد سابـق ثـم لاحـق فقصّر في الأوصاف ناع ومادح
وكنت لرأس المجد تاجاً مكـلـلاً وخلّفت تاجا فوقه الفـخـر لائح
فلا زال في العلياء بيتك سـامـياً تزول به عنا الخطوب الفـوادح

أبو طاهر الحلي الشاعر

نصر بن الفتح بن أبي المعمر بن أسد بن الحسن، ينتهي إلى طاهر بن الحسين، أبو طاهر الطاهري الشاعر، من الحلة السيفية؛ كان شيخاً فاضلاً أديباً شاعراً، دخل الشام ومدح الملوك والأعيان.

قال محب الدين ابن النجار: لقيناه بالشام وكتبناه عنه شيئاً من شعره، وكانت وفاته بعد سنة خمس وعشرين وستمائة، ومولده سنة إحدى وخمسين وخمسمائة؛ ومن شعره:

ما بين رامة والـعـقـيق ديار كانت وكان بها الهوى ونـوار
درست على مر الزمان كأنمـا آثـارهـا مـن ربطـه آثـار
لم تبق إلا من أوارٍ، مـا بـدت إلا بدا فـوق الـقـلـوب أوار
عهدي بها قبل الشباب، وما غدت من أهلها للـغـاديين قـفـار
والدهر ما صدع الجميع وظلنـا ضال النقا وضياؤها السـمـار
والأرض قد حكت السماء بأنجم في روضة نجمت بها الأزهار
والطل يستبكي الربيع جفـونـه فإذا بكى يتضاحـك الـنـوار
والدوح تهصره الصبا بعليلـهـا فإذا أمـادت ورقـه الأوكـار
تشدو وتنشدنا القيان مناسـبـاً بفم الكران ويصحب المزمـار
فتصفق الأغصان ما بـين الـغـنـا بيد النسـيم وتـرقـص الأشـجـار
وشرابنـا كـرمـيّة الأعـراق بـل كرمية الأخلاق بل بكر الحيا المدرار
كالتبر قد نثر اللـجـين فـويقـه ال ياقـوت بـل مـاء عـلـيه نـار
راح بها روح القـلـوب وبـرؤهـا من عقر سيف الهم وهـي

عـقـار

يغدو بها عبل الروادف ما انـثـنـى إلا ثنـى الأكـبـاد وهـي حـرار
قمر على غصن على دعص وهـل هذي الصفات تحوزهـا الأقـمـار
لبس العذار فـظـل يخـلـع دائمـاً فيه الـعـذار وتـلـبـس الأعـذار
يجري غرار السيف مـنـه إذا بـدا وأسـيل خـد سـال فـيه عــذار
ورد على طلع وخـيط بـنـفـسـج متـنـطـق بـنـضـيده ومــدار
كم شـد زنـاراً لـديه مـسـلــم ولـهـاً ولـم يحـلـل لـه زنـار
فسقى لييلات مـضـين بـهـذه ال أوطان كم قضـيت بـهـا أوطـار
ديم تـديم الإنـسـكـاب كـأنـهـا نعم يجود بـهـا الـغـياث غـزار

أبو سعد الدينوري

نصر بن يعقوب، أبو سعد الدينوري مصنف كتاب التعبير المعروف ب "القادري"؛ ذكره الثعالبي في من ورد من نيسابور وقال: تعقد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة والصناعة والبراعة، وله في الأدب تقدم محمود وفي المروة قدم مشهورة، وشهادة الصاحب ابن عباد له في الفضل، يسجل بها حكام العدل. وله تصانيف منها كتاب "روائع التوجيهات في بدائع التشبيهات" وكتاب "ثمار الأنس في تشبيهات الفرس". كتاب "الجامع الكبير في التعبير" وهو القادري. كتاب "الأدعية" كتاب "حقّه الجوهر".

ومن شعره:

أبى لي أن أبالي باللـيالـي وأخشى صرفها في من يبالي
حلولي في ذرى ملك كطـود رفيع مشرق الأعلام عالـي
إلى شمس الشتاء إلى ظلال ال مصيف إلى الغمام إلى الهلال
إذا ما جاءه المذعـور يومـاً وحلّ ببابه عقـد الـرحـال
تبـوأ مـن ذراه خــير دار فلم يخطر لمكـروه بـبـال

"ومنها عند ذكر القصيدة":

بودّي لو نهضت بـهـا ولـكـن ضعفت عن الحراك لضعف حالي

ومنه:

اسقني كاساً كلون الـذهـب وامزج الريق بماء العنـب
فقد ارتجت بنا الأرض ضحى كارتجاج الزئبق المنسـرب
وكأنّ الأرض في أرجـوحة وكأنا فوقهـا فـي لـولـب

نصيب الأكبر

نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان؛ كانت أمه سوداء فوقع عليها أبوه فجاءت بنصيب، فوثب إليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه، وكان شاعراً فحلاً مقدّماً في النسيب والمديح، ولم يكن له حظ في الهجاء، وكان عفيفاً؛ توفي في حدود العشرين والمائة.

قال نصيب: كنت أرعى غنماً - أو قال إبلاً- فضلّ منها بعير فخرجت في طلبه حتى قدمت مصر وبها عبد العزيز بن مروان فقالت: ما بعد عبد العزيز أحد أعتمده، ولم أكن بعد قد مدحت أحداً، فحضرت بابه مع الناس فرأيت رجلاً على بغلة، حسن البزة يؤذن له إذا جاء، فلما انصرف إلى منزله اتبعته أماشي بلغته فقال: ما شأنك؟ فقلت: أنا رجل شاعر من أهل الحجاز، وقد مدحت الأمير وأتيت إليه راجياً معروفه، قال: فأنشدني، فأنشدته فأعجبه وقال: ويحك هذا شعرك؟ إياك أن تنتحل فإن الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة، فلا تفضحني وتفضح نفسك، فقلت: والله ما هو إلا شعري، فقال: ويحك، قل أبياتاً تذكر فيها حوف مصر وفضلها على غيرها والقني بها غداً، فغدوت عليه فأنشدته:

سري الهم حتى بيّتتني بمصر وبالحوف اعترتني
طـلائعـه روائعه
وبات وسادي ساعد قلّ عن العظم حتى كاد تبدو
لـحـمـه أشاجعه

وذكر الغيث فقال:

وكم دون ذاك العارض له اشتقت من وجه أسيل
البارق الذي مدامعـه
تمشي به أبناء بـكـر وأبناء عمرو فهو خصب
ومـذحـج مراتعـه
بكل مسيل مـن تـهـامة دميث الربى تسقي البحار
طـيب دوافعه
أعنّي على برق أريك تضيء دجنّات الظلام
ومـيضـه لوامـعـه
إذا اكتحلت عينا محبّ تجافت به حتى الصباح
بـضـوئه مضاجعه

قال: أنت والله شاعر، احضر الباب فإني أذكرك، قال: فجلست على الباب ودخل فدعاني فدخلت فسلمت على عبد العزيز، فصعد فيّ بصره وصوّب وقال: أشاعر ويلك أنت؟ قلت: نعم أيها الأمير، قال: فأنشدني، فأنشدته:

لعبد العزيز على قومه وغيرهم نعم غـامـره
فبابك ألين أبـوابـهـم ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالمعتفـين من الأم بالابنة الزائرة
وكفك حين ترى السائلين أندى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنا الثناء كلّ محـبـرة سـائره

فقال: أعطوه أعطوه، قلت: إني مملوك، فدعا الحاجب قال: اخرج فابلغ قيمته، فدعا المقوّمين فقال: قوّموا غلاماً أسود ليس له عيب، فقالوا: مائة دينار، قال: إنه راعي إبل يحسن القيام بها، قالوا: مائتا دينار، قال أنه يبري القسي والنبل ويريشها قالوا: أربعمائة دينار قال: إنه راوية للشعر، قالوا:

ستمائة دينار، قال: إنه شارع لا يلحن، قالوا: الف دينار، قال عبد العزيز: ادفعها إليه، فقلت له: أصلح الله الأمير، ثمن بعيري الذي ضلّ، قال: كم ثمنه؟ قلت: خمسة وعشرون ديناراً، قال: ادفعوها إليه: قلت: فجائزتي لنفسي عن مديحي إياك، قال: اشتر نفسك ثم عد إلينا.

ووفد نصيب على الحكم بن المطلب وهو على صدقات المدينة فأنشده:

أبا مروان لست بخارجـي وليس قديم مجدك بانتحـال
أغر إذا الرواق انجاب عنه بدا مثل الهلال على المثال
تراءاه العيون كما تـراءى عشية فطرها وضح الهلال

فأعطاه أربعمائة ضائنة ومائة لقحة ومائتي دينار.

وقال نصيب: علقت جارية حمراء، فمكثت زماناً تمنيني الأباطيل، فلما ألححت عليها قالت: إليك عني فو الله لكأنك من طوارق الليل، فقلت: والله وأنت لكأنك من طوارق النهار، قال: وما أظرفك يا أسود! فغاظني قولها فقلت لها: أتدرين ما الظرف؟ إنما الظرف العقل، ثم قالت لي: انصرف حتى أنظر في أمرك، فأرسلت إليها بهذا الأبيات:

فإن أك أسوداً فالمسك أحوى وما لسواد جلدي مـن دواء
ومثلي في رجالكـم قـلـيل ومثلك ليس يعدم في النسـاء
فإن ترضي فردّي قول راض وإن تأبي فنحن على السواء

قال: فلما قرأت الشعر تزوجتني.

ودخل نصيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق فأنشده شعراً لم يرضه وكلح في وجهه، وقال لنصيب: قم فأنشد مولاك، فقام فأنشده:

أقول لركب صادرين لـقـيتـهـم قفا ذات أوشال ومـولاك قـارب
قفوا خبروني عن سليمان إنـنـي لمعروفه مـن آل ودّان طـالـب
فعاجوا فأثنوا بالذي أنـت أهـلـه ولو سكتوا أثنت عليك الحـقـائب
وقالوا عهـدنـاه وكـلّ عـشـية على بابه من طالبي العرف راكب
هو البدر والنسا الكواكب حـولـه ولا يشبه البدر المضيء الكواكب

فقال: أحسنت يا نصيب، وأمر له بجائزة، ولم يصنع ذلك بالفرزدق، فقال الفرزدق:

وخير الشعر أكرمه رجالاً وشر الشعر ما قال العبيد

حدث محمد بن سلام قل: دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فقال له: حدثني يا نصيب ببعض ما تمّ عليك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، علقت جارية حمراء فعيّرتني بالسواد فكتبت إليها:

فإن يك من لوني السواد فـإنـنـي لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه

وما ضرّ أثوابي سوادي وتحـتـه لباس من العلياء بيض بـنـائقـه

فلما سمعت الشعر قالت: المال والعقل يأتيان على غيرهما، فتزوجني.

نصيب الأصغر

نصيب الأصغر مولى المهدي؛ كان قد نشأ باليمامة فاشتراه المهدي، فلما سمع شعره قال: والله ما هو بدون نصيب مولى بني أمية، وأعتقه وزوجه أمة وكنّاه أبا الحجناء وأقطعه ضيعة بالسواد، وعمر بعده ومدح هارون بقوله:

أللبين يا ليلى جمالك تـرحـل ليقطع منا البين ما كان يوصل

تعللنا بالـوعـد ثـمـت تـلـتـوي بموعدها حتى يموت الـمـعـلـل

فلا الحبل من ليلى يواتيك وصـلـه ولا أنت تنهى القلب عنها فـيذهـل

خليلي إنـي مـا يزال يشـوقـنـي قطين الحمى والظّاعن المتحـمّـل

فأقسمت لا أنسى ليالـي مـنـعـج ولا مأسل إذ منزل الحي مـأسـل

أمن أجـل أبـيات ورسـم كـأنـه بقية وحي أو كـتـاب مـفـصـل

فيا أيها الزنجي ما لـك والـصـبـا أفق عن طلاب البيض إن كنت تقبل

فمثلك من أحبوشة الزنج قطـعـت وسائل أسبـاب بـهـا يتـوصـل

قصدنا أمير الـمـؤمـنـين ودونـه مهامه موماة من الأرض مجـهـل

على أرحبيات طوى السير فانطـوت ثمائلـهـا مـمـا يحـلّ ويرحـل

إذا انبلج البابـان والـسـتـر دونـه بدا مثلما يبدو الأغرّ الـمـحـجـل

شريكان فينا منه: عـينـبـصـيرة كلوء وقلب حافـظ لـيس يغـفـل

فما فات عينيه رعـاه بـقـلـبـه فآخـر مـا يرعـى سـواء وأول

وما نازعت فينـا أمـورك هـفـوة ولا خطل في الرأي والرأي يخطل

إذا اشتبهت أعنـاقـه بـينـت لـه معارف في أعجازه وهو مقـبـل

على ثقة منـا تـحـنّ قـلـوبـنـا إليك كمـا كـنـا أبـاك نـؤمـل

إذا ما دهتنـا مـن زمـان مـلـمة فليس لـنـا إلا عـلـيك مـعـوّل

ووجه المهدي نصيباً إلى اليمن في شراء إبل مهرية، ووجه معه رجلا من الشيعة، وكتب معه إلى عامل اليمين بعشرين ألف دينار، فمدّ نصيب يده في الدنانير ينفقها ويشرب بها ويشتري الجواري، فكتب الشيعي بخبره إلى المهدي، فأمر بحمله موثقاً في الحديد، فلما دخل على المهدي أنشده:

تأوبني ثقل من الهـم مـوجـع فأرق عيني والخليّون هـجّـع
هموم توالت لو أطاف بسلمى لظلت صمّها تتصـدّع يسيرهـا
"ولكنها نيطت فناء بحمـلـهـا جهيز المنايا حائن النفس يجزع"
وعادت بلاد الله ظلماء حندسـاً فخلت دجى ظلماءها لا تقشـع

منها:

إليك أمير المـؤمـنـين ولـم أجـد سواك مجيراً "منك" يدنـي ويمـنـع
تلمست هل من شافع لي فـلـم أجـد سوى رحمة أعطاكها الله تـشـفـع
لئن جلت الأجرام مني وأفـظـعـت لعفوك من جرمـي أجـلّ وأوسـع
لئن لم تسعني يا ابن عـمّ مـحـمـد فما عجزت مـنـي وسـائل أربـع
طبعت عليها صنـعة ثـم لـم تـزل على صالح الأخلاق والدين تطـبـع
تغابيك عن ذي الذنب ترجو صلاحـه وأنت ترى ما كان يأتـي ويصـنـع
وعفوك عمّن لو تـكـون جـزيتـه لطارت به في الجوّ نكبـاء زعـزع
وأنك لا تنفـكّ تـنـعـش عـاثـراً ولم تعترضه حين يكبـو ويخـمـع
وحلمك عن ذي الجهل من بعدما جرى به عنق من طائش الجهـل أسـفـع
ففيهن لي إمّا شـفـعـن مـنـافـع وفي الأربع الأولى إليـهـن أفـزع
مناصحتي بالفعـل إن كـنـت نـائياً إذا كان دان منك بـالـقـول يخـدع
وثانية ظـنـي بـك الـخـير عـادة وإن قلت عبد ظاهر الغش مسـبـع
وثالـثة أنـي عـلـى مـا هـويتـه وإن كثر الأعداء فـيّ وشـنـعـوا
ورابـعة أنـي إليـك يسـوقـنـي ولائي، تـولاك الـذي لا يضـيع
وإني لمـولاك الـذي إن جـفـوتـه أتى مستكيناً خـاضـعـاً يتـضـرّع

"وإني لمولاك الضعيف فإني لعفو منـك أهـل
فأعـفـنـي ومـوضـع"

فقطع عليه المهدي الإنشاد وقال: ومن أعتقك يا ابن السوداء؟ فأومأ بيده إلى الهادي وقال: الأمير يا أمير المؤمنين، فقال المهدي لولده موسى: أعتقه يا بني؟ قال نعم يا أمير المؤمنين فأمضى المهدي ذلك وأمر بحديده ففك عنه وخلع عليه عدّة من الخلع: الخز والوشي والسواد والبياض، ووصله بألفي دينار وأمر له بجاري يقال لها "جعفرة" جميلة فائقة من روقة الرقيق، فقال له سالم قيم دار الرقيق لا أدفعها إليك أو تعطيني ألف دينار، فقال قصيدته:

أآذن الحيّ فانصاعوا بترحال فهاج بينهم شوقي وبلبالـي

وقام بها بين يدي المهدي، فلما قال:

ما زلت تبذل لي الأموال مجتـهـداً حتى لأصبحت ذا أهـل وذا مـال
زوّجتني يا ابن خير النـاس جـاريةً ما كان أمثالها يهـدى لأمـثـالـي
زوّجتني بـضةً بـيضـاء نـاعـمةً كأنـهـا درة فـي كـــف لآل
حتى توهمت أنّ اللـه عـجـلـهـا يا ابن الخلائف لي من خير أعمالي
فسالني سالم ألـفـاً فـقـلـت لـه أنّى لي الألف يا قبّحت مـن سـال
هيهات ألفـك إلا أن أجـيء بـهـا من فضل مولى لطيف المنّ مفضال

فأمر له المهدي بألف دينار ولسالم بألف درهم.

ومرّ نصيب بباب الفضل بن يحيى فقال:

ما لقينا من جود فضل بن يحيى جعل الناس كلّهـم شـعـراء

وكانت وفاته بعد التسعين والمائة، رحمه الله.

"النصير الحمامي"

النّصير - بفتح النون - ابن احمد بن علي المناوي الحمّامي؛ قال الحافظ العلامة أثر الدين أبو حيان: كان المذكور أديباً بمصر، كيّس الأخلاق يتحرّف باكتراء الحمامات، وأسنّ وضعف عن ذلك، وكان يستجدي بالشّعر، توفي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، رحمه الله.

من شعره:

لا تفه ما حييت إلا بـخـير ليكون الجواب خيراً لديكـا
قد سمعت الصّدى وذاك جماد كلّ شيء تقول ردّ علـيكـا

أخذ هذا المعنى من ابن سناء الملك حيث يقول: بحضرة السراج قال السراج بعد ما فرغ منها:

شاقني للنصير شعـر بـديع ولمثلي في الشعر نقد بصير

ثم لما سمعت باسمـك فـيه قلت نعم المولى ونعم النصير

فأمر له الصاحب بدراهم وسيرها إليه وقال: قل له هذه مائتا درهم صنجة، فلما أدى الرسول الرسالة قال النصير: قبّل الأرض بين يدي مولانا الصاحب وقل له: يسأل إحسانك وصدقاتك أن تكون عادة، فلما " بلغ" ذلك الصاحب أعجبه وقال: يكون ذلك عادته.

وكتب النصير إلى السراج يتشوقه:

وكدرت حمّامي بغيبتـك الـتـي تكدّر من لذاتها صفو مشـربـي

فما كان صدر الحوض منشرحا بها ولا كان قلب الماء فيها بـطـيّب

وكتب أيضاً يستدعي إلى حمامه:

من الرأي عندي أن تواصل خلوة لها كبد حرّى وفـيض عـيون

تراعي نجوماً فيك من حرّ قلبهـا وتبكي بدمـع قـارح وحـزين

غدا قلبها صباً إلـيك وأنـت إن تأخرت أضحى في حياض منون

وكتب ناصر الدين ابن النقيب إلى النصير وقد حصل له رمد:

يقولون لي عين النصير تألـمـت ولازمه في جفنه الحكّ والأكـل

فقلت أعين الراس أم عين غـيره فللعلو شيء لا يداوى به السفـل

فقالوا بل العين التي تحت صلبـه فقلت لها التشييف عندي والكحل

وميل بماء الريق يبتلّ سـفـلـه فيدخل سهلاًغير صعب وينسـل

وأغسلها بالبيض واللـبـن الـذي عليّ بتقطيري له يجب الغسـل

فإن شاء وافـيت الأديب مـداوياً ولم أشتغل عنه وإن كان لي شغل

فأجابه النصير رحمهما الله تعالى :

أيا من له في الطب علم مبـاشـر وما كلّ ذي قول له القول والفعل

أتيت بطبّ قد حوى البيع والشـرا تبين لي في ذلك الخرج والدخـل

وإن كان ذا سهلاً بـطـبـك إنـه بسقمي صعب ليس هذا به سهـل

فلا عدم المملوك مـنـك مـداوياً وما زال للمولى على عبده الفضل

وقال النصير ذوبيت:

في وجهك للجمال والحسن فنون — في طرفك للسحر فتور وفتون
أنى أسلو هواك يا من بـاتـت — عيناه تقول للهوى كن، فيكـون

وقال:

إن عجل النوروز قبل الوفا — عجّل للعالم صفع القـفـا
فقد كفى من دمعهم ما جرى — وما جرى من نيلهم ما كفى

وقال:

إني لأكره في الأنام ثـلاثة — ما إن لها في عدها من زائد
قرب البخيل وجاهلاً متعاقلاً — لا يستحي وتوددا من حاسد
ومن الرزية والبلية أن ترى — هذي الثلاثة جمعّ في واحد

وكتب النصير إلى السراج الورّاق من أبيات:

كنت مثل الغزال والله يكـفـي — صرت في وجهه إذا جيت كلبا
ولعمري لا ذنب لي غير أنـي — تبت للـه ظـن ذلـك ذنـبـا
وهو لو جاءني وقد تبت حتـى — يبتغي حاجة فـلـن أتـأبـى

فأجابه السراج الوراق من أبيات:

وأتى الظبي مرسلاً منك فاستـغ — ربثُ لما دعوت نفسك كـلـبـا
ولكم جيت عادياً خـلـفـه تـل — هث عدواً للصيد بعداً وقـربـا
غير أني نظرت عين صفـي ال — دين كادت أن تشرب الظبي شربا
فاترك التوبة التي قـد نـراهـا — لك وزراً كما زعمـت وذنـبـا
واجتهد في رضاه عنك وقـرّب — كلّ نائي المدى تنل منه قـربـا
فلكم رضت جامحاً في تراضـي — ه وذللت بالسفـارة صـعـبـا

وكتب إلى السراج ملغزاً في نون:

ما اسم ثلاثـي يرى واحـداً — وقد يعد اثنين مكـتـوبـه
يظهر لي من بعضه كلـه — إذ كلّ حرف منه مقلوبـه
أضعف ثمانين إلـى سـتة — إن شئت لا يعددك محسوبه
اطلبه في البر وفي البحر لا — فات حجى مولاي مطلوبه

فكتب إليه الوراق الجواب:

يا سالب الألباب من سـحـره — بمعجز أعـجـز أسـلـوبـه
ألغزت في اسم وهو حرف وقد — يخفى علينا منك محـجـوبـه
وهو اسم أنثى مرضع طفلها — غير لبان الناس مـشـروبـه

مطّرد منعكس شكله سيان في العين ومقلوبه

وكتب النصير إلى الوراق:

أتى فصل الخريف عليّ جداً بأمراض لواعجها شداد
وأعذر عائدي إن لم يعدني وربّ مريض قوم لا يعاد

فأجابه الورّاق:

خلائقك الربيع فليس تخشى خريفاً في الجسوم له اعتياد
ولا والله لم أعلمك إلا صحيحاً والصحيح فما يعاد

وكتب النصير إلى الوراق أيضاً:

أيها المحسن الذي وهب الله تعالى الحسنى له وزياده
ضاع ما كان من وصولات وصلي فتصدّق بكتبها لي معاده
أين تلك الطروس نظماً ونثراً منك تأتي على سبيل الإفاده
كلّ طرس يجلى عروساً بدرّ ال قول كم من عقد وكم من قلاده
كان عيسى إذا أتاك رسول منك يحيى خلّا أمتّ وداده
شهد الله ليس لي غير ذكراك وإلا خرست عند الشهاده

فكت الورّاق الجواب:

لم "يفارق سو"اد عيني حبيب حلّ من قلبي المشوق سواده
فكأني ولا أذوق له رز ءاً جرير وذاك عندي سواده
ذو بيان أدنى بلاغته تن سيك قساً وعثره وإياده
جوهري الألفاظ كم قلد الأج ياد عقداً من نظمه وقلاده
فعبيد أدنى العبيد لديه ولبيد عن نظمه ذو بلاده
ولأزجاله ابن قزمان يعنو ولتوشيحه يقرّ عباده
فات دار الطراز منه خلال لو بها للسعيد تمت سعاده
يا صديقي الذي غدا راع ياً فيّ للأصدقاء فيّ زهاده
هجروني كأنني مصحف أو مسجد قد أقيم أو سجاده
دمت نعم النصير لي ما تغنّت ساجعات على ذرا ميّاده

وكتب النصير إلى السراج ملغزاً في النار:

وما اسم ثلاثي له النفع والضّرر له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا وليس له سمع وليس له بصر
يمد لساناً تختشي الريح ويسخر يوم الضرب بالصارم

بـأسـه الذكر
يموت إذا ما قمت تسقيه وأعجب من ذا أن ذاك من الشجر
قـاصـداً
أيا سامع الأبيات دونك وإلا فنم عنها ونبّه لـهـا
شـرحـهـا عـمـر

فكتب إليه الورّاق الجواب:

أراك نثير الدين ألغزت في تعيد لمسك الليل كافورة السـحـر
الـتـي
رأى معشر أن يعشـقـوهـا وتا لله لا تبقي علـيهـم ولا تـذر
ديانة
ول على قلب لهـم ران فمسكنهم منها ومـأواهـم سـقـر
إسـمـهـا
وقد وصفوا الحسناء في كما وصفوا الحسناء بالشمس والقمر
بهجة بهـا
ولو لم تكن ما طاب خـبـز ولا لذّ ماء في حماك لمن عـبـر
لآكـل

وكتب "النصير" إلى الورّاق ملغزاً في ديك:

أيا من لديه غامض الشعر ومن بدره بادي السنا ليس يكسف
يكشف
عساك هدى لي إنني اليوم عن الرشد فيما قد أرى متوقف
ذاهـل
أرى اسماً له في الخافقين أخا يقظة ذكراً ولا يتـعـفـف
ترفّـع
رأيت به الأشياء تبدو فكاد لهـذا الأمـر لا يتـكـيف
وضـدهـا
فعرّفه ذو السمع وهو منـكـر ونكّره ذو اللبّ وهو مـعـرّف
فجاوب لأحظى بالجواب إذا جاوب المولى العبيد يشـرّف
فـإنـه

فكتب إليه الورّاق الجواب عن ذلك:

إليك نصير الدين مـنـي بها أوضح المعنى الخفيّ وأكشف
إجـابة
رايتك قد ألغزت لي في بتذكاره أسماعنـا تـتـشـنّـف
مـتـوج
ينبّه قوماً للصـلاة ومـعـشـراً عبادتهم آس وكـاس وقـرقـف
له كرم قد سار عـنـه وغـيره وعرف به من غيره ظلّ يعرف
حظيّ تراه وادعاً فـي يزينـه تـاج وبـرد مـفـوّف
ضـرائر
وفي قلبه كـيد ولـكـنّ غدا ضيّقاً مثلي بذلـك

صـدره يوصـف

وكتب النصير إلى الوراق ملغزاً في نعامة:

ومفرد جمـعـاً يرى بحذف بعض الأحرف
اسم "نـعـا" أكـثـره فقال باقيه اكـفـف
تراه يغدو مسـرعـاً في برده المـفـوّف

فكتب الورّاق الجواب:

لو قلت في من قد نعـى مات لصدقـتـك فـي
فكـل بـاغ كـالــذي تبغي رهين الـتـلـف
ألغزت في اسـم طـائر في الأرض عنا ما خفي
يفحص فافحص عنـه يا ربّ الفتـون تـعـرف
وهو لعمري في السمـا ء يفتضي ويقـتـفـي

وكتب النصير إلى الورّاق وعنده أحمد الموصلي الزجال:

عندنا من غدا بحبك مـغـرىً ولـه فـيك لـوعةٌ وغـرام
موصليّ يهوى الملاح إذا مـا جاء صبح اللحى وولّى الظلام
فهو لا ينتهي عن الشيب بالش يب فماذا تقول يجدي المـلام
لو تبدّى لعينه ابن ثـمـانـين غدا وهو عاشق مسـتـهـام
قرّ عيناً وطب فديتك نفـسـاً عنده أنت أنت بـدر تـمـام

فكتب إليه الورّاق الجواب:

حبذا من بنات فـكـرك عـذرا ء بها من فتيق مسـك خـتـام
خلت ميم الرويّ فاها وقـد اق ومن ذاق قـال فـيه مـدام
ض
ولها من عقود فضلـك حـلـي لم يحز مثـل درّه الـنـظّـام
أذكرت بالشباب عيشاً خـلـيعـاً نبت فوديه بـعـد آس ثـمـام
كيف لا كيف لا ولم أر صعبـاً قط يأتـي إلا وأنـت زمــام
وبما فيك مـن تـأتّ ولـطـف أنا شيخ للمـوصـلـيّ غـلام
فهو نعم المولى، ونعم النصير ال مرتضى أنت صاحباً والسـلام

وكتب النصير إلى الورّاق ملغزاً في كنافة:

يا واحداً في عصره بمصره ومن له حسن السناء والسنا
تعرف لي اسماً فـيه ذوق وذكـا حلو المحيا والجنـان والـجـنـى
والحلّ والعقـد لـه فـي دسـتـه ومجلس الصدر وفي الصدر المنى
إن قيل يوماً هـل لـذاك كـنـية فقل لهم لم يخل يوماً من "كـنـا"

فكتب الورّاق الجواب:

لبيك يا نعم النصـير والـذي أدنت به المنية لي كلّ المنى
عرّفتني الإسم الذي عرفتـه وكاد يخفى سرّه لولا "الكنا"
له من الحور الحسان طلـعة تقابل المرآة منها الأحسـنـا
وخدنه بعض اسمه طيراً غدا أصدق شيء إن بلوت الألسنا
وهو لسان كلـه وبـعـد ذا تنظره عند الكلام ألـكـنـا
وفي خوان المجد كانا مألفي عند الصيام ربّ فاجمع بيننا

وكتب النصير إلى الوراق مع ظروف يقطين في فرد:

يا من لدفع الردى غدا جنه ومن له في قبولها المنـه
هدية في الإناء تتبعها خير ثناء وهكـذا الـسـنـه

فكتب الوراق الجواب:

يا من غدا لي من العدا جنـه ومن بحمامه لـنـا جـنـه
جاء بها الفرد وهو ممتلـىء ملء فؤاد الحماة بالـكـنـه
وكل ظرف منها بنوه على ال فتح فحقق في حبه ظـنـه

وقال النصير يصف حمامه:

حمـام الأديب الـعــارف ما تجـري وحـال واقـف
بها اسطول وما فيه اسطال
والماء يتزن بالقسطال
والمال رأيته بطال
والاسكندراني ناشف
وما رأيت فيها بلان
يسرح لأحد باحسان
والزبال يعر القوسان
قال والهاتمه يتصالف
ذي دونه وقيمها دون
مبنيه على ميه مجنون
والما في المجاري مخزون
والأنبوب معوج تالف
وتابوت على فسقيه
قلتو مت بالكليه
خذو من نصير الديه
وإلا اثنينا نتناصف

وكتب النصير إلى الوراق موشح:

أهوى رشاً في مهجتي مرتعـه أفــديه ربـــــيب
لا بل قمراً في ناظري مطلعـه لم يدر مــغـــــيب
حقف وهلال وغزال وغصن
إن قام وإن رنا وإن لاح وإن
والمؤمن كيس كما قيل فطن

قلبي أبداً إلى محياه يحن
ما أبعده وفي الحشا موضعه ناء وقـــــــــريب
قد راق به شغري لمن يسمعـه إذ كـــان حـــبـــيب
يا خجلة غصن البان لما خطرا
يا حيرة بدر التم لما سفرا
يا غيرة ظبي الرمل لما نظرا
يا رخص فتيق المسك لما نثرا
من لؤلؤ نثره لمن يجمعه زاه ورطـــــــــيب
ما أسعد ما أغنى فتى يصنـعـه عقـــداً لـــتـــــريب
دعني فحديث العشق إفك ومرا
عندي أبد الزمان والحق أرى
مدحي لسراج الدين نرو الشعرا
والكاتب عند الأمرا والوزرا
كم فيه فضيلة له ترفعه عن قدر أديب
الله بما قد حازه ينفعه والله مجيب
"..." وفاق معنا كرما
تلقاه إذا نحوته في العلما
ألمفرد في زمانه والعلما
كن ممتثلا مرسومه إن رسما
فالفضل إليه كله مرجعه والرأي مصيب
لولا عمر الفضل عفت أربعه أو كان غريب
بالفرع غدت في شفق الحدين
كالبدر يلوح نوره للعين
لما رميت من هاجري بالشين
غنته وقد فارقها يومين
قد غاب ولي يومين ما أقشعه خلوه يغيب
لو راح إلى نجد أنا أتبعه حتى لو اصيب

فأجابه السراج الوراق:

البدر على غصن الـنـقـا مـطـلـعـه من فـــوق كـــثـــــيب
من طرفي والـقـلـب لـه مـوضـعـه يبـــــــدو ويغـــــــيب
إنسان عيوني ظل في الـدمـع غـريق
والقلب بنار البـعـد والـصـد حـريق

من يطفئها من مسكر الراح بريق
والدر بثغر راق لمعاً وبريق
من يمنحه السؤال لا يمنعه ظمآن كئيب
أبلاه بما يخفى به موضعه عن مس طبيب
من فترة جفنه أثار الفتنا
واستل بها من الجفون الوسنا
إن ماس وإن أسفر أو عن لنا
كالغصن وكالبدر وكالظبي رنا
دع وصفي فالحسن له أجمعه من غير ضريب
وانظر ملحا أضعاف ما تسمعه من كل لبيب
لم أنس وسكري بين كاس ورضاب
من فيه، وشكي بين ثغر وحباب
والليل كما شاب على إثر شباب
والجو لنا رق كما رق عتاب
لا بل غزل النصير إذ موقعه من كل أديب
كالماء من الظمآن إذ يكرعه في قيظ أبيب
شيخ الأدباء شرقها والغرب
من كل عروض يمتطي أو ضرب
أو وصف مقام لذة أو حرب
كم هز معاطف القنا والقضب
بالجزل من اللفظ الذي يبدعه من كل غريب
قد سلم في الشعر له أشجعه والشيخ حبيب
هذا وإذا جدد خلعاً لعذار
في وصف رشيق القد أو ذات خمار

أذكى لك منه الشجر الأخضر نار
كم قد فتنت وجداً به ذات سوار
الفته وقالت أي تراها معه تأخـــذ بـــنـــصـــيب
مني وإذا زوجي أتـى لو كـــان شـــبـــــيب
يصـفـعـه

النصير الأذفودي

النصير الأذفودي؛ قال كمال الدين جعفر: لم أجد بأذفو من يعرف اسم أبيه، وكان أديباً شاعراً ينظم الشعر والموشح، وكان في أوائل المائة السابعة، وأظنه مات بعد الخمسين والستمائة؛ أنشدني له والدي في خولي اسمه كستبان:

أبي كستبان الرجل أن يحمل الظرفا لقد عدم الحسنى كما عدم الظرفـا
يسمونه الخولي وهو مـصـحـف ألا إنه الحولي الذي يأكل الحلفـا

ومن نظمه هذا الموشح:

يا طـلـعة الـهـلالـهـلا لـيـفـي الـحـب مـنـتـظـر
يا غـاية الآمـالأمـالـيـمـن الـهـــوى مـــفـــر
أمـا لـدائي راقـيـمـن راقـقـدراً عـلـــى الأنـــام
زها بـحـسـن الـسـاقـوالـسـاقـيـمـن ريقـه الـمـدام
به فـؤادي بـاقـيوالـبـاقـيـفـي لـــجة الـــغـــرام
وسست والخلاقأخلاقيبالصبر إذ هجرفلذ للمذاقمذاقيفي حبه السهر
هل من فتى يسـعـى فـيإسـعـافـيبـالـقـرب مـن رشـا
إن مـال بـالأردافـأردى فـيـقـلـبـي مـع الـحـشـــا
مكـمـل الأوصـافـأوصـى فـيـقـتـلـي وأدهـــشـــا
عقلي وحـكـمـوا لـجـافـيألـجـا فـيـركـوبـه الـغـرر
فكـم مـن الإسـرافـأسـرى فـيـكـفـيه مـن خـطـــر
أزرى الجبين الـحـالـيبـالـحـالـمـمـن قـد اعـتـدى
إذ فـاق بـالـكـمـالـكـمـالـيأشـقـى وأنـــكـــدا
من ابـنة الـدوالـيـدوالـيـقـلـبـــي مـــن الـــردى
ومـذ بـذلـت مـالـي أومـالـيبـالـلـحـظ إذ نـظـر
وقـال إذ ألـوا لـيالـوالـييرفـع لـه الـــخـــبـــر
يا غـصـن بـان مـائـليا مـائـلـعـنـي لـشـقـوتـــي
وارثي لدمـعـي الـسـائـليا سـائـلـعـن حـال قـصـتـي
ولا تـطـيع الـعـاذلـيا عـاذل ورافـق بـمـهـجـتـــي
وان تـزرنـي قـابـلـفـي قـابـلأفـوز بـالـظـفـــر
كي ينجلي يا فـاضـلالـفـاضـلـمـن حـالـي الـغـير

يا منتهى آماليأما ليفي الحب من مجير
ارثي لجسمي الباليا باليوارحم فتى أسير
فقد بذلت الغاليا غاليفي القدر يا أمير
وفيك قد ألقى ليا قاليهجرانك الضرر
وقطعت أوصاليا صاليبقتلي سقر
إن جزت بين السربسربيعن حيهم قليل
ومل بهم وعج بيفعجبنيقلبي بهم بخيل
وقف بهم يا صحبيوصح بيابكوا على القتيل
وإن تقضى نحبيفنح بيفي السهل والوعر
وانزل بهم والطف بيوطف بيفي البدو والحضر
لم أنس إذ غنانيأغنانيوالليل قد هدا
وقال إذ حيانيأحيانيروحي لك الفدا
واهتز بالأردانأردانيإذ قام منشدا
وطائر الأفنانأفنانيإذ ناح في السحر
وهاتف الأذانآذانيإذ نبه البشر

حرف الهاء

هارون الرشيد

هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي ابن المنصور؛ كان شجاعاً كثير الحج والغزو، حج في خلافته ثماني حجج، وقيل تسع، وغزا ثماني غزوات، ولم يحج خليفة بعده، وكان في أيامه فتح هرقلة. وكان طويلا جسيما أبيض قد وخطه الشيب، مولده سنة سبع وأربعين ومائة في نصف شوال بمدينة الري، وبويع له بمدينة السلام في ربيع الأول سنة سبعين ومائة يوم موت الهادي، وكان ولي العهد بعده، وله يومئذ اثنان وعشرون سنة ونصف، وتوفي بطوس في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وله ست وأربعون سنة وكانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوماً، وكان يحج سنة ويغزو سنة، ولذل قال فيه القائل:

فمن يطلب لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طمر وفي أرض الثنية فوق كور

وكان جواداً بالمال، واعتمد على البرامكة في دولته فزينوها إلى أن أكثروا الدالة عليه ففتك بهم، ولكن ساء تدبيره للملك بعدهم وظهر الاختلال في دولته بعدهم، وكان يقول: أغرونا بهم حتى إذا هلكوا وجدنا فقدهم ولم يسدوا مسدهم.

وكان فصيح المقال، قال لإسحاق بن إبراهيم الموصلي وقد أنشده أبياتاً منها:

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأي أمير المؤمنين جميل

لله در أبيات تأتينا بها ما أحكم أصولها وأحسن فصولها وأقل فضولها! فقال إسحاق: أخذ الجائزة مع هذا الكلام ظلم.

وله شعر جيد منه قوله في جارية صالحها:

دعي عد الذنوب إذا التقينا تعالي لا نعد ولا تعـدي

ومنه:

ملك الثلاث الآنسات عنانـي وحللن من قلبي أعز مكان
مالي تطاوعني البرية كلهـا وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه غلبن أعز من سلطاني

ومن شعر الرشيد يرثي جاريته هيلانة:

أف لـلـدنـيا ولـلـزي نة فـيهـا والانـــاث
إذ حثا الترب على هـيلا ن الناس في الحفرة حاثي
فلها تبكـي الـبـواكـي ولها تشجي الـمـراثـي
خلفت سـقـمـاً طـويلاً جعـلـت ذاك تـراثـي

وكان من أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، كان يصلي في اليوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدق كل يوم من صلب ماله بألف درهم، وكان يحب العلم وأهله، ويعظم حرمات الله تعالى ؛ ولما مات ابن المبارك جلس للعزاء وأمر الناس أن يعزوه.

واجتمع له ما لم يجتمع لغيره: وزراؤه البرامكة، وقاضيه أبو يوسف، وشاعره مروان بن أبي حفصة، ونديمه العباس بن محمد عم أبيه، وحاجبه الفضل بن الربيع أتيه الناس وأعظمهم، ومغنيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وزوجته زبيدة.

قال ابن حزم: كان يشرب الخمر؛ ولما مات صلى عليه ابنه صالح ودفنه بطوس.

وذكر الرواة أن الرشيد صنع قسيماً من الشعر وهو:

الملك لله وحده

ثم أرتج عليه فقال: استدعوا من بالباب من الشعراء، فدخل عليه جماعة منهم الجماز فقال الرشيد: أجيزوا، وأنشدهم القسيم، فبدر الجماز فقال:

وللخليفة بعده فقال الرشيد: زد، فقال الجماز:

وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده

فقال الرشيد: أحسنت، لم تعد ما في نفسي، وأجازه بعشرة آلاف درهم، رحمه الله.

"الواثق بالله"

هارون بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس، أمير المؤمنين الواثق بالله ابن المعتصم بالله ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور؛ أمه أم ولد يقال لها قراطيس. كان أبيض إلى الصفرة، حسن الوجه جميل الطلعة جسيماً، في عينه اليمنى نكتة بياض.

مولده يوم الاثنين لعشر بقين من شعبان سنة تسعين ومائة، وبويع له بسامرا يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، وتوفي بسامرا يوم الثلاثاء لخمس بقين من الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام.

وكان كاتبه محمد بن عبد الملك الزيات، وحاجبه إيتاخ ومحمد بن حماد ابن نقش ثم محمد بن عاصم؛ وكان يقال له "المأمون الصغير" لشبه أحواله كلها بأحواله، وكان أعلم بني العباس بالغناء، وله أصوات مشهورة من تلحينه. ومن نادر كلامه لشخص كان عاملاً له على عمل، نقل عنه أنه قال

لمن شفع إليه في قصته لو شفع لك النبي صلى الله عليه وسلم ما شفعتك: لولا أن في خطأ لفظك إشارة إلى صواب معناك في استعظامك ووضعك رسول الله صلى الله عليه وسلم في غاية التمثيل لمثلت بك. ثم أمر أن يضرب ثمانين سوطاً ويعزل. ورئي الواثق في تلك الحالة وهو يرعد غضباً وقال: والله لا وليت لي عملاً أبداً.

وللواثق شعر حسن منه:

قالت إذا الليل دجا فأتـنـا فجئتها حين دجـا الـلـيل
خفي وطء الرجل من حاسد ولو درى حل بـه الـويل

وله:

تنح عن القبيح ولا تـرده ومن أوليته حسنى فزده
ستكفى من عدوك كل كيد إذا كاد العدو ولم تكـده

وكان يحب خادماً أهدي له من مصر، فأغضبه الواثق يوماً فسمعه يقول لبعض الخدم: والله إن الواثق يروم منذ أمس أن أكلمه فلم أفعل، فقال:

يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخـرا هل أنت إلا مليك جار فاقتدرا
لولا الهوى لتجارينا على قـدر فإن أفق مرة منه فسوف ترى

وقال يحيى بن أكثم: ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير.

وكان ابن أبي داود قد استولى على الواثق وحمله على التشدد في المحنة بالقول بخلق القرآن، ويقال إن الواثق رجع قبل موته عن القول بخلق القرآن.

وقال عبيد الله بن يحيى: حدثنا إبراهيم بن ساباط قال: حمل فيمن حمل رجل مكبل بالحديد من بلاده فأدخل، فقال ابن أبي داود: تقول أو أقول? قال: هذا من أول جوركم، أخرجتم الناس من بلادهم ودعوتموهم إلى شيء، لا بل أقول، قال: قل، والواثق جالس، قال: أخبرني عن هذا الرأي الذي دعوتم إليه الناس أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم به فلم يدع الناس إليه أم شيء لم يعلمه? قال: علمه، قال: فكان يسعه أن لا يدعو الناس إليه وأنتم لا يسعكم?! قال: فنبهته، واستضحك الواثق وقام قابضاً على فمه، ودخل بيتاً ومد رجليه وهو يقول: وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت عنه ولم يسعنا، وأمر أن يعطى ثلاثمائة دينار وأن يرد إلى بلده.

وقال رزقان بن أبي داود: أن الواثق لما احتضر قال:

الموت فيه جميع الخلق مشتـرك لا سوقة منهم يبقى ولا مـلـك
ما ضر أهل قليل في تفاقـرهـم وليس يغني عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت من تحته وألصق خده بالأرض وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه.

وكان في سنة اثنتين ومائتين قد صادر الدواوين وضرب أحمد بن أبي إسرائيل ألف صوط وأخذ منه ثمانين ألف دينار، ومن سليمان بن وهب

كاتب الأمير إيتاخ أربعمائة ألف دينار، ومن أحمد بن الخصيب وكاتبه ألف ألف دينار ويقال إنه أخذ من الكتاب في هذه السنة ثلاثة آلاف ألف دينار.

ابن المصلي الارمنتي

هارون بن موسى بن محمد، الرشيد المعروف بابن المصلي الارمنتي؛ قال كمال الدين جعفر الأذفوي: اجتمعت به ولم يعلق بذهني منه شيء، وله شعر كثير يأتي من جهة الطبع، ليس يعرف له اشتغال، وكان إنساناً حسناً فيه لطافة. توفي بأرمنت سنة ثلاثين وسبعمائة، وأورد له:

حثها الشوق حثيثاً من وراها فتراها عانقت ترب ثراهـا
واعتراها الوجد حتى رقصت طربا أسكرني طيب شذاها
غني يا ساقي الـراح بـهـا ليس يغني فاقتي إلا غناهـا

منها في ذم الحشيش ومدح الخمر:

وامل لي حتى تراني مـيتـا إن موت السكر للنفس حياها
ليس في الأرض نبات أنبتـت فيه سر حير العقل سـواهـا
رامت الخضراء تحكي سكرها قتلوها بعد تقطيع قـفـاهـا

وكان قبلي الدمقرات قرية تسمى ببويه وفيها بدوية، فقال الرشيد فيها:

بدويه في ببـويه سـاكـنـا صيرت عندي المحبه ماكنا
اسمـهـا سـت الـعـرب هيجت عنـدي الـطـرب
أنا قاعد بين جماعه نستريح
عبرت وحده لها وجه مليح
بقوام أعدل من الغصن الرجيح
في الملاحة زايدا
ووراها قايدا
لو تكن لي رايدا
كنت نعطيها ألف دينار وازنا وابن في داخل بيوتي ماذنـا
وترى مني العجب في تصانيف الأدب
نفرت مني كما نفر الغزال
واسفرت لي عن جبين يحكي الهلال
ودنت أرمت بعينيها نبال
ثم قالت يا فلان
خذ من احداقي أمان
معك في طول الزمان
فأنا والله مليحه فاتنا ومـن الـحـسـاد مـا أنـا آمـنـا
والـمـلـك وأهـل الـــرتـــب يأخـذوا مـنـي الـحـــسـب
قلت يا ستي أنـا هـونـي نـمـوت

ادفنوني عندكم جوا البيوت
والعذارى حولها يمشوا سكوت
ثم قالوا كلميه
يا عريبه وارحميه
ذا غريب لا تهجريه
يشتهر حالك يصير لك كاينا يقتلوه أهلك وتبقي ضامنا
ذا الحديث فيه العطب ليس ذا وقت الغضب
قالت امضي لا يكون عندك ضجر
واصطبر واعمل على قلبك حجر
ما طريقي سابله من جا عبر
والعذارى يعرفوك
ما تراهم يسعفوك
ظلموني وأنصفوك
ثم وعاهدني فما أنا خاينا وأنا الليلة لروحي راهنا
مر وعبي لي الذهب فترى عقلك ذهب
واعدتني وبقيت في الانتظار
واورثتني الذل بعد الانكسار
والدحى قد صار عندي كالنهار
عندما غاب القمر
واظلم الليل واعتكر
جف قلبي وانكسر
وعريبا في حديثي واهنا آمنه في سربها مطامنا
والفؤاد مني اضطرب ونشف ذاك الطرب
صرت نرعى النجم إلى وقت الصباح
إذ بدا ذي الكوكب الدري ولاح
فإذا هي قد أتت ست الملاح
والعذارى في عتاب
مع عريبه في ضراب
ثم قالت ذا الكلاب
ينبحوا تأتي الرجال الظاعنا بالسيوف وبالرماح الطاعنا
يدركوني في الطلب يجعلوا راسي ذنب

الجرذ الكاتب

هبة الله بن الحسين بن محمد بن هبة الله بن محمد بن علي بن الحسن بن المطلب، أبو المعالي الملقب بالجرذ؛ من بيت الوزارة والتقدم، كان أديباً فاضلاً شاعراً يكتب خطاً حسناً، ونسخ بخطه الكثير للناس، وكان ظريفاً لطيفاً، وجمع في الهزل مجاميع مطبوعة، وأسن وعجز عن الحركة، وتوفي سنة تسعين وخمسمائة، رحمه الله. ومن شعره:

فديت من في وجهها سنة أشهى إلى قلبي من الفرض
تنسى عهوداً سلفت بيننا كأنما قد أكلت قرضي

أشار إلى أن أكل الطعام الذي أكل منه الفار يورث النسيان فيما يزعمه أصحاب التجارب، وحسن هذا لأن اسمه الجرذ.

ومن شعره:

ألا قبح الله هذي الوجوه وبدلنا غيرها أوجها
فلا أفقها مؤذن بالندى ولا بالعلا مؤذن أوجها

وقال في ابن دينار كاتب الوزير، وكان أحاله عليه فمطله:

مولاي في بابكم كاتب يزيد في ظلمي إفراطا
مضيع للمال لكنه أضحى على شؤمي محتاطا
ظن أباه من عطاياك لي فليس يعطيني قيراطا

وقال في ذم الغيم:

ما أقبح الغيم ولو أنه يمطرنا دراً وياقوتا
فكيف والآفاق مغبرة شوهاء لا ماء ولا قوتا

وقال:

نفض التراب عقوق عن مناكبنا لأنه نسب الآباء في القدم

الصائن ابن عساكر

هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي، ابن عساكر أخو الحافظ ابن عساكر؛ كان الأكبر، وكان يعرف بالصائن؛ حفظ القرآن العظيم في صباه، وقرأه بروايات على أبي الوحش سبع بن قيراط وأحمد بن محمد بن خلف بن محرز الأندلسي، وسمع من الشريف أبي القاسم علي بن إبراهيم بن العباس العلوي وأبي طاهر ابن الحنائي وأبي الفرج غيث ابن علي الصوري وغيرهم، وقرأ الفقه على أبي الحسن علي بن المسلم ونصر الله ابن محمد المصيصي.

وقدم بغداد سنة عشر وخمسمائة، وقرأ الخلاف على أسعد الميهني، وقرأ أصول الفقه على ابن البرهان، وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني، وسمع هناك على أشياخ العصر، وسمع بالكوفة ومكة بعدما حج، ورجع إلى بغداد ثم عاد إلى دمشق، وصار معيداً لشيخه علي ابن المسلم بالمدرسة الأمينية، ثم إنه درس بالغزالية بالجامع الأموي، وأفتى وحدث واعتنى بعلوم القرآن والنحو واللغة، وحصل النسخ نسخاً وتوريقاً وشراء، وكان فاضلاً ظريفاً كيساً مطبوعاً عشيراً حريصاً على طلب العلم، وكتبه مبذولة للطلبة والمستفيدين والغرباء، ولم يزل يكتب إلى أن مات في سنة "ثلاث وستين" وخمسمائة، رحمه الله تعالى وإيانا.

أبو الحسين الحاجب

هبة الله بن الحسن، أبو الحسين الحاجب؛ ذكره كمال الدين ابن الأنباري في "كتاب النحويين"، ومات فجأة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، كان من أفاضل الشعراء، ومن شعره:

يا ليلة سلك الزمان بطيبها في كل مسلك
إذ أرتقي ردف المسرة مدركا ما ليس يدرك

والبدر قد فضح الظلام فستره فيه مهتك
وكأنما زهر النجوم بلمعها شعل تحرك
والعيم أحيانا يموج كأنه ثوب ممسك
وكأن تجعيد الرياح بدجلة ثوب مفرك
وكأن نشر المسك ينفح في النسيم إذا تحرك
وكأنما المنثور مصفر الذرا ذهب مشبك
والنور يبسم في الرياض فإن نظرت إليه سرك
شارطت نفسي أن أقوم بشرطها والشرط أملك
حتى تولى الليل منهزماً وجاء الصبح يضحك
واهاً لنا لو أننا في ظل طيب العيس نترك
والمرء يحسب عمره فإذا أتاه الشيب فذلك

"هشام بن عبد الملك"

هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد أمير المؤمنين؛ كان أبيض أحول سمينا طويلا أكلف يخضب بالسواد، مولده سنة قتل ابن الزبير - سنة اثنتين وسبعين للهجرة- وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين ليلة الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة خمس ومائة، وكانت أيامه تسع عشرة سنة وسبعة أشهر. وهو الذي قتل زيد بن علي بالكوفة سنة إحدى وعشرين ومائة، وكانت داره عند باب الخواصين التي بعضها الآن المدرسة النورية.

قال مصعب بن الزبير الزبيري: زعموا أن عبد الملك رأى في منامه أنه بال في المحراب أربع مرات، فدس من سأل سعيد بن المسيب، وكان يعبر الرؤيا، فقال سعيد بن المسيب: يملك من ولده لصلبه أربعة، فكان آخرهم هشام.

وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا صاحب سياسة حسنة، وكان يكره الدماء، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

وكان هشام رجل بني أمية حزما ورأيا، ولما أتته الخلافة سجد لله شكرا، ورفع رأسه فوجد الأبرش الكلبي واقفا فقال: ما لك لم تسجد معي؟ فقال: يا أمير المؤمنين رأيتك وقد رفعت إلى السماء وأنا مخلد إلى الأرض، فقال: أرأيتك إن رفعتك معي أتسجد؟ قال: الآن طاب السجود، وسجد، فأمر له بالإحسان الكثير وأن يكون جليسه طول مدته. وعوتب في شأنه وقيل له: ما تجالس من هذا الأبرش؟ فقال، حظي منه عقله لا وجهه.

وجمع من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبله، فلما مات احتاط الوليد على كل ما تركه فما غسل ولا كفن إلا بالقرض والعارية. والمشهور عنه أنه ليس له من الشعر إلا هذا البيت:

إذا أنت لم تعص الهدى قادك إلى كل ما فيه عـليك مـقـال الهوى

ونسب إليه ابن المعتز أيضا:

أبلغ أبا مروان عـنـي رسـالة فماذا بعيب من وفاء ومن ضـر
ونحن كفيناك الأمور كما كفـى أبوك أبانا الأمر في سالف الدهر

ونسب إليه أيضا:

أبلغ أبا وهب إذا ما لقـيتـه بأنك شر الناس عيبا لصاحب
أتبدي له بشراً إذا ما لقـيتـه وتلسعه بالغيب لسع العقارب

ومن بخله أنه رأى بعض أولاده وبثوبه خرق فقال: أقسمت عليك ألا ما رفوته، وتمثل بقول القائل:

قليل المال تصلحه فيبقـى ولا يبقى الكثير مع الفساد

ملك التتار

هولاكو بن تولي قان بن جنكز خان ملك التتار ومقدمهم؛ كان طاغية من أعظم ملوك التتار، وكان شجاعا مقداما حازما مدبرا ذا همة عالية وسطوة ومهابة وخبرة بالحروب ومحبة في العلوم العقلية من غير أن يتعقل منها شيئا. اجتمع عنده جماعة من فضلاء العالم، وجمع حكماء مملكته وأمرهم أن يرصدوا الكواكب، وكان يطلق الكثير من الأموال والبلاد، وهو على قاعدة الترك في عدم التقيد بدين، لكن زوجته تنصرت. وكان سعيدا في حروبه، طوف البلاد واستولى على الممالك في أيسر مدة. وفتح بلاد خراسان وفارس وأذربيجان وعراق العجم وعراق العرب والشام والجزيرة والروم وديار بكر، وقتل الخليفة المستعصم وأمراء العراق وصاحب الشام وصاحب ميافارقين.

قال الظهير الكازروني، حكى النجم أحمد بن البواب النقاش نزيل مراغة قال: عزم هولاكو على زواج بنت ملك الكرج فأبت حتى يسلم فقال: عرفوني ما أقول، فعرضوا عليه الشهادتين فأقر بهما، وشهد عليه بذلك خواجا نصير الدين الطوسي وفخر الدين المنجم، فلما بلغها ذلك أجابت، فحضر القاضي فخر الدين الخلاطي وتوكل لها النصير الطوسي، ولهولاكو الفخر المنجم، وعقدوا العقد باسم ماما خاتون بنت الملك داود إيواني على ثلاثين ألف دينار؛ قال ابن البواب: وأنا كتبت الكتاب في ثوب أطلس أبيض. وتوفي هولاكو بعلة الصرع وأخفوا موته وصبروه وجعلوه في تابوت. وقال: كان ابنه أبغا غائبا فطلبوه المغل وملكوه، وهلك هولاكو وله ستون سنة أو نحوها في سنة أربع وستين وستمائة، وخلف من الأولاد سبعة عشر ولدا سوى البنات، وهم: أبغا وأشموط وتمنين وتكسي وأجاي وتسنتر ومنكوتمر الذي التقى هو والملك المنصور قلاوون على حمص وانهزم جريحاً؛ وباكودر وأرغون ونغاي دمر والملك أحمد. وقد جمع صاحب الديوان كتابا في أخبارهم وهو عندي في مجلد.

أبو حية النميري

الهيثم بن الربيع بن زرارة، أبو حية - بالحاء المهملة والياء المشددة - النميري؛ كان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وكان شاعرا فصيحا من ساكني البصرة، وكان أهوج جبانا كذابا، وقيل إنه كان يصرع، وكان له سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه وبين الخشب فرق.

حدث جار له قال: دخل إلى بيته كلب في بعض الليالي فظنه لصا، فأشرف عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية، ووقف في وسط الدار وقال: أيها المغتر بنا والمتجرىء علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك: خير قليل وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعته مشهورة، وضرباته مذكورة، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك، والله إن أدع قيسا إليك لا تقم لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا، سبحان الله ما أكثرها! فبينما هو كذلك إذا بالكلب قد خرج فقال: الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفانا حربا.

وقال يوما: إني أخرج إلى الصحراء فأدعو بالغربان فتقع حولي فآخذ منها ما أشاء، فقيل له: يا أبا حية أفرأيت إن خرجنا إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا تصنع؟ فقال: أبعدها الله إذن.

وحدث يوما قال: عن لي ظبي فرميته فراغ عن سهمي، فعارضه السهم ثم راغ فعارضه السهم، ثم راغ فعارضه السهم، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه.

وما أحلى قول ابن قلاقس:

عسكـري جـمـالـه بطـل لـيس يدفــع
قام عن قوس حاجبـي ه الله بعـينـيه ينـزع
أسهم كيفما انـحـرف ن الناس إلى القلب تتبع
هكذا كنت عـن أبـي حية قـبـل أسـمـع

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى :

وشادن إن هب عرف الصبا شممت منه نشـره طـيه
أميل عنه خوف عشقي لـه وجفنه يتبـعـنـي غـيه
كأننـي قـدامـه ظـبـية وطرفه سهم أبـي حـيه

وفد أبو حية على المنصور وامتدحه بقصيد، وهجا فيه بني حسن، فوصله بشيء دون أمله، فاحتجن لعياله أكثره، وصار إلى الحيرة فشرب عند خمارة، وأعجبه الشرب وكره أن ينفد ما معه، وأحب أن يدوم له ما هو فيه، فسال الخمارة أن تبيعه بنسيئة، وأعلمها أنه مدح الخليفة وأرغبها فشرهت، وكان لأبي حية أير كعنق الظليم، فأبرزه لها فتدلهت، وكانت كلما سقته خطت في الحائط خطا، فقال أبو حية:

إذا سقيتني كـوزا بـخـط فخطي ما بدا لك في الجدار
فإن أعطيتني عـينـا بـعـين فهاتي العين وانتظري ضماري
خرقت مقدما من حيث يؤتـى خيال مكـان ذاك مـن الازار
فصدت بعدما نـظـرت إلـيه وقد ألمحتها عنـق الـحـوار

وكانت وفاته بعد السبعين والمائة.

حرف الواو

"والبة الأسدي"

والبة بن الحباب، أبو أسامة الأسدي؛ هو أستاذ أبي نواس، وكان ظريفا غزلا وصافا للغلمان المرد والخمر.

قال المهدي لعمارة بن حمزة: من أرق الناس؟ قال: والبة بن الحباب حيث يقول:

ولهـا ولا ذنـب لـهـا حب كأطراف الرمـاح
في القلب يقدح والحشـا فالقلب مجروح النواحي

قال: صدقت والله، قال: يا أمير المؤمنين فما منعك من منادمته؟ قال: قوله:

قلت لساقينا على خـلـوة ادن كذا رأسك من راسي
ونم على وجهك لي ساعة إني امرؤ أنكح جلاسـي

أفتريد أن أكون من جلاسه على هذا الشرط؟ قال الدعلجي غلام أبي نواس: أنشدت يوما بين يدي أبي نواس قصيدته:

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

وكان قد سكر فقال: ألا أخبرك بشيء على أن تكتمه؟ قلت: نعم، قال: أتدري من المعني ب "يا شقيق النفس من حكم"؟ قلت: لا، قال: أنا والله المعني بذلك، والشعر لوالبة بن الحباب، وما علم بهذا غيرك.

وحكي عن والبة أنه كشف يوما عن عجز أبي نواس وهو أمرد حسن الوجه مليح الجسم، فلما رأى والبة بياض عجزه قبله، فضرط أبو نواس، فقال له والبة: لم فعلت هذا ويلك؟ قال: كراهية أن يضيع قول القائل: "ما جزاء من قبل الاست إلا ضرطة".

وعن ابن سهل الشاعر قال: كان والبة صديقي وكان ماجنا رقيق الدين فشربت أنا وهو يوما بغمى، فانتبه من سكره وقال: اسمع ثم أنشد:

شربت وفاتك مثلي جـمـوح بغمى بالكؤوس وبالبواطـي
يعاطيني الزجـاجة أريحـي رخيم الدل بورك من معاطي
أقول له على طرب ألطنـي ولو بمؤاجر علج نبـاطـي
فما خير الشارب بغير فسـق يتابع بالزنـاء وبـالـلـواط
جعلت الحج في غمى وبنـى وفي قطربل أبدا ربـاطـي
فقل للخمس آخر ملتـقـانـا إذا ما كان ذاك على الصراط

يعني بالخمس: الصلوات. وتوفي في حدود المائتين.

"أبو حليقة"

أبو الوحش بن أبي الخير بن داود بن أبي المنى، الحكيم الرشيد أبو حليقة؛ سمي "أبو حليقة" لحلقة كانت في أذنه. كان أوحد زمانه في الطب، وكان له حظ من الأدب.

ولد بجعبر سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وتوفي سنة سبعين وستمائة، وخرج من جعبر إلى الرها وربي بها، وخدم الكامل وخدم الصالح وخدم الترك إلى دولة الظاهر، وقرأ الطب على عمه أبي سعيد بدمشق وعلى مهذب الدين الدخوار، وله نوادر في الطب.

كان قد أحكم معرفة نبض الكامل حتى إنه أخرج يده يوما إليه من خلف ستارة مع الدور المرضى فقال: هذا نبض مولانا السلطان، وهو بحمد الله صحيح، فعجب منه.

ولما طال عليه عمل الدرياق الفاروق لتعذر أدويته عمل درياقا مختصرا توجد أدويته في كل مكان، وقصد بذلك التقرب إلى الله تعالى. وكان يخلص المفلوجين لوقته، وينشىء في العصب زيادة في الحرارة الغريزية ويقويه، ويذيب البلغم في وقته، ويسكن القولنج في وقته.

وحصل للسلطان نزلة في أسنانه فآلمه ذلك وداواه الأسعد لاشتغال الرشيد بعمل الدرياق، فلم ينجع وزاد الألم، فطلب الرشيد فقال له: تسوك من الدرياق الذي عملته لك وترى العجب، فلما وصل إلى الباب خرجت ورقة السلطان فيها: يا حكيم استعملته وزال الألم لوقته، وبعث له خلعاً وذهبا.

ومر على أبواب القاهر بمفلوج ملقى على جنبه، فأعطاه من درياقه شربة، وطلع إلى القلعة وعاد، فقام المفلوج ملقى على جنبه، فأعطاه من درياقه شربة، وطلع إلى القلعة وعاد، فقام المفلوج يعدو في ركابه ويدعو له.

وألف للملك الصالح صلصا يأكل به اليخني، واقترح عليه أن يكون مقويا للمعدة منبها للشهوة مليناً للطبع. فركب من البقدونس جزءا ومن الريحان الترنجاني جزءا ومن قلوب الاترج المنقعة في الماء والملح جزءا، ثم يغسل بالماء الحلو من كل واحد نصف جزء ويدق في جرن الفقاعي كل واحد بمفرده ويخلط ويعصر عليه ماء الليمون والملح ويعمل في أواني ويختم بالزيت. فلما استعمله السلطان أثنى عليه ثناء كثيرا.

وشفى بدرياقه من به حصاة ففتها من ساعته وأراق الماء.

ومن نوادره أن امرأة من الريف أتت إليه ومعها ولد أصفر ناحل، فأخذ يده ليعرف نبضه وقال لغلامه: هات الفرجية، فتغير نبض الصبي في يده، فقال لأمه: هذا الصبي عاشق في واحدة اسمها فرجية، فقالت أمه: أي والله يا مولاي، وقد عجزت مما أعذله. فعجب الحاضرون منه.

وله كتاب "المختار في ألف عقار" وله مقالة في ضرورة الموت وأن الإنسان تحلله الحرارة التي في داخله وحرارة الهواء، وقال متمثلا:

وإحداهما قاتلي فكيف إذا استجمعا

ومقالة في حفظ الصحة، ومقالة في أن الملاذ الروحانية ألذ من الجسمانية، رحمه الله تعالى.

ولادة بنت المستكفي

ولادة بنت محمد، هو المستكفي ابن عبد الرحمن؛ كانت واحدة زمانها المشار إليها في آدابها، حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة، كتبت بالذهب على طرازها الأيمن:

أنا والله أصلح للمعالـي وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وكتبت على الجانب الأيسر:

وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهـيهـا

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف، وفيها خلع ابن زيدون عذاره، وله فيها القصائد والمقطعات، منها القصيدة النونية التي أولها:

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا جفت مآقينا

وكانت لها جارية سوداء بديعة الغناء؛ ظهر لولادة من ابن زيدون ميل إلى السوداء فكتبت إليه

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا لم تهو جاريتي ولم تـتـخـير

وتركت غصنا مثمرا بجمـالـه وجنحت للغصن الذي لم يثمـر

ولقد علمت بأنني بدر السـمـا لكن ولعت لشقوتي بالمشتـري

وكان مجلس ولادة بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، يتهالك الكتاب والوزراء والشعراء على حلاوة عشرتها وسهولة حجابها.

مرت يوما بالوزير أبي عامر ابن عبدوس وهو جالس أمام بركة تتولد من مياه الأمطار، ويسيل إليها شيء من الأوساخ، فوقفت أمامه وقالت بيت أبي نواس في الخصيب والي مصر:

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكمـا بـحـر

فتركته لا يحير جوابا ولا يهتدي صوابا.

وطال عمرها وعمر أبي عامر المذكور، حتى أربيا على الثمانين ولم يدعا المواصلة ولا المراسلة. وكانت أولا تهوى الوزير ابن زيدون، ثم مالت عنه إلى الوزير أبي عامر ابن عبدوس، وكان يلقب بالفار، وفي ذلك يقول ابن زيدون:

أكرم بولادة علقا لمـعـتـلـق لو فرقت بين بيطار وعطـار

قالوا أبو عامر أضحى يلم بهـا قلت: الفراشة قد تدنو من النار

أكل شهي أصبنا من أطـايبـه بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

وقال فيها أيضا:

قد علقنا سواك علـقـا نـفـيسـا وصرفنا إليه عنك الـنـفـوسـا

ولبسنا الجديد من خلـع الـحـب ولم نأل أن خلعنـا الـلـبـيسـا

ليس منك الهوى ولا أنـت مـنـه اهبطي مصر أنت من قوم موسى

اشار ابن زيدون إلى قول أبي نواس:

أتيت فؤادها أشـكـو إلـيه فلم أخلص إليه من الزحام

فيا من ليس يكفيها خـلـيل ولا ألفا خـلـيل ل عـام

أظنك من بقية قوم موسـى فهم لا يصبرون على طعام

وكانت ولادة تلقب ابن زيدون بالمسدس، وفيه تقول:

ولقبت المسدس وهو نعت تفارقك الحياة ولا يفارق

فلوطي ومـأبـون وزان وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه أيضاً:

إن ابن زيدون له فـقـحة تعشق قضبان السـراويل

لو أبصرت أيراً على نخلة صارت من الطير الأبابيل

وقالت ترميه بأنه مع فتاه علي على حالة:

إن ابن زيدون على جهله يعتبني ظلما ولا ذنب لي

يلحظني شزرا إذا جئتـه كأنني جئت لأخصي علي

وقالت تهجو الأصبحي:

يا أصبحي اهنأ فـكـم نـعـمة جاءتك من ذي العرش رب المنن

قد نلت باست ابنك مـا لـم ينـل بفرج بوران أبوها الـحـسـن

وتوفيت ولادة بعد الخمسمائة، رحمها الله تعالى .

أمير المؤمنين الوليد

الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين الأموي؛ كان يلقب "النبطي" للحنه؛ عاب عليه أبوه لحنه وقال: كيف تعلو رؤوس المنابر? فدخل إلى بيت وأخذ جماعة عنده يتعلم منهم العربية وطين عليه وعليهم الباب وقال لا أخرج حتى أقيم لساني إعرابا؛ ثم إنه خرج بعد ستة أشهر وأكثر، فلما خطب زاد لحنه على ما كان، فقال له أبوه: لقد أبلغت عذراً. كان أبيض أفطس به أثر جدري، وكان جميلا طويلا، بويع له بدمشق يوم الخميس منتصف شوال سنة ست وثمانين بعهد من أبيه، وتوفي يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وله تسع وأربعون سنة، وصلى عليه أخوه سليمان بدير مروان من دمشق، وحمل إلى مقابر باب الصغير ودفن بها. وفي أيامه هلك الحجاج بن يوسف، ويقال إن في أيامه نقلت الدواوين من الفارسية إلى العربية.

وكان يتبختر في مشيته. وكان يختن الأيتام ويرتب لهم المؤدبين، ورتب للزمنى والاضراء من يقودهم ويخدمهم لأنه أصابه رمد بعينيه فأقام مدة لا يبصر شيئا فقال: إن أعادهما الله تعالى علي قمت بحقه فيهما، فلما برىء رأى أن شكر هذه النعمة الإحسان إلى العميان، فأمر أن لا يترك أعمى في بلاد الإسلام يسأل بل يرتب له ما يكفيه.

ولما حضرته الوفاة قال: ما أبالي بفراق الحياة بعدما فتحت السند والأندلس، وبنيت جامع دمشق. ويكفيه بنيانه جامع دمشق ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورزق الفقراء والعميان، فإن له في ذلك شرفا خالدا وذكرا باقيا.

وكان مطلاقا لا يصبر على المرأة إلا القليل ويطلقها، فقيل له في ذلك، فقال: إنما النساء رياحين فإذا ذبلت باقة استأنفت أخرى. وحديثه مع وضاح اليمين ومع زوجته أم البنين مذكورة في ترجمة وضاح اليمن، واسمه عبد الرحمن.

ولما مات أبوه عبد الملك، تمثل هشام بقول الشاعر:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قـوم تـهـدمـا

فقال له الوليد: اسكت، فإنك تتكلم بلسان الشيطان؛ هلا قلت كما قال أوس ابن حجر:

إذا مقرم منا ذرا حد نابـه تخمط فينا ناب آخر مقرم

وعيره خالد بن يزيد باللحن فقال: أنا ألحن في القول وأنت تلحن في الفعل.

الوليد بن يزيد

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين، لقب البيطار وخليع بني مروان والفاتك والزنديق. وكان وسيما جسيما أبيض

مشربا بحمرة، ربعة قد وخطه الشيب. ولد سنة تسعين وبويع له سنة خمس وعشرين هو مقيم بالرصافة، وقتل بالبخراء على أميال من تدمر ثامن وعشرين جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وله أربعون سنة وقيل إحدى وأربعون، وكانت أيامه سنة وشهرين.

وكان أبوه عهد إليه بعد هشام. وكان قد جعل ولديه عثمان والحكم وليي عهده فحبسا ولم يزالا في الحبس إلى أن ولي مروان الجعدي فقتلهما.

وكان الوليد قد انتهك محارم الله تعالى، فرماه الناس بالحجارة، فدخل القصر وأغلقه، فأحاطوا به وقالوا لم ننقم عليك في أنفسنا شيئا لكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله تعالى، وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله تعالى، فقال: حسبكم قد أكثرتم، ودخل الدار وأخذ المصحف وقال: يوم كيوم عثمان، وفتح المصحف يقرأ، فتسوروا عليه، وضربه عبد السلام اللخمي على رأسه، وضربه آخر على وجهه فتلف، وجروه وحزوا رأسه وأتي يزيد الناقص بالرأس فسجد، وكان قد جعل لمن يأتيه بالرأس مائة ألف درهم، فنصبه على رمح بعد صلاة الجمعة، فلما رآه أخوه سليمان قال: بعدا له، أشهد أنه كان شروبا للخمر ماجنا فاسقا ولقد راودني عن نفسي.

قال الشيخ شمس الدين: ولم يصح عنه كفر، لكنه اشتغل بالخمر واللياطة، فخرجوا عليه لذلك.

قال صاحب "الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار": كان ربما صلى سكرانا. وكان في أيام هشام ينتظر الخلافة يوما فيوما، ففتح يوما المصحف فطلع "واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد" "إبراهيم: 15" فجعل المصحف هدفا للسهام وجعل يرمي نحو تلك الآية ويقول:

تهدد كل جبـار عـنـيد فها أنا ذاك جبار عـنـيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

واستقبل شهر الصوم في خلافته بالمجون والشرب، فوعظ في ذلك فقال:

ألا من مبلغ الرحمن عني بأني تارك شهر الصيام

فقل لله يمنعني شرابـي وقل لله يمنعني طعامي

ولما بلغه أن الناس يعيبون عليه ترك الصلاة والصيام، قال: ما للناس وعيب ما نحن فيه؟ لنا منهم الدعاء والطاعة ولهم منا العدل والإحسان؛ ثم قال: عجبت لمن يعلم أن الفرح لا يكون إلا بنقصان العقل ولا يجعل درجا هذه الأقداح، وأباح المحارم فأصبح دمه وهو مباح.

ومن شعره:

لا أسأل الله تغييرا لما صنعـت نامت وقد أسهرت عيني عيناها

فالليل أطول شيء حين أفقدهـا والليل أقصر شيء حين ألقاها

وقال صاحب الأغاني: لما أتى نعي هشام إلى الوليد قال: والله لألتقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر، ثم قال:

طاب يومي ولذ شرب السلافه إذ أتانا نعي من بالرصـافـه

وأتانا الوليد ينعـى هـشـامـا وأتانا بخـاتـم لـلـخـلافـه

فاصطبحنا من خمر عانة صرفا ولهونا بقينة عزافه

ثم حلف لا يبرح من موضعه حتى يغنى في هذا الشعر، فغني له وشرب حتى سكر، ثم دخل فبويع له. وسمع صياحا فقال: ما هذا؟ فقيل له: هذا من دار هشام تبكيه بناته، فقال:

إني سمعت بليلي ورا المصلى رنه
إذا بنات هشام يندبن والدهنه
يندبن قرما جليلا قد كان يعضدهنه
أنا المخنث حقا إن لم أنيكنهنه

وقال لعمر الوادي: غنني فيه، فغناه فشرب أرطالا ثم قال له: والله إن سمعه منك أحد لأقتلنك، فما سمع منه حتى مات.

حرف الياء

ياقوت المستعصمي

ياقوت بن عبد الله، جمال الدين المستعصمي الكاتب؛ كان أديبا عالما فاضلا شاعرا، بلغ من الخط غاية ما بلغها ابن البواب. كان قد اشتراه الخليفة المستعصم صغيرا، وربي بدار الخلافة واعتنى بتعليمه الخط صفي الدين عبد المؤمن، ثم كتب على ابن حبيب، وكتب عليه أبناء الأكابر ببغداد، وحظي عند علاء الدين ابن الجويني صاحب الديوان، وكتب عليه أولاده وأولاد أخيه.

وكان ينظم شعرا رقيقا، فمنه قوله:

يا خليلي والمنى كاذبة والليالي شأنها أن تسلبا
قم بنا ما قعدت حادثة نقض من حق الصبا ما وجبا
نعص من لام على دين الهوى هذه سنة أيام الصبا

ومنه أيضا:

جاء بوجه مخجل شمس النهار المشرقه
في أذنه لؤلؤة كأنها والحلقه
قداحة في وردة بالياسمين ملحقه

وقال:

صدقتم في الوشاة وقد مضى في حبكم زمني وفي تكذيبها
وزعمتم أني مللت حديثكم من ذا يمل من الحياة وطيبها

وقال:

رعى الله أياما تقضت بقربكم قصارا وحياها الحيا وسقاها
فما قلت إيه بعدها لمسامر من الناس إلا قال قلبي آها

ومن شعر ياقوت:

عجبت لدهري إذ جاد لـي بخط يفـوق بـأجـزائه
وأعوزني فيه من نقـطة تكون على الطاء من خائه

ومن شعر ياقوت:

وعدت أن تزور لـيلا فـألـوت وأتت بالنهـار تـسـحـب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت هل توهمت أن ترى الشمس ليلا

وكانت وفاته في شهور سنة ثمان وتسعين وستمائة، رحمه الله تعالى .

"أبو زكريا النواوي الحافظ"

يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين، مفتي الأمة شيخ السلام محيي الدين أبو زكريا النواوي الحافظ الفقيه الشافعي الزاهد، أحد الاعلام؛ ولد في العشر الأوسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى وتوفي رابع عشرين شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة، رحمه الله تعالى .

قال الشيخ محيي الدين: زعم بعض أجدادي أن نسبه إلى حزام والد حكيم رضي الله عنه. ولما كان له تسع عشرة سنة، قدم به والده إلى دمشق فسكن المدرسة الرواحية، وبقي نحو سنتين لا يضع جنبه إلى الأرض. وكان قوته جراية المدرسة. وحفظ "التنبيه" في نحو أربعة أشهر ونصف، وبقي قريب شهرين لما قرا: يجب الغسل من إيلاج الحشفة في الفرج، وهو يعتقد أنه قرقرة البطن، ويستحم بالماء البارد كلما قرقر بطنه؛ وحفظ ربع "المهذب" في باقي السنة، وصحح وشرح على شيخه كمال الدين إسحاق بن أحمد المغربي. ثم حج هو ووالده، وكانت وقفة الجمعة، وأقاموا بالمدينة نحوا من شهر ونصف. ولما رحل من نوى كانت الحمى أخذته فلم تفارقه إلى يوم عرفة. وكان يقرأ فيما بعد على المشايخ شرحاً وتصحيحاً: كل يوم اثني عشر درسا، درسين في "الوسيط" ودرسا في "المهذب" ودرسا في "الجمع بين الصحيحين" ودرسا في صحيح مسلم ودرسا في "اللمع" لابن جني ودرسا في "إصلاح المنطق" ودرسا في التصريف ودرسا في أصول الفقه، تارة في "اللمع" لأبي إسحاق وتارة في "المنتخب" للإمام فخر الدين، ودرسا في أسماء الرجال ودرسا في أصول الدين. وكان يعلق كل ما يتعلق بذلك من شرح مشكل ووضوح عبارة وضبط لغة.

وخطر له الاشتغال في علم الطب، فاشترى "القانون" وعزم على الاشتغال فيه؛ قال: فأظلم على قلبي، وبقيت أياما لا أقدر على الاشتغال بشيء. ففكرت في أمري ومن أين دخل علي الداخل، فألهمني الله أن سببه اشتغالي بالطب، فبعت "القانون" واستنار قلبي.

وسمع صحيح مسلم من الرضي ابن البرهان، وسمع البخاري ومسند أحمد وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه وجامع الترمذي ومسند الشافعي وسنن الدارقطني وشرح السنة وأشياء عديدة. وسمع من ابن عبد الدايم والزين خالد وشيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز والقاضي عماد الدين ابن الحرستاني وابن أبي اليسر ويحيى الصيرفي والصدر البكري والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر وطائفة سواهم. وأخذ علم الحديث عن جماعة من الحفاظ، فقرأ كتاب "الكمال" لعبد الغني على أبي البقا خالد النابلسي وشرح مسلم ومعظم البخاري على المرادي. وأخذ الفقه عن القاضي أبي

علي الفتح التفليسي، وتفقه على الإمام كمال الدين إسحاق المغربي والإمام شمس الدين عبد الرحمن ابن نوح وعز الدين عمر بن أسعد الإربلي. وأخذ عنه القاضي صدر الدين سليمان الجعبري خطيب داريا والشيخ شهاب الدين ابن جعوان والشيخ علاء الدين ابن العطار وأمين الدين سالم والقاضي شهاب الدين الاربدي. وروى عنه ابن العطار والمزي وابن أبي الفتح وجماعة.

وقد نفع الله المسلمين بتصانيفه واشتهرت وجلبت إلى الأمصار، فمنها "المنهاج" و"شرح مسلم" و"الأذكار" و"رياض الصالحين" و"الأربعين حديثا" و"الإرشاد في علوم الحديث" و"التقريب" و"التيسير" و"المبهمات" و"تحرير ألفاظ التنبيه" و"العمدة في تصحيح التنبيه" و"الإيضاح في المناسك" و"الإيجاز" في المناسك -وله أربع مناسك أخر- و"التبيان في آداب حملة القرآن" و"الفتاوى" و"الروضة" و"المجموع في شرح المهذب" بلغ فيه إلى باب الربا في خمس مجلدات كبار. وشرح قطعة من البخاري وقطعة من "شرح الوسيط" إلى باب صلاة المسافر وقطعة كبيرة في "تهذيب الأسماء واللغات" وقطعة في "طبقات الفقهاء".

قال علاء الدين ابن العطار: وله مسودات كثيرة،ولقد أمرني مرة ببيع كراريس نحو ألف كراس بخطه وأمرني أن أقف على غسلها في الوراقة، فلم أخالف أمره وفي قلبي منها حسرات. وأخباره في الزهد والورع والكرامات مشهورة.

وقد عمل له الشيخ علاء الدين ابن العطار سيرة ذكر فيها من رثاه من شعراء عصره، فمن جملتهم الشيخ مجد الدين ابن الظهير، رحمه الله تعالى، قال فيه:

عز العزاء وعم الحادث الجلل ... وخاب بالموت في تعميرك الأمل

واستوحشت بعد ما كنت الأنيس لها ... وساءها فقدك الأسحار والأصل

وكنت تتلو كتاب الله معتبراً ... لا يعتريك على تكراره ملل

قد كنت للدين نورا يستضاء به ... مسدداً فيه منك القول والعمل

وكنت في سنة المختار مجتهداً ... وأنت باليمن والتوفيق مشتمل

وكنت زينا لأهل العلم مفتخراً ... على جدد كساهم ثوبك السمل

وكنت أسبقهم ظلا إذا استغرت ... هواجر الجهل والاضلال ينتقل

كساك ربك أثوابا مجملة ... يضيق عن حصرها التفصيل والجمل

اسلى كمالك عن قوم مضوا بدلاً ... وعن كمالك لا مسلى ولا بدل

فمثل فقدك ترتاع القلوب له ... وفقد مثلك جرح ليس يندمل

زهدت في هذه الدنيا وزخرفها عزما وحزما فمضروبا بك المثل
أعرضت عنها احتقارا غير محتفل وأنت بالسعي في أخراك محتفل
أسهرت في العلم عينا لم تذق سنة إلا وأنت بها في العلم مشتغل
يا لهف حفل عظيم كنت بهجته وحليه فعراه بعدك العطل
وطالبو العلم من دان ومغترب نالوا بيمنك فيه فوق ما أملوا
حاروا لهيبة هاديهم وضاق بهم لفرط حزن عليه السهل والجبل
ترى درى تربه من غيبوه به أو نعشه من على أعواده حملوا
يا محيي الدين كم غادرت من كبد حرى عليك وعين دمعها هطل
وكم مقام كحد السيف لا جلد يقوى على هوله فيه ولا جدل
أمرت فيه بأمر الله منتضياً سيفاً من العزم لم تصنع ل خلل
وكم تواضعت عن فضل وعن شرف وهمة هامة الجوزاء تنتعل
عالجت نفسك والأدواء شاملة حتى استقامت وحتى زالت العلل
بلغت بالتعب الفاني رضى ملك ثوابه في جنان الخلد متصل
ضيف الكريم جدير أن يضاف له إلى الكرامة من ألطافه النزل
فجعت بالأنس ليلا كنت ساهره لله والنوم قد خيطت به المقل
وحال نور نهار كنت صائمه إذا الهجير بنار الشمس مشتعل
لا زال مثواك مثوى ل عارفة وروضه النضر من سحب الرضى خضل
إلى متى بغرور نطمئن ولا ال ملوك رد الردى عنهم ولا الرسل
ولا حمى من حمام جحفل لجب ولا حصون منيعات ولا قلل
يا لاهياً لاهياً عن هول مصرعه وضاحك السن منه يضحك الأمل
لا تخل نفسك من زاد فإنك وقت الولاد مع الانفاس مرتحل
وما بقاء مديم السير يتبعه إلى محل بلاه سائق عجل

ابن أبي طي

يحيى بن حميد بن ظافر بن النجار بن علي بن عبد الله الحلبي المعروف بابن أبي طي؛ أحد من تعاطى الأدب والفقه على مذهب الإمامية وأصولهم، وصنف في أنواع من العلوم. قال ياقوت: وقد جعل التصنيف حانوته، ومنه مكسبه وقوته وأكثر تصانيفه قطع فيها الطريق وأخاف السبيل، يأخذ كتابا قد أتعب العلماء فيه خواطرهم فيقدم فيه أو يؤخر أو يزيد قليلا أو يختصر، ويخلق له اسما غريبا وينتحله انتحالا. وقد طول ياقوت ترجمته في "معجم الأدباء".

ومولده بحلب سن خمس وسبعين وخمسمائة، وتوفي حدود الثلاثين والستمائة، وذكر عنه ياقوت أن والده كان لا يعيش له ولد وأنه لما رزقه حملته جارية وصعدت به السطح ليلة الميلاد، وكانت شديد البرد، فأخذه اضطرام وإفحام وابيضت عيناه جميعاً، ولازمه الرمد إلى أن احتلم فتجلت مما كان فيها من البياض. وكان والده نجاراً مقدما على كل نجار بحلب. وقرأ يحيى القرآن على والده واشتغل بفقه الإمامية على رشيد الدين المازندراني. ومن تصانيفه: كتاب "البستان في مجلس الغلمان". كتاب "معادن الذهب في تاريخ حلب". كتاب "ملح البرهان في تفسير القرآن". كتاب "غريب القرآن" "تفسير الفاتحة". "المجالس الأربعين في مناقب الأئمة الطاهرين".كتاب "خلاصة الخلاص في آداب الخواص" عشر مجلدات. كتاب "حوادث الزمان" على حروف المعجم، خمس مجلدات. كتاب "تاريخ العلماء" مجلد. "شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل" مجلد. "شرح نهج البلاغة" ست مجلدات. "تحفة الطائفة الفقهائية في شرح كلماتهم اللغوية". "التنبيهات في تعبير المنامات. "التنبيهات على صنع النبات". "الكشف والتبيين في محاسن التضمين". "العروس في أدب السائس والمسوس". "مودعة السفيه وموزعة النبيه" في المأخذ على راجح الحلي وسرقاته. "التحقيق في أوصاف الرقيق". "لروضات البهجات في محاسن القينات". "اللباب في أسماء الأحباب". "نسيم الأرواح في ما جاء في التفاح". "الإيجاز في الألغاز". "أخبار شعراء الشيعة". "الاقتصاد في الفرق بين الظاء والضاد". كتاب "الأضداد". كتاب "النكت الشاردة والنادرة والفائدة". "المنتخب في شرح لامية العرب". "تضوع اللطائم في شرح خطبة فاطمة الزهراء". "شرح كلام أم سلمة لعائشة رضي الله عنهما". " نهج البيان في عمل شهر رمضان". "المشكاة في عويص مسائل النحاة". "أفراد قراءة أبي عمرو ابن العلاء". "مختصر في اللغة". "أفراد مسائل". "الجمع بين زوائد الصحاح وزوائد المجمل". "ذخر البشر في معرفة القضاء والقدر". "كتاب في حكمي كلام الأئمة الاثني عشر". "الحاوي في المعمول عليه من الفتاوي". كتاب "سر السرائر". "فقه أحكام النساء في الفقه". "ذخر البشر في معرفة الأئمة الاثني عشر". "مجموع مسائل فقه وأصول". "شرح غريب ألفاظ المقامات". "شرح الحماسة". "أخلاق الصوفية". "عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر". "كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين". "ذيل التاريخ الكبير الذي سماه معادن الذهب". "سلك النظام في تاريخ الشام" أربع مجلدات. "مختار تاريخ المغرب". كتاب"تاريخ مصر". "تهذيب الاستيعاب لابن عبد البر". "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه" ثلاث مجلدات. "اشتقاق أسماء البلدان". "نكت درة الغواص". "أسماء رواة الشيعة

ومصنفيها". "سيرة ملوك حلب". "كتاب التصحيف والأحاجي".

ومن شعره رحمه الله:

يا أبا جعفر تجاف قليلا كم تسامي بمفخر منحوس
أنت من معشر كرام ولكن أنت فيهم قوائم الطاووس

وقال في مديح آل البيت رضي الله عنهم:

أنا في إسار غدائر ونواظر من كل أبيض ذي قوام ناصر
ريان من مرح الصبا فكأنما رويت معاطفه بغيث باكر
خمري ريق لؤلؤي لواحظ مسكي صدغ صارمي محاجر
لله ليلتنا بكاظمة وقد سمحت به الأيام بعد تهاجر
وقد اضطجعنا والنجوم كأنها في الأفق لؤلؤ ثغره في ناظري
والبدر سار في السماء كأنه من وجهه باد بنور باهر
والشعريان كأنما أحداقها أحداق عاذل حبه المتكاسر
وسهيل الوقاد يخفق دائبا خفقان أحشائي عليه وخاطري
والليل يرفل في فضول غلائل رقت كشوقي أو كدمعي القاطر
والريح ينشر عرفها بنسيمها نشري مديح أخي النبي الطاهر
خير الأنام ومن يذل مهابة من بأسه قلب الهزبر الخادر
صنو النبي وصهره ووزيره وظهيره في كل يوم تشاجر

ابن أبي حصينة رضي الدين

يحيى بن سالم القاضي رضي الدين ابن أبي حصينة؛ من شعراء الديار المصرية، كان أحدب وفيه يقول وجيه الدين ابن الذروي، وهو في غاية التهكم بأحدب:

يا أخير كيف غيرتنا الليالي وأحالت ما بيننا بالمحال
حاش لله أن أصافي خلا فيراني في ورده ذا اختلال
زعموا أنني نظمت هجاء معربا فيك عن شنيع مقال
كذبوا إنما وصفت الذي حز ت تعالى من الفضل والنهى والكمال
لا تظنن حدبة الظهر عيبا هي في الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسي محدودبات وهي أنكى من الظبا والعوالي

ودناني القضاة وهي كما تع لم كانت موصوفة بالجلال
وإذا ما علا السنام ففيه لقروم الجمال أي جمال
وأرى الانحناء في منسر البا زي ولم يعد مخلب الرئبال
كون الله حدبة فيك إن شئ ت تعالى من الفضل أو من الافضال
فأتت ربوة على طود حلم وغدت موجة لبحر نوال
ما رأتها النساء إلا تمنت لو غدت حلية لكل الرجال
وأبو الغصن أنت لا شك فيه وهو رب القوام والإعتدال
عد إلى ودنا القديم ولا تص غ لقيل من الوشاة وقال
وتذكر لياليا حين ولت أودعت حسنها عقود لآلي
أترى بالدعاء يرجع شملي أم دعائي مضيع وابتهالي
وإذا لم يكن من الهجر بد فعسى أن تزورنا في الخيال

ومن شعر ابن أبي حصينة:

تملك قلبي غادر غير عاذر فوجدي لديه أول مثل آخر
وجاء بقد عادل فمن الذي رأى عادلاً أزرى على كل جائر
نصيري دمعي وهو أول خاذل فمن منقذي من ساحر الطرف ساخر
فبت أسير القلب والدمع مطلق أردد طرفي بين ساه وساهر
يواصلني دمعي ونومي مهاجري فمن واصلي ثب النحول وهاجري
ويكثر لوم الجفن في نوم جفنه ولا ذنب للمهجور بل للمهاجر
ولو زارني طيف قنعت بقربه وإن كان من أهواه ليس بزائري
فيا عاذلي دعني فلو أن عاذلي حوى بعض ما بي كان للوقت عاذري
رعى الله ليلا زارني بدر تمهولم يلف قبل اليوم في زي زائر
وخاف من الواشين أن يظفروا به فأرخى عليه حلقة من ضفائر
وظن سواد الليل ستر يجنه وما الليل للبدر المنير بساتر

وقال أيضا:

أودعوا إذ ودعوني الحرقا فنعيم العيش لي عاد شقا

بذلوا الهجر وصانوا وصلهم فاصطباري قال لي أن لا بقا
أخذوا نومي وأعطوا مقلتي عندما رقوا عليها الأرقا
آه من ألحاظ قوم كلما فوقوا سهما لقلبي رشقا
رمقوا جسمي فما أبقوا به بعد هجرانهم لي رمقا
وأبوا غلا انتقاما في الهوى فقضى الحب على من عشقا
يا عذولا لم تذق أفكاره من أليم الوجد لي ما ذوقا
قل لأحباب نأت دارهم مات صبري فلكم طول البقا
أظلم الأفق علينا فاطلعوا بسماء الود منكم شفقا
فالكرى فارق جفني بعدكم بعدما قبلكم ما افترقا

وقال أيضا:

كف الملام فليس شأنك شاني إن الشجي إلى الخلي لشاني
لو كان يخلص بالملامة مغرم ما سلطت مي على غيلان
ولما عدت أسد الرجال ويدها عند اللقاء لواحظ الغزلان
بانت أمامة والغرام مخيم عني وبان لبينها سلواني
وإذا سطا جيش الغرام على امرىء نقل الذي في السر للإعلان
أسكنتها قلبي فبان خرابه والقلب يخربه أذى السكان
تسطو بجفن كل منبت شعرة من هدبه محسوبة بسنان
وكأنما أجفانها أن حكمت في القلب أجفان لكل يماني
حسنت فهلا أحسنت بوصالها والحسن منتسب إلى الإحسان

وكانت وفاته بعد الثمانين والخمسمائة، رحمه الله تعالى.

ابن مجبر الاشبيلي

يحيى بن عبد الجليل بن مجبر، أبو بكر الفهري المرسي ثم الاشبيلي، شاعر الأندلس في وقته؛ توفي بمراكش ليلة عيد النحر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، رحمه الله تعالى.

ومن شعره:

أتراه يترك الغزلا وعليه شب واكتهلا

كلف بالغيد ما علقت نفسه السلوان مذ عقلا
غير راض عن سجية من ذاق طعم الحب ثم سلا
أيها اللوام ويحكم إن لي عن لومكم شغلا

ثقلت عن لومـكـم أذن لم يجد فيها الهوى ثقـلا
تسمع النجوى وإن خفيت وهي ليست تسمع العذلا
نظرت عيني لشقوتـهـا نظرات وافقـت أجـلا
غادة لما مثـلـت لـهـا تركتني في الهوى مثلا
هي بزتني الشباب فقـد صار في أجفانها كحـلا
أبطل الحق الـذي بـيدي سحر عينيها وما بطـلا
أعرضت دلا فإذ فطنـت بولوعي أعرضت خجلا
وبدا لي أنهـا وجـلـت من هنات تبعث الوجـلا
حسبت أي سأحـزنـهـا إذ رأت رأسي قد اشتعلا
يا سراة الحي مثـلـكـم يتلافى الحادث الجللـلا
قد نزلنا في جـواركـم فشكرنا ذلـك الـنـزلا
ثم واجهنـا ظـبـاءكـم فلقينا الهول والـوهـلا
أضمنتم أمن جـيرتـكـم ثم ما أمنتـم الـسـبـلا
وأردتم غصب أنفسـهـم فبثثتم بينهـا الـمـقـلا
ليتنا خضنا السيوف ولـم نلق تلك الأعين النجـلا
عارضتنا منـكـم فـئة أحدثت في عهدنا دخـلا
ثعلـيات جـفـونـهـم وهم لم يعرفوا ثـعـلا
أشرعوا الأعطاف ناعمة حين أشرعنا القنا الذبـلا
واستفزتنـا عـيونـهـم فخلعنا البيض والأسـلا
ورمتنا بالسـهـام فـلـم نر إلا الحلي والحـلـلا
نصروا بالحسن فانتبهـوا كل قلب بالهوى خـذلا
عطلتني الغيد من جلـدي وأنا حليتهـا الـغـزلا
حملت نفسي على فتـن سمتها صبرا فما احتملا
ثم قالت سوف نتركـهـا سلبا للحـب أو نـفـلا
قلت أما وهي قد علقـت بأمير المؤمـنـين فـلا

## أبو الحسين الجزار

يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي، الشيخ جمال الدين أبو الحسين الجزار الأديب المصري؛ ولد سنة ثلاث وستمائة تقريباً، وتوفي ثامن عشر شوال سنة تسع وسبعين وستمائة بالفالج، وكان بديع المعاني جيد التورية عذب التركيب فصيح الألفاظ حلو النادرة، صاحب مجون وزوايد، يمدح الملوك والكبار، وكان يتزيا بزي الكتاب، عاش مرتزقا بالشعر، وما هجي أحد من شعراء زمانه ما هجي هو ولا ثلب كما ثلب، وكان يسمى "تعاشير"، وفيه يقول مجاهد الخياط":

ما لتعاشير غـلا قـيمة علي قامت في مواعينه
فلا يلمني وليلم نفـسـه إذ هو مذبوح بسكينـه
والله ما أغضبها فعلـه إلا لتقطيع مصارينـه

وكان قليل الهجاء متحملا متوددا إلى الناس، حسن التعريض، واحتاج في آخر عمره إلى الاستجداء بغير شعر. وكان كثير التبذير لا تكاد خلته تستد أبدا ولا يغفل طلبه ولكن بأحسن الصور، وكان مسرفا على نفسه.

وله كتاب "فوائد الموائد" وعمل بعض الفضلاء عليه "علائم الولائم". وجمع قطعة من شعره سماها "تقاطيف الجزار" وهذه تسمية حسنة.
ولم يكن في عصره من يقاربه في جودة النظم غير السراج الوراق، وهو كان فارس تلك الحلبة ومنه أخذوا وعلى نمطه نسجوا ومن مادته استمدوا.
وبينه وبين شعراء عصره مجاراة ومباراة أذكر منها شيئاً.
وقيل إنه لما كان صغيرا نظم أبياتا قلائل، وكان أديب ذلك الزمان ابن أبي الإصبع، فأخذه والده وتوجه به إليه وقال: يا سيدي، قد عمل هذا الولد شعرا وأشتهي أن يعرضه عليك، فقال: قل، فلما أنشده قال له: أحسنت والله إنك عوام مليح. فراح هو ووالده. وبعد أيام عمل والده طعاما وحمله إلى ابن أبي الإصبع فقال: لأي شيء فعلت هذا؟ قال: لشكرك لولدي، فقال: أنا ما شكرته، قال: ألم تقل له أحسنت، إنك عوام مليح؟ فقال: ما أردت بذلك إلا أنه خرج من بحر ودخل في بحر، فاستحيا هو ووالده. ثم لم يزل يتهذب حتى فاق أهل عصره وصار من فحول المتأخرين. وقيل إنه اجتمع هو وأصحابه وأرادوا النزهة، فأخرجوا من بينهم دراهم وأخذوا منها عشرة دراهم وجاءوا إلى جزار في باب زويلة، فوقفوا عليه وقالوا له: أتدري من هذا الواقف عليك؟ قال: لا، قالوا: هذا الشيخ جمال الدين أبو الحسين الجزار أديب الديار المصرية وإمامها، فباس الجزار السكين وقدمها لأبي الحسين وقال: يا سيدي والله ما يدخل يقطع هذا اللحم إلا أنت، فلما دخل أبو الحسين شرع قطع لهم الرقبة والعرقوب والمراق والعظام والمطاميط، وأصحابه ساكتون لا يكلمونه حتى فرغ، وأخذوا اللحم وقالوا له: أما الرجل فإنه قد خلاه الذم وعداه اللوم لأنه مكنك من اللحم، وأنت فعلت بنا هذا الفعل؟! فقال: بالله اعذروني، فإني لما رأيت نفسي وأنا خلف القرمية والساطور وبيدي السكين جاءتني لأمة الجزارين، وما قدرت أفعل غير ما رأيتم؛ فضحكوا منه.
ومما هجي به رحمه الله تعالى :

ماذا أقول في فتى نشء التيوس والبقر
فعاله ذميمة وبيته بيت الزفر

ومنه:

تعصب للأديب علي قـوم وما كانوا أولئك في حسابي
كلاب وهو جزار ولـكـن به قطعت أذناب الكـلاب

ومنه:

قل لوزير الملك لا تطـرح أمر امرىء أعيا بك العتب
وازجر عن الجزار نفسا فقد تجني به ذنـبـا ولا ذنـب
لا تأمنن ثلب الورى إن يكن قربه من بابك الـثـلـب
ولا تجالس طـرفـا نـازلا قد طالما جالسه الكـلـب

وفيه يقول قطب الدين عمر الواعظ:

الشاعر الجزار مات فبئس ما ضم التراب
قد وافق العقلاء ربهم عليه فهم غضاب
ولبخله بالعظم ما حزنت لموتته الكلاب

وقال فيه مجاهد الخياط

مر بنا ينصـب أحـبـولة للرزق أو يدفن أفخـاخـا

وهو إذا سافر مع نحسه يحتاج فراشا وطباخا
وواحد أعمى إلى جانبي ما زال للتاريخ نساخا
يقول لي يوحك من ذا الفتى أراه صياحا وصراخا
فقلت قالوا إنه شاعر يأكلها بالشعر أوساخا
هذا هو الجزار قال الذي قد كان قبل اليوم مراخا
فقلت هذا في الصبا قال لي وهو بتلك "الحال" لو شاخا

وقال مجاهد أيضا فيه بليقة:

قد كنت عند الناس بعين
يا أبو الحسين
وجبتين
قالوا غلامك يا حزين
ناكك على زعمي يقين
قل المكين?
قالوا الأمين
فقلت قولوا لي الخبر
قال زب في شاعر عبر
قلت البغا جاه في الكبر
قال مرتين
طفيت حماقه وامتليت
تمشي بمنور ما استحيت
عليك ظلام ولو مشيت
بالنيرين
ربيت صغير في المجزرا
وفي الكبر جيت مسخرا
فما نقول إنك خرا
في الحالتين
على قذار ما احمقوا
وما أفشروا وما أنزقوا
ويلاه على من غرقوا
بجرتين

وفيه أشياء كثيرة من هذا النمط، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

ولما مات رثاه السراج الوراق:

أغايتنا لهذا يا فلان تأمل ليس كالخير العيان
أماني النفوس لها خداع وليس من المخوف لها أمان
ومن بعد الحراك لها سكون وصمت بعدما مزح اللسان
ايا من جد للآمال ركضا تأن ففي يد الأجل العنان
تروقك زهرة الدنيا ومنها جنى ثمر الردى إنس وجان

وتخدع لامسا منـها بـلـين أيؤمن إذ يميس الأفـعـوان
بلغت أبا الحسين مـدى إلـيه لمستبق ومسـبـوق رهـان
وكنت وطالما قد كنت أيضـا تقول عن الأولى سبقوك كانوا
أقول لمن نعاك ولا امتـنـاع لأحزاني عليك ولا امتـنـان
إلا عز القوافي اليوم عن مـن بكته البكر منهـا والـعـوان
لها إيطاء حزن بعـد حـزن وإكفـاء لـدمـع لا يصـان
وإقواء برفع فـوق نـعـش وخفض في اللحود له مكـان
وناح النحو بعدك، والمعانـي لها مع كل نـائحة جـنـان
فلا بدل لخل عـنـك يرجـى ولا عطف لمن غدروا وخانوا
ولو نزفت بحور الشعر دمعـا وكان على الخليل لها ضمان
لما وفـتـه لا وأبـيه حـقـا ولو بسلوكها نظم الجـمـان
كفاها ذوقه التقطـيع فـيمـا يجـوزه ويأبـاه الــوزان
ولجج سالكا في كـل بـحـر غنائمه جواهره الـحـسـان
فنالت منه فـاصـلة الـرزايا ودائرة الحمام ولا اعتـنـان
فيا أسف البديع علـى بـديع لكل فنونه منـه افـتـنـان
إذا التفت استطال على جرير وأخرس من فرزدقه اللسـان
فلا تقسا به سحـبـان يومـا ولا قسـا إذا ذكـر الـبـيان
ولو هرم رآه سـلا زهـيرا وكان له عـلـيه ثـم شـان
جمال الدين أنت جمـيل ظـن بربـك جـل ديانـــا يدان
وعفو الله أكثـر مـن ذنـوب لنا وعلى الشفيع لنا الضمـان

وكتب أبو الحسين إلى السراج الوراق في يوم نوروز:

استعمل العفص بعد الدبغ لتغتدي طالبا طورا
مقلـوبـا ومـطـلـوبـا
واسكر من الراح وافهم ما أشرت له فليس يحتاج لا كـاسـا ولا كـوبـا
واحمل على القوم واحلم أن هم حملوا فأنت ما زلت غلابا ومـغـلـوبـا
لك الجوادان فاركب ما تـشـاء ودع ما لا تشاء مع الغلمان مجـنـوبـا
قد أدبـتـك نـواريز مـفـــرقة حتى لقد صرت لا تحتـاج تـأديبـا
وطالما استصلح الجزار نحرك فـي يوم الأضاحي ولم يستصلح النـيبـا
أذكرتنـا ازدشـيرا إذ ركـبـت أصبحت بالتاج تاج الخوص

وإذ معصوبا
فاستوف غير ضجور بالإمـارة ما على جبينك "ما" قد كان مكـتـوبـا
والق الآيادي واقبل مـن هـديتـهـا ما كان من قوص أو إخميم مجلوبـا
يا شاعرا لـم يفـتـه الـيوم راوية يروي المجون إذا لم يرو تشـبـيبـا
لو أنه أدرك الشيخ الصريع فـتـى القصار لم يرو إلا عنك أسـلـوبـا

فأجابه الوراق:

قتلت يا شيخنا الأشياء تـجـريبـا بأكلك العفص بعد القلب تـدريبـا
وصار جلدك مدبوغا به عـجـبـا وما طهرت ومن يحصي الأعاجيبا
يا مستلذا بأكل الـراح هـاك يدي وخل من يستلذ الراح مشـروبـا
ويا صفيا بعـين عـنـدنـا أبـدا لولا تكون بعين كنت محجـوبـا
ركبت أنثى ولم تعتد سـوى ذكـر مالي أراك على المركوب مقلوبا
مخالفا قد تبدلت الـعـنـان بـذي ال يظل فويق الأرض مسحوبـا
وثم ميم وصاد إن قرأتـهـمـمـا قرأت"مص" وكم فسرت مكتوبـا
فاجعل لسانك في هذا وذا سببـا والحش يكفيك إن حاولت مطلوبـا
واركب بغرة توت ناشرا علـمـا يأتي من الطائف النجدي مجلوبـا
فطالمـا رفـعـت ايد إلـيك بـه حتى نزلت عن المركوب مكروبا
أبا الحصين محال أن تـروغ وقـد صوبت ثعلب رمحي اليوم تصويبا
ولست ذئبا فأخشى أن تخاتـلـنـي لكنما أنت شيء يشـبـه الـذيبـا

وكان الوراق يوما يسرح ذقته، فقال الجزار:

لا تعجبوا من لباسي فكل أمري لبـس
والله ما ثـم مـال وإنما ثم تفـسـو

فأجابه الوراق:

صدقت ما ثم مال وإنما ثم نـحـس
وثم أخرى وأخرى فيها وعندك حدس

وكتب الجزار إلى الوراق:

أيها الفاضل الذي قد حباه ذهنه من علومه بكنوز
فقت أهل الآداب جداً وهزلا فتميز عنهم بذا التمييز
كم وكم من رسالة لك قد بر زت فيها سبقا على التبريزي
أنا والله من رعاياك ما زل ت وأنت الأمير في النوروز

فأجابه الوراق:

كم إلى كم يطيل مادح مثلي بكنى قد خبأتها ورموز
مانحا مثلها المطرز هيها ت له ما لديك من تطريز
رب يوم ركبت فيه أميراً وتركت المخيط للمدروز
دخلت منك هيبة لك في قل بي ولكن دخولها من طيزي

وقال أيضا:

قطعت شبيبتي وأضعت عمري وقد أتعبت في الهذيان فكري
وما لي أجرة فيه ولا لي إذا ما تبت يوما بعض أجر
قرأت النحو تبيانا وفهما إلى أن كعت منه وضاق صدري
فما استنبطت منه سوى محال يحال به على زيد وعمرو
فكان النصب فيه علي نصبا وكان الرفع فيه لغير قدري
وكان الخفض فيه جل حظي وكان الجزم فيه لقطع ذكري
وفي علم العروض دخلت جهلا وعمت لخفتي في كل بحر
فأذكرني به التفصيل بيتا تضمن نصفه الشيخ المعري
مفاعلتن مفاعلتن فعولن "حديث خرافة يا أم عمرو"
وكم يوم ببيع اللحم عندي يعد من البوار بألف شهر
ولما أن غدا لا بيع فيه مع الميزان أشبه يوم حشر
ودكاني جهنم إذ زبوني زبانية بهم تعذيب سري
وفيها زفرة من غير لحم وقد وضعت سلاسلها بنحري
وقد طال العذاب علي فيها لما قدمت من نحس ووزر
فإن لام العذول أقول دعني أنا في ضيعة في وسط عمري

منها في المديح:

وإن الشعر دون علاه قدرا ولا سيما إذا ما كان شعري

كلاما ما قرأت له صحـاحـا ولا نحوا على الشيخ ابن بري
وعيشك لست أدري ما طحاها وقد أقررت أني لست أدري
وذا خبري ولو كشفت عنـي لصغره بعظم الجهل خبـري
كأني مثل بعض الناس لـمـا تعلم آيتين فـصـار يقـري

وقال أيضا:

ما زلت في الدنيا من الـهـم طول زماني وافر القـسـم
فالحمد لله الـذي حـكـمـه قد خر في أفق السماء نجمي
أصبحت لحاما وفي البـيت لا أعرف ما رائحة الـلـحـم
جهلته فقرا فكـنـت الـذي أضله اللـه عـلـى عـلـم

وقال أيضا:

حسبي حرافا بحرفتي حسبي أصبحت فيها معذب القلب
موسخ الثوب والصحيفة من طول اكتسابي ذنبا بلا ذنب
خلا فؤادي ولي فـم وسـخ كأنني في جزارتي كلبـي

وقال أيضا:

لي من الشمس خلـعة صـفـراء لا أبالي إذا أتـانـي الـشـتـاء
ومن الزمهرير إن حدث الـغـي م ثيابي، وطيلسـانـي الـهـواء
بيتي الأرض والفضـاء بـه سـو ر الرجل مدار وسقف بيتي السماء
لو تراني في الشمس والبرد قد أن سل جسمي لقلـت إنـي هـبـاء
شنع النـاس أنـنـي جـاهـلـي مانـوي ومـا لـهـم أهــواء
أخذوني بـظـاهـري إذ رأونـي عبد شمس تسوؤني الظـلـمـاء
آه واحستري لقـد ذهـب الـعـم ر وحظـي تـأسـف وعـنـاء
كلما قلت في غـد أدرك الـسـو ل أتـانـي غـد بـمـا لا أشـاء
لست ممن يخص يوما بـشـكـوا ه لأن الأيام عـنـدي ســواء

وقال من أبيات:

فاغنني عـن سـؤال كـل لـئيم قد علا قدره وإن كان سـفـلـه
معشر ما ظفرت منهم عقـيب ال قصد عند السؤال إلا بخـجـلـه
ومتى غبت عنهم عـتـبـونـي ومتى جئتهم رأوا ذاك ثـقـلـه

أنا فيهم عـار ومـاش وغـيري وهو دوني له ثـياب وبـغـلـه
لي نصفية تـعـد مـن الـعـم ر الرجل سنينا غسلتها ألف غسله
لا تسلني عن مشتراها فـفـيهـا منذ فصلتها نشـاء بـجـمـلـه
كل يوم يحوطا الـعـصـر وال دق مرارا وما تقر بـعـمـلـه
فهي تعتل كلما غسـلـوهـا ويزيل النشاء تلك الـعـلـه
أين عيشي بها القديم وذاك ال رفق فيها وخطرتي والشمله
حيث لا في أجنابها رقـعة ق ط ولا في أكمامها قط وصله
قال لي الناس حين أطنبت فيها بس أكثرت خلها وهي بقلـه

وقال وقد بعث له بعض الرؤساء نصفية:

اشكر مولانا ونصـفـيتـي تشكره أكثر من شـكـري
أراحها جدواه من كـل مـا تشكوه من دق ومن عصر
كم مرة كادت مع المـاء إذ يغلسها غسالهـا تـجـري
تموت في الماجور لولا النشا يبعثها في ساعة النـشـر
أراحها الدهر وطوبى لمـن يريحه في آخر الـعـمـر

وقال وقد منعه البواب من دخوله على بعض الأمراء:

أمولاي ما من طباعي الخروج ولكن تعلمته من خـمـولـي
وصرت أروم لديك الـغـنـى فيخرجني الضرب عند الدخول

وقال أيضا:

أدركوني فبي من البـرد هـم ليس ينسى وفي حشاي التهاب
ألبستني الاطماع وهماً فها جس مي عار ولـي فـرا وثـياب
كلما ازرق لون جسمي من البر د تخيلـت أنـه سـنـجـاب

وقال أيضاً:

إني لمن معشر سك الدماء لـهـم دأب وسل عنهم إن رمت تصديقي
تزداد بالدم إشراقا عـراصـهـم فكـل أيامـهـم أيام تـشـريق

وقال أيضا:

قلت لما سكـب الـسـا قي على الأرض الشرابا
غيرة مـنـي عـلـيه لتـين كـنـت تـرابـا

وقال:

ولم ألق في بيتي دثـارا أعـده لبرد ولا شيء يرد هـجـيرا
فأنفخ شدقـي إن أردت وسـادة وأفرش ظلي إن أردت حصيرا

وقال من أبيات:

يلين إلى أن يجرح الوهم خده وتغرق في ماء النعيم غلائله
إذا ما بدا من شعره في ذوائب رأيت غزالا لم ترعه حبائله

وقال:

وكذبت في نظم مديحي لكم والكذب لا ينكر من شاعر
واحتجت أن أذكركم خيفة بالخير للوارد والصـادر
فأنتم ألجأتـمـونـي إلـى كذبي في الأول والآخـر

وقال:

لئن قطع الغيث الطريق فبغلتي وحاشاك قبقابي وجوختي الدار
وإن قيل لي لا تخش فهي عبورة خشيت على علمي بأني جـزار

وقال من أبيات:

اسقنيها حـتـى أقـوم ولا أع رف سكرا عمامتي من مداسي
فزت بالجهل مثلما فاز بالحـل م وفعل الصنائع البانـياسـي
وغدائي المسلوق في كـل يوم لا من اللحم بل من القلـقـاس

وقال أيضا:

أحبابنا ما لليلي بعد فرقتكـم كأنما هو مخلوق بلا سحر
أنفق أيام عمري في محبتكم وقد نأيتم فلا أنتم ولا عمري

وقال أيضا:

وكم وكم قد دق أبـوابـه عليه في الليل نسيم الصبا
فقال من? قال رسول الشتا فقال لا أهلا ولا مرحبا

وقال من قصيدة:

وكم قابلت تركيا بمـدحـي فكاد لما أحاول منه يحنـق
ويلطمني إذا ما قلت: "ألطن" ويرمقني إذا ما قلت "برمق"
وتسقط حرمتي أبـدا لـديه فلو أني عطشت لقل "بشمق"

وقال أيضا:

زمن الغضا في القلب بعدك لوعة تذكى بنار الشوق لا نار الغضـا

ما كانت اللذات فيك ولا الهوى إلا كبرق في الدجنة أومضا

وإذا صبوت لدارسات رسومه قال المعيد لدرسها: هذا مضى

وقال يمدح فخر القضاة نصر الله ابن بصاقة من أبيات:

وكم ليلة قد بتها معسرا ولي بزخرف آمالي كنوز من اليسر

أقول لقلبي كلما اشتقت للغنى إذا جاء نصر الله تبت يد الفقر

وإن جئته بالمدح يلقاك بالندى فكم مرة قد قابل النظم بالنثر

ويهتز للجدوى إذا ما مدحتهكما اهتز حاشا وصفه شارب الخمر

وكتب إلى رجل اصطنعه وهو يؤذيه من أبيات:

طالما كنت قبلها تحفظ الخب ز ولكن بالبخل في الصندوق

ليت شعري ماذا تقول إذا "ما" رمت شتمي، قل لي بأي طريق

علم الله ما مضيت رسولا قط من عند إبنتي لعشيق

لا ولا بت في مكان طفيلي اً كغيري في طاعة وفسوق

لا ولا جئت بالرجال إلى بي تي وكاسرت عنهم في السوق

وقال أيضا:

ما بال قوادي وعلقي قد غلقا أبواب رزقي

وتعاهدا وتعاقدا وتحالفا أيمان صدق

إن تتركاني تائباً من فاقتي عن كل فسق

وتخلياني مثلة للناس في غرب وشرق

قد صرت صوفياً لفق ري منهما والجلد دلقي

وعمامتي رأسي وجم جمتي الثرى والكبر خلقي

فأنا النذير لمن غدا متعرضا يوما لعشق

كم ليلة ضيعت في ها حرمتي وأضعت ورقي

وصفعت حين سكرت من كاس بها المحبوب يسقي

وإذا سكرت فإنني مستهلك مالي وعتقي

وقال:

يا مالك القلب رفقا إن نارك أضالع الصب لا تبقي ولا تذر

فضحت غصن النقا لينا فراح إذا ما ماس قدك بالأوراق يستتر

ما أنكر الطرف أن الشعر من دجا وإنما غر من وجهك الـقـمـر
إني لأعجب من جفن تـدير بـه على نداماك خمرا وهو منكسـر

وقال أيضا:

لبست بيتي وقـد زررت أبـوابـي علي حتي غسلت الـيوم أثـوابـي
وقد أزال الشتا ما كان من حمـقـي دعني فمستوقد الحمام أولـى بـي
أنام في الزبل كي يدفا به جـسـدي ما بين جمر به ما بين أصحـابـي
أو فوق قدر هريس بت أحرسـهـا مع الكلاب علـى دكـان غـلاب
ما كنت أعرف ما ضرب المقارع أو قاسيت وقع الندى من فوق أجنابـي
وما تراقصت الأعضاء في جسـدي إلا وقد صفقت بالـبـرد أنـيابـي

وقال في زوجة أبيه وكانت طرشاء:

تزوج الشـيخ أبـي شـيخة ليس لها عـقـل ولا ذهـن
لو برزت صورتها في الدجى ما جسرت تبصرها الجـن
كأنها فـي فـرشـهـا رمة وشعرها من حولها قـطـن
وقائل قل لي مـا سـنـهـا فقلت ما في فمـهـا سـن

وقال فيها وقد مات أبوه:

أذابت كلى الشيخ تلك العجوز وأردته أنفاسها الـمـرديه
وقد كان أوصى لها بالصداق فما في مصيبتـه تـعـزيه
لأني ما خلت أن الـقـتـيل يوصي لقاتـلـه بـالـديه

وأهدى إلى الصاحب كمال الدين ابن العديم سجادة خضراء، وكتب معها:

المملوكة سجادة أبي الحسين الجزار:

أيها الصاحب الأجل كمـال الـد ين لا زلت ملجـأ لـلـغـريب
كن مجيري لأنني قـد تـغـرب ت لكوني وقعت عـنـد الأديب
أنا سجادة سـئمـت مـن الـط يب فهب لي نشرا فنشرك طيبي
طال شوقي إلى السجود وكم لي من شروق في بيتـه وغـروب
وإذا مـا أتـاه ضـيف أرانـي منه عند الصلاة وجـه مـريب
لم يرقه اخضرار لونه وهـيهـا ت، وما راعه اسوداد الذنـوب

فأقل عثرتي ووفـر بـإحـسـا نك من وجه الكريم نصـيبـي
واجبر اليوم كسر قلبي فـلا زل ت مدى الدهر جابرا للقـلـوب

إن حسن في الآراء الالية الصاحبية الكمالية أسعدها الله تعالى أن ينصب محرابي إلى القبلة بعد رفعه، ويخفض عيشي بالتسبيح والتقديس بعد جزمه وقطعه، ويجعلني مؤهلة بين يديه لصالح الأعمال، ويؤمنني العث الذي يعتري الصوف لعدم الاستعمال، فعل، جاريا على عوائد اصطناعه، سالكا سبل أخرقه وطباعه، والسلام.

وقال أيضا:

إذا كنت تعلم ما في الصدور وتعـلـم خـائنة الأعـين
وتعلم صحة فقـري إلـيك فإني عن شرح حالي غني
أسيء فتحسـن لـي دائمـا وهل للمسيء سوى المحسن
وحقك مالـي مـن قـدرة على كشف ضرر إذا مسني
فلا تلزمني بغير الـدعـاء فذلك ما ليس بالمـمـكـن

أبو زكريا يحيى صاحب إفريقية

يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاني، الأمير أبو زكريا صاحب إفريقية وتونس؛ كان أبوه نائبا لآل عبد المؤمن على إفريقية، فلما توفي والده تغلب على إفريقية وتونس وامتدت أيامه، واشتغل عنه بنو عبد المؤمن بأنفسهم؛ وتوفي سنة سبع وأربعين وستمائة، وأصله من برابر مصمودة.

وكان يباشر الأمور بنفسه ولا يركن إلى أحد، وكان كثيرا ما يتستر بالليل ويخرج الأموال ويقصد مواضع الفقراء والأيتام، وعم جميع المستحقين بالعطاء، وكان الفقراء يدعون له بكل مكان؛ وفي كل يوم يجلس في مجلس مخصوص وتحضر الأمراء والجند والوافدون، ولا يأنف أن يتكلم في جليل الأمور وحقيرها، ثم يطعم الناس، فإذا حضر وزير الأموال انقلب إلى مكان آخر مع من يشرفه بالحضور من الفضلاء من فقيه وأديب ومنجم وطبيب، فإذا فرغ من هؤلاء دخل إلى داره واستراح لي أذان العصر، فيخرج إلى موضع آخر غير الموضعين الأولين يتفقد فيه الأمور الخاصة بقصره، فإذا أذن المغرب دخل إلى ما هنأه به الله من اللذات. ولم يقطع صلاة الجمعة في الجامع و لا يخل بها، ويجلس يوم السبت في القبة العظمى وحوله أقاربه وشيوخ دولته على مراتبهم، وتقرأ عليه المظالم بحضرة القاضي وغيره، ويجزم الحكم ويفصله، وله في ذلك أخبار ظريفة: ورفع إليه طائفة من الشعراء قصائد فوقع عليها بما رآه، وكان منهم شاعر يعرف بابن المحظية، وكان في قصيدته خطأ فوقع: يعطى أن قصيدته كذا وكذا، فاستحسن البلغاء هذا منه.

وكان مرة أصابه ألم في عينيه، فدخل إليه خواصه وفيهم شخص يلقب بالخرا، فقال له وقد كلمه: يا مولانا أبصرتني؟ فقال لا بل شممتك.

ومات بالرعاف وهو نازل بعسكره على بونة آخر مدن إفريقية، رحمه الله.

ومن شعره في الجوز:

تفضل بطعم له مـلـبـس صلابة وجه لئيم حـكـى

إذا بز عن جسمـه ثـوبـه أتاك كما يمضغ المصطكى

وقال يصف الرمح من قصيدة، وهو معنى غريب:

وأسمر غر شيب النقع رأسه ألا إنما بعد القشيب مشـيب

مددت به كفي إليهم كـأنـه رشاء ومن قلب الكمي قليب

وقال:

أمالكتي قلب الكئيب تعطفـا بساكنتي ربع الضلوع ترحما

على هائم أعياه حمل غرامه وأعقبه فرط الغرام تألـمـا

فلم يبق فيه البين إلا تنفـسـا ولم يبق فيه الشوق إلا توهما

رشيد الدين العطار

يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج بن أبي الفتوح، الإمام الحافظ المحدث رشيد الدين أبو الحسن القرشي الأموي النابلسي المصري المالكي العطار؛ ولد سنة أربع وثمانين وخمسمائة، وتوفي سنة اثنتين وستين وستمائة.

روى الكثير وأفاد وانتخب، وكان ثقة ثبتا عارفا بفن الحديث، مليح الخط حسن التخريج، انتهت إليه رياسة الحديث بالديار المصرية، ووقف جملة كتبه. روى عنه الدمياطي واليونيني وقاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وخلق كثير.

وقال السراج الوراق يرثيه:

دمعي على الشيخ الرشيد مرسـل وحزن قلبي أبـدا مـسـلـسـل

بكى دما جفني الـقـريح بـعـده لو بالجريح يفتـدى الـمـعـلـل

أين إمام في الـحـديث مـثـلـه تضـرب آبـاطـا إلـيه الإبـل

ذاد عن الـسـنة كـل مـفـتـر به جلي الداجي وحل المشـكـل

وكان في علم الـرجـال أوحـدا بحيث قال العلم: هـذا الـرجـل

أتقـنـهـم مـعـرفة بـقـول ذا مستعمل وقـول ذاك مـهـمـل

ومن سوى العطار يدري سرهـم والناس منهم حـطـب ومـنـدل

يا جامع ابن العاص قد أوحشت من جارك واستـوحـش صـف أول

عهدي بصدر لك مـنـه حـالـيا قد عاد وهو بـعـده مـعـطـل

لله ما ضم التراب مـن حـجـى يطيش رضـوى عـنـده ويذبـل

ومن عفاف وتقى وكـيف لا والعلم أس لهما والـعـمـل

إن ضجيعي لحده لـسـنة ال هادي الشفيع والكتاب المنزل
لمثل ذا فليعمـل الـقـوم إذا راموا العلا لمثل ذا فليعملوا
سقاك يا يحيى حيا مرتـجـز تحدو قطاريه صبا وشمـأل

أبو جعفر العلوي

يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي، أبو جعفر العلوي البصري؛ كان يتولى النقابة على الطالبين بها. كان أعرف أهل زمانه بأنساب العباسيين والقرشيين وأنساب العرب وأيامها وأشعارها؛ قدم بغداد مرات وأقام بها طويلا، ومدح الإمام الناصر، وقرأ الناس عليه شعره ومن كتب الأدب والأنساب.

وكان مليح المجالسة حسن الأخلاق متواضعا شريف النفس دينا، ولم يرو شيئا من الحديث، وكانت به زمانة لا يستطيع أن يقوم على رجليه. توفي ببغداد في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وستمائة، ومولده سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بالبصرة، ومن شعره:

آليت أنـي لا أطـيع عـذولـي وإن اشتملت على جوى وغلـيل
وأرى السلو عن الحبيب وإن جفا وأطال في الأعراض غير جميل
شرع الهوى دارست فيه عصابة أخذوا براي كـثـير وجـمـيل
يا برق حي على العقيق محـلة حالت وعهد الشوق غير محـيل
شقت عليها المعصرات جيوبهـا وبكت بدمع لا يجف هـمـول
وكأنما وجدت بها لمـا عـفـت وجدي فأعولت الرعود عويلـي
لم يبق منها غير أشعـث دارس مثل على طول الزمان نـحـيل
ورماد أعشـار إذا شـبـهـتـه فلقد أصبت بإثمـد مـنـخـول
فوددت من ولهي به وصبابـتـي لو بت منه بناظر مـكـحـول
لا عهدها عندي وإن بعد المـدى عاف ولا شكري لها بـقـلـيل
فإنها نعم الخـلـيفة أحـمـد ال أسد المخوف العارض المأمول

وقال أيضا:

تشرين أقبل جـامـعـا أزهـاره في نصر شوال ليطـلـب ثـاره
من شهر نسك لا يزال يمـتـنـا جوعا ويمنعنا التقـى إفـطـاره

أهدى لنا تشرين زهـر رياضـه كرما وفتح وسطـهـا أزهـاره
وأباحنا، والله يجـعـل عـمـره عمر الزمان، شميمه وثـمـاره
وسرى على أيلول وهو مصـمـم والجو ملتهب فـأطـفـأ نـاره
فصل تشابه فـجـره وعـشـاؤه وحكت صدور نهاره أسـحـاره
وعلى السماء قبـاء غـيم أدكـن سرت الشمال فحلـلـت أزراره
وتراه ينثـر مـن ذيول قـبـائه درا أطال على الرياض نـثـاره
فاستجلها حمراء مـن يد أبـيض بالمسك خط له الشبـاب عـذاره
ممن يرى دين المسيح مهفـهـف كالغصن يشبه خصـره زنـاره
فالراح أخت الروح إن مزجت بها وقضى الكريم فقد قضى أمطاره

الصرصري

يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام، جمال الدين الشيخ العلامة الزاهد الضرير، أبو زكريا الصرصري البغدادي الحنبلي اللغوي الأديب الناظم، صاحب المدائح النبوية السارة في الآفاق، لا أعلم شاعرا أكثر من مدائح النبي صلى الله عليه وسلم أشعر منه، وشعره طبقة عالية. وكان فصيحا بليغا، شعره يدخل في ثمان مجلدات، وكله جيد؛ وله قصائد التزم في كل حرف منها طاء، وأخرى في كل كلمة منها ضاد، وأخرى في كل كلمة زاي، وأخرى في كل بيت حروف المعجم، وهذا دليل القدرة والاطلاع والتمكن.

ولد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وتوفي شهيدا في واقعة بغداد سنة ست وخمسين وستمائة، رحمه الله تعالى.

قال الشيخ شمس الدين الذهبي: حكى لنا شيخنا ابن الدباهي، وكان خال أمه، قال: دخل عليه التتار وكان ضريرا فطعن بعكازه بطن واحد فقتله ثم قتل شهيدا.

فمن شعره يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أوجهك أم ضوء الصباح تـبـلـجـا أم البدر في برج الكمال جلا الدجى
أم الشمس يوم الصحو في برج سعدها وفرعك أم ليل المحـب إذا سـجـا
وبرق سرى أم نور ثغرك بـاسـمـا ونشرك أم مسـك ذكـي تـأرجـا
أتتك جنود الحسن طوعا فصرت مليكا في الجمال

بـأسـرهـا متـوجـا
فأضحت أبـيات الـقـلـوب أسـرة لديك فلم يملكن عنـك مـعـرجـا
فطوبى لعـبـد أنـت سـيده لـقـد سما بين أرباب البصائر والحـجـى
فهل تجلب الأحلام لي منك نـظـرة فتكشف بعض الهم عني وتفـرجـا
فقد نال مني منع طيفك مـثـلـمـا شجاني من البيت المطوح ما شجـا
حثثنا إليك العـيس حـتـى تـبـوأت لديك مقيلا ناضر الروض مبهـجـا
فما كان أدنى قربنا مـن بـعـادنـا وأقرب أفراح الفؤاد من الشـجـى
فلله قلـبـي يوم زمـت ركـابـنـا وفارقت ظلا من جنابك سجسـجـا
رجوت بقرب الدار أن أطفىء الأسى فما زاد وقد الشـوق إلا تـأجـجـا
فهل للركاب القود نحـوك مـرجـع يجبن بنا وعرا ويطـوين مـدرجـا
يحثحثها الحادي العجول مـهـجـرا إليك ويطوي شقة البـيد مـدلـجـا
يخوض بها آل الضحى فـكـأنـمـا يخوض بها البحر الخضم ملجـجـا
إذا ما تعالت في الهواجر في السرى تخال نعاماً في السباسـب هـدجـا
عليها رجال تشتكـي ألـم الـجـوى كما تشتكي في سيرها ألم الـوجـى
لهم حنة عـنـد الـصـبـاح وحـنة إليك إذا ما الـلـيل غـيهـبـه دجـا
يؤمون ربعا أفـيح الـجـو زاهـراً أضاء بوجه منك أزهـر أبـلـجـا
حمى بك عنا كل مظـلـمة مـحـا وكل رجا منه ثمـال لـمـن رجـا
رحيب الذرى غض القطاف لمن جنى إذا ما نحاه من جنـى عـائذا نـجـا
إذا لجأ الـعـافـي إلـيه مـؤمـلاً جلا ضر معتر إلى بـابـه لـجـا
إليك رسول اللـه أهـدي مـدائحـي فتكسب من رياك نشـرا مـؤرجـا
وتلبسها أوصافك الـزهـر حـلة ال بهاء وروضا من حلاك مـدبـجـا
أسوت بما بـيـنـت داء قـلـوبـنـا كما كنت تأسو قبل أوسا وخـزرجـا
وكنت نبـيا قـبـل آدم مـرتـجـى لتفتح باباً لـلـهـداية مـرتـجـا

فجئت ورسم الرشد بالغي منهج فأوضحت فيه للبرية منهجا
وشيدت أعلام الرشاد مجددا وكنت كميا في الجهاد مدججا
وثقفت سهم الدين حتى أقمته وقد كان ملوي المغامز أعوجا
فصبح وجه الحق أبلج ظاهرا بنورك والبطلان أزور مخدجا
وأدخلك الرحمن بالصدق مدخلا خرجنا به من دارة الشرك مخرجا
فيا خير من زم النياق لحجة وألجم خيلا للجهاد وأسرجا
ومن إن أحاط الكرب بالناس كلهم فعاذوا به ألفوه عنهم مفرجا
وإن صلي النار العصاة غدا غدا لأمته من هوة النار مخرجا
أجرني فقد أصبحت في زمن له عرام لأهل الحلم أصبح مزعجا
وقد أبلت السبعون برد شبيبتي فأضحى بتكرار الأهلة منهجا
وعندي حاجات بها الله عالم أبيت بها من كارث الهم محرجا
ولست أرى خلا معينا أبثه شجوني فما أزداد إلا توهجا
وما لي في يومي غيرك مسعد إذا القلب للخطب الفظيع تلجلجا
لأنك عند الله أنجح شافع لدفع الملمات الشدائد ترتجى
عليك سلام الله ما أظلم الدجى وما فلق الصبح المنير تبلجا
وعم به أصحبك الزهر ما سرى إلى ربعك السامي مشوق وأدلجا

وقال أيضا يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ذكر العقيق فهاجه تذكاره صب عن الأحباب شط مزاره
وهفت إلى سلع نوازع قلبه فتضرمت بين الجوانح ناره
كلف برامة ما تألق بارق من نحوها إلا بدا إضماره
يشتاق واديها ولولا حبها لم يصبه واد زهت أزهاره
شغفا بمن ملك الفؤاد بأسره وبوده أن لا يفك إساره
لولا هواه لما ثنى أعطافه بان الحجاز ورنده وعراره
يا من ثوى بين الجوانح والحشا مني وإن بعدت علي ديارة

عطفا على قلب بحبك هائم
إن لم تصله تصدعت أعشاره

وارحم كئيبا فيك يقضي نحبه
أسفا علي وما انقتض أوطاره

لا يستفيق من الغرام وكلما
حجبوك عنه تهتكت أستاره

ما اعتاض عن سمر الحمى ظلا ولا
طابت بغير حديثكم أسماره

هل عائد زمن تضوع نشره
أرجا ورقت بالرضى أسحاره

في مربع بقباب سلع مونق
بالأنس تهتف بالمنى أطياره

فاق البسيطة عزة ومهابة
فسما وعز من البرية جاره

يحمي النزيل وكيف لا يحمي وقد
حفت بجاه المصطفى أقطاره

أضحى ثرى عرصاته إذ حلها
يشفي من الداء العضال غباره

سبحان من جمع المحاسن كلها
فيه فتم بهاؤه وفخاره

جبلت على التشريف طينته فما
نشأت على غير العلى أطواره

وصفت خلائقه وطهر صدره
فزكا وطاب أديمه ونجاره

حملته آمنة الحصان فلم تجد
ثقلا إلى أن حان منه بداره

ورأت قصور الشام حين تشعشعت
أنواره وتباشرت حضاره

وضعته مختونا وأهوى ساجدا
وكساه حسنا باهرا مختاره

لا بالطويل ولا القصير وإن مشى
بين الطوال سمتهم أنواره

وإذا تكلل بالجمان جبينه
عرقا لأمر عظمت أسراره

فلريحه أذكى وأطيب مخبرا
من ريح مسك فضه عطاره

فالشمس بعد الصحو مشرقة السنا
والبدر في فلك الكمال مداره

متقلدا بالسيف ليس مباليا
بمن التقى عزت به أنصاره

حلل السكينة والثبات والبر والإخلاص فيه
لباسه شعاره
وضميره التقوى وأوتي فازداد منها عقله ووقاره
حكمة
والصدق منه والوفاء والعفو والصفح الجميل
طبيعة دثاره
وشريعة الإسلام ملته حق المبين إلى الورى
وبال إظهاره
ختم النبوة فهو درة تاجها وطراز حلتها الثمني
عباره
أبقى بسنته طريقا واضحا رحبا سواء ليله ونهاره
فخرت به خير القبائل وحوى به المجد الأثيل
هاشم نزاره
زهرت نجوم السعد في بدر وتبلجت يوم الرضى
به أقماره
وشموسه في فتح مكة فانجاب عن وجه العلاء
أشرقت قتاره
سعدت به أولاده ونساؤه وصحابه وزكت به أصهاره
وسمت به غلمانه وإماؤه وجواده وبعيره وحماره
وحوى الفخار سريره وخيامه وقبابه وجداره
وفراشه
وتضوعت أردان بردته به طيبا وطاب رداؤه وإزاره
شهد الكتاب الموسوي وتحققته وأيقنت أخباره
بفضله
هو شاهد متول ومبشر هو منذر متيقن إنذاره
أضحى لأميين حرزا مانعا وضعت به عن وقته آصاره
بالشام دولته ومكة ربه حرمات مولده وطيبة
ال داره
عجبا لذي لب رآه وكيف ينبت عنه لوقته زناره
لم
يا من جلا قتر الضلال ومن ما أمه العافي انجلى
إذا إقتاره
يا من تساوى في المكارم كلتا يديه: يمينه ويساره
والندى
أنت الملي بكشف ضر ذي عسرة بندى يديك
مخلف يساره
جعل الثناء على علاك فحلت به وتعطرت أشعاره
شعاره
يرجو النجاة بفضل جاهك في موقف يخشى التوى
في غد أبراره

وقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم أيضا:

بين العقيق وبين سلع مربع ... للقلب فيه وللنوظر مرتع

عطر الثرى أرج كأن لطيمة ... من مسك دارين به تتضوع

بدر السعادة كامل بسمائه ... وببرجه شمس الحقائق تطلع

حلو الجنى عذب الموارد عنده ... من كل شرب معنوي منبع

يا منزلا فيه لأرباب الهوى ... مرأى يروق من الجمال ومسمع

ما بال وردك ماؤه يشفي الصدى ... وأنا المحب وغلتي لا تنقع

لي فيك عهد هوى قديم ليس لل ... عذال في الاقلاع عنه مطمع

لك أن تزيد على المدى يا جنتي ... عزاً ولي أني أذل واخضع

لولا اذكارك لم يهز معاطفي ... برق على شعب الأبارق يلمع

ولما أرقت وهاج شوقي في الضحى ... ورقاء في فنن الأراكة تسجع

وكذاك لولا سر قصدك لم أكن ... ألتاع إن ذكر الغوير ولعلع

ويعرض الحادي بجرعاء الحمى ... والسفح من وادي الأراك فأجزع

كلفي ببانات العقيق وإنما ... وجه اشتياقي بالحجاز مبرقع

عجبا لجسم بالعراق مخلف ... وفؤاده مغرى بطيبة مولع

ولكيف لا تجف الأضالع نحوها ... شوقا وتذرف في هواها الأدمع

وبها رسول الله خير مؤمل ... تخدي الركاب إلى حماه وتوضع

أزكى البرية عنصرا وأعزهم ... بيتا وأولى بالفخار وأجمع

وأمد كفا بالندى وأتمهم ... حلما وأصدق في المقل وأسرع

وأشدهم بأسا إذا التظت الوغى ... والسمهرية بالأسنة تشرع

جمعت له غر المناقب فهي ... عقد النظيم لديه لا تتوزع

كـال

هو صفوة ارحم وهـو حـبـيبـه ... وله المقامـات الـتـي لا تـدفـع

حلاه مـن أنـواره وكـسـاه مـن ... أسنى المواهـب حـلة لا تـنـزع

وجلاه في مـلـكـوتـه وأبـاحـه ... ما كان يطلبـه سـواه فـيمـنـع

يا خير من برأ المهيمن وارتـضـى ... لبلاغ حجته الـتـي لا تـقـطـع

أشكو إليك وأنت تـعـلـم فـتـنة ... كادت لها الصم الصلاب تـصـدع

فبمن أعزك واصطفاك فأجـزل ال ... نعمى عليك فحوض فضلك متـرع

سل جبر أمتـك الـكـسـيرة إنـه ... لم يبق في قوس التجلـد مـنـزع

محقت طغاة الترك أطراف القـرى ... فالمال نهب والمـنـازل بـلـقـع

واشفع إلى الرحمن في غفران مـا ... هذي عقوبته فـأنـت مـشـفـع

وقال من قصيدة:

والمستهام عن المودة لـم يحـل ... حاشا لـذراه مـن الـنـسـيان

لو قيل ما تهوى لقـال مـبـادراً ... أهوى زيارتكم على أجفـانـي

ويهزه طرب إذا ذكر الحـمـى ... هز الشمول شمائل النـشـوان

تالله إن سمح الزمان بقـربـكـم ... وحللت منكم بالمحـل الـدانـي

لأقبلن لأجلـكـم ذاك الـثـرى ... وأعفر الخـدين بـالـصـوان

يا خير من وخدت إليه نـجـيبة ... من كل مرمى نازح الأحضـان

يطوي إليك بها السباسب ساهـم ... بيد السمائم منهـج الـدرسـان

يهفو إذا ذر الـعـقـيق فـؤاده ... ويبيت من سلع على أشـجـان

شوقاً إلى عرصات حضرتك التي ... نسمت بنشرك أطيب النسـمـان

فيها لحزن سـلـوة ولـخـائف ... أمن وللطـلاب نـيل أمـانـي

اشكوا إليك تخلفي عـن رفـقة ... كانوا على الطاعات من أعواني

رحلوا وصدتني الموانع عنهم فنكرت قلبي بعدهم وزماني
أصبحت في وقت كثير هرجه متدارك الآفات والافتان
يمسي الفتى فيه يروم زيادة ترضى فيصبح وهو في نقصان
فبمن كسا عطفيك أحسن حلة ليست على ملك ولا إنسان
سل في ربك أن يوفق باطني لرضاه في سري وفي إعلاني
قل رب صل يحيى بن يوسف ال مقطوع عنك أضيعف العبدان
فلأنت أكرم شافع علقت به لمروع يوم النجاة يدان

وقال أيضا:

أقل عثرتي واعف يا حسن العفو عن العمد من مسطور ذنبي والهفو
وصف من الأكدار قلبي واهدني من البر والتقوى إلى المورد الصفو
فكم لي من سوء اجتراح نسيته وأحصاه محروس الحفاظ من السهو
شقيت به أيام أمرح في الصبا وأسحب أذيال البطالة والزهو
فيا ملكا زان السماء بأنجم على الفلك الأعلى طفت أحسن الطفو
وسخر ما بين السماء وأرضه سحائب يخفو برقها أحسن الخفو
وأبقى على شمس النهار ضياءها وخص بنقص آية الليل بالمحو
ولما دحا الأرض اقتدارا وحكمة على الماء أرسى الشم في أثر الدحو
وأحيا بفضل ميت الأرض بالحيا وزينها من بعد ذل بالصحو
أغثني بتوفيق ينور باطني وينحو إلى الخيرات بي أحسن النحو
فإني مقر أنك الله ربنا تعاليت عن شرك الطغاة أولي العدو
برأت جميع الكائنات بقدرة على غير أمثال تضاهى ولا حذو
تميت وتحيي والمقادير بأمرك في مر الصروف وفي

كـلـهـا الحلو
وأعددت جنات النـعـيم لترحمهم والنار أعددت لأهـلـهـا للـسـطـو
وأرسلت بالحق المـبـين أجل الورى من حاضرين مـحـمـدا ومن بـدو
وشرفت فضـلا آلـه فبعدا لقلب من محبـتـهـم وصـحـابـه خـلـو
فلا تحزني يوم الحسـاب بفضلك من نار تلظـى بـلا ونـجـنـي خـبـو

وقال أيضا:

يوم أراك به فلسـت فالعيد عندي ثابت تـحـريمـه أصـومـه
ودجى أماط لنا ثـياب بصباح وصل منك كيف ظـلامـه أقومـه
لكن أرى فضلا علي مـعـينـا نظري إليك مع الزمان أديمـه
حتى أروي من جمالك وتزول أثقال الهوى غلـتـي وهمـومـه
فبنور وجهك ينجلي عني قلبي ويحيا باللـقـاء رمـيمـه صـدا
من لي بوصلك إن وصلك ودوام هجرك للفؤاد جنتي جحـيمـه
عالجت فيك من الغـرام وصبرت حتى قيل: ليسر أمـره يرومه
وكتمت حتى غال حبك واشتد شيئا في الهوى مهجتـي مكتومـه
وسترت حتى نم دمعي وأبر دمع العاشقين نـمـومـه بالـهـى
فاعطف على قلب ملكت أنت الشقاء له وأنت نـعـيمـه زمامه
لولاك لـم يطـل الـعـقـيق ولما شجاني بالغوير نـسـيمـه
ولرب خل قال لـي وبـدا لـه ما ليس يجهل في الهوى معلومه
ما لي أراك إلى الأبارق أبدا سنا برق فأنـت تـشـيمـه طامحـا
وأرى شمائلك اعتراها أسباك من نفس العرار نـشـوة شميمـه
فأجبتـه إنـي لـصـب شـيق بخفي وجد والغـرام غـريمـه
ولـه قــديم لا دواء لـــدائه وأرى الهوى يعي الرجال

قديمه

ومبكر يطوي جلابـيب الـفـلا عجلا غدا لا يستقـر رسـيمـه
يهوي به في كل خرق مهـمـه فكأنه في جانـبـيه ظـلـيمـه
يمسي ومعتل النسـيم مـدامـه والنجم في أفق السماء نـديمـه

ناديته إن رمت نورا مـشـرقـا تهديك إن حال الدليل نجـومـه
ومقيل أمن واسعا رحبـا فـلـذ بجناب من نفق الضلال علومـه
ماحي الضلال الشاهد المتوكل ال ضحاك أسنا من تغث كلـومـه
كنز الفضائل منزل التقوى الـذي هو في المعاد إمامه وزعيمـه
جمعت له غرر النهى وتجـددت بهداه للدين الحنـيف رسـومـه
وثوى بتربة أرضه لـمـا ثـوى فيها الفخار خصوصه وعمومه
باب الهدى حصن النجاة محمـد طابت مناسبـه وطـاب أديمـه
يا من لآدم بان سابق فـضـلـه وسما به في الحشر إبراهيمـه
يا من له الحوض الروي وشفاعة ينجو بها دنس الإهاب أثـيمـه
ولتك من رب السماء صـلاتـه وأتاك منه على المدى تسلمـيه
من يستجير بفضل جاهـك لائذا فمن الذي في العالمين يضيمـه
فأجير مروعا من خطوب كيدها يعيا به في ذا الزمان حلـيمـه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لي بين سلع والعقـيق عـهـود يبلى الزمان وذكرهـن جـديد
أيام أرفل في جلابيب الصـبـا وعلي من خلع الوصال بـرود
في مربع رحب الجوانب للرضا والـروح فـيه طـائرا غـريد
حرم به روض المعاني ناضـر لذوي القلوب وظلـه مـمـدود
كل الليالي للـمـحـب بـجـوه ليل التـمـام وكـل يوم عـيد

إن امرءا يمسي ويصبح عاكفا بجنابه العطر الثرى لسعيد
لولاه لم يعذب بخرق مسامعي ذكر العذيب ولم ترقه زرود
تدنيه بالآمال أحلام الكرى منى وإن مزاره لبعيد
وأظل بالأشواق أطوي ما ليس تقطعه الركاب نحوه القود
واها لأوقات صفت فكأنها في جيد أيام الزمان عقود
سلفت لنا بين القبب فهل كزماننا الماضي علي معيد لها
شوقي إلى من حلها شوق نقص الوداد على البعاد إذا يزيد
إن مت من شغفي بها فقتيل أسياف الغرام وصبابتي شهيد
كيف اللقاء ودون من وعر الحجاز ومن تهامة بيد أحببته
سقيا لربع نازح دان حوى شرفا على الآباد ليس يبيد
أقمار أفلاك المال منيرة بسمائه ونجومهن سعود
برباه روض المجد ليس لمن اغتدى للمكرمات مصوحا يرود
غيث المواهب والندى يهيم أفنان غض نباته ويجود على
جمعت له بمحمد غرر وبه استقر النصر والتأييد النهى
طود الفضائل فيه رأس أركان والشم الرعان تميد راسخ ال
فيه الجلالة والمهابة والبر والتقوى وفيه الجود والهدى
وعليه ألوية السنا معقودة حتى يلوح لواؤه المعقود
وحياض ينته هني وردها حتى يهيا حوضه المورود
نعم الرسول بنروه الشرك عنا وصح لنا به التوحيد انجلى
هو شاهد متوكل ولوصفه بين الكرام أولى النهى مشهود
يا خير من وخد العذافر وسعت إليه من الفجاج نحوه وفود
يا من به أضحت قبائل هاشم لأسود أبطال الرجال تسود
لا زلت مخصوصا بكل تحية منا عليها للقبول شهود

يأتي بها ملك كـريم مـبـلـغ ما لا يطيق له الـبـلاغ بـريد

وقال أيضا:

رعى الله بالبطحاء أيامنـا الـتـي بدت كوميض البرق ثم تـولـت

وحيا قبابا بين سلـع إلـى قـبـا لعزتها يحلو خضوعي وذلـتـي

نعمت بها لكـن كـأحـلام نـائم كأن لم تزرها العيس حتى استقلت

فلا ما مضى فيها من العـيش عـائد ولا النفس عنها بالبعـاد تـسـلـت

فهل لي إلى تلك المعـاهـد عـودة ولو دونها بيض الصـوارم سـلـت

فألثم إجـلالا ثـراهـا وأجـتـلـي شموسي في أرجائهـا وأهـلـتـي

سق الله ذات الظل من دارة الحمـى حيا نهلت مـنـه ثـراه وعـلـت

وسحت على أعـلام سـلـع مـرنة غمائم بالنوء الروي اسـتـهـلـت

فتلك لعمـر الـلـه دار أحـبـتـي وسكانها نحـو الـرشـاد أدلـتـي

ألا ليت شعري هل أزور قبـابـهـا فتحمد فيها العيس شدتي ورحلـتـي

ألا ليت شعري هل أزور متعرضاً لمن نظم مدحي فيه تاجي وحليتـي

ألا يا رسول الله أنـت وسـيلـتـي إلى الله إن ضاقت بما رمت حيلتـي

وأنت إذا ما حرت نوري وحجـتـي وأنت إلى التقوى إمامي وقبلـتـي

وأنت نبيي بـاتـبـاعـك أهـتـدي وملتك الزهراء دينـي ومـلـتـي

وأنت نصيري في خطوب تابـعـت علي وذخري عند فقري وعيلـتـي

وأنت الذي أرجـوه يوم نـشـورنـا يروي الصدى مني وينقع غلـتـي

فلا تخلني من حسن عطفك واسأل ال مهيمن رب العرش في سد خلتـي

وكن لي في ذا اليوم ثمت فـي غـد شفيعا إلى الرحمن في محو زلتـي

لئن نور الرحمن قلـبـي بـذكـره غنيت بذاك النور عن نور مقلـتـي

وقال رحمه الله تعالى :

خط الربيع بـأقـلام الـتـبـاشـير رسالة كتبـت بـالـنـور والـنـور

حيا البقاع الحيا فاهتـز هـامـدهـا لما أتتها يد البشـرى بـمـنـشـور

وانشقت الأرض عن مكنون ما خبأت كأنما باكرتهـا نـفـخة الـصـور

وزينت بحلـي الـنـبـت وادرعـت ملابس الفخر من وشـي الأزاهـير

والطل في عبقري الروض منتـشـر كلؤلؤ من عقود الـغـيد مـنـثـور

والبان قد ماس من نفح الصبا طـربـا كأن أغصانه أعطـاف مـخـمـور

والورق تهتف في الأوراق شـاكـرة إحسان مبتدىء بالفضل مـشـكـور

وقد فهمنا لهذا الفـصـل تـرجـمة إن المهيمن يحـي كـل مـقـبـور

يا طيب فصل الربيع المونق العطر ال أرجاء لو كان لا يدهـى بـتـغـيير

يبيت فـينـا قـلـيلاً ثـم يتـركـنـا كزورة الطيف وافت ربع مهجـور

أو عيشنا بالحمى في حسن رونـقـه ووشك بين على الأحبـاب مـقـدور

هل الركاب إلى البـطـحـاء عـائدة يحثها كل رحـب الـبـاع شـمـير

تمسي وتصبح في البـيداء هـاجـرة طيب الكرى عند إسحار وتـبـكـير

حتى تحل على علاتـهـا بـحـمـى داني الظلال بروح الأمن معـمـور

فتجتلي البشر من ذات الستـور بـه وتجتني تمر حجر غير مـحـجـور

هناك لا حجر في تقبيلـنـا حـجـراً يربي على المسك في لون وتعطـير

منها:

يا سيدي يا رسول اللـه يا أمـلـي في موبقات تصاريف المـقـادير

جمعت ما في الكرام الزهر مفترق وزدت فضلاً عظيماً غير محصور

فأنت سيد أهل الفضل أجمـع فـي أصل وفرع وتـقـديم وتـأخـير

بلغت من شرف المعراج مرتبة توفر القرب فيها أي توفير
ويوم حشر الورى أنت الشفيع به تنجي من النار نفس الهالك البور
والفضل بعدك لم يدركه ذو طلب في صحبك النجب الشوش المغاوير

وقال أيضاً:

شواهد قلب الصب لا تقبل الرشا فكيف قبول النصح من كاشح وشى
أيأمر خلو بالتصبر مغرما وآنس ربع الحب أصبح موحشا
أما في الهوى العذري عذر لشيق إذا لاح برق من تهامة أجهشا
ويهتز من وجد إذا نفس الصبا سحيراً بأعطاف الخزامى تحرشا
متى يرد الماء النمير محلأ فينقع من ورد الصفا غلة الحشا
وينهل من ماء بطيبة حائم يروي فؤاداً نحوها متعطشا
سقى حرمي أرض الحجاز حيا روى ليحيي ميت الحرتين وينعشا
أتى ونبات الأرض بالجدب خامل فدر له كاس العمائم فانتشا
فأضحت أزاهير الرياض كأنها مطارف وشي زانها صنع من وشى
إذا هيمنت فيها النسيم تظنها تحبر في الغدران خطاً مرقشا
فثم لعمر الله أشرف دارة إلى نارها طرف لمستوقد عشا
إذا أمها ركب وددت بأنني جعلت له خدي على الأرض مفرشا
أعظم أخفافا كرائم ترتمي إلى الفاتح الختام أكرم من مشى
محمد المبعوث بالحق والذي لموسى وعيسى في الكتابين أدهشا
وحاز من الرهبان سلمان وصفه فطاف عليه في البلاد وفتشا
وفاز بما أبدى بحيرا وخاب من بظلم على كتمان أوصافه ارتشى
فبورك حملا واستوى الخير مرضعا وباء بأنواع الكرامة مذ نشا
ولاحت أمارات النبوة عنده لذي نظر ما شاب أوصافه العشا
تبشبش وجه الأرض مذ حلها بطلعته وجه السماء تبشبشا

كـمـا

حباه بما يعـلـو مـن الـوصـف ربـه وعلمه من أشـرف الـعـلـم مـا يشـا

وجاء بـحـق مـسـتـبـين نـفـى بـه زخارف إفك كان في الناس قـد فـشـا

وجاهد حتى شـاد بـالـسـيف رافـعـا من الدين ما أوهى الـضـلال وشـوشـا

حوى الحسن والإحسان والحلم والـتـقـى فلم يك صـخـابـا ولا مـتـفـحـشـا

ولا عباساً فـظـاً غـلـيظـاً فـلـم يلـم حبوشاً على زفـن ولا عـاب أنـجـشـا

حيي جـواد زاهـد مـتـــوكـــل فما اعتد فضلاًمن غـداء إلـى عـشـا

شجاع إذا ما الـحـرب مـدت رواقـهـا وأسبل فيها النقـع لـيلا فـأغـطـشـا

لا كـربـهـا حـتـى تـبـين أنـــه لدى الباس منهم كان أقـوى وأبـطـشـا

له القـمـر انـشـق امـتـثـالا لأمـره وحيته جهـراً ظـبـية فـارقـت رشـا

شفاعته للناس عـن طـول حـبـسـهـم كما من لظى ينجي بها من تـمـحـشـا

وفي الحشر يسقي الناس من حوضه الروي إذا كان كرب الحشر للناس معـطـشـا

وإني لأرجـوه إذا اغـتـالـنـي الـردى وبؤئت في البـيداء قـبـراً مـنـبـشـا

وفي الموقف الصعب الشـديد الـذي بـه تخال الجبال الصم عهـنـا مـنـفـشـا

يعطـر شـعـري ذكـره فـكـأنـمـا لشعري بالكافور والمسـك قـد حـشـا

وقال أيضاً وهي من المجانسات الأواخر:

سقى الله ارض الحمى وابلاً إذا حل في جوها أمـرعـا

فصم لنـا بـين أكـنـافـه حبيب أأهملـنـا أم رعـى

وحيا بساحة وادي العـقـيق جناباً خصيب الربى أوسعـا

نعمنا به زمنـا لـم نـبـل بمن هم كيدا بنا أو سـعـى

فلـلـه سـر بـه مـودع كساه الجلالة مـن أودعـا

هناك المآرب مـقـضـية لمن رامها صامتا أو دعـا

فهل لي إلى ربعـه عـودة أجوب الفلا أجرعا أجرعـا

فأجرع مـن مـائه نـهـلة رواء ومن لي أن أجرعـا

مواطن تجبر قلب الكسـير وترفع ذا خفية أوضـعـا

فطوبى لمن نص في قصدها الركائب أو نحوها أوضعـا

وقال أيضا:

فيا رب قد عودت وجهي صيانة وأهلي غنى والقلب منك تعففا
فزدني وأهلي من صنيعك نعمة تدوم وصني واكف يا خير من كفى
وصلني ولا تقطع بلطف ورحمة فلست أبالي إن وصلت بمن جفا

وقال رحمه الله تعالى يذكره سيرة نفسه:

سلكت طريق الفقر ظنا بأنني أضاهي جنيداً أو أناسب معروفا
وكنت أديبا قبل ذلك شاعرا أروق الورى نظماً ونثراً وتأليفا
فهمت أعارض الخليل بن أحمد وبرزت في نحوي قياسا وتصريفا
وباحثت في الفقه الأئمة برهة وأتقنت في القرآن همزا وتخفيفا
وطارحت في علم الحساب فنلته وبينت في الألفاظ همزا وتصحيفا
فصرت نديما لا تمل مجالسي حبيبا إلى أعيان عصري مألوفا
إلى أن أملت بي من الفضل نفحة فأصبحت عن كل الشواغل مصروفا
وفارقت إخوان الصفا متجنبا وثقفت نفسي في الرياضة تثقيفا
ودمت على حسن العبادة عاكفا وأصبح حسن الظن حولي معكوفا
فأورثني عزا لدى الناس عفتي فصرت بأفواه المحبة مرشوفا
فلما أبت إلا النكاح خواطري تجشمت أمرا غادر الدمع مذروفا
ولم ار بدا من معاشرة الورى فعاشرت قوما لا يغيثون ملهوفا
فأبغضني من كان منهم يحبني وأوسعني لوما شديدا وتعنيفا
وأعرض عن ودي حميم وصاحب وارجف في الحاسدون الأراجيفا
كأني قد أظهرت للناس بدعة وأحدثت للدين الحنيفي تحريفا
على أنني لم أبد للناس صفحتي وما زلت في ثوب الصيانة ملفوفا
فما صح لي فقر وما صح لي بل ازددت في علم التقلب

غنـى تعـريفـا
وعدت أجيل الفكـر فـيمـن أعـده يكون به ما بي من الضيم مكشوفـا
فلم أر لي كالـصـالـحـين وسـيلة ألذ الورى عرفا وأطيب معـروفـا
رجال إذا ما طبـق الأرض حـادث رموه بصدق العزم فانجاب مكسوفا
أتتهم عـلـيات الأمـور مـطـيعة وأضحى بهم قلب المكارم مشغوفـا
هم القوم لا يشقى الجلـيس لـديهـم ولم يعدموا العافين بشرا وتضـييفـا
هم العروة الوثقى وهم أنجم الهـدى بهم يحفظ الله المهامـه والـسـيفـا
أعزاء محروس الجناب فـنـاؤهـم تخطف من ناواهم الذل تخـطـيفـا
إذا ظهروا لـلـدهـر أورق عـوده وأصبح مجني المحاسن مقطـوفـا
وإن هجروا المأنوس أصبح مقـفـرا وإن نزلوا بالقفر تحـسـبـه ريفـا
إذا وجدوا في الوقت كانـوا طـرازه وقد طرزوا من قبل ذاك التصانيفـا
صفاتهم أسنى من الشمس في الضحى وأحسن من در المراسيل مصفوفـا

وقال رحمه الله تعالى يعاتب نفسه:

يا قسوة القلب مالـي حـيلة فـيك ملكت قلبي فأضحى شر مملـوك
حجبت عني إفادات الخشـوع فـلا يشفـيك ذكـر ولا وعـظ يداويك
وما تماديك من كسب الذنـوب ول كن الذنوب أراها مـن تـمـاديك
لكن تماديك من كسب نشـأت بـه طعام سوء على ضعفـي يقـويك
وأنت يا نفس مأوى كل معـضـلة وكل داء بقلـبـي مـن عـواديك
أنت الطليعة للشيطان في جـسـدي فليس يدخل غلا مـن نـواحـيك
لما فسحت بتوفير الحـظـوظ لـه أضحى مع الدم يجري في مجاريك
واليته بقبول الزور مـنـك فـلـن يوالـي الـلـه إلا مـن يعـاديك

ما زلت في أسره تهوين موثقة حتى تلفت فأعياني تلافيك
يا نفس توبي إلى الرحمن مخلصة ثم استقيمي على عزم ينجيبك
واستدركي فارط الأوقات واجتهدي عساك بالصدق أن تحمي مساويك
واسعي إلى البر والتقوى مسارعة فربما شكرت يوما مساعيك
حب التكاثر في الدنيا وزينتها هي التي عن طلاب الخير تلهيك
لا تكثري الحرص في تطلابها فلكم دم لها بسيوف الحرص مسفوك
بل اقنعي بكفاف الرزق راضية فكل ما جاز ما يكفيك يطغيك
ثم اذكري غصص الموت الفظيع يهن عليك أكدار دنيا لا تصافيك
وظلمة القبر لا تنسي ووحشته عند انفرادك عن خل يوازيك
والصالحات ليوم الفاقة ادخري في موقف ليس فيه من يواسك
وأحسني الظن بالرحمن مخلصة فحسن ظنك بالرحمن يكفيك

وقال رحمه الله تعالى وقد عاتبه بعض إخوانه على انقطاعه عن زيارته:

سكوني في بيتي لقلي راحة وستر من الله العظيم لحالي
أكف عن الإخوان شرة عثرتي وأسلم من قيل وكثرة قال
وأحيا عزيزا لا أرى متعرضا ورزقي يأتيني بغير سؤال
وإن أنا زرت الناس فالناس فيهم نصيح ومذاق وأخر قالي
وإن أنا أكثرت المقام فربما رماني إخوان الصفا بملال
وقلبي كالمرآة إن صنته انجلى وإلا فبالأنفاس محو صقالي

وقال رحمه الله تعالى :

أنا المدنف الجاني وجهل ألجاني إليكم فألفاني مكبا على الفاني
فهل يا عظيم الشان لي منك عطفة فتصلح لي شاني وإن رغم الشاني

وقال أيضا:

ما بين بعدك والتداني يا منيتي يفنى زماني
أحيا بقربك تارة ويميتني بعد المغاني
ما دام لي منك النعي م ولا الضنا مني بفاني
أطمعتني حتى إذا ملك الهوى طوعا عناني
أبديت لي منك القلى أنى وقد غلقت رهاني
بجمال طلعت التي أنوارها تحيي جناني
ومجال أمواه الحيا ة على جبينك كالجمان
وبلؤلؤ الثغر الذي يفتر عن برق يماني
نعم علي بنظرة فيها الشفاء لما أعاني
ما لي بأثقال الهوى إن غبت عن عيني يدان

وقال رحمه الله وهي من المجانسات الأواخر:

أئمة أهل الحب ما القول في فتى يرى حكم من يهواه من حكمه أولى
ويرضى بما يقضيه سراً وجهرة فهل واجب في شرعكم هجره أو لا
في من عن المحبوب ليس بصابر نهاراً فهل يقوى على بعده حولا
فهل شافع بالوصل منه فلا قوى لقلبي بطول الصدر منه ولا حولا
أعبر عن أنوار طلع وجهه ببرق سرى من نحو كاظمة ليلا
وأكني بهند عن هواه ولم أشم وميضا ولا أحببت هندا ولا ليلى

وقال رحمه الله تعالى :

ذهب الشباب وخانني جلدي وتمشت الأسقام في جسدي
ورمتني الستون من عمري فأصاب رشق سهامها كبدي
أودى الحمام بمن أحب من ال غر الحسان ففت في عضدي
وبقيت مسلوب القرين بلا عدد أسر به ولا عدد
لله ما وارى الثرى وحوى من والد بر ومن ولد
ومن ابن أم مشفق حدب وخليل صدق غير ذي فند
كم عاينت عيناي من رجل علم لمرتفد ومرتشد
شمس إذا ما المشكلات دجت غيث ووجه العام غير ندي
كانوا الهداة لأهل وقتهم سلكا بهم في أوضح الجدد
ومضوا وقد خلفت بعدهم فرداً أعالج لوعة الكمد
يا رب فاختم لي بخاتمه ال حسنى وخذ في شدتي بيدي

وقال في بحر الذوبيت:

يا سامري الدحى بذات السمر هل عندكما لناشد من خبر
كم يسأل بالحمى ومن يخبره عن سر هوى يخفى على ذي نظر
من علم ذا الحمام شدو الشجن من هز من الغرام عطف الغصن
من أي صبابة حنين البدن ما ذلك إلا لهوى مستتر
يا طالب برء الدنف المشتاق هل عندك للديغ من درياق
تا لله لقد أعجز رقي الراقي من يسحر لبه نسيم السحر
لله فتى مزق ثوب السلوى ثم ادرع الصبر لحمل البلوى
ما أظهر من شدة وجد شكوى قد باع لذاذة الكرى بالسهر
ما هز البرق سيفه أو ضحكا إلا وتذر الحمى ثم بكى
يقفو أثر الغرام أنى سلكا إما المأمول أو ذهاب العمر
قد لجج في بحر الهوى واقتحما واختار على الصحة فيه السقما
يرضى بقضاء الحب فيما حكما إن جار عليه الحب أو لم يجر
يا أعظم منيتي وأقصى أملي يا أشهر أدوائي وأخفى علل
فيك اتسع الخرق وضاقت حيلي فاجبر بالوصل ما وهي من عمري
لا فزت مع الجمع بوادي جمع بالقصد وخانني وفي الدمع
إن لذ سوى حديثكم في سمعي أو راق مال غيركم في بصري
قد كف هوام لساني ويدي كم أخضع للعدا وأنتم عددي
أنتم أصل القرح الذي في كبدي والبرء بأيديكم وكشف الضرر
أنتم لغزي في كل "ما" أكنيه أنتم سر في باطني أخفيه
أنتم معنى المعنى الذي أنتم قصدي أشرت أو لم

أبـديه أشـر
لم آت إلى الموسم كـي أذكـركـم كالغائب، بل أردت أن أنظـركـم
ما أصنع بالـحـج إذا لـم أركـم أنتم حجي وأنتـم مـعـتـمـري
ما قصدي في منى وفي دوحتـهـا إلا أرج يفوح في سـاحـتـهـا
تالله لقد شمت من نـفـحـتـهـا من نشركـم ريا نـسـم عـطـر
لولا معنـى يلـوح بـين الـخـيم ما عجت ولا وقفت عند الـعـلـم
لولا أنتم وحـبـكـم فـي الـقـدم ما سرت على الهول للثم الحجـر
أخفيت إشاراتـي عـن الـعـذال بالرند وبانة الحـمـى والـضـال
لما قـامـت شـواهـد الأحـوال أخفيت عبارتي عن المـعـتـبـر
دق المعنى فحار لـب الـفـهـم في متضح عن الورى منـعـجـم
كم قصر عنه من بعـيد الـهـمـم لا يدرك بالحسن ووهم الـفـكـر

ابن أبي خالد الكاتب الاشبيلي

يزيد بن عبد الله بن أبي خالد اللخمي الإشبيلي؛ قال ابن الأبار في "تحفة القادم": هو صدر من نبهاء إشبيلية وأدبائها، وممن له قدر في منجبيها ونجبائها، وإلى سلفه ينسب المعقل المعروف بحجر أبي خالد، وتوفي بها سنة اثنتي عشرة وستمائة، رحمه الله. وأورد له في فتح المهدية:

كم غادر الشعـراء مـن مـتـردم ذخرت عظائمه لخـير مـعـظـم
تبعا لمذخور الـفـتـوح فـإنـهـا جاءت له بخـوارق لـم تـعـلـم
من كل سامية المنال إذا انـتـمـت رفعت إلى اليرموك صوت المنتمي
وتوسطت في النهروان بـنـسـبة كرمت ففازت بالمـحـل الأكـرم

وأورد له أيضاً قوله:

ويا للجواري المنشآت وحـسـنـهـا طوائر بين الماء والـجـو عـومـا
إذا انتشرت في الجو أجنـحة لـهـا رأيت به روضا ونورا مكـمـمـا
وإن لم تهجه الريح جاء مصافـحـا فمدت له كفا خضيبا ومعـصـمـا

مجاذف كالحيات مـدت رؤوسـهـا على وجل في الماء كي تروي الظما
كما أسرعت عدا أنـامـل حـاسـب بقبض وبسط يسبق العين والفـمـا
هي الهدب في أجفان أكحل أوطـف فهل صبغت من عندم أو بكت دمـا

قال ابن الأبار: أجاد ما أراد في هذا الوصف وإن نظر إلى قول أبي عبد الله ابن الحداد يصف أصطول المعتثم بن صمادح:

هام صرف الردى بهام الأعادي أن سمت نحوهم لهـا أجـياد
وتراءت بشركـهـا لـعـيون دأبها ملء جانبـيهـا سـهـاد
ذات هدب من المجاذيف حـاك هدب باك لدمـعـه إسـعـاد
حمم فوقها من الـبـيض نـار كل من أرسلت علـيه رمـاد
ومن الخط في يدي كل ذمر ألف خطها على البحر صاد

قال: وما أحسن قول شيخنا أبي الحسن ابن حريق في هذا المعنى من قصيدة:

وكأنما سكن الأراقم جوفـهـا من عهد نوح خشية الطوفان
فإذا رأي الماء يطفح نضنضت من كل خرت حية بلـسـان

قال: ولم يسبقهم إلى الإحسان وإن سبقهم بالزمان علي بن محمد الإيادي التونسي في قوله:

شرعوا جوانبها مجاذف أتعبت شأو الرياح لها ولما تتـعـب
تنضاع من كثب كما نفر القطا طورا وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فـكـأنـه ليل يقرب عقربا من عقـرب

ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع:

ولها جناح يستعار يطـيرهـا طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطا ره في كل لج زاخر معلـولـب
يتنزل الـمـلاح مـنـه ذؤابة لو رام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رام استراقة مـقـعـد للسمع إلا أنه لـم يشـهـب

وقال أبو عمر القسطلي:

وحال الموج بين بني سبـيل يطير بهم إلى الغول ابن ماء
أغر له جناح من صـبـاح يرفرف فوق جنح من سماء

أخذه ابن خفاجة فقال:

وجارية ركبت بها ظلامـا يطير من الصباح بها جناح

قال ابن الأبار: وقد عملت أنا في ذلك:

يا حبذا من بنات الماء سابـحة تطفو لما شب أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غربانا بأجنحة ال حمائم البيض للأشراك ترزؤه
من كل أدهم لا يلفى به جرب فما لراكبه بالـقـار يهـنـؤه
يدعى غرابا وللفتخاء سرعتـه وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

"يزيد بن عبد الملك"

يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير المؤمنين أبو خالد الأموي الدمشقي؛ ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وله سبع وثلاثون سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وله إحدى وأربعون سنة، وكانت أيامه أربع سنين وشهرا.

وكان طويلا جسيما مدور الوجه، لم يشب، وكان شديد الكبر عاجزا، وهو صاحب حبابة وسلامة، وهما جاريتان شغف بهما، وماتت حبابة فمات بعدها بيسير أسفا عليها ولما ماتت تركها أياما لم يدفنها، وعوتب في ذلك فدفنها، وقيل إنه دفنها ثم نبشها بعد الدفن؛ وكان يسمى يزيد الماجن.

ولما تولى الخلافة أقبل على الشرب والانهماك، وكان يضع حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ثم يشرب إلى أن يسكر وتغنيانه فيطرب ويشق ما عليه ويقول: أطير، أطير؟! فيقولان: إلى من تترك الخلافة؟ فيقول: إليكما.

ولما ولي الخلافة قالت له زوجته: هل بقي لك أمل بعد الخلافة؟ قال: نعم، أن تحصل في ملكي حبابة، وفيها يقول:

أبلغ حبابة سقى ربعها المطـر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطـر
إن سار صحبي لم أملك تذكركم أو عرسوا بي فأنت الهم والفكر

فسكتت عنه، وأنفذت تاجراً اشتراها بمال عظيم وأحضرتها له خلف ستارة وأمرتها بالغناء، فلما سمعها اهتز وطرب وقال: هذا غناء أجد له في قلبي وقعاً فما الخبر؟ فكشفت الستر وقالت: هذه حبابة وهذا غناؤها فدونك وإياها، فغلبت على قلبه من ذلك، ولم ينتفع به في الخلافة.

وقال في بعض أيام خلواته: الناس يقولون إنه لم يصف لأحد يوم كامل، وأنا أريد أن أكذبهم في ذلك، ثم أقبل على لذاته وأمر أن يحجب عن سمعه وبصره كل ما يكره، فبينما هو في صفو عيشه إذ تناولت حبابة حبة رمانة فشرقت بها فماتت، فاختل عقله، وتركها ثلاثة أيام لم يدفنها ثم دفنها ثم نبشها من قبرها، وتحدث الناس في خلعه من الخلافة، ولم يعش بعدها إلا خمسة عشر يوما. وفيها يقول رحمهما الله تعالى وعفا عنهما:

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى فباليأس تسلو عنك لا بالتـجـلـد

ابن صقلاب

يزيد بن محمد بن صقلاب، أبو بكر الكاتب من أهل المرية؛ قال ابن الآبار: كان غزلا صاحب إبداع في قوله وأسجاع، مع سراوة وسخاوة، وكانت وفاته سنة تسع عشرة وستمائة. واورد له:

من الناس من يبقى من اللؤم عرضه وإن زانـه ثـوب عـلـيه جـديد
ومنهم جواد النفس لو سيل نفـسـه لكان بها طلق الـجـبـين يجـود
فذاك الذي تبقى مـآثـر مـجـده وآثارها في العالـمـين شـهـود
فإن عاش فـالآمـال خـالـدة بـه وإن مات فالأمداح فـيه خـلـود

وقال أيضاً:

أما ورياض من ضميرك ما درت غزارة بحر لا ولا بنـت راقـم
ولا رقمت كف الغمامة بردهـا وقد خلعت فيها جـلـود أراقـم
فللخاطر السيال فيهـا سـحـابة وللقلم الجاري بها كـف راقـم
لقد أنعمتني إذ تنسمت عرفـهـا على رمق لا يستلـين لـنـاقـم
وإن جاد يوما بالرضى فهو مازج على إثره شهد الرضى بالعلاقم
مسحت بها حر الجوى عن جوانح حوت ضعف ما تحويه حرة واقم

وقال أيضا:

أنا صب وابن صب بالعوالي والمعالي
وبناني وجـنـانـي بهما قد المعالـي
فهما إن فسح اللـه مدى العمر معا لي

الراضي ابن عباد

يزيد بن محمد بن عباد، الراضي ابن المعتمد بن عباد؛ كان قد ولاه أبوه المعتمد الجزيرة الخضراء وعقل رندة إلى أن غلبه الملثمون على الجزيرة ثم حصروه برندة فلم يقدروا عليها لحصانتها، إلى أن حصل أبوه في أسرهم، فحملوه على أن خاطبه بالنزول إليهم اتباعا لرضاه، فنزل برأي أبيه وأخذ منهم عهدا وموثقا، فلما نزل إليهم ذبحوه.

وكان ناظما ناثرا، كتب إليه ابن عمار لما كان في حبس أبيه يسأله الشفاعة عند أبيه فأجاب: "ألان الله لك قلبا صيره غليظا عليك، وعطف عليك من غالبت فيه قوة الله وحوله بقوتك وحولك، فجاذبته رداء ملكه، وجهدت جهدك في نثر سلكه؛ تعلم أن سيدي ومولاي المعتمد - أيد الله سلطانه - إذا أصرم في شيء فلا يعارض:

ومن يسد طريق العارض الهطل

وطلبت مني الشفاعة إليه فيك، وأنا عنده دون أن أشفع، وذنبك عنده فوق أن يشفع فيه، وبعد: فمن بره الذي أوجب الله علي أن لا أوالي له عدوا، ولا أعادي له وليا:

ولا تبغ من فرع زكي مخالـفـا ... لأصل فإن الأصل يتبعه الفـرع
أغض جفوني عنك ما غض جفنه ... وإن كنت أطويها فينشرها الدمع
وأمنع صدري أن يلم بـفـكـرة ... وفيه لما تشكوه مـن ألـم لـذع

ومع هذا: فإني أبلغ النفس عذرها في استلطافه لك:

ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

ومن شعره:

مروا بنا أصلا من غـير مـيعـاد ... فأوقدوا نار قـلـبـي أي إيقـاد
لا غرو أن زاد في شوقي مرورهم ... فرؤية الماء تذكي غلة الصـادي

وقال يخاطب أباه وقد نوه بغيره من إخوته:

حنانك إن يكن جرمي قبيحـا ... فإن الصفح عن جرمي جميل
وإن عثرت بنا قدم سفـاهـا ... فإني من عثاري مستـقـيل
ألست بفرعك الزاكي، ومـاذا ... يرجي الفرع خانته الأصول

ووصل أبوه إلى لورقة لمحاربة العدو، وجهز إليه عسكرا وأمر ابنه الراضي أن يتقدم عليه، فاعتذر وأظهر المرض، فتقدم عليه المعتمد بنفسه ولاقى العدو فكانت الدائرة على المعتمد، فحجب عنه وجه رضاه، وكتب إليه بشعر منه:

الملك في ظل الدفـاتـر ... فتمثل عن قود العساكـر
طف بالسرير مسـلـمـاً ... وارجع لتوديع المنـابـر
وازحف إلى جيش المعـا ... رف تقهر الجد المناظر
واضرب بسكـين الـدوا ... ة مكان ماضي الجد باثر
واقعد فـإنـك طـاعـم ... كاس وقل هل من مفاخر

فأجابه الراضي شعر منه:

مولاي قد أصبحت كافر ... بجميع ما تحوي الدفاتر
وفللت سـكـين الـدوا ... ة وظلت للأقدام كاسر
وعلمت أن الملـك مـا ... بين الأسنة والبـواتـر
هبني أسأت كما ذكـر ... ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتي لبـنـوتـي ... واغفر فإن الله غافـر

فقربه وصفح عنه.

يزيد بن معاوية

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمير المؤمنين أبو خالد؛ ولد سنة خمس أو سنة ست وعشرين للهجرة، بويع له بدمشق في شهر رجب سنة ستين للهجرة، وتوفي بدمشق لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان مدة ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر واثنين وعشرين يوما، وصلى عليه ابنه معاوية، وسنه ثماني وثلاثون سنة.

وكان ضخما آدم سمينا مجدورا، وله ديوان لا يصح عنه منه إلا القليل، وقد جمع ديوانه الصاحب جمال الدين علي بن يوسف القفطي وأضاف إليه كل من اسمه يزيد.

وقال الشيخ شمس الدين الذهبي: لما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل، وقتل الحسين رضي الله عنه وإخوته، وأكثر من شرب الخمر وارتكب أشياء منكرة أبغضه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله تعالى في عمره.

سئل الكيا الهراسي عن يزيد بن معاوية فقال إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد في زمن عمر بن الخطاب؛ وأما قول السلف ففيه قولان: تلويح وتصريح، ولنا قول واحد: التصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالشطرنج والنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر؟! قيل إن معاوية في بعض الليالي أنهي إليه أن يزيد ولده يشرب، فأتى إليه ليوقع به فوجده يقول:

ألا إن أهنا العيش ما سمحت به صروف الليالي والحوادث نوم

فقال معاوية: والله لا كنت عليه في هذه الليلة من الحوادث، ثم رجع من حيث أتى.

رجعنا إلى الأصل: وكتب الكيا فصلا طويلا ثم قلب الورقة وكتب: "لو" مددت ببياض لمددت العنان في مخازي هذا الرجل، وكتب فلان ابن فلان.

وقد أفتى الغزالي رحمه الله تعالى بخلاف ذلك، فإنه سئل عمن صرح بلعن يزيد: هل يحكم بفسقه؟ فأجاب لا يجوز لعن المسلم أصلا، ومن لعن مسلما فهو الملعون، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المسلم ليس بلعان"، وكيف يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم، وقد ورد النهي عن ذلك، وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبي صلى الله عليه وسلم؛ ويزيد صح إسلامه، وما صح قتله الحسين رضي الله عنه ولا أمره ولا رضاه بذلك، ومهما لم يصح ذلك منه لا يجوز أن يظن ذلك به، فإن إساءة الظن بالمسلم حرام، وقد قال الله تعالى "اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم" "الحجرات: 12" وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء. ومن زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين أو رضي به فينبغي أن يعلم غاية حمقه، فإن كان من عصره من الأكابر والوزراء والسلاطين لو أراد أن يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله أو رضي به أو كرهه لم يقدر على ذلك، وإن كان قد قتل في جواره وزمانه وهو يشاهده، فكيف لو كان في بلد بعيد وزمن بعيد وقد انقضى، فكيف نعلم ذلك في ما انقضى عليه قريب من أربعمائة سنة في مكان بعيد؟ وقد تطرق التعصب في الواقعة فكثرت فيها الأحاديث، فهذا أمر لا تعرف حقيقته أصلا، وإذا لم تعرف وجب إحسان الظن بكل مسلم، ومع هذا

فلو ثبت على مسلم أنه قتل مسلما فمذهب أهل الحق أنه ليس بكافر، والقتل ليس بكفر بل هو معصية، فإذا مات القاتل ربما مات بعد التوبة، والكافر لو تاب من كفره لم تجز لعنته، فكيف بمن تاب عن قتل? وكيف نعرف أن قاتل الحسين رضي الله عنه مات قبل التوبة، "وهو الذي يقبل التوبة عن عباده" "الشورى 25" فإذن لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله عز وجل ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصياً بالإجماع، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له في القيامة: لم لم تلعن إبليس، ويقال للاعن: لم لعنت? ومن أين عرفت أنه ملعون مطرود? والملعون هو المبعود من الله عز وجل، ولك عيب ولا يعرف إلا في من مات كافراً، فإن ذلك علم بالشرع، وأما الترحم عليه فهو جائز، بل هو مستحب، بل هو داخل في قولنا كل صلاة: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنه كان مؤمنا، والله أعلم، كتبه الغزالي.

وحكى ابن القفطي أن يزيد كان له قرد يجعله بين يديه ويكنيه أباقيس، ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك منه، وكان يحمله على أتان، فحمله يوما وجعل يقول:

تمسك أبا قيس بفضل عنانها — فليس عليها إن هلكت ضمان

فقد سبقت خيل الجماعة كلها — وخيل أمير المؤمنين أتان

وجاء أبا قيس في ذلك اليوم ريح فمال ميتا والأتان، فحزن عليه وأمر بدفنه بعد أن كفنه، وأمر أهل الشام أن يعزوه فيه وأنشأ يقول:

لم يبق قرم كريم ذو محافظة — إلا أتانا يعزي في أبي قيس

شيخ العشيرة أمضاها وأحملها — له المساعي مع القربوس والديس

لا يبعد الله قبرا أنت ساكنه — فيه الجمال وفيه لحية التيس

ومن شعره:

شربت على الجوزاء كأسا روية — وأخرى إذا الشعرى العبور استهلت

معتقة كانت قريش تعافها — فلما استحلوا دم عثمان حلت

ومنه:

أقول لصحب ضمت الكاس شملهم — وداعي صبابات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم ولذة — فكل وإن طال المدى يتصرم

ولا تتركوا يوم السرور إلى غد — فرب غد يأتي بما ليس يعلم

ألا إن أهنأ العيش ما سمحت به — صروف الليالي والحوادث نوم

لقد كادت الدنيا تقول لأهـلـهـا خذوا لذة، لو أنهـا تـتـكـلـم
وسيارة ضلوا عن القصد بعدمـا تدراكهم جنح من الليل مظـلـم
أناخوا على قوم ونحن عـصـابة وفينا فتى من سـكـره يتـرنـم
أضاءت لهم منا على البعد قهـوة كأن سناها ضوء نـار تـضـرم
إذا ما حسوناها أناخوا مطـيهـم وإن مزجت حثوا الركاب ويمموا

وقال أيضا:

ولقد طعنت الليل في أعجازه بالكاس بين غطارف كالأنجم
يتمايلون على النعيم كأنـهـم قضب من الهندي لم تتثلـم
ولقد شربناها بخاتم ربـهـا بكرا وليس البكر مثـل الأيم
ولها سكون في الإناء ودونه شغب يطوح بالكمي المعلم

وقال أيضا:

ولي ولها إذا الكاسـات دارت رقى سحر يحل عرى الهموم
محادثة ألـذ مـن الأمـانـي وبث جوى أرق من النسـيم

وقال أيضا:

وساق أتاني والثـريا كـأنـهـا قلائص قد أعنقن خلف فنـيق
وناولني كأسـا كـأن بـنـانـه مخلفة من نورها بـخـلـوق
وقال اغتنم من دهرنا غفـلاتـه فعقد وداد الدهر غـير وثـيق
وإني من لذات دهري لقـانـع بحلو حديث أم بمـر عـتـيق
هما ما هما لم يبق شيء سواهما حديث صديق أم عتيق رحـيق
إذا شجها الساقي حسبت حبابهـا نجوما تبدت في سماء عـقـيق

ويقال إنه لما أتي برأس الحسين رضي الله عنه صاح بنات معاوية وعيالهم وسمعهم يزيد فذرفت عيناه وقال:

يا صيحة تحمد من صـوائح ما أهون الموت على النوائح

ثم قال: إذا قضى الله أمرا كان مفعولا، كنا نرضى من أهل العراق بدون قتل الحسين. وعرض عليه في من عرض علي بن الحسين رضي الله عنهما فأراد قتله والأمن من غائلته ثم كف وارعوى وقال:

هممت بنفسي همة لو فعلتها لكان قليلا بعدها ما ألومهـا
ولكنني من عصـبة أمـوية إذا هي زلت أدركتها حلومها

ولما تحقق معاوية أن يزيد يشرب الخمر عز عليه ذلك وأنكر عليه وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر، وإنك تقدر على بلوغ لذتك في ستر؛ فتماسك عن الشرب ثم دعته نفسه لما اعتاده، فجلس على شرابه، فلما استخفه الخمر وداخله الطرب قال يشير إلى أبيه:

أمن شربة من ماء كرم شربـتـهـا غضبت علي?! الآن طاب لي السكر

سأشرب فاغضب لا رضيت، كلاهما حبيب إلى قلبي: عقوقك والخـمـر

يزيد بن الوليد أمير المؤمنين

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان؛ لقب الناقص لأنه نقص الناس من أعطائهم، وقيل لقرب مدته، وقيل غير ذلك. ويقال له: "المعتزلي" و"الضال". وكان أسمر حسن الوجه نحيف الجسم معتدل القد أعرج، وقال المدائني: ناقص الوركين، ولذلك قيل له الناقص. ولد في الكعبة سنة إحدى وتسعين للهجرة في حياة جده عبد الملك، وبويع له بدمشق يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وائة، وله خمس وثلاثون سنة، وكانت خلافته خمسة أشهر ويومين وتوفي في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، ونبشه مروان بن محمد وصلبه.

وكان أبلغ بني أمية، بلغه عن مروان بن محمد أمر فكتب إليه: "أما بعد فإني رأيتك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت"، فقال له مروان: أنا على لقاء العساكر أقوى مني على لقاء هؤلاء الكلمات؛ ثم أذعن ودخل فيما فيه الجماعة.

ويزيد هذا هو أول من خرج بالسلاح في العيد؛ يقال إنه مات بالطاعون ودفن بين باب الجابية والباب الصغير، وصلى عليه أخوه إبراهيم، رحمه الله تعالى .

يعقوب النيسابوري

يعقوب بن أحمد بن محمد النيسابوري اللغوي الأديب الكردي؛ توفي في شهر رمضان سنة أربع وسبعين وأربعمائة، قرأ الأصول على الحاكم أبي سعد ابن دوست، وصحب الأمير أبا الفضل الميكالي، ورأى العميد القهستاني، وقرأ الحديث الكثير على المشايخ، ونسخ الكتب بخطه الحسن، وكان متواضعا يخالط الأدباء وله نظم ونثر وتصانيف وفرائد ونكت وطرف. وذكره العماد الكاتب في "الخريدة" وقال: إن له من الكتب كتاب "البلغة" وكتاب :"جونة الند" وأورد له من الشعر:

كم من كتاب قد تصفحته وقلت في ذهني صححته

ثم إذا طالعـتـه ثـانـيا رأيت تصحيفا فأصلحته

ومن شعره:

حلاوة أيام الـوصـال شـهـية ولكن ليالي الهجر أمررن طعمها

ولي كبد حرى ونفـس عـلـيلة كليم تولى كلمها البيض كالمهـا

وقال:

وقالوا لي: أبو حسن كـريم فقلت الميم هاء في العباره
وما لجلاله أرجـوه لـكـن رأيت الكلب يرمى بالحجاره

وقال:

يرى الناس منه كالمسيح ابن مريم وفي ثوبه التمساح أو هو أغدر
أغركم منه تـقـلـص ثـوبـه وذلك حب دونه الفخ فاحـذروا

الخازن الشافعي

يعقوب بن سليمان بن داود، أبو يوسف الخازن الإسفراييني؛ سافر "إلى" العراق والشام وسكن بغداد، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وكان خازن الكتب بالنظامية، وهو فقيه فاضل حسن المعرفة بالأصول على مذهب الأشعري، وله معرفة بالأدب، وكان يكبت خطا جيدا، وصنف كتاب "المستظهري" في الإمامة وشرائط الخلافة والسير العادلة، وكتاب "سير الخلفاء" و"محاسن الآداب" و"بدائع الأخبار وروائع الأشعار" وتوفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، رحمه الله.

ومن شعره:

إن الذي قسم المعيشة بـيـنـنـا قد خصني بالسعي في الآفـاق
متشتتا لا أسـتـقـر بـبـلـدة في كل يوم أبتـلـى بـفـراق
لم بنـا وهـنـا فـقـال سـلام خيال لسلمـى الـرفـاق نـيام
الم وفي أجفان عيني وصارمـي غراران نوم غالـب وحـسـام
أجيراننا بالخيف سقاكم الـحـيا مراضع در ما لهـن فـطـام
ظعنتم فسلمتم إلى الوجد مهجتهي كأن قلوب الظاعـنـين سـلام

أبو البشر البندنيجي

اليمان بن أبي اليمان، أبو البشر البندنيجي؛ أصله من الأعاجم من الدهاقين، ولد أكمه لا يرى الدنيا في سنة مائتين، وتوفي سنة أربع وثمانين ومائتين: نشأ بالبندنيجين وحفظ هناك أدبا كثيرا وأشعارا كثيرة، قال: حفظت في مجلس واحد مائة وخمسين بيتا من الشعر بغريبه. وخرج إلى بغداد وسر من رأى ولقي العلماء، وقرأ على محمد بن زياد الأعرابي وسمع منه، ولقي أبا نصر صاحب الأصمعي وهو ابن أخته.

وكان لأبي بشر ضياع كثيرة وبساتين خلفها أبوه فباعها وأنفقها في طلب العلم، ولقي يعقوب ابن السكيت والزيادي والرياشي وقرأ عليهما من حفظه كتبا كثيرة.

ومن تصانيفه كتاب "معاني الشعر" كتاب "العروض" ومن شعره:

أنا اليمان بـن أبـي الـيمـان أشعر من أبصرت في العميان
إن تلقني تلق عظـيم الـشـان تلاقني أفصح من سحـبـان

في العلم والحكمة والـبـيان
ومر يوماً بباب الطاق فسمع صوت قمرية من حانوت خباز فبكى بكاء شديدا وقال لقائده: مل بي إليه، فأقامه عليه فقال: يا خباز، أتبيع هذه؟ قال: نعم، قال: بكم؟ قال: بعشرة دراهم، ففتح منديله فعد له الدراهم ثم أخذ الحمامة فأطلقها وأنشأ يقول:

ناحت مطوقة بـبـاب الـطـاق ... فجرت سوابق معي المهـراق
حنت إلى أرض الحجاز بحـرقة ... تسبي فؤاد الهائم الـمـشـتـاق
تعس الفراق وجذ حبل وتـينـه ... وسقاه من سم الأساود سـاقـي
يا ويحـه مـا بـالـه قـمـرية ... لم تدر ما بغـداد فـي الآفـاق
كانت تفرخ في الأراك وربـمـا ... كانت تفرخ في فروع الـسـاق
فأتى الفراق بها العراق فأصبحت ... بعد الأراك تنوح في الأسـواق
إني سمعت حنينها فابتـعـتـهـا ... وعلى الحمامة جدت بالإطـلاق
بي مثل ما بك يا حمامة فاسألـي ... من فك أسرك أن يفك وثـاقـي

ومن شعره:

فديوان الضياع بفتح ضـاد ... وديوان الخراج بغير جيم
إذا ولي ابن عباس وموسى ... فما أمر الإمام بمستقـيم

الحافظ اليغموري
يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد، الحافظ جمال الدين اليغموري أبو المحاسن الأسدي الدمشقي؛ ولد في حدود الستمائة، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبعين وستمائة، سمع الكثير بدمشق والموصل ومصر والإسكندرية، وعني بالحديث وتعب وحصل وكتب الكثير من الحدي والأدب، وكان له فهم ومعرفة وإتقان ومشاركة في الآداب والتواريخ، وله مجاميع حسنة. وتوفي عند شهاب الدين ابن يغمور، وكان يصحب والده.
كتب شهاب الدين ابن الخيمي إلى الحافظ اليغموري، وكانا أرمدين:

أبثك يا خـلـيل أن عـيـنـي ... غدت رمداء تجري مثل عين
حديث أنت تعرفـه يقـيـنـا ... لأنك قد رمدت وأنت عيـنـي

فأجاب الحافظ:

كفاك الله ما تشكـو وحـيا ... محاسن مقلتيك بكـل زين
فإني من شفائك ذو يقـين ... لأنك قد شفيت وأنت عيني

ومن شعر الحافظ:

رجع الود على رغم الأعـادي ... وأتى الوصل على وفق المراد
ما علـى الأيام ذم بـعـدهـا ... كفر القرب إساءات البـعـاد

وقال:

أنا مـرآة فـإن أبـصـرتـم حسنا أنتم بها ذاك الحـسـن
أو تروا ما ليس يرضيكم فقـد صدئت أن لم تروها من زمن

علم الدين القناوي

يوسف بن أحمد بن إبراهيم، علم الدين الخطيب القناوي الشافعي الأديب؛ كان من الرؤساء الأعيان الكرماء الأجواد الأذكياء، وكانت له معرفة جيدة بحل الألغاز ونظم منها أشياء كثيرة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، رحمه الله.

وله لغز في "لابس" ، البيت الثاني منه:

يبين إن صحف مع قول لا وهو إذا صحفته لا يبين"

وله لغز في مغنيك

ما اسم إذا عكسته يطرب إن سمعته
ينعم بالوصل متى صحف ما عكسته

وله لغز في زغل:

وما لغز إذا فتشت شعـري تراه مسطرا فيه مسمـى
وإن تعكسه كان من التحري إذا حققته في البير يرمـي
وفاعله إذا نمـوا عـلـيه فيخشى أن تزل يداه حتمـا

الحافظ ابن بكار

يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن بن مفرج بن بكار، الحافظ المفيد الإمام السيد شرف الدين النابلسي الأصل الدمشقي الشافعي؛ ولد سنة ثلاثة وستمائة، وتوفي سنة إحدى وسبعين وستمائة. سمع من ابن البن وغيره، ورحل وعني بهذا الشان، ونسخ بنفسه وبالأجرة، وخطه طريقة مشهورة حلوة، وخرج لنفسه" الموافقات" في خمسة أجزاء، وحدث بدمشق والإسكندرية والقاهرة؛ روى عنه الدمياطي وابن الخباز وابن العطار والكندي، وكان ثقة حافظا متقنا جيد المذاكرة جيد النظم حسن الديانة ذا عقل ووقار، ولي مشيخة دار الحديث النورية بدمشق.

ومن شعره رحمه الله تعالى :

بحق خضوعي في الهوى وتملقي وفيض دموعي والضنا وتقلقـي
وشدة وجدي والغرام ولوعـتـي وفرط هيامي فيكم وتمـزقـي
بعزكم يا سـادتـي بـتـذلـلـي بعظم حنيني نحوكم وتشـوقـي
بوقفتنا يوم اجتمـعـنـا بـرامة على يمنة الوادي، بعهدي بموثقي
أجيروا فؤادي من جفاكم وأسعفوا بقرب ولا تصغوا لزور منمـق
أتاكم به الواشي وما خلـت أنـه غداة سعى بي عندكم بمصـدق

تعلقكم قلبي قديما من الصبا وما حال عن ذاك الهوى والتعلق
وها هو يرجو أن يراكم لعله يبثكم ماذا لقي حين نلتقي

وقال:

سلوا عذبات الرند أو نسمة الصبا إلى غيركم هل مال قلبي أو صبا
فعندهما أخبار كل متيم محب لكم ما حال من زمن الصبا
يحن إليكم كلما لاح بارق ويشتاقكم يا ساكني ذلك الخبا
ويرتاح نحو المنحنى وطويلع ويهفو إلى تلك المعالم والربى

وقال أيضاً:

رأى البرق نجديا فجن بمن يهوى ولاحت له نار فحن إلى حزوى
وهبت له من جانب الغور نفحة أتته بريا ساكني السفح من رضوى
محب لهم مغرى بهم كلف جو إلى اللوم فيهم ما أصاخ ولا ألوى
يناجي نسيم الصبح عند هبوبه بأخبار ذاك الحي يا طيبها نجوى
ويشكو إليه ما يلاقي من الهوى كذا كل صب يستريح إلى الشكوى
فيا راحة الروح التي شغفت بهم ويا منتهى المطلوب والغاية القصوى
رويتم حديث الصد عال مسلسل فلم ذا أحاديث التواصل لا تروى
مرابع ذكراكم بقلبي أواهل ومغنى التسلي عن محبتكم أقوى
أرى كل خلق يدعيكم وينتمي إليكم ولكن من تصح له الدعوى
سلام على أهل الغرام جميعهم وخفف عنهم ما يلاقوا من البلوى
عذاب الهوى مستعذب عند أهله وغلتهم فيه مدى الدهر لا تروى
سكارى وما دارت على القوم خمرة سوى أن خمر الحب طرحهم نشوى

وقال أيضا:

أهيل الحمى والنازلين ومن حل تلك الدار بالأجرع

بـرامة الفـرد
أحن إليكـم كـل حـين وتطلبكم عيني وإن كنتـم ولـحـظة عـنـدي
وفي القلب ما فيه من الشوق والجوى سلام على نجد ومن حل في نـجـد
وأذكركم والدار قد نـزحـت بـنـا فأسبل دمعي كالجمان علـى خـدي
فيا أهل ذياك الحمـى وحـياتـكـم يمين وفي لا يحول عن الـعـهـد
هواي الهوى المعهود لـيس بـزائل وإن بعدت داري، ووجدي لكم وجدي
مقيم على رعي العهود وحفظـهـا فيا ليت علمي كيف حالكم بـعـدي
ترى بعد هذا البعد يرجى لـقـاؤنـا ويجمعنا ظل لدى البـان والـرنـد
وأشرح ما قـاسـيتـه ولـقـيتـه فيا نيل آمالـي بـذاك ويا سـعـدي

وقال أيضا:

شفيعي إليكم ذلتي وفرط غرامي فيكم وخضـوعـي وولـوعـي
وشدة أشواقي إليكم وحـرقـتـي عليكم وأنفاسي وفيض دموعـي
جنابكم لي موطـن وحـمـاكـم ملاذ وأنتم مفزعي ونـزوعـي
تقضى زماني في هواكم فلا أرى سواكم إليه موئلي ورجـوعـي

وقال أيضاً:

سلام عليكم شطت الدار بينـنـا على أن ذكراكم قريب إلى قلبي
إذا العين لم تلقاكـم "وتـراكـم" ففكري يلقاكم على البعد والقرب

جمال الدين الشاعر

يوسف بن سليمان بن أبي الحسين بن إبراهيم، الفقيه الأديب الشاعر الخطيب الصوفي الشافعي، جمال الدين؛ سألته عن مولده فقال لي: سنة ثلاث وتسعين وستمائة بنابلس، ونشأ بدمشق وقرأ بها الأدب على الشيخ تاج الدين المني والنحو على الشيخ نجم الدين القحفازي وغيره. وحج سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، ثم حج في سنة سبع وأربعين وسبعمائة عقيب موت ولده سليمان، فإنه حصل له عليه وجد عظيم وألم كثير فما رأى لنفسه دواء غير الحج. وهو شاعر مجيد في المقاطيع يجيد نظمها ومعناها، وله بديهة مطاوعة وارتجال مسرع، لذيذ المفاكهة جميل الود حسن

الملقى؛ توفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمسين وسبعمائة "ولم" ينقطع غير يوم واحد.
أنشدني لنفسه:

أسر الفؤاد ودم عينـي أطـلـقـا والوجد جده وصـبـري مـزقـا
حلو الشمـائل مـا أمـر صـدوده متنعم قد لذ لـي فـيه الـشـقـا
كملت محاسنه فلو أهدي الـسـنـا للبدر عند كمـالـه مـا أشـرقـا
يا عاذلي أقصر وتب عما مضـى ما أنت في عذل المحب موفـقـا
يا فاتر الأجفان أحرقت الـحـشـا مني فمت صـبـابة وتـشـوقـا
يمضي الزمان وما أزور دياركـم من خشية الرقباء عند الملتـقـى
وأريد أسبح في الدموع عـلـيكـم فأخاف من ضعف القوى أن أغرقا
أما غرامي فـي هـواك فـإنـه حي ولكن في السلو لك الـبـقـا

وله رحمه الله تعالى موشح:

زائر بـالـخـيال زائل عن قربـي
باهر بالـجـمـال ناهر بالعـجـب
أي غصن نضـير نزهة للـنـظـر
لحظ عيني خفـير منه ورد الخفـر
يا له مـن غـرير في هـواه غـرر
ساحـر بـالـدلال ساخر بالـصـب
فائق في الكـمـال لائق بـالـحـب
بشذا المسك فـاح ثغر هذا الغـزال
باسـم عـن أقـاح أو فـريد الـلآل
رد نور الصـبـاح كظـلام الـلـيال
ريقه حـين جـال في لماه الـعـذب
صرت بين الزلال والهوى في كرب
ذو قـوام رطـيب منه تجني الحرق
رام ظلم القضـيب فاشتكى بالـورق
فتثنى الـحـبـيب ورنا بـالـحـدق
سل بيض النصـال من سواد الهـدب
والعوالـي أمـال بالقوام الـرطـب
لو رأته القسـوس حسبته المـسـيح
وهو يحيى النفوس بالكلام الفـصـيح

ما تبين الشمـوس عند هذا المـلـيح
خل عنك الغـزال يرتعي في الكثب
ثم قل لـلـهـلال يحتجب بالغـرب
ثغره فـي بـريق إذ دلاخ بــريق
كل حـر رقــيق للسماه الـرقـيق
خده والـشـقـيق ذا لهـذا شـقـيق
قد بدا فـيه خـال كسواد الـقـلـب
إذ غدا في اشتعـال فوق نار الـحـب
ما لصـب صـبـا في هواه نصـيب
منه قبل الصـبـا قد علاني المشيب
يا نسيم الـصـبـا جز بأرض الحبيب
واجتهد أن تـنـال منه طيب القـرب
ثم عد بـالـنـوال من هدايا حـبـي
جائر قـد ظـهـر عدله في القـوام
في الوجود اشتهـر مثل بدر التـمـام
فيه يحلو السـهـر ويمر الـمـنـام
صد تـهـياً وقـال وهو يبغي حربي
لحظ عيني نـبـال قلت آه وا قلبـي

وقال في صفة فرس أدهم:

وأدهم اللون فات البرق وانتظره فغارت الريح حتى غيبت أثره
فواضع رجله حيث انتهـت يده وواضع يده أني رمى بصـره
سهم تراه يحاكي السهم منطلقـاً وما له غرض مستوقف خبره
إذا توقل قطب الدين صهـوتـه أبصرت ليلاًبهيماً حاملاً قمره

وقال أيضاً:

قد مضت ليلة الوصال بحـال قصرت عن محصل الأزمان
أخبرتنا أن الزمان جمـيعـاً قد تقضي في ليلة الهجـران

وقال:

يعيبون من أهوى بكسرة جفـنـه وعندي بهذا العيب قد تم حسـنـه
فقلت وما قصدي سوى سيف لحظه إذا دام فتك السيف يكسر جفـنـه

وقال في دولاب الصاحب شمس الدين:

ودولاب يحن بجبـس عـود على وتر يساس بغير حس
فلما أن بدت منـه نـجـوم حكى فلكاً يدور بسعد شمس

وقال أيضاً ف يزهر الخشخاش:

ونوار خشخاش بكـرنـا وقد دهش الـرائي بـحـسـن نـزوره
تغني به الشحرور من فرط شجوه فنقط بالياقوت مـلء دفـوفـه

وقال:

كأن السحاب الغر لما تجمعـت وقد فرقت عنها الهموم بجمعها
نياق ووجه الأرض قعب وثلجها حليب ومر الريح حالب ضرعها

وقال:

كأن ضوء البـدر لـمـا بـدا ونوره بين غضون الغصـون
وجه حبـيب زار عـشـاقـه فاعترضت من دونه الكاشحون

فقال زين الدين الصفدي رحمه الله تعالى:

نظرت في الشهب وقد أحدقـت بالبدر منها في الدياجي عـيون
والروض يستحلي سنـا نـوره فتحسد الأرض عليه الغصـون
وكلمـا صـانـتـه أوراقـهـا نازعها الريح فلاح المصـون
فقلت حتى البـدر لـم يخـلـه ريب الليالي في السما من يعون

ونظم الشيخ صلاح الدين الصفدي حرسه الله تعالى:

كأنما الأغصان لما انثنت أمام بدر التم في غيهبه
بنت مليح خلف شباكهـا تفرجت منه على موكبه

ونظم أيضاً:

وكأنما الأغصان يثنيها الصـبـا والبدر من خلل يولح ويحجـب
حسناء قد عامت وأرخت شعرها في لجة والموج فيها يلـعـب

وكتب الشيخ صلاح الدين الصفدي إلى جمال الدين المذكور ملغزاً في مكوك الحائك:

أيا من فاق في الآداب حـتـى أقر بفضله الجـم الـغـفـير
وأحرز في المنى قصبات سبق فدون محله الفـلـك الأثـير
وأطلع في سماء النظم زهـراً يلوح فمن زهـير أو جـرير
قطعت أولي النهى وافضل بحثاً فمالك في مناظـرة نـظـير
إذا أعربت في الإعراب وجهاً فكم ثلجت بما تدبـي صـدور

وإن قيل المعمى والـمـورى فذهنك ناقـد فـيه بـصـير
وها أنا قد دعوتك للتحـاجـي لأنك في الحجا طب خـبـير
فما ساع يرى في غـير أرض ولا هو في السما مما يطـير
تراه مـرددا مـا بـين طـرد وعكس قصرت عنه الطـيور
ويلطم كـلـمـا وافـى مـداه ويسحب وهو مغلـول أسـير
وتـنـزع كـل آونة حـشـاه ويلقى وهو للبلوى صـبـور
ويرشف بعد ذلك منـه ثـغـر ولا عذب هنـاك ولا نـمـير
إذا ما سار أثر فـي خـطـاه طرائق دونها الروض النضير
يجر إذا سعى ذنـبـاً طـويلاً ويفتر حين يعلـوه قـصـور
ويسمع منه عند الجري صوت له في صدره مـنـه خـرير
قليل المكث كم قد بات تطـوى له مـن شـقة لـمـا يسـير
ويفترش الـحـرير ويرتـديه غطاء وهو مع هـذا فـقـير
وتظهر في جوانبـه نـجـوم وفي أحـشـائه فـلـك يدور
فأوضح ما ذكرت فغير خـاف على مجموع فضلك ما أشـير
ودم في نعمة وسـعـود جـد وعز ما سقى روضـاً غـدير

فكتب جمال الدين الجواب:

أوجهك لاح أم قـمـر مـنـير وذكرك فاح أم نفح الـعـبـير
طلعت طلوع شمس الصحو صبحاً على فرس حكى فلـكـاً يسـير
ويا لله روض ضـمـن طـرس زهير في جـوانـبـه جـرير
رميت به إلـي فـقـلـت هـذا شاع الشمس مـأخـذه عـسـير
أراني رمزه الوضاح حـسـنـاً ينبهني عـلـى أنـي حـقـير
وأني ملحـق بـأقـل صـنـف إذا ما حقق الـجـم الـغـفـير
فمذ صحفته فـكـري مـكـوك ومذ نشرته بـاعـي قـصـير
هو المأسور بالمـاسـور لـكـن له فـي أسـره مـرح كـثـير
نشـيط أيد ويعـاد طـوعـــاً بخـيط مـتـنـه واه طــرير
يراع لأن مـهـجـتـــه يراع له في الجوف من خوف صفير
يحور إلى يمين مـن شـمـال وما يعيا بـذا لـكـن يخـور
غدا يسعـى بـأربـعة سـراع وليس لمشيه بـهـم نـظـير
يخالف بين رجلـيه فـيجـري وترفعـه يداه فـيسـتـطـير
له نـول يسـير لـكـل حـي وميت منه إحـسـان كـثـير
إذا أسدى إليه الـخـير مـسـد جزاه عليه وهـو بـذا قـدير
كذاك صفاتك الحسنى بدأت تطولاً وبـنـا قـصـور

ولـكـن
فغفراً ثم ستـراً ثـم قـصـراً فأين الثمد والبحـر الـغـزير
توفي جمال الدين المذكور رحمه الله تعالى "...".
مهمندار العرب
يوسف بن سيف الدولة بن زماخ بالزاي والميم المشددة والخاء المعجمة بعد الألف الحمداني المهمندار؛ شيخ متجند، قال الشيخ أثير الدين: أنشدني بدر الدين المهمندار المذكور لنفسه:

وليلة مثل عين الظبي وهي معـي قطعتها آمناً من يقظة الـرقـبـا
أردفته فوق دهم الليل مختـفـياً والصبح يركض خلفي خيله الشهبا
حتى دهاني وعين الشمس فاتـرة وقد جذبت بذيل الليل ما انجـذبـا
ما هي بأول عادات الصباح معـي ليل الشباب بصبح الشيب كم هربا

وقال: أنشدني لنفسه:

فلا تعجب لحسن المدح مني صفاتك أظهرت حكم البوادي
وقد تبدي لك المرآة شخصـاً ويسمعك الصدا ما قد تنـادي

وقال: أنشدني لنفسه:

ما شيمة الـعـرب الـعـربـاء شـيمـتـكـم ولا بـهـذا عـرفـن الـخـرد الـغـــيد
كانـت سـلـيمـى ولـبـنـى والـربـاب إذا أزمـعـن هـجـراً أتـتـهـن الأنـاشــيد
ودار بينهما فحوىمعاتبةأرق مما أراقته العناقيد
وآفة الصب مثل يأ، يبث جوى لمـن يحـب ولا يثـنـي لـــه جـــيد

وقال لما خاض الملك الظاهر الفرات يمدحه ويصف الوقعة:

لو عاينت عينـاك يوم نـزالـنـا والخيل تطفح في العجاج الأكـدر
وسا الأسنة والضياء من الـظـبـا كشفا لأعيننا قـتـام الـعـثـير
وقد اطلخم الأمر واحتدم الـوغـى وهي الجبان وساء ظن المجتـري
لرأيت سداً مـن حـديد مـا يرى فوق الفرات وفوقه نـار تـري
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزبـى ومن الفوارس أبحراً في أبـحـر
طفرت وقد منع الفوارس تجري ولولا خيلنا لـم

مـدهـا تـطـفـر
حتى سبقنا أسهمـاً طـاش لـنـا منهم إلينا بالخـيول الـضـمـر
لم يفتحوا للرمي منـهـم أعـيـنـاً حتى كحلن بكـل لـدن أسـمـر
فتسابقوا هـربً ولـكـن ردهـم دون الهزيمة رمح كل غضنفـر
ملأوا الفضاء فعن قليل لـم نـدع فوق البسيطة منهم من مخـبـر
سدت علينا طرقـنـا قـتـلاهـم حتى جنحنا للـمـكـان الأوعـر
ما كان أجرى خيلنا في إثـرهـم لو أنها برءوسهـم لـم تـعـثـر
من كل أشهب خاض في بحر الدما حتى بدا لعيونـنـا كـالأشـقـر
كم قد فلقنا صخرة مـن صـرخة ولكم ملأنا محجراً من محـجـر
وجرت دماؤهم على وجه الثـرى حتى جرت منها مجاري النـهـر
والظاهر السلطان فـي آثـارهـم يذري الرؤوس بكل عضب أبتـر
ذهب العجاج مع النجيع بصقـلـه فكأنه في غـمـده لـم يشـهـر
إن شئت تمدحـه فـقـف بـازائه مثلي غداة الروع وانظم وانـثـر

وكتب إليه ناصر الدين ابن النقيب:

أيوسف بدر الدين والحسن كلـه ليوسف يعزي إذ إلى البدر ينسب
أتـيت أخـيراً غـير أنـك أول تعد من الآحاد شعراً وتحـسـب
وأحسن ما في شعرك الحر أنـه به ليس يستجدي ولا يتكـسـب

توفي المذكور بعد الثمانين والستمائة، رحمه الله تعالى.

## محيي الدين ابن الجوزي

يوسف بن عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي؛ هو الصاحب العلامة محيي الدين ابن الإمام جمال الدين ابن الجوزي الواعظ البغدادي الحنبلي أستاذ دار أمير المؤمنين المستعصم بالله؛ ولد سنة ثمانين وخمسمائة، وتوفي مقتولاً سنة ست وخمسين وستمائة.

تفقه وسمع الكثير، وكان إماماً كبيراً وصدراً معظماً، عارفاً بالمذهب كثير المحفوظ حسن المشاركة في العلوم، مليح الوعظ حلول العبارة، ذا سمت

ووقار وجلالة وحرمة وافرة، درس وأفتى وصنف، ورسول به إلى الملوك، ورأى من العز والإكرام والاحترام من الملوك شيئاً كثيراً، وكان محبباً إلى الناس، ولي الأستاذ دارية بضع عشرة سنة.

قال الدمياطي: أجازني جميع مصنفات أبيه، وأجازني بجائزة جليلة من الذهب.

قال الشيخ شمس الدين: ضربت عنقه بمخيم التتار هو وأولاده تاج الدين عبد الكريم وجمال الدين المحب وشرف الدين عبد الله في شهر صفر سنة ست وخمسين.

وكان محتسب بغداد ومدرس المستنصرية للحنابلة، وكان إذا سافر استناب ولده في التدريس والحسبة؛ توفي والده وله سبع عشرة سنة، فأذن له بالجلوس للوعظ على قاعدة والده، وخلع عليه الخليفة القميص والعمامة، وجعل على رأسه طرحة، وحضر يوم الجمعة في حلقة والده بجامع القصر وعنده الفقهاء للمناظرة، ونودي له في الجامع بالجلوس، فحضره الخلائق وتكلم فأجاد، ثم أذن له في الجلوس بباب بدر الشريف في بكرة كل يوم ثلاثاء، فبقي على ذلك مدة.

ولما أقام عسكر الشام في أيام الناصر ابن العزيز على تل العجول قبالة عسكر مصر وتجاوزت مدة إقامتهم السنة، وأشاعوا الناس أن الباذرائي رسول الخليفة واصل يصلح بين الفريقين فأبطأ وكثرت الأقاويل في ذلك، فقال شهاب الدين غازي ابن إياز المعروف بابن المعمار أحد الأجناد المقاردة، وكان حاجب ابن يغمور:

يذكرنا زمان الزهد ذكـرى زمانه اللهو في تل العجول
ونطلب مسلماً يوري حديثـاً صحيحاً من أحاديث الرسول

واختلف الأقاويل أن محيي الدين ابن الجوزي يصل رسولاً من الخليفة وأبطأ حضروه فقال صلاح الدين الأربلي:

قالوا الرسول أتـى وقـالـوا إنـه ما رام يوماً عن دمشق نـزوحـا
ذهب الزمان وما ظفرت بمسـلـم يروي الحديث عن الرسول صحيحا

الشيخ جمال الدين المزي

يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن أبي الزهر، الشيخ الإمام العالم العلامة حافظ العصر، ومحدث الشام ومصر، جمال الدين أبو الحجاج القضاعي الكلبي المزي، الحلبي المولد، خاتمة الحفاظ، نافذ الأسانيد والألفاظ. مولده بظاهر حلب في عاشر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمائة، وطلب الحديث في أول سنة خمس وسبعين وهلم جرا وإلى آخر وقت، لا يفتر ولا يقصر من الطلب والاجتهاد والرواية. توفي في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، ودفن بمقابر الصوفية.

سمع أصحاب ابن طبرزد والكندي وابن الحرستاني وحنبل، وسمع الكتب الأمهات الستة والمعجم الكبير تاريخ الخطيب والنسب لابن الزبير و"السيرة" و"الموطأ" من طرق، والزهد والمستخرج على مسلم و"الحلية" و"السنن" للبيهقي و"دلائل النبوة" وأشياء يطول ذكرها.

ومن الأجزاء ألوفاً، ومشيخته نحو الألف.

حفظ القرآن الكريم وعني باللغة وبرع فيها وأتقن النحو والتصريف.
ولما ولي دار الحديث الأشرفي تمذهب للشافعي وأشهد عليه بذلك. وكان فيه حياء وسكينة وحلم واحتمال وقناعة واطراح تكلف وترك التجمل والتودد والانجماع عن الناس وقلة الكلام إلا أنه يسأل فيجيب ويجيد، وكلما طالت مجالسة الطالب له ظهر له فضله. وكان لا يتكثر بفضائله، كثير السكوت لا يغتاب أحداً. وكان معتدل القامة مشرباً بحمرة قوي التركيب متع بحواسه وذهنه. وكان قنوعاً غير متأنق في ملبس أو مأكل، يصعد إلى الصالحية وغيرها ماشياً وهو في عشر التسعين. وكان يستحم بالماء البارد في الشتاء. وكان قد امتحن بالمطالب وتتبعها فيعثر به من الشياطين جماعة فيأكلون ما معه، ولا يزال في فقر لأجل ذلك.
وأما معرفة الرجال فإليه تشد الرحال، فإنه كان الغاية وحامل الراية. ولما ولي دار الحديث قال الشيخ تقي الدين: لم يل هذه المدرسة من حين بنائها وإلى الآن أحق منه بشرط الواقف، وقد وليها جماعة كبار مثل ابن الصلاح ومحيي الدين النواوي وابن الزبيدي، لأن الواقف قال: فإن اجتمع من فيه الرواية ومن فيه الدراية قدم من فيه الدراية؛ قال الشيخ شمس الدين: لم أر أحفظ منه، ولم ير هو مثل نفسه. قال الشيخ شمس الدين: لم يسألني ابن دقيق العيد إلا عنه.
وكان قد أغتر في شبيبته وصحب عفيف الدين التلمساني، فلما تبين له مذهبه هجره وتبرأ منه.
صنف كتاب "تهذيب الكمال" في أربعة عشر مجلداً، كشف به الكتب القديمة في هذا الشأن، وسارت به الركبان، واشتهر في حياته، وألف كتاب "أطراف الكتب الستة" في تسعة أسفار.
قال الشيخ شمس الدين: قرأت بخط الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس: ووجدت بدمشق الحافظ المقدم، والإمام الذي فاق من تأخر وتقدم، أبا الحجاج المزي: بحر هذا العلم الزاخر، القائل من رآه: كم ترك الأوائل للأواخر، أحفظ الناس للتراجم، وأعلمهم بالرواة من أعارب وأعاجم، لا يخص بمعرفته مصراً دون مصر، ولا ينفرد عليمه بأهل عصر دون عصر، معتمداً آثار السلف الصالح، مجتهداً فيما نيط به البيت حفظ السنة من المصالح، معرضاً عن الدنيا وأشباهها، مقبلاً على طريقته التي أربى بها على أربابها، لا يبالي ما ناله من الأزل، ولا يخلط جده بشيء من الهزل، وكان بما يضعه بصيراً، وبتحقيق ما يأتيه جديراً، وهو في اللغة إمام، وله بالقريض إلمام.
وكنت أحرص على فوائده لأحرز منها "ما" أحرز، وأستفيد من حديثه الذي إن طال لم يملل وإن أوجز وددت أنه لم يوجز، رحمه الله تعالى.
سبط ابن الجوزي
يوسف بن قزغلي بالقاف والزاي والغين المعجمة واللام الإمام المؤرخ الواعظ شمس الدين، أبو المظفر التركي البغدادي سبط الشيخ الإمام جمال الدين، نزيل دمشق. ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وخمسين وستمائة.
سمع من جده، وسمع بالموصل ودمشق من جماعة، وكان إماماً فقيهاً واعظاً وحيداً في الوعظ، علامة في التاريخ والسير، وافر الحرمة، محبباً إلى الناس، حلو الوعظ؛ قدم دمشق وهو ابن نيف وعشرين سنة ونفق

على أهلها، وأقبل عليه أولاد الملك العادل، وصنف في الوعظ والتاريخ. وكان والده قزغلي من مماليك الوزير عون الدين ابن هبيرة، وهو صاحب "مرآة الزمان"؛ قال الشيخ شمس الدين: وقد اختصره قطب الدين اليونيني وذيل عليه إلى وقتنا هذا. ولما مات حضر جنازته السلطان ومن دونه. ودرس بالشبلية مدة وبالمدرسة البدرية. وقرأ الأدب على أبي البقاء، والفقه على الحصيري، ولبس الخرقة من عبد الوهاب ابن سكينة. وكان حنبلياً فانتقل وصار حنفياً لأجل الدنيا، وصنف في مناقب أبي حنيفة جزءاً. وله "معادن الأبريز في التفسير" تسعون وعشرون مجلداً، و"شرح الجامع الكبير" في مجلدين.

ابن طملوس المغربي

يوسف بن محمد بن طملوس، من أهل جزيرة شقر من عمل بلنسية. كان أحد علمائها الأماثل، وآخر المتحققين بعلوم الأوائل. توفي سنة عشرين وستمائة، واورد له ابن الأبار من شعره:

بسمت به الأيام بعد عبوسـها ... وتهللت بشراً عـيون الـنـاس

وتمهدت أراؤهـم لـمـا رسـا ... ما بينها جبل الملوك الراسـي

هيهات أين الصبـح مـن لألائه ... أيقاس نور الشمس بالنـبـراس

ملك أبت همـاتـه وهـبـاتـه ... من أن تجاري في الندى والباس

وقال أيضاً:

جاد على الجزع بوادي الحمى ... صوب الحيا سكباً على سكب

حيث الصبا يهدي نسيم الربى ... طيبة المسرى إلى الغـرب

تمر بالركب سـحـيراً فـيا ... موقع رياها من الـركـب

وبالكثيب الفرد من لـعـلـع ... غزيل ضل عن الـسـرب

أفلت مني واغتدى قانـصـاً ... قلبي فيا ويحي من قلـبـي

فسرت أشتـد عـلـى إثـره ... أنشده في ذلك الـشـعـب

يا هل رأت عيناك من ناشـد ... يسعى بلا قـلـب ولا لـب

أحبب به من مـلـك جـائر ... أحكامه تجري على الصـب

يثنيه من خرم الصبا نـشـوة ... لعب الصبا بالغصن الرطب

يا جائر اللحظ على صبه ... سلطت عيناك على قلبي

المستنجد بالله

يوسف بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر، أمير المؤمنين المستنجد بالله ابن المقتفي لأمر الله ابن المستظهر ابن المعتمد ابن القائم ابن القادر ابن المقتدر ابن المعتضد ابن الموفق ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور العباسي. خطب له والده بولاية العهد من بعده مستهل الحجة سنة سبع

وأربعين وخمسمائة، وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ثاني شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة. مولده سنة ثمان عشرة وخمسمائة، وتوفي ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وعمره ثمان وأربعون سنة وولايته إحدى عشرة سنة؛ وكانت أمراضه قولنجية.
وكان طويل القامة جسيماً أسمر اللون كثيف اللحية، وكانت أيامه أيام خصب ورخاء وأمن عام، ودولته زاهرة، وسياسته قاهرة، وهيبته رائعة، وسطوته قامعة، ذلت له رقاب الجبابرة في الآفاق، وخضعت له منهم الأعناق، وأشحن بالظلمة أحبوس وأزال الظلم والمكوس، وتمكن تمكن الخلفاء المتقدمين، قلما انتهت إليه حالة مكروهة إلا أزالها، وعثرة إلا أقالها؛ ويقال إنه رأى في منامه مكتوباً في كفه أربع خاءات فعبرها أنه يلي الخلافة سنة خس وخمسين وخمسمائة.
وكتب إليه كمال الدين الشهرزوري قصة لما قدم إلى بغداد رسولاً من قبل نور الدين ابن زنكي مترجمة: "محمد بن عبد الله الرسول"، فوقع عند اسمه "صلى الله عليه وسلم"؛ يقال إن ليلته حانت من ابنة عمه فلما توجه إليها وجد في طريقه بعض حجرات جواريه مفتوح الباب، فدخل إليها، فقالت له الجارية: امض إلى ابنة عمك فإني أخاف أن تعلم بنا فلا آمن شرها، فقال: في ساقها خلخال إذا جاءت عرفت بها. فمضت إليها جارية ووشت بالحال، فرفعت خلخالها إلى أعالي ساقها وقصدت المقصورة، ففاحت روائح الطيب، فنم ذلك عليها، فخرج من المقصورة من الباب الآخر وقال:

استكتمت خلخالا ومشـت تحت الظلام به فما نطقا
حتى إذا هبت نسيم صبـا ملأ العبير بنشرها الطرقا

وللشيخ صلاح الدين الصفدي في هذا المعنى:

إذا شئت حلـيك أن لا يشـي وقد زرت في الحندس المظلم
فردي السوار مكان الوشـاح وخلي وشاحك في المعصـم

وله أيضاً:

قالوا وشى الحي بها إذ مشت إليك من قبل ابتسام الصباح
فقلت: لا، خلخالها صامـت ثم تذكرت فضول الوشـاح

ومن شعر المستنجد:

إذا مرضنا نوينا كل صالـحة وإن شفينا فمنا الزيغ والزلل
نرضي الإله إذا خفنا ونغضبه إذا أمنا فيما يزكو لنا عمـل

ومنه أيضاً:

عيرتني بالشيب وهو وقار ليتها عيرت بما هو عار
إن تكن شابت الذوائب مني فالليالي تنيرها الأقمـار

وقال أيضاً:

يا هذه إن الخيال يزورنـي لو كان يسعف أو يرد سلاما
ما إن رأيت كزائر يعتادنـي يغضي العيون ويقظ النواما

وقال أيضاً:

وباخل أشعل فـي بـيتـه طرمذة منه لنا شمـعـه
فما جرت من عينها دمعة حتى جرت من عينه دمعه

وقال أيضاً:

وصفراء مثلي في القياس ودمعها سجام على الخدين مثل دموعـي
تذوب كما في الحب ذبت صبابة وتحوي حشاها ما حوته ضلوعي

الملك الناصر صاحب الشام

يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي، السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابن الملك العزيز ابن الملك الظاهر ابن الناصر صلاح الدين؛ هو صاحب حلب ثم صاحب الشام. ولد بقلعة حلب في رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة وقتل سنة تسع وخمسين؛ تولى الملك عند موت والده العزيز سنة أربع وثلاثين وستمائة، وقام بتدبير دولته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني والأكرم ابن القفطي وعز الدين ابن المجلي والطواشي جمال الدولة إقبال الخاتوني، والأمر كله لجدته الصاحبة صفية خاتون بنت العادل. ولما توجه القاضي بهاء الدين إلى الكامل بوصية العزيز - وكان قد مات وعمره أربع وعشرون سنة - فلما رآها الكامل بكى وحلف للناصر لأجل أخته صفية خاتون، فلما توفيت سنة أربعين اشتد الناصر وأمر ونهى؛ فلما كانت سنة ست وأربعين، سار من جهته نائبه شمس الدين لؤلو وحاصر حمص، وطلب النجدة من الصالح نجم الدين أيوب فلم ينجده، وغضب، واستمرت حمص في ملك الناصر؛ فلما كان شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين، قدم إلى دمشق وأخذها بلا كلفة. وفي أثناء السنة قصد الديار المصرية، فما تم له ذلك. وفي سنة اثنتين وخمسين دخل على بيت السلطان علاء الدين صاحب الروم.

وكان الناصر سمحاً جواداً حليماً حسن الأخلاق محبباً إلى الرعية، فيه عدل وصفح ومحبة للفضلاء والأدباء، وكان سوق الشعر نافقة في أيامه، وكان يذبح في مطبخه كل يوم أربعمائة راس غنم سوى الدجاج والطيور والأجدية. وكان يبيع الغلمان من سماطه شي كثير عند باب القلعة بدمشق بأرخص الأثمان من المآكل الفاخرة.

حكى علاء الدين بان نصر الله أن الناصر جاء إلى داره بغتة؛ قال: فمددت له شيئاً كثيراً في الوقت بالدجاج المحشي بالسكر والفستق وغيره، فقال: كيف تهيأ لك هذا؟ فقلت: هو من نعمتك، اشترتيه من باب القلعة. وكانت نفقته في كل يوم أكثر من عشرين ألف درهم.

وكان يحاضر الأدباء والفضلاء، وعلى ذهنه كثير من الشعر والأدب، وله نوادر ونظم، وحسن ظن بالصالحين. وبني بدمشق مدرسة جوا باب الفراديس، وبالجبل رباطاً، وبنى الخان عند المدرسة الزنجيلية. وبلغه عن بعض الفقراء من الأجناد أنه تسمح في حقه فأحضره ليؤدبه، فلما رأى وجله رق له وأرم له بذهب وصرفه ولم يؤاخذه. وكانت تمر له الأيام الكثيرة يجلس فيها من أول النهار إلى نصف الليل يوقع على الأوراق ويصل الأرزاق، وقيل إنه خلع في أقل من سنة أكثر من عشرين ألف خلعة. وكانوا الفرنج قد ضمنوا له أخذ الديار المصرية على أن يسلم إليهم القدس

وبلاد أخر، ودار الأمر على أن تعطى لهم أو للمصريين، فبذل ذلك للمصريين اتباعاً لرضى الله عز وجل، وقال: والله لا لقيت الله تعالى وفي صحيفتي إخراج القدس عن المسلمين. ولما بعد عن خزائنه احتاج إلى قرض أرهن أملاكه وضرب أواني الذهب والفضة، وقيل له في أخذ القابض من الأوقاف، فما مد يده إلى شيء منها بدمشق ولا بحلب.

قال ابن العديم: حضر بعض المدرسين إلى العسكر، ورفع على يدي قصة بين يديه تتضمن التضور من قلة معلومه، ويذكر أن عياله وصلوا من مصر وأنه لا يطلب التثقيل على السلطان في مثل هذا الوقت الذي يحتاج فيه إلى الكلف بن يطلب زيادة في المدرسة التي هو بها. فسأل عن شرط الواقف، فقيل: شرطه ما يتناوله الآن، لكن ذكر أنه في كتاب الوقف ما يدل على أن السلطان يزيده إذا رأى في ذلك مصلحة. فأطرق كما هي عادته إذ لم يرى قضاء ما طلب، ولم يرد في ذلك جواباً، ولم يهن عليه رده خائباً، وتورع عن مخالفة الواقف، فقرر له ما طلبه على ديوانه دون الوقف.

قال ابن العديم: أنشدني لنفسه، رحمه الله:

البدر يجنح للغروب ومهجتـي ... لفراق مشبهه أسى تتقـطـع

والشرب قد خاط النعاس جفونهم ... والصبح من جلبابه يتـطـلـع

ومن شعره أيضاً:

سقى حلب الشهاب كـل مـرنة ... سحائب غيث نوؤها ليس يقلـع

فتلك ربوعي لا العقيق ولا الحمى ... وتلك دياري لا زرود ولعـلـع

وقال أيضاً:

فو الله لو قطعت قلبـي تـأسـفـاً ... وجرعتني كاسات دمعي دما صرفا

لما زادنـي إلا هـوى ومـحـبة ... ولا اتخذت روحي سواك لها إلفـا

وورد الخبر في منتصف صفر من سنة ثمان وخمسين وستمائة بورود التتار إلى حلب ودخولها بالسيف، فهرب السلطان مع الأمرا الموافقين له، وزال ملكه، ودخل التتار بعده بيوم إلى دمشق، وقري فرمان الملك بأمان أهل دمشق وما حولها حتى وصل السلطان إلى قطيا وتفرق عنه عسكره، فتوجه مع خواصه إلى وادي موسى ثم جاء إلى بركة زيزا فكبسه كتبغا، فهرب وأتى إلى التتار بالأمان، فبقي معهم البيت ذل وهوان. فلما بلغ هولاكوا قتل كتبغا قتله، قيل إنه قتله بالسيف عقيب واقعة عين جالوت، وقيل خصل بعذاب دون أصحابه، وقيل جعل هدفاً للسهام، وقيل جمع له نخلتان وربط بينهما وافترقتا فذهبت كل واحدة بشق منه.

قال شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن العجمي: أنشدني الناثر لنفسه:

يا برق أنش من الغمام سحابة ... وطفاء هامية على بطـياس

وأدم على تلك الربوع وأهلها ... غيثاً يرويها مع الأنـفـاس

وعلى ليال بالصفاء قطعتهـا ... مع كل غانية وظبي كنـاس

فأنشدته ارتجالاً

فلتلك أوطاني ومعهد أسرتي ومقر أحبابي ومجمع ناسي
ليس الفؤاد وإن تناءت سالياً عنها ولا لعهودها بالناسـي

وكان قتله في الخامس وعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين وستمائة، وعمل عزاؤه في سادس وعشرين ربيع الآخر سنة تسع وخمسين بقلعة الجبل من الديار المصرية، رحمه الله تعالى.

ورثاه غير واحد من شعراء دولته وغيرهم. فمن رثاه أمين الدين السليماني، قال حين توجه الملك الناصر مع التتار وانقطعت أخباره والتبس أمره:

بكى الملأ الأعلى على الملك الأعلى وأصبحت الدنيا لفقدانـه ثـكـلـى
تولى صلاح الدين يوسف وانقضـت محاسنه الحسنى وسيرته المثـلـى
وفارق ملك الشام والشرق عـنـوة فريداً كما جردت من غمده نصـلا
وأضحى أسيراً في التتار مـروعـاً فبكوا عزيزاً لم يكن يعـرف الـذلا
وأني لأرجو أن يكـون كـصـارم يجرده قين ليحـكـمـه صـقـلا
تناقضت الأخبار عـنـه لـبـعـده فيا لحديث ما أمـر ومـا أحـلـى
فيا ليت عيني عاينت كنـه حـالـه لقد شفني حزني عليه وقد أبـلـى
أبكيه في الأسرى وأرجو خلاصـه رجاء بعيد أم أرثيه في القـتـلـى
أبن مخبراً: يا يوسف بن مـحـمـد أحي ترجى أنت أم ميت تـسـلـى
ووالله ما يسلوك قلـب ابـن حـرة جعلت له من طولك الفرض والنفلا

وقال فيه حين بلغه أن التتار قتلوه:

رت الخطوب فأقصدتك نبالـهـا والأرض بعدك زلزلت زلزالها
أأبا المظفر يوسف بن محـمـد لا قلت بعدك للحوادث يا لـهـا
خذلتك أسرتك الذين ذخـرتـهـم للنائبات وقد وقفـت حـيالـهـا
تركوك منفرداً بقـطـية ذاهـلاً تسفي عليك العاصفات رمالها
تبكيك ولولة الحـريم حـواسـراً من كل معولة تضم عـيالـهـا

ومصونة البيت خدرها ما شاهدت قبل الرزية ما يروع بـالـهـا
كيف الخلاص من المنية لامريء من بعد ما نصبت عليه حبالهـا
أأبا المظفر يوسف بن محـمـد جرعت نفسي صابها وخبالـهـا
إن الملوك إذا تخاذل بعـضـهـا عن بعضها ففعالها أفعى لـهـا
ذكري مصيبات الملوك تعـلـلاً إذ كان حالك في المصية حالهـا
إني لأجتنب المراثي طـامـعـاً ببقاء نفسك بالـغـاً آمـالـهـا

فخر الدين ابن الشيخ

يوسف بن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حموية، الأمير فخر الدين ابن صدر الدين شيخ الشيوخ الحموي الجويني؛ كان أميراً كبير عالي الهمة فاضلاً متأدباً سمحاً جواداً محبوباً إلى الخاص والعام، خليقاً بالملك لما فيه من الأوصاف الجميلة، تعلوه الهيبة والوقار. وكانت أمه ابنة المطهر ابن أبي عصرون قد أرضعت الملك الكامل، فكانوا أولادها الأربعة أخوة الملك الكامل من الرضاعة، وكان يحبهم ويعظمهم، ولم يكن عنده أحد في رتبة الأمير فخر الدين، لا يطوي عنه سراً ويثق به ويعتمد عليه في سائر أموره، ونال الأمير فخر الدين وإخوته من السعادة ما لا ناله غيرهم.

ولما ملك الملك الصالح البلاد، أعرض عن الأمير فخر الدين واطرحه ثم اعتقله ثم أفرج عنه وأمره بلزوم بيته. ثم إنه ألجأته الضرورة إلى ندبه للمهمات لما لم يجد من يقوم مقامه، فجهزه إلى بلاد الملك الناصر داوود، فأخذها ولم يترك بيده سوى الكرك، ثم جهزه لحصار حمص، ثم ندبه لقتال الفرنج، فاستشهد.

وكان أول أمره معمماً، فألزمه الكامل أن يلبس الشربوش وزي الجند، فأجابه إلى ذلك، وأقطعه منية السوادان بالديار المصرية، ثم طلب منه "أن" ينادمه، فأجابه إلى ذلك، فاقطعه شبراً، فقال ابن بطريق:

على منية السودان صار مشربشـا وأعطوه شبراً عندما شرب الخمرا
فلو ملكت مصر الفرنج وأنعمـوا عليه ببسوس تنصـر لـلأخـرى

وقال فيه وفي أخيه عماد الدين، وكان يذكر الدرس بالشافعي رحمه الله:

ولدى الشيخ في العلوم وفي الإم رة بالمـال وحـده والـجـاه
فأمـير ولا قـتـال عـلـيه وفقيه والعلـم عـنـد الـلـه

وكان لهم مع الاقطاعات المناصب الدينية، منها مدرسة الشافعي والمدرسة التي إلى جانب مشهد الحسين رضي الله عنه، وخانقاه سعيد السعدا؛ ولم تزل هذه المناصب بأيديهم إلى أن ماتوا.

وكان قد قدم دمشق ونزل في دار أسامة، فدخل عليه الشيخ عماد الدين

ابن النحاس وقال له يا فخر الدين، إلى كم? - يشير إلى تناوله للشراب - فقال له: يا عماد الدين والله لأسبقنك إلى الجنة، فاستشهد على المنصورة في الوقعة سنة سبع وأربعين وستمائة، وتوفي عماد الدين سنة سبع وخمسين فسبقه كما قال إلى الجنة، وحمل إلى القاهرة، وكان دفنه يوماً مشهوداً، وعمل له عزاء عظيم. وكان مولده سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة. ومن شعره:

صيرت فمي لفيه باللثـم لـثـام غصباً ورشفت من ثناياه مـدام
فاغتاظ وقال أنت في الفقه إمام ريقي خمر وعندك الخمر حرام

ومن شعره:

وتعانقنا فقل ما شيت في ماء وخمر
وتعاتبنا فقل ما شيت في غنج وسحر
ثم لما أدبر الليل وجاء الصبح يجري
قال إياك رقيبي بك يدري قـــلـــــت يدري

وقال:

في حبك هجـرت أمـي وأبـي الراحة للغير وحظي تـعـبـي
يا ظالم في الهوى أما تنصفنـي وحدتك في العشق فلم تشرك بي

وقال سيف الدين المشد يرثيه:

فض فم نهى لنـا يوم الخميس يوسفا
وا أسفا من بعـده على العلا وا أسفا

"بدر الدين الذهبي"

يوسف بن لؤلؤ الذهبي الأديب، بدر الدين الدمشقي الشاعر؛ كان والده لؤلؤ عتيق ولدرم الياروقي صاحب تل باشر. له نظم يروق الأسماع، ويعقد على فضله الإجماع، مدح الناصر ابن العزيز والكبار، وكن له بيت في الصادرية جوار جامع بني أمية. عاش ثلاثاً وسبعين سنة وتوفي رحمه الله في شعبان سنة ثمانين وستمائة. فمن شعره:

رفقاً أذبت حشاشة المـشـتـاق وأسلتها دمـعـاً مـن الآمـاق
وأحلته من بعد تسويف على الص بر الذي لم يبق منـه بـواقـي
وطلبت مني في هواك مواثـقـاً والقلب عندك في أشـد وثـاق
قلب بعين قد أصـيب وعـارض فأعده لي فالدمع ليس بـراقـي
أشقيق بدر التم طال وأطال فيك العاذلون

وتلـهـفـي شقـاقـي
أنفقت من صبر يعـلـيك وإنـه لرضاك لا لتمـلـق ونـفـاق
وصبا بعثت بها إليك فلـم تـعـد وأظنها حالت عن الـمـيثـاق
وبمهجتي المتحـمـلـون عـشـية والركب بـين تـلازم وعـنـاق
وحداتهم أخذت حجـازاً عـنـدمـا غنت وراء الظعن فـي عـشـاق
وتنبهت ذات الجنـاح بـسـحـرة بالواديين فـنـبـهـت أشـواقـي
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عـن يعقوب والألحان عـن إسـحـاق
قامت على ساق تطارحني الهـوى من دون صحبي بالحمى ورفاقـي
أني تبـارينـي جـوى وصـبـابة وكآبة وهـوى وفـيض مـآقـي
وأنا الذي أملي الجوى من خاطري وهي التي تمـلـي مـن الأوراق
ولقد صفحت عن الزمـان لـلـيلة عدل الحبيب بها وجار السـاقـي
بسـلافة الأقـداح ذا يسـعـى وذا يعطو بسـالـفـتـيه والأحـداق
وقال يتذكر أيام شبابه ومـلاعـب أترابه ويصف طيور الـواجـب:
هل ذاك برق بـالـغـوير أنـارا أم أضرموا بلوى المحصب نـارا
فكلاهما إن لاح من هضب الحمى لي شـائق ومـهـيج تـذكــارا
فبم التعلل والشـبـاب مـنـكـب عني وقد شط الحـبـيب مـزارا
وقد استرد الدهر أثواب الـصـبـا وكذاك يرجع ما يكـون مـعـارا
فارفق بدمعك في الفراق فما الذي يبقى لـيسـقـي أربـعـاً وديارا
ودع النسيم يراوح القـلـب الـذي أورى زناد الـشـوق فـيه أوارا
مع أنني أصبو إلى بان الـغـضـا إن شمت برقاً أو شممت عـرارا
فاليوم لا دار بمنـعـرج الـلـوى تدنو بمحـبـوب لـنـا فـتـزارا
كلا ولا قلبي المشوق عنـهـم فـأنـدب دمـنة وديارا

بـصـابـر

فسقى اللوى لا بل سقى عهد اللوى صوب الغمائم هـامـياً مـدرارا

ولقد ذكرت على الصراة مـرامـياً تنسي بحسن وجوههـا الأقـمـارا

وعلى الحمى يوماً ونحن بلهـونـا نصل النهار ونقطـع الأنـهـارا

في فتية مثل النجوم تـطـلـعـوا وتخيروا صدق المقـال شـعـارا

من كل نجم في الدياجي قـد لـوى في كفه مثـل الـهـلال فـدارا

متعطفـاً مـن حـزم داود الـذي فاق الأنـام صـنـاعة وفـخـارا

والآن قد حن المشوق إلى الحمـى وتـذكـر الأوطـان والأوطـارا

وصبا إلى البرزات قلب كـلـمـا طارت به خزر اللغـالـغ طـارا

فلأي مرمى أرتمـيه ولـيس لـي قوس رشيق مـدمـج خـطـارا

وأغن أحوى كالـهـلال رشـيقـاً بل راشقاً بغـروضـه سـحـارا

جبل على ضعفي إذا استعطفـتـه ألوى علي العنـق والـدسـتـارا

وبوجهه المنـقـوش أولـمـا بـدا وبه أقـم وأقـعـد الـشـطـارا

وبدا بتجريمـي بـلا سـبـب بـدا مني وأودعـه الـرمـاة مـرارا

يا حسنه من مـخـلـف لـكـنـه في الجو عال لا يسـف مـطـارا

ويطير عن مـقـامـي عـاضـداً ولشقوتي لا يدخـل الـمـقـدارا

لا بندقي مهما خـطـوت ينـالـه أنـي ينـال مـراوغـاً طـيارا

وسنان من خزر اللغالـغ لـم يزل يرعى الرياض وليس يرعى الجارا

لا قادم بـل راحـل عـنـي إلـى ماء الفرات يخوض منه غـمـارا

أو ما تراني فاقـداً ومـنـعـمـاً في الجو ليلاً خلـفـه ونـهـارا

دعني فقد برد الهـواء وقـد أتـى أيلول يطفيء للـهـجـير مـارا

ووراءه تـشـرين جـاء عجلان يحدو للسحـاب
بـرعـده قـطـارا
والبارق الهامي على طلل الحمـى سدى هـنـاك خـيوطـه
وأنـارا
والفيض طـام مـاؤه مـتـدفـق والطـير فـيه يلاعـب الـتـيارا
والنهر جن به فراح مـسـلـسـلاً صب تـحـير لا يصـيب قـرارا
بهر النواظر حين أنبـت شـطـه للناظرين شـقـائقـاً وبـهـارا
والصبح في آفاقه يا سـعـد أخفى النجوم وأطلـع
قـد الـغـرارا
فانهض إلى المرمى الأنيق هب الصباح ونـبـه الأطـيارا
بنا فقد
وتتابعت جفاتهـا فـي مثل النعام قـوادمـاً تـتـبـارى
أفـقـهـا
من جو زوراء العراق يا مرحبـاً بـقـدومـهـا زوارا
قـوادمـاً
فأصخ إلى رشق القسي إذا مثل الحريق أطار عنـه
ارتمت شـرارا
واطرب إلى نغمات أطيار في الجو وهي تجاوب
بـدت الأوتـارا
من كـل طـيار كـأن لـه عند الرماة فثار يبغـي
دمـاً الـثـارا
هل جاء في طلب القسي أم جاء يطلب عنـدهـا
لحتفـه الأوتـارا
خاض الظلام وعب فيه رجلين منه وسود الـمـنـقـارا
فسـود ال
وأتى يبشر باللقاء تلك المغارز عنبـراً ونـضـارا
فـضـمـخـت
والكي كالشيخ الـرئيس في بـردتـيه هـيبة ووقـارا
مـزمـل
يسطو على الأسماك يوماً أذكى له حـر الـمـاعة نـارا
كلـمـا
والوز كم قد هاجنا بـنـغـيمـه ليلاً وكم قد شاقـنـا
أسـحـارا
فإذا بدا ضوء الصباح ثـنـى عطفاً وصفق بالجنـاح
لـه وطـارا
وترى اللغالغ تستـبـيك خزرية صفر الجفون صـغـرا
بـأعـين

فكأن ورساً ذيب في أجفـانـهـا فحكى النضار وحير النـظـارا
وترى الأنيسات الأوانس تنقضـي بين الرياض كأنـهـن عـذارى
يسلبن أرباب العقول عقـولـهـم ويرغن مـنـه حـيلة ونـفـارا
وترى الحبارج كالقطا أرياشـهـا أو كالرياض تفتـحـت أزهـارا
هجرت منازلها على برح الظمـا واسـتـبـدلـت دوية وقـفـارا
والنسر سلطـان لـهـا لـكـنـه لم يلقهـا لـدمـائهـا مـهـدارا
قد شاب منه رأسه من طول مـا كرت علـيه عـصـوره الأدورا
أرخى جناحيه عليه كـجـوشـن لو كان يمـنـع دونـه الأقـدارا
وإذا العقاب سطا وصال بكـفـه عاينت منـه كـاسـراً جـبـارا
يعطي ومينع غـيرة وتـكـرمـاً ويبيح ممنوعـاً ويمـنـع جـارا
وترى الكراكي كالرماد وربـمـا قرقت فأذكت في القلوب النـارا
قد سطرت في الجو منها أسطـر وطوت سجل سخائها أسـفـارا
فإذا انصرعن فلاتكن ذا غـفـلة عن أن تنقط حـلـيهـن مـرارا
وبدت غـرانـيق لـهـن ذوائب لولا البياض لخلتـهـن عـذاري
حمر العيون تدير من أحـداقـهـا فينا كؤوساً قد مـلـين عـقـارا
والصوغ في أفق السماء محـلـق مثل الغمام إذا استـقـل وسـارا
ذو مغرز ذرب فلو يسـطـو بـه فضح السنان وأخجل الـبـتـارا
ومرازم بيض وحمـر ريشـهـا كالورد بين الياسـمـين نـثـارا
خفقت بأجنحة علـى مـحـمـره كمراوح أضرمن منه جـمـارا
وعجبت كيف صبت إلى صلبانهـا تلك الرماة وما هم بـنـصـارى
وشبيطـر مـا إن يحـل لـه مهما علا شجراً وحـل جـدارا

دم

الشرط فـيه إلـفـه لـمـنـازل فاصبر له حـتـى يفـارق دارا

وكأنما الـعـنـاز لـمـا أن بـدا لبس السواد على البياض غـيارا

وكأنه قد ضاق عـنـه مـزرراً فوق القميص فحـلـل الأزرارا

هل عب في صرف العقار بمغرز أم كان خاض من الرماء بحـارا

خذ مالكي وصف الجليل منقـحـاً يا سعد واقض برمها الـوطـارا

واستغنم اللذات في زمن الصـبـا لا زال كفك لـلـنـدى مـدرارا

وقال أيضاً:

لو بلغ الشوق هذا البـارق الـسـاري أو بعض وجدي الذي أخفي وتذكـاري

ما بت أرعى الدجى شوقاً إلى قـمـر ولا معنى بـطـيف طـارق طـاري

جيراننا كنتم بـالـرقـمـتـين فـمـذ بعدتم صار دمعي بـعـدكـم جـاري

فكم أواري غراماً مـن جـوى وأسـى زناده تحت أثـنـاء الـحـشـا واري

وكم أداري فـؤاداً عـز مـطـلـبـه يوم اللوى وأداري الـوجـد بـالـدار

أشتاق إن نفحت بالغـور ريح صـبـا تهدي شذا شيخه المطلـول والـغـار

وقد أنحلتني الغـوانـي غـير راحـمة وعقتني الـلـيالـي بـعـد إبـداري

وأضرمت أضلعـي نـاراً مـؤجـجة وحيرت أدمعي في الـعـين يا حـار

فصرت كالسيف يغضي الجفن منه على ماء ويطوى الحشا منه عـلـى نـار

ذكرت عيشاً على لبـنـان جـدد لـي من عهد لبني صبابـاتـي وأوطـاري

فراجع القلب مـن أطـرابـه طـرب وعاود العين طيف مـنـهـم سـاري

فبت بالدمع كـالـغـدران طـافـحة مني على ناقض لـلـعـهـد غـدار

فيا له من غرير غـر بـي طـمـعـاً بموعـد مـن خـيال مـنـه غـرار

بقـامة وعـذار حـول وجـنـتــه قامت بها وبه في الـحـب أعـذاري

ألقى إليه القنا الخطار مـقـتـحـمـاً ولا أبـالـي بـأهـوال وأخـطــار

أغن ألمى رشـيق الـقـد مـعـتـدل رخص البنان كحيل الطرف سـحـار

قد زنر الخصر منه بالـنـحـول وقـد أغنـاه إفـراطـع عـن شـد زنـار

يسعى بشمسـية كـالـشـمـس دائرة على مـزاهـر قـينـات وأزهـار

تكلـلـت بـلآل مـن فـواقـعـهـا وزررت طـوقـهـا مـنـه بـأزارا

صهباء من عهد كسرى حين عتقـهـا في دنهـا وبـه كـانـت بـذي قـار

قد أمطرت راحة الساقي الكؤوس لنـا فأنتـبـتـتـهـا رياضـاً ذات نـوار

تألفت مثل زهر الروض عن حـبـب فنـحـن مـا بـين نـوار وأنــوار

صلى المجوس إليها واصطلوا لـهـبـاً منها فصلوا لذات الـنـور والـنـار

وسبح القوم لـمـا أن رأوا عـجـبـاً في أكؤس الراح نواراً عـلـى نـار

في فتية هم أباحـوا قـتـلـهـا بـيد لكاعب معصـر أو رجـل عـصـار

على اصطخاب المثاني كان سفكـهـم دمـاءهـا بـين عـيدان وأوتــار

ثارت لتقتص من قوم فمـا بـرحـت في حث كاس على الوتـار والـثـار

فالقوم من بعض قتلاها وما ظلـمـت وإنـمـا أخـذت مـنـهـم بـأوتـار

فاخلع عذارك والبس من أشـعـتـهـا ولا تكونن مـن كـاس لـهـا عـار

ولا تطع أمر لاح فـي هـوى رشـأ وكاس راح فمـا الـلاحـي بـأمـار

وقال رحمه الله تعالى:

تذكر ربعاً بـالـشـآم ومـربـعـا وملهى لأيام الشبـاب ومـرتـعـا

فعاوده داء مـن الـشـوق مـؤلـم أصاب حرارات القلوب فأوجـعـا

على حين شطت بالفـريق ركـائب وأسرى بها الحادي الطروب فأسرعا

وأتبعهم قلباً مطيعاً على الغضا وخليت لي جفناً على السفح أطوعا
وساروا يؤمون الكثيب وخلفوا ال كئيب المعنى في الديار مضيعا
يكابد حر الشوق بعد رحيلهم وفرط التشكي والحنين الموجعا
وأوجع من هذا وذلك كله شباب أراه كل يوم مودعا
تولى وأبقى في الجوانح حرقة وأودع قلبي حسرة حين ودعا
وعاجلني صبح من الشيب قبل أن أهوم في ليل الشباب وأهجعا
وحجب عني الغانيات كأنه بياض علي العينين والفود أجمعا
فيا ربة الخلخال والخال على مغرم لولا النوى ما تضعضعا
ولا تذكريني الواديين ولا تري لعيني أطلال الديار فتدمعا
فلولاك ما حن المشوق إلى الحمى ولا شام برق الشام من سفح لعلعا
ولا راح يستسقي سقيط دموعه لسقط بنعمان الأراك وأجرعا
ومما شجاني في الصباح حمامة تحرك بالشجو الأراك المفرعا
تذكرني أيامنا بسويقة وليلاتنا اللاتي مضت بطويلعا
فقلت لها لا تظهري من لواعج فنوناً بأفنان الأراك تصنعا
فغصنك قد أضحى عليك منعماً وغصني قد أمسى علي ممنعا
بلى طارحيني ما شجاك فكلنا على غصن نبدي الأسى والتفجعا
وذيهيف عذب اللمى زارني وقد تلفع خوفاً بالدجى وتدرعا
فبت أعاطيه الحديث منمقاً وبات يعاطيني العتيق مشعشعا
إلى أن دعا داعي الفلاح ولم يكن سوى أنه داع على شملنا دعا
ولم أدر أن الصبح كان مراقباً لنا من وراء الليل حتى تطلعا
فقام كظبي الرمل وسنان يكفكف من خوف التفر

خـائفـاً أدمـعـا
"فلما تفرقنـا كـأنـي ومـالـكـاً لطول اجتماع لم نبت ليلة مـعـا"
فسحقاً لدهر لم أزل من صـروفـه بنـابة فـي كـل يوم مـروعـا
إلى غرضي الأقصى يسدد سهمـه وعهدي به لم يبق في القوس منزعا
فحتام لا أنـفـك أشـكـو لـيالـياً ودهراً بتفريق الأحـبة مـولـعـا
وقد زجرتني الأربعون فـلـم تـدع لي الآن في وصل الكواكب مطمعا
ومر الشباب الغض مني فمذ نـأى تتابعه العـيش الـلـذيذ تـتـعـا
وكانت بأحناء الضلـوع حـشـاشة فأسبلتها فوق المحاجـر أدمـعـا

وقال أيضاً:

بدا صدغ من أهواه في ماء خـده فحيرني لما التوى وتعـقـربـا
"وقالوا يصير الشعر في الماء حية فكيف غدا في ذلك الخد عقربـا"

وأنشدني الحاج الدين الذهبي قال، أنشدني بدر الدين لنفسه وقد تواترت الأمطار بدمشق:

إن أقام الغيث شهراً هـكـذا جاء بالطوفان والبحر المحيط
ما هم من قوم نوح يا سـمـا أقلعي عنهم فهم من قوم لوط

وقال في مليح بوجهه حب الشباب:

تعشقته لدن القوام مهـفـهـفـاً شهي المنى أحوى المراشف أشنبا
وقالوا بدا حب الشباب بوجـهـه فيا حسنه وجهاً إلي مـحـبـبـا

وقال في النجم العيادي الكحال، وقد كحل غلاماً غدوة ومات النجم في عشية ذلك النهار:

يا قوم قد غلط الحكيم وما دري في كحله الرشأ الغرير بطبه
وأراد أن يمضي نصال جفونه ويحدها لتصيبنا فـبـدت بـه

وقال أيضاً:

هلم يا صاح إلـى روضة يجلو بها العاني صدا همه
نسيمها يعثـر فـي ذيلـه وزهرها يرقص في كمه

وقال أيضاً:

أدر كؤوس الراح في روضة قد نمقت أزهارها السحـب
الطير فيها مـغـرم شـيق وجدول الماء بـهـا صـب

وقال أيضاً:

لم لا أهيم إلى الرياض وطيبها وأبيت منها تحت ظل ضافي
والزهر يلقاني بثغر بـاسـم والماء يلقاني بقلب صافـي

وقال:

أرأيت وادي النيربـين، ومـاؤه يبدي لناظرك العجيب الأعجبـا
يتكسر الماء الزلال على الحصى فإذا غدا بين الرياض تشعـبـا

وقال في دولاب:

وروضة دولابـهــا إلى الغصون قد شكا
من حيث ضاع زهرها دار علـيه وبـكـى

وقال:

رب ناعـوة روض بات يندى ويفـوح
تضحك الزهار منها وهي تبكي وتنوح

وقال:

رفقاً بصـب مـغـرم أبليته صداً وهـجـرا
وافاك سـائل دمـعـه فرددته في الحال نهرا

وقال:

يا عاذلي فيه قل لي إذا بدا كيف أسلوا
يمر بي كل وقت وكلما مر يحلو

وقال:

باكر إلى الروضة تستجلهـا فثغرها في الصبح بـسـام
والنرجس الغض أعراه الحيا فغض طرفاً فيه أسـقـام
وبلبل الدوح فصيح على ال أيكة والشحرور تـمـتـام
ونسمة الريح على ضعفهـا لها بـنـا مـر وإلـمـام
فعاطني الصهباء مشمـولة عذراء فالـواشـون نـوام
واكتم أحاديث الهوى بـيـنـن في خلال الروض نـمـام

وقال أيضاً في معذر:

صدوا وقد دب العذار بخـده ما ضرهم لو أنهم جبـروه
هل ذاك غير نبات خد قد حلا لكنهم لما حـلا هـجـروه

وقال وقد أحيل على ديوان الحشر:

أمولاي محيي الدين طال تـرددي لجائزة قد عيل من دونها صبري
وقد كنت قبل الحشر أرجو نجازها فكيف وقد صيرتموها إلى الحشر

وقال في نجم الدين ابن اسرائيل، وكان النجم قد هوي مليحاً يلقب بالجويرح:

قلبك اليوم طائر عنك أم في الجوانح
كيف يرجى خلاصه وهو في كف جارح

ثم بلغه أنه تركه فكتب إليه:

خلصت طائر قلبك العاني من جارح يغدو به ويروح ترى
ولقد يسر خلاصه إن كنت قد خلصته منه وفيه روح

وقال في مليح وراق:

خليلي جد الوجد واتصل وضاقت على المشتاق في الأسى قصده السبل
وقد أصبح القلب المعنى معنى بوراق وما عنده كما ترى وصل

وقال في زهر اللوز:

الزهر أحسن ما رأي ت إذا تكاثرت الهموم
تحنو علي غصونه ويرق لي فيه النسيم

وقال فيه أيضاً:

عرج على الزهر يا نديمي ومل إلى ظله الظليل
فالزهر يلقاك بابتسام والريح تلقاك بالقبول

وقال ملغزاً في السرطان:

ما اسم إذا ما أنت صحفته صار مثنى باعتبارين
في الراس والعين يرى دائماً وهو بلا راس ولا عين

وقال في واقعة:

ومعذر قد بيتته جماعة ولووا بما وعدوه طول الليل
واكتاله كل هناك وما رأى منهم سوى حشف وسوء الكيل

وقال أيضاً:

حلا نبات الخد يا عاذلي لما بدا في خده الأحمر
فشاقني ذاك العذار الذي نباته أحلى من السكر

وقال في الشمعة:

وذات قد أهيف فؤادها قد التهب
كصعدة من فضة لها سنان من ذهب

وقال فيها:

وشمعة وقفت تشكو لنا وأدمعاً لمتزل تهمي حرقاً سواكبها
وحيدة في الدجى من طول تكابد الليل قد شابت ما مكثت ذوائبها

وكتب إلى صاحب له:

شوقي إليك مع البعاد عني خطاي وقصرت أقلامي تقاصرت

واعتلت النسمات فيما بينـنـا مما أحملها إلـيك سـلامـي

وقال في مليح يلقب بالشقيق:

يا قامة الغصن الرطيب إذا انثنى ولوى معاطفه نـسـيم الـريح

أشقيق روض أنت يا بدر الدجى بالله قل لي أم شقـيق الـروح

وقال في مليح رفا:

وبمهجتي الرفا الذي فضح الذوابل لينه

لم يرف قلب متـيم قد مزقته جفونـه

وقال في مليح اسمه داود:

قد كنت جلداً في الخطوب إذا عرت لا تزدهيني الـغـانـيات الـغـيد

وعهدت قلبي من حديد في الحشـا فألانـه بـجـفــونـــه داود

وقال في الذهبيات:

انظر إلى الأغصان كيف تذهبت وأتى الخريف بحمرها وبصفرها

تحلو شمائلـهـا إذا مـا أدبـرت وتزيد حسناً في أواخر عمرهـا

وقال في الكاس المصورة:

انظر إلى صور الفوراس إذ بدت بالخيل في كاس المدامة ترتمي

ما بين طاف في المدام وراسـب كفوارس الهيجاء تسبح في الدم

وقال:

ورياض وقفت أشجارهـا وتمشت نسمة الصبح إليها

طالعت أرواقها شمس الضحى بعد أن وقعت الورق عليهـا

وقال:

وجنان ألفتهـا إذ تـغـنـت فوقها الورق بكرة وأصيلا

نهرها مسرعاً جرى وتمشت في رباها الصبا قليلاً قليلا

وقال في مليح يلقب بالشهاب:

يا قضيب الأراك عند التثنـي هز عطفيه حين ماس الشباب

عجباً كيف ضل فيك المحبـو ن بليل الأسى وأنت شهـاب

وقال في مليح أراد تقبيله في فمه فامتنع فجاءت القبلة في خده:

منعت ارتشاف الثغر يا غاية المنى وزحزحتني منه إلى خدك القاني

لئن فاتني منه الأقاحي فـإنـنـي حصلت على ورد جني وريحـان

وقال، وكان يبات كثيراً بالجامع الأموي:

طال نومي بالجامع الرحب والبر د مبيدي وليس منـه خـلاص
كيف أدفا فيه وتحـتـي بـلاط ورخام حولي وفوقي رصاص

وقال:

لا تلحني اليوم في ساق وصهباء وسقني كاسها صرفاً بـلا مـاء
وأنف الهموم بها عني فقد كثرت آلامها واشف ما بالقلب من داء
عذراء مشمولة تطفو فواقعـهـا كأنها أدمع فـي خـد عـذراء
أبدي الحباب لها خطاً فأحسن مـا قد كان حرر من ميم ومن هـاء
قديمة ذاتها في روض جنتـهـا كانت وكان لها عرش على الماء

وقال يذكر بوعد:

إني أكذر مولانا الأمـير ومـا أظنه ناسي الوعد الذي ذكـرا
ولادوح يبدي الجنى لكن أغصنه لو لم تهز لما ألقت لك الثمـرا

وقال في مليح نجار:

بروحي نجار حكى الغصـن قـده رشيق التثني أحول الطرف وسنان
يميل على الأعواد قطعاً بما جنـت وما سرقت الناس قده وهي أغصان

وقال يحذر من صحبة الناس:

لا ترم في الدنو وداً من الـنـا س وإن كنت عندهم مشكوراً
ودهم في الدنو منهـم قـلـيل فإذا ما بعدت كـان كـثـيراً
وكذا الشمس والهلال اصطحاباً كلما زاد بـعـده زاد نـورا

وقال في مليح يسمى زهر السفرجل:

أحن إلى الأزهار ما هبت الصبـا وما ناح في الأيك الحمام المطوق
وأشتاق زهر اللز كـل عـشـية وإني إلى زهر السفرجل أشـوق

وكتب إلى شهاب الدين السنبلي يعرض بطلب فحم:

جاء الشتاء الغث يا سـيدي بل يا شهابي في دجى الهم
وفصله البارد قد جاءنـي منه بكانون بـلا فـحـم

وقال من قصيدة:

وأرقني خيال مـن حـبـيب تناءت داره حـتـى نـآنـي
فيمن سهري يلـم فـمـا أراه ومن سقمي يطوف فما يراني

وقال أيضاً:

أمولاي أشكو إليك الخمـار وما فعلت بي كؤوس العقار
وجور الساقة التي لم تـزل تريني الكواكب وسط النهار

"محيي الدين ابن زيلاق"

يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم، الصدر محيي الدين ابن زيلاق العباسي الهاشمي الموصلي الكاتب الشاعر؛ مولده سنة ثلاث وستمائة، وقتله التتار حين ملكوا الموصل في سنة ستين وستمائة.

قال بهاء الدين ابن الفخر عيسى في وصفه: الصاحب محيي الدين يضرب به المثل في العدالة، وله الرتبة العليا في الشرف والأصالة، وكان شاعراً مجيداً فاضلاً حسن المعاني، رحمه الله. فمن شعره ما كتبه إلى بعض أصحابه وهو بدمشق يصفها:

أدمشق لا زالت تجـودك ديمة ينمى بها زهر الرياض ويونق
أهوى لك السقيا وإن ضن الحيا أغناك عنه ماؤك المتـدفـق
ويسر قلبي لو تصح لي المنى أني أنال بك المـقـام وأرزق
وإذا امرؤ كانت ربوعك حظه من سائر الأمصار فهو موقف
أني التفت فجدول متسلـسـل أو جنة مرضية أو جـوسـق
يبدو لطرفك حيث مال حـديقة غناء نور النور منها يشـرق
يشدو الحمام بدوحها فكأنـمـا في كل عود منه عود مورق
وإذا رأيت الغصن ترقصه الصبا طرباً رأيت الماء وهو يصفـق
لبست جنان النيربين محاسـنـاً وقفت عليها كل طرف يرمـق
فحمامها غرد ونبت رياضـهـا خضل وركب نسميها مترفـق
وسرت لداريا المعطر تربـهـا ريا ذكي المسك منها يعـبـق
وترى من الغزلان في ميدانهـا فرقاً أسود الغيل منها تـفـرق
من كل وسنان الجفون سهران من وجد عليه مـؤرق

محـبـه مـخـيم
حيث الهوى في جانبيه تعـنـق وخيول فرسان الشبيبة
والقاصدون إلـيه إمـا شـائق متنزه أو عاشـق مـتـشـوق
صفان هذا باسم عـن ثـغـره عجباً، وهذا بالمامـع يشـرق
هذي المنازل لا أثيلات الحمـى بعداً لهن ولا اللـوى والأبـرق
لا تخدعن فما اللذاذة والـهـوى ومواطن الأفـراح إلا جـلـق

خذه الخدمة - حرس الله مجد المجلس العالي، وجعل السعادة من صحبه، والأيام من حزبه، والمكرمات من كسبه، وأهدى القرة إلى طرفه والمسرة إلى قلبه، وأوجب له لباس الإقبال ولا روعه بسلبه، وعوض عن الوحشة ببعده الإيناس بقربه - نائبة عن مسطرها في تقبيل يده الكريمة، ووصف مسراته النازحة وأحزانه المقيمة، وشكاية ما أجداه البعد من تحرقه وتلهفه،ووفرته الغيبة من تشوقه إلى الحضرة السامية وتشوفه، هذا مع أن الذكرى تمثل شخصه فلا يكاد يغيب، ويناجيه الخاطر وهو بعيد كمناجاته وهو قريب، وبحسن ذلك أورد هذه الخدمة مطولاً، وأفاض فيها مسترسلاً، متأنساً بمفاوضته، ومتذكراً أوقات محاضرته، وراغباً أن يريه دمشق بعين وصفه، ويثبت نعتها لديه فكأنها حيال طرفه، وأول ما يبدأ بوصف الرحلة إليها ويقول: إن الزمان صورها للنظر قبل الإشراف عليها، فقدمناها والفضل ربيع، ومنظر الروض بديع، والربى محضرة أكنافها، مائسة أعطافها، تبكي بها عيون السحاب فتتبسم، وتخلع عليها ملابس السباب فتتقمص وتتعمم، فما أتينا على مكان إلا وجدنا غيره أحق بالثناء وأجدر، ولا أفل بدر من الزهر إلا بزغت شمس فقلنا هذا أكبر، حتى إذا بلغت النفس أمنيتها، وأقبلنا على دمشق فقبلنا ثنيتها، رأينا منظراً يقصر عنه المتوهم، ويملأ عين الناظر المتوسم، ظل ظليل، ونسيم عليل، ومغنى بنهاية الحسن كفيل، يطوى الحزن بنشره، ويقف قدر البلدان دون قدره، فيصغر عند صفته شعب بوان، ويغمد في مفاصله سيف غمدان، ويبهت لمباهاته ناظر الإيوان، فالأغصان مائسة في سندسيها، متظاهرة بفاخر حليها، قد ألقحتها الأنهار فأثقلتها بحملها، ولا عبتها الصبا فتلقت كل واحدة بمثلها:

لها ثمر تشـير إلـيك مـنـه بأشربة وقفـن بـلا أوانـي
وأمواه يصل بها حـصـاهـا صليل الحلي في أيدي الغواني

فسرنا منها بين جنات، كظهور البزاة، وجداول كبطون الحيات، قد هز الشوق أطيارها فصدحت، وحرك النسيم رباها فنفحت، فحنت عليها أفنانها حنو الوالدات على اليتيم، وحجبت عن معارضتنا حاجب الشمس وأذنت للنسيم، فإذا أصابت شمسها فرجة لاحظتنا ملاحظة الحياء، وألقت فضة الماء شعاعها فصححت صنعة الكيمياء؛ ثم أفضينا إلى فضاء قد أثرى من الروض ثراه، وغني عن منة السحاب ذراه، قد تشابه فيه الشقيقان خداً وزهرا، واقترن به الياسمين أقاحاً وثغراً، وتغاير أخضراه آساً وعذارا، وأصفراه عاشقاً وبهاراً، فأي هم لا تطرده أنهارها المطردة، وفرح لا تجليه

أطيارها المغردة. ولما وصلنا إلى محلها الذي هو مجتمع الأهواء، ومقر السراء، ومقتنص الظباء، واستوطنا وطنها الذي هو للظامي نهلة، وللمستوفز عقلة:

أجد لنا طيب المكان وحسنه منى فتمنينا فكنت الأمانـيا

هذا مع إكثاره لا يبلغ اليسير من نعتها، وما نرى آية من الحسن إلا هي أكبر من أختها:

وإن دمشقاً وهي في الأرض جنة محاسنها للبعد عنـك مـعـايب

والله تعالى يجمع الشمل على الإيثار، ويملأ أوطان المولى باليسار. تمت.

ومن شعر ابن زيلاق، رحمه الله تعالى:

إلى الله أشكو هاجري ومعنفي عليه فكل جائر في احتكامه

حبيب نأى عني الكرى بـمـلالـه وواش دنا مني الأسى بمـلامـه

غريب المعاني قام عذر صبابتـي بحسن عذاربـيه ولـين قـوامـه

له هيف الغصن الرطيب ولـينـه ولي من تجنيه بكـاء حـمـامـه

تفرد قلبـي دونـه بـهـمـومـه وشارك جسمي خصره في سقامه

سقى الله ليلاً حين جاد بـوصـلـه وقد كان لا يسخو بـرد سـلامـه

فطاف كمثل الظبي عند التفـاتـه بحمراء مثل الجمر عند اضطرامه

كسا المزج أعلاها حبابـاً كـأنـه ثناياه أبداهن حسن ابـتـسـامـه

شككنا فلم نعرف أمنظوم عـقـده من الدر أم من ثغره أم كـلامـه

ولم ندر هذا السكر من سحر طرفه ومن خده والريق أم من مـدامـه

وقال أيضاً:

يفديك جفـن بـمـائه شـرق جار عليه الـبـكـاء والأرق

ومهجة لم تزل حشاشـتـهـا منك بنار الجفاء تـحـتـرق

يا قمراً أصبحت محـاسـنـه تنهب ألبابـنـا وتـسـتـرق

تجمعت فيك للـورى فـتـن على تلاف النفوس تـنـفـق

طرف كحيل ووجنة كـسـيت حمرة دمعي ومبـسـم يقـق

جالت على عطـفـه ذوائبـه كالغصن زانت فروعه الورق

رأوك لي بجـنة مـعـجـلة ما وجدوا مثلهـا ولا رزقـوا

هم حسدوني عليك فاختلـفـوا بكل زور عليك واختلـفـوا

سعوا بتفريقنا فلا اجتمعوا على وصال يوماً ولا اتفقوا
فأين كانوا وأدمعي بدد تركض في وجنتي وتستبق
ومقلتي حشوها السهاد وأح ناء ضلوعي تعتادها الحرق
ماذا يضر الوشاة أنهم رقوا لقلبي الموجوع أو رفقوا
بمن كسا وجنتيك من حلل ال حسن رياضاً نسيمها عبق
وأطلع البدر من جبينك مح فوفاً بصدغ كأنه الغسق
لا تثن عطفاً إلى الوشاة فما سلاك قلبي لكنهم عشقوا
أنت بحالي أدري وحالهم قد وضحت في حديثنا الطرق
ما كنت يوماً إليك معتذراً لو أنهم في مقالهم صدقوا

وقال أيضاً:

أظهرت حسن معانيه الشمول فاختفى اللائم واستحيا العذول
وثنت منه الحميا قامة علمت بأن الحمى كيف يميل
رشأ يفتك في عشاقه صارم من لحظه الساجي صقيل
أصل وجدي فيه فرع مرسل مثل ليلي فاحم اللون طويل
وفم عذب وثغر أشنب خصر من برده يشفي الغليل
أنا للجفوة منه قابل ولأعباء تجنيه حمول
وأمور الحب من أعجبها أن ترى القاتل يهواه القتيل

وقال أيضاً:

لك السلامة من وجدي ومن حرقي وما تعانيه أجفاني من الأرق
أردت فينا كؤوس الشوق مترعة وأسكرتنا حمياها فلم نفق
يا مظهراً بمحياه وطرته فضيلة الجمع بين لاصبح والغسق
حملت مهجتي الأسقام فاحتملت وزدتها بعده بعداً قلم تطق
مهما نسيت فلا أنسى زيارته في خفية لابساً ثوباً من الفرق
نشوان تستر عطفيه ذوائبه كما اكتسى الغصن الميال بالورق

يسعى إلي براح من مـقـبـلـه يلذ مصطبحي فيها ومغـتـقـي
لا أسأل الليل عن بدر السمـاء إذا رقدت فيه وبدر الأرض معتنقي

وقال أيضاً:

ثنى مصل قد السمهري ولينـه وجرد عضباً مرهفاً من جفونه
وبات يرينا كيف يجتمع الدجـى مع الصبح في أصداغه وجبينه
وكيف قران الشمس والبدر كلما غدا يلثم الكاس التي بيمـينـه
وبت أفديه بنفـس بـذلـتـهـا غراماً لمحفوظ الجمال مصونه
وأرخص دمع العين وجداً بمبسم يقابله مـن دره بـثـمـينـه
سقى ذلك الوادي وإن فتكت بنا نحور حواريه وأعين عـينـه
ولا زال مبيض الأقاحي ضاحكاً به كل منهل الغمام هتـونـه

وقال أيضاً:

بعثت لنا من سحر مقلتك الوسنـى سهاداً يذود الجفن أن يألف الجفنـا
وأبرزت وجهاً يخجل البدر طالعـاً ومست بقد علم الهيف الغصـنـا
وأبصر جسمي حسن خصرك ناحلاً فحاكاه لكن زاد في دقة المعنـى
أسمراء إن أطلقت بالهجر عبرتـي فإن لقلبي من تباريحه سـجـنـا
وإن تحجبي بالبيض والسمر فالهوى يهون عند العاشق الضرب والطعنا
وما الشوق إلا أن أزورك معلـنـاً فلا مضمراً خوفاً ولا طالبـاً إذنـا
وألقاك لا أخشى الغيور وانثـنـي ولو حجبت أسد الشرى ذلك المغني

وقال أيضاً:

أريقته في الكأس أم صرف خمره وهذا حباب المزج أم سمط ثغره
يضوع بأيدينا وقـد قـام سـاقـياً بصنفيه من نشر المدام ونشـره
له جنة من وجـنـيتـه وإنـمـا تعارضنا من دونه نار هـجـره

وصبح جبين نعـتـدي بـضـيائه إذا ما ضلننا في غياهب شعـره
لئن كان دمعي مطلقاً بـجـفـائه ففي أسره قلبي المعنى بأسـره
وليل طويل العمر أحوى كـأنـه غدائر من أهـواه أو يوم غـدره
إذا خشيت فيه المنى من ضلالهـا هدانا إلى مطلبوها نـور بـدره

وقال أيضاً:

بدا لنا من جبينـه قـمـر تضل في ليل شعره الفكر
ظبي غرير في طرفه سنة يلذ فيها للعاشق السهـر
جديد برد الشباب حف بري حان وورد بخده نـضـر
ولا رعت مقلة نبات عـذا ريه فيحاج عنه تعـتـذر
جوامع الحسن فيه جامـعة فالقلب وقف عليه والبصر

وقال أيضاً:

ألم وأعين الرقـبـاء وسـنـى كما تم الهلال سـنـاً وسـنـا
ومال بعطفه مرح التصـابـي كما عطفت نسيم الروض غصنا
وخص رياض خـديه شـقـيق يلوح عليه خال عم حـسـنـا
وطاف بقهوة لم تـبـق فـيهـا مصاحبة الليالي غير معـنـى
فخلنا الشمس طالـعة عـلـينـا وقد برزت من الراووق وهنـا
فلا تحفل بأعمال المـصـلـى ولا تسأل بها طللاًومـغـنـى
ومل نحو الخلاعة والتصـابـي إذا فن مضـى جـددت فـنـا
وعاط الـكـأس أحـرو ذا دلال أغن يناسب الظبـي الأغـنـا
يظن حمامة تشـدو بـغـصـن إذا ما مال معـتـدلاًوغـنـى

وقال رحمه الله تعالى، موشح:

يا نديمي بـالـرياض قـفـا فهـي لـي مـذهـــب
وأديراها سلافـاً قـرقـفـا لونـهـا مـــذهـــب
خلت فيها الحباب حين صفـا أنـجـمـاً تـغـــرب
حجبت بالبهاء والـحـسـن عن عـيون الـشـــر
وبدت في الخفاء كالـوهـم تجـتـنـي بـالـفـكـــر
لا تخالف يا منيتـي أمـري وادعـنـي بـالـرحـيق
ما ترى صحبتي من السكـر ليس فـيهـم مـفـــيق
نحن قوم من شيعة الخـمـر ونـحـب الـعـتـــيق
قد نقضنا غـاية الـحـزن بسـمـاع الـــوتـــر
وحمانا من ناصـب الـهـم وعـدك الـمـنـتـظـر
صاح لا تستمع من اللاحـي واطـرح مـا يقـــول

فمن الغبن إن تبت صاحي من كؤوس الشمول
فاكس راح النديم بالراح واعص قول العذول
ما ترى العذل في الصبا يغني عن "..."
بنت خدر تشفي من السقم فاقض منها وطر
حث شمس الكؤس يا بدر فالندامى نجوم
واستقنيها كأنها تبر من بنات الكروم
ضحكت في ثغورها الزهر ببكاء الغيوم
وتغنت بأطيب اللحن صادحات الشجر
ناطقات بالسن عجم طاب شرب السحر
حثها بيننا رشاً وسنان نلت منه الأمان
ناعس الطرف بابلي الأجفان باسم عن جمان
قد سكرنا من لحظه الفتان قبل خمر الدنان
رب خمر شربت من جفن واجتنيت الزهر
من خدود تحمى عن اللثم بسيوف الحور

وقال أيضاً:

أمحل صبوتنا تحية مغرم يهدي السلام على البعاد برغمه
أثرى ثرى ذاك الجناب من الحيا ال غادي ومن لي لو ظفرت بلثمه
فبشعب ذاك الحي مثل غزاله في غنجه وهلاله في تمه
دمعي ومبسمه لكل منهما معنى غنيت بنثره وبنظمه
والخصر منه والجفون وعهده كل كسا جسمي النحول بسقمه
متلون أصلي بجمرة حربه طوراً وطوراً أستريح بسلمه
ويسيء بي فعلاً ويحسن ثغره لثماً فيشفع ظلمه في ظلمه

وقال أيضاً:

ما وجه عذرك والكؤوس تدار ضاقت بمن جهل الصبا أعذار
سفرت لك اللذات واتسعت بها ال أوقات واجتمعت لك الأوطار
ساق يسوق إلى السرور ومطرب حسن الغناء وروضة وعقار

أو ما ترى حسن الربيع وقد غدا يختـال فـي حـبـراتـه آذار
روض كما يرضي العيون يزينه زهر تسر بحسـنـه الأسـرار
وجداول نشـأت بـهـن حـدائق ضحكت خلال فروعها الأنـوار
وكأنما أشـجـارهـن عـرائس تجلى ومن در السحاب نـثـار
تشدو حمائمها ويرقص دوحـهـا غب الصبا وتصفـق الأنـهـار
فأدم لنا أفـراحـنـا بـمـدامة لم تتصل بصفـائهـا الأكـدار
حمراء تبدو في الكؤوس كأنهـا ذهب عليه من اللـجـين إزار
يسعى عليك بها غـريـر أهـيف نوم المحب إذا جـفـاه غـرار
وسنان فيه للغـزالة وابـنـهـا وجه وطرف فـاتـر ونـفـار
رشأ ولكن في القلوب كنـاسـه قمر ولـكـن أفـقـه الأزرار
ظهرت عذاراه فزادت وجـهـه نوراً وتشرق في الدجى الأقمار
وأفاك يحمل مثل ما فـي خـده ماء به تروي القـلـوب ونـار
في مجلس تمت لساكنه المـنـى وتكفلت بسـعـودهـا الأقـدار

وقال أيضاً:

سل عن فؤاد بنار الهجر تحرقه وناظر بتـجـنـيه تـؤرقـه
ولا ترج سلواً من غريم هـوى موكل بجديد الصبر يخـلـقـه
أهواه معتدل العطاف مائلـهـا يجور في إذا ما اهتز مورقـه
غصن ولكن بماء الحسن منبتـه بدر ولكن من الأزرار مشرقه
يجلو الظلام محياه ويعذب مـج ناه وتحلو ثناياه ومـنـطـقـه
ملاحة تسترق القلب رقـتـهـا ونظم ثغر يروق العين رونقـه
ثلاثة منه أعداني السقام بـهـا مجرى الوشاح وجفناه وموثقه
ألقى الرماح بقلب غير مكترث وأتقي طرفه الساجي وأفرقـه
فالأبيض العضب ما تبديه والأسمر اللدن ما يحويه

| مقلته | قرطقه |
| --- | --- |
| وقال أيضاً: | |
| قم لا عدمتك فالرياح تغربـل | والرعد يطحن والغمائم تنخـل |
| والمسك قد عجن الثرى بسحيقه | والعود يحرق والحميا تشعـل |
| والدن تنور تـوقـد جـرة ال | صهباء باطنه وفار المـبـزل |
| هي قوت أرواح عنت بحصادها ال | أيدي كما اكتنف الدياس الأرجـل |
| اللون تبر والـحـقـيقة جـوهـر | والريح مسك والمـذاقة فـوفـل |
| والبرد قد ولى فـمـالـك راقـداً | متـدثـراً يا أيهـا الـمـزمـل? |
| أو ما ترى فصل الربيع وحسـنـه | والروض يضحك والحيا يتهـلـل |
| والغيم كالكافـور ينـثـر لـؤلـؤاً | والجومسك والغدير مـصـنـدل |
| أبدت بدائع زهـرهـا لـك جـنة | قد زخرفت فنعيمها متـعـجـل |
| نسجت يدا الإبداع وشي رقومـهـا | فلأجل ذاك النسج عيني تـغـزل |
| فمحمر ومـصـفـر ومـبـيض | وموطـس ومـريش ومـكـلـل |
| ومدبـج ومـكـتـب ومـذهـب | ومفضض باللازورد مـكـحـل |
| جل المكون أعـينـا مـا زانـهـا | كحل ومبدع صبغة لا تـنـصـل |
| فإذا اجتليت فكـل شـبـر نـزهة | وإذا ظمئت فكل بـاع مـنـهـل |
| فهزارها شحرورها ورشـانـهـا | سمانها دراجـهـا والـبـلـبـل |
| هذا يجاوي ذا بأحسـن مـنـطـق | فإذا شدا الـثـانـي أعـاد الأول |
| وتقيم مأتمها الفواخـت سـحـرة | فكأنهـن مـفـجـعـات ثـكـل |
| وعلى الغدير شباك تبر حـاكـهـا | شمس الضحى وسنا دروع تصقل |
| روض ومعشوق وحسن حـمـائم | وصفاء ساقـية وراح سـلـسـل |
| وظلال غادية فسيف بـروقـهـا | ماض وطيب هوائها مستـقـبـل |
| والشمس تجنح للغروب | ذهبي مصفر البقـاع |

فثوبها ال مـجـلـل
ما للمسرة عن حمانا مـخـرج كلا ولا لأسى علـينـا مـدخـل
ومحاسن الحدباء مشـرقة عـلـى كل البلاد لها الفخـار الأفـضـل
يا حبذا الشرف المطل وديرهـا ال عالي وطيب فضائه والـهـيكـل
ورواقـه "وبـهـاؤه" وجــواره والعيش فيه والـهـواء الأعـدل
وعبيره يهدي بطـيب نـسـيمـه وشموله يبقي فـدام الـشـمـأل
يا طيب صحته وصحـبـتـه ونـا قوس الصباح على الصبوح يحيعل
مغنى أقام به الرشـيد وحـلـه ال منصور والمأمون والمـتـوكـل
يا ساحة الحدباء تـربـك إثـمـد للناظرين فما الدخول فحـومـل?
هبني أحاول غيرها أو أبـتـغـي عوضاً عن الأوطـان أو أتـبـدل
فعن الذين عهدتهـم بـفـنـائهـا أهلي وجيراني بمـن أسـتـبـدل
فالدهر لا يبقى عـلـى حـالاتـه فيجور أحـيانـاً وطـوراً يعـدل
صبراً فكل ملمة مـن بـعـدهـا فرج وكل عسير أمـر يسـهـل

وقال أيضاً:

وإذا شكوت من الزمن ومسني ضيم ونكس صعدتي إعسـار
وعلمتم أني بكم مـتـعـلـق فعلى علاكم لا علي العـار

الملك الجواد

يونس بن مودود بن محمد بن أيوب، السلطان الملك الجواد مظفر الدين ابن الأمير مظفر الدين ابن الملك العادل أبي بكر؛ كان في خدمة عمه الكامل، فوقع بينهما، فسار إلى عمه المعظم فأقبل عليه، ثم عاد إلى مصر واصطلح مع الكامل، فلما مات الأشرف جاء مع الكامل إلى دمشق، فلما مات الكامل تملك الجواد دمشق. وكان جواداً كلقبه، ولكن كان حوله ظلمة، وكان يحب بالصالحين والفقراء. وتقلبت به الأحوال وعجز عن مملكة دمشق، وكاتب الصالح نجم الدين أيوب، فقدم وسلم إليه دمشق وعوضه سنجار وعانة، وسار إلى الشرق فلم يتم له الأمر، وأخذ منه سنجار وبقى بيده عانة، فسار إلى بغداد وقدم على الخليفة فأكرمه، فأباعه عانة بذهب كثير، ثم سار إلى مصر وافداً على عمه الصالح فهم بالقبض عليه،

فتسحب إلى الكرك إلى الملك الناصر داود، فقبض عليه. ثم انفلت منه وقدم على الصالح إسماعيل صاحب دمشق فلم يهش له، فقصد ملك الفرنج الذي بصيدا وبيروت فأكرمه، وشهد مع الفرنج وقعة قلنسوة، وقتل فيها ألف مسلم، ثم بعث إليه الصالح الأمير ناصر الدين ابن يغمور ليحتال عليه بخديعة، فيقال ابن يغمور اتفق معه على مسك الصالح اسماعيل، ثم إن الصالح ظفر بهم فسجن الجواد بقلعة غزتا وسجن ابن يغمور بقلعة دمشق، فطلب الفرنج الجواد من الصالح وقالوا لا بد منه، فأظهر أنه مات، ويقال إنه خنقه، وأخرج من السجن ميتاً، ودفن بقاسيون بتربة المعظم العظم سنة إحدى وأربعين وستمائة، رحمه الله، ويقال إن أمه كانت أفرنجية، والله أعلم.

أنتهى الكتاب